

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



جامعة 8 ماي 1945 قالمة  
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: الفلسفة

مخبر التوطن مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال

## أطروحة

### لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الشعبة: الفلسفة

الميدان: العلوم الاجتماعية

الاختصاص: فلسفة تطبيقية

من إعداد:

إيمان خلاف

## بعنوان

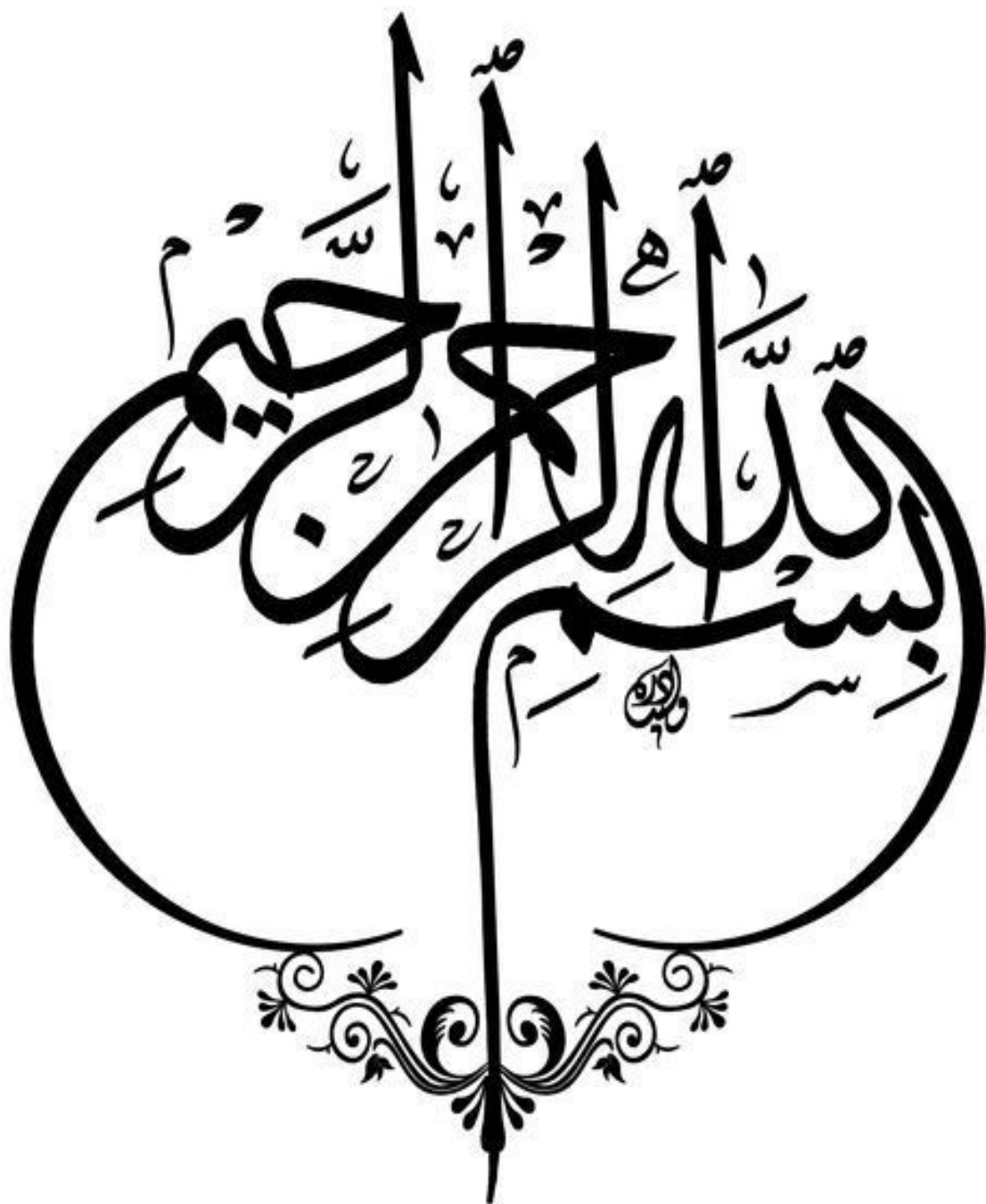
الإنسانية المتحولة: من فلسفة الحياة إلى فلسفة الإنسان عند لوك فيري

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ: 2025/06/03

الاسم واللقب	الرتبة	
السيد سعودي كحول	أستاذ محاضر أ	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة رئيسا
السيد كمال حاج علي	أستاذ محاضر أ	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة مشرفا ومقررا
السيد عبد الحليم بلوهم	أستاذ محاضر أ	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة ممتحنا
السيد رشيد دحدوح	أستاذ التعليم العالي	بجامعة قسنطينة 2 ممتحنا
السيد عيادي عبد المالك	أستاذ التعليم العالي	بجامعة الجزائر 2 ممتحنا

السنة الجامعية: 2024-2025



قال الله تعالى: "ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"

(الجمعة/4)



## شكر وتقدير وامتنان

الحمد لله أولا الذي منّ عليّ ووفّقني في إتمام هذا العمل

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير لأستاذي وموجهي  
الأستاذ الدكتور: "حاج علي كمال" الذي رافقني بتوجيهاته ونصائحه  
ومساعداته طول مراحل إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة  
على تفضلهم بقبول مناقشة وتقييم هذه الأطروحة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بشكري الخالص لجميع أساتذة وموظفي  
قسم الفلسفة بجامعة قلمة على نبيل أخلاقهم ورحابة صدرهم

كما أتقدم بشكري وامتناني إلى كل من  
ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا  
العمل





## إهداء

إلى روح فقيدة قلبي.. أُمي الغائبة عني بجسدها والحاضرة دوماً في قلبي

إلى أبي الغالي.. سندي في الحياة

إلى كل أفراد عائلتي وأخص بالذكر زوجي وأبنائي: محمد إسلام ويانيس، وأختي  
مريم الذين تحملوا معي مشقة انجاز هذا العمل.

إلى كل من آمن بي وساعدني على انجاز هذه الأطروحة خاصة: مروة، أميرة،

سيرين، نهى، إيمان

إلى كل من نسيه قلبي وهو في قلبي

إلى كل محب للحكمة

إلى الأرواح التي أبيت في غزة بواسطة التقنيات الفائقة بعد أن انحرفت عن  
غايته المثلثة في تخليص البشر من المعاناة.

اهدي هذا العمل .....





# مقدمة



تعتبر حركة الإنسانية المتحولة أكثر من مجرد يوتوبيا بسيطة أو مدرسة فكرية جديدة أو أيديولوجيا عصرية، فهي في واقع الأمر مشروع علمي فلسفي قيد التنفيذ بالفعل، حيث يدافع عن استخدام أحدث التقنيات الناشئة — من علم الوراثة الحيوية إلى الحوسبة، ومن تكنولوجيا النانو إلى العلوم المعرفية والروبوتات والذكاء الاصطناعي — بهدف واضح يتمثل في زيادة القدرات الجسدية والمعرفية والحسية والذهنية والعاطفية للبشر بشكل كبير، خاصة وأن التطور البشري يستلزم تغيير نموذج التمركز الإنساني الذي تدافع عنه النزعة الإنسانية، ويهدف إلى اختراق حدود الطبيعة التي كنا نعتبرها حتى وقت قريب غير قابلة للتغلب عليها، من أجل تصميم نوع جديد أكثر تطوراً من الإنسان العاقل أي الإنسان الفائق، وبذلك قدمت مفهوماً جديداً للإنسان يتجاوز الطرح الكلاسيكي القائم ثنائية الجسد والعقل، نحو تصور جديد قائم على أن للجسد دور قوي في تشكيل ذاتنا، ومع ذلك أثارت حول الأفكار التي تدعو إليها هذه الحركة انتقادات شديدة، على اعتبار أن أهدافها تمثل انتهاكاً لمفهوم الإنسان، ومن هذا المنطلق تباينت الآراء بين مؤيد مبشر، ومعارض محذر، وتشكل هذه الثنائية محور فكر الفيلسوف والسياسي الفرنسي **لوك فيري Luc Ferry** الذي اعتقد بأن هذه الحركة تسعى لإخراج الإنسان إلى ما هو أبعد وأقوى من حالته العادية، من خلال تسخير جميع التقنيات الفائقة لتعزيز قدراته، معتبراً أنها حركة تبحث لها عن مواطن قدم في عصرنا وتتناغم مع الآفاق غير المحددة للمستقبل.

**سيوافق لوك فيري** — وهو عراب الإنسانية المتحولة في فرنسا — على جسارة هذا المشروع ووعوده المبهمة، التي ستخلص الإنسانية من الشيخوخة والموت والعجز والنقص والوهن عموماً، كل هذه التحولات البيوتقنية المتجهة نحو الطبيعة البشرية أطلق عليها **فيري** اسم "ثورة الإنسانية المتحولة"، معتبراً أنها تسعى إلى جعل الإنسان أكثر إنسانية والارتقاء به إلى وضع أفضل، كما يتجه في خطابه إلى أبعد من ذلك، حيث يلقي اللوم على سياسيي وصانعي القرار في فرنسا بأنهم متأخرين جداً في هذا المجال عن الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب نزعتهم البيومحافظة التي استلهموها من فلسفة الأنوار.

ينبع اهتمام **لوك فيري** بالإنسانية المتحولة من اهتمامه بمشكلة أزمة غياب المعنى أو معنى الحياة التي أفرزها نمط الحياة المعاصرة، وبذلك فإن حركة الإنسانية المتحولة تمثل سمة من سمات الوضع الفكري الذي نحن فيه، فهي تعبر عن لحظة تاريخية تتبع إطاراً خطايا مختلفاً عن المفارقات الخطائية التي تسببت في أزمة الإنسان المعاصر أو موت الإنسان بالتعبير الفوكاوي، ومن هنا جاءت الدعوات إلى ضرورة تجاوز الإنسان لذاته، وقد تدعمت هذه

الفكرة أكثر بفضل التطورات التقنية المعاصرة، حيث تم التخلص من فكرة الإنسان الفكري العلائقي نحو فكرة الإنسان ككيان بيولوجي.

إن الفلسفة التي قدمها **لوك فيري** وأثرى بها الفكر الإنساني جعلت من الوضع الإنساني الراهن الهم الفلسفي الذي لا بد من تداوله وفتح حوار واسع وشامل بين كل الفلسفات للنظر في الأبعاد التي من شأنها أن تخرجه من دائرة التأزم والمأساة إلى أفق السعادة المنشودة.

يكتسب الموضوع الذي بين أيدينا أهمية بالغة، خاصة في الفكر المعاصر، لأنه يتعلق بالحديث عن صميم الواقع الراهن للإنسان ومعاناته اليومية مع ذاته ومع غيره ومع العالم، وعليه تتمحور هذه الدراسة أساساً حول تحولات مفهوم الإنسان وفكرة تعزيز قدراته تقنيا ورقميا للتغلب على القصور والعجز من إعاقة وألم وتعب ومرض ناهيك عن الشيخوخة والموت باعتبارهما صفات تحاصر الإنسان بمحدوده الراهنة الواهنة والوصول به إلى إنسان أكثر قوة وذكاء أي إنسان فائق، وما يتبع ذلك من إعادة صياغة مفاهيم عدة من قبيل: الطبيعة والهوية، القيم الأخلاقية، الحقوق والكرامة الإنسانية، بل قد يفرز العديد من التغيرات الجوهرية التي قد تطل المجالات الاقتصادية والسياسية والدينية، وخصوصاً أن مثل هذا الموضوع الشيق والحيوي والذي لا يزال البحث فيه جنيهاً خاصة عربياً، لهذا فهو يستحق اليوم تسليط الضوء عليه ليتمكن القارئ من أن يكون على اطلاع دائم بمستجدات الحاضر واستشراف المستقبل القادم بما يحمله من قضايا علمية مذهلة، ربما لم يخطر على بال الإنسان التفكير فيها، مقارنة بالباحثين في الغرب - خاصة الأمريكي منه - الذين قطعوا أشواطاً جد مهمة في رؤيتهم وتصورهم للمستقبل، لهذا يمثل هذا الموضوع رهاناً للفكر الفلسفي عامة والبيوياتيقي على وجه التحديد، الذي يسعى دائماً لأخلاقه الإفراط التكنولوجي والحرص على مصلحة الإنسان وكرامته ومصيره.

بناءً على ذلك، نسعى من خلال هذه الأطروحة إلى تعريف القارئ العربي خاصة بهذا الموضوع شبه الغائب في سياقنا، رغم كونه من تداعيات ما بعد الحداثة، كما أنه يمثل الدراسات الحالية التي لا يزال الباحثون يشتغلون عليها، كما سنركز على استكشاف المفاهيم المختلفة للإنسانية المتحولة وتقييم تأثير تطبيقاتها على الإنسان والمجتمع، وتحليل القضايا الأخلاقية المرتبطة بها، واقتراح إطار عمل لتطوير علاقة إيجابية بين الإنسان والتكنولوجيا.

لعل أهمية الموضوع المشار إليها آنفاً، كانت من الأسباب الوجيهة التي دفعتنا لمعالجته، إضافة إلى عوامل أخرى منها الذاتية ومنها الموضوعية، فمن الناحية الذاتية، ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو اقتناعنا بأهميته



وراهنيته، وكذا ميلنا الشخصي وانجذابنا نحو مثل هكذا مواضيع تمس المستقبل الإنساني في ظل التطور البيوتكنولوجي وإمكانية تعزيز وتعديل الإنسان تحقيقاً لرغبته الدائمة في بلوغ الكمال وربما الخلود. وباعتبار أن حب المعرفة والفضول طبيعة في العقل الإنساني تدفعه للبحث والدراسة، من هنا شكل موضوع الإنسانية المتحولة هاجساً لنا دفعنا إلى التعمق في فهم مضامينها واتجاهاتها وجذورها التاريخية وتداعياتها على الإنسان ومجالات حياته.

أما عن الدوافع ذات الدلالة الموضوعية، فكان أهم دافع هو إثراء المكتبة العربية خاصة بمثل هذه الموضوعات التي تشهد ندرة وشحاً فيها، نتيجة راهنية الموضوع - كما ذكر سابقاً - وليس تقصيراً من الباحثين، خاصة وأنه لا يزال يطرح على طاولة النقاش، ولم يلق الترحيب من قبل الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين إلا مؤخراً.

ولقد أتى اختيارنا لنموذج **لوك فيري** كموضوع لبحثنا ومواقفه حول فلسفة الإنسانية المتحولة، نظراً لطرحه الموضوعي وتعامله الشفاف الخالي من التحيزات اللاهوتية والأخلاقية المتعالية لقضاياها، هذا في ظل وجود اتجاهين رئيسيين، الأول يصبوا إلى توقيف مثل هذه التقنيات ويحرم مساعي هذه الحركة باسم الحفاظ على الطبيعة البشرية، والثاني يسمح بكل شيء باسم التقدم وضرورة التحرر من القيود البيولوجية والسيكولوجية لصالح سعادة الإنسان.

تتعلق الإشكالية الرئيسية في هذه الأطروحة بمشروع الإنسانية المتحولة ودعوتها الصريحة إلى تغيير طبيعة الكائن البشري، وتداعيات ذلك على مفهومه وكيونته وقيمه وحقوقه وعلاقته بالغير، والتحويلات التي ستطرأ على مجالات حياته بصفة عامة، من خلال رؤية **لوك فيري** وتقييمه لهذا المشروع، بهدف تبريره من خلال الوقوف على أهم انعكاساته الحتمية، للاستفادة قدر الإمكان من مزاياه وتشمينها، وفي المقابل مواجهة عيوبه وتخطيها أو تقويمها إن أمكن.

يمكن ترجمة الإشكالية إلى التساؤل التالي:

إذا كنا نسير وفقاً لموقف **لوك فيري** نحو تعزيز قدرات الإنسان بيولوجياً وعقلياً ونفسياً نتيجة الحتمية التكنولوجية، فهل هذا يعني أننا بصدد تحول إيجابي؟

هذه الإشكالية تتفرع عنها عدة مشكلات جزئية يمكن إجمالها على النحو التالي:

- هل بإمكان التكنولوجيا أن تخلق إنساناً جديداً يختلف جسدياً وعقلياً عن نموذج إنسان اليوم؟



- كيف سيتمكن الإنسان من البقاء في هذا العالم القديم الإنساني في ظل بروز مجتمع الإنسانية المتحولة الذي في النهاية سيكون العالم الوحيد الذي سيقوم فيه الإنسان الفائق أو الكائن ما بعد الإنساني؟

- كيف تشكل مفهوم الإنسانية المتحولة؟ وما السياقات التاريخية والفكرية والفلسفية التي ارتبطت بها؟

للإحاطة بجميع أجزاء إشكالية البحث وتحليلها بعمق، قسمنا عملنا إلى:

**مقدمة:** حيث تتضمن التعريف بموضوع بحثنا وأهميته ودواعي اختياره وضبط الإشكالية المناسبة للبحث، والمشكلات المتفرعة عنها، وكذلك الخطة والمناهج المعتمدة مع ذكر أهم الدراسات السابقة ومختلف الصعوبات التي تم المرور بها. ثم وضعت البحث ضمن ثلاثة فصول، كل فصل يتضمن أربعة عناصر رئيسية بمثابة مباحث يعالج أحد جزئيات الدراسة، سعينا فيها إلى التطرق لما يخدم الرسالة كلها.

**ففي الفصل الأول** الذي حاولنا من خلاله عرض ماهية حركة الإنسانية المتحولة كمشروع فكري وفلسفي وعلمي بواسطة تبني مقاربات مفاهيمية وتاريخية واستشرافية، لذا اقترحت العنوان التالي: " الإنسانية المتحولة من الأسس النظرية إلى المشاريع التطبيقية"، تم فيه إبراز أفكار النزعة الإنسانية التي أعلنت مركزية الإنسان كنوع من التحرر من السلطة الدينية المتعالية، هذا الإنسان الذي تمكن بفضل العقل والعلم من إخضاع الطبيعة لصالحه، ليأتي عصر ما بعد الحداثة أين تم تقويض هذا الغرور الإنساني الأنثروبوسيني بإعلان موت الذات الإنسانية الديكارتية، هذه الأفكار التي شكلت الأرضية الخصبة للإنسانية المتحولة التي استغلت التطور التقني في المجال البيوطي للإعلان عن بناء تصور جديد للإنسان لا يلغي جانبه البيولوجي تحيزا للعقل، بل يعمل على تعزيز جسده وعقله معا، ما دعانا إلى الوقوف على التباعدات والتقاربات بين الإنسانية والإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، ثم التطرق إلى أهم معتقداتها ومؤسساتها المسخرة لتحقيق غاياتها، وكذا تجلياتها في المجال الأدبي والفني والخيال العلمي، ثم الأبحاث الواقعية التي تعمل على تجسديها على أرض الواقع. مع الاستناد إلى آراء **لوك فيري** وتعليقاته.

**أما الفصل الثاني** فقد حاولنا فيه الاشتغال على مختلف التصورات والقضايا التي تحملها حركة الإنسانية المتحولة كمشروع في الجانب الأنطولوجي الماهوي للكائن البشري، والمجالات الاقتصادية والسياسية وحتى الدينية باعتبارها جوانب تتعلق بحياة الإنسان ونمط معيشته وتؤثر بشكل مباشر في قراراته ومعتقداته، لهذا تناولنا فيه قضايا: التعديل الجيني، دمج الإنسان مع الآلة، الإنسان السيبراني، المجتمع الافتراضي، الاقتصاد الرقمي، الاقتصاد

التعاوني، البيوسياسية، الدين الرقمي... وغيرها من القضايا التي أصبحت واقعا معاشا. مع تبيان وتحليل منظور **لوك فيري** من ذلك وتحديد ما يشجعه وما يحذر منه وما يرفضه.

فيما يخص **الفصل الثالث** فقد خصصناه لتوضيح وجهات النظر الفلسفية والعلمية الرائدة خاصة في النقاش البيوإتيقي حول معتقدات ومسلمات الإنسانية المتحولة وتداعياتها على الإنسان وقيمه وكيونته وكل ما يتعلق بها، سواء من جهة المؤسسين للحركة والداعمين لها والمشتغلين عليها إيماناً منهم بحتمية التقدم والتطور، وهم من يطلق عليهم "البيولوجيون التقدميون"، أو من جهة رافضيهها والمحذرين منها، والذين يطلق عليهم "البيولوجيون المحافظون"، فيما يخص بالتحديد قضايا حساسة من قبيل: الطبيعة البشرية والكرامة والحقوق الإنسانية، التي لا يستقيم وجود الإنسان إلا بها، مع إرفاق كل جزء منها بتعقيب وردود **لوك فيري**، وفي نهاية الفصل تناولنا المشروع الإنساني الجديد المكمل لمشروع الإنسانية المتحولة إن لم يكن مصحح لها، والذي تصوره ورسم حدوده **لوك فيري**، مع تعقيب نقدي لأفكاره الواردة في هذا المشروع.

وأخيرا **خاتمة** حصرنا فيها نتائج فصول البحث ومنه الإجابة على الإشكالية الأساسية.

اعتمدنا في تخرج هذا البحث لتكون الأفكار الواردة في فصوله منسجمة ومتسقة على منهج تحليلي نقدي في عموميه، مقارنة في بعض جزئياته، فأما ما تعلق بالجانب التحليلي، فقد فرضت طبيعة البحث ووفقا لما يقتضيه الموضوع تحليل وتفكيك الأفكار الواردة فيه من أجل معرفة ما تحويه من مضامين معرفية وعلمية، ويظهر ذلك من خلال تحليل أفكار **لوك فيري** حول الإنسانية المتحولة، وكذا تحليل مسلماتها وقضاياها وآفاقها وانعكاساتها وقضاياها، دون اغفال نقدها كذلك.

أما المقارن، فيتجلى من خلال محاولتنا القيام ببعض المقارنات اللازمة التي تخدم دراسة بحثنا، فكان بين حركة الإنسانية المتحولة والنزعة الإنسانية من جهة، وبين حركة الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية وبعض المفاهيم الأخرى القريبة منها والتي تستخدم في نفس الحقل الدلالي من جهة أخرى.

بغرض الإحاطة بجميع جوانب البحث، فقد اعتمدنا على الكثير من مؤلفات **لوك فيري**، كما أن هناك بعض الدراسات في مجال بحثنا لكن أغلبها باللغات الأجنبية أما باللغة العربية فتكاد تكون منعدمة، منها ما يتعلق بحركة الإنسانية المتحولة، ومنها ماله صلة بفلسفة **لوك فيري**، إلا أنها لم تهتم بالطرح الذي قدمه **فيري** وأفكاره حول الإنسانية المتحولة بشكل مباشر، فبعضها يعالج موضوع إنسانية الحب عنده، والبعض الآخر حول مقارنته

في تدريس الفلسفة، أو موضوع أخلاقيات البيئة. ولم نجد موضوعا له صلة مباشرة بموضوع بحثنا أي يتحدث عن الإنسانية المتحولة في خطاب **لوك فيري**، عدا بعض الكتابات التي حملت في ثناياها إشارات مقتضبة إلى أفكاره، والتي نجدها في المراجع التالية:

- مقال للأستاذ **رشيد دحدوح** المعنون ب: "ما بعد أزمة الكوفيد 19: آفاق مشاريع البيوتكنولوجيات البشرية والإنسان المتجاوز" ضمن كتاب جماعي: "البيوتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة في زمن الهيمنة الفيروسية" تحت إشراف الأستاذ: محمد جديدي. والذي حاول فيه مساءلة مشروع الإنسانية المتحولة الواعد بالكمال والقوة والذي أصبح مشكوك فيه بعد أزمة كورونا الأخيرة.

- كتاب: "البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان" **لمحمد طاهير** الذي اكتفى فقط بذكر مفهومه للإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

- وكذا ثلاث مقالات للأستاذ **هشام معافة**، الأول يحمل عنوان: "الإنسانية المتحولة وأزمة الإنسان الفائق"، والثاني: "الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية: نحو فلسفة للإنسان الجديد"، والثالث: "نزعة الإنسانية المحولة وإتيقا الخلق الإلهي" حيث حاول من خلالها الوقوف على فلسفات الإنسانية المتحولة وأهدافها وانزلاقاتها الأخلاقية، حيث عرج على بعض آراء **فيري** في ذلك.

- وكذا مقال آخر لـ **بلقصور مصطفى** تحت عنوان: "أخلاقيات ما بعد الإنسانية" والذي أورد فيه وجهات نظر **فيري** من النقاش البيوتيقى بين المحافظين والتقدميين حول الأخلاق.

- وآخر لـ **خن جمال** الموسوم ب: "ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الطبيعة البشرية" الذي تناول فيه التأسيس الفلسفي لحركة الإنسانية المتحولة.

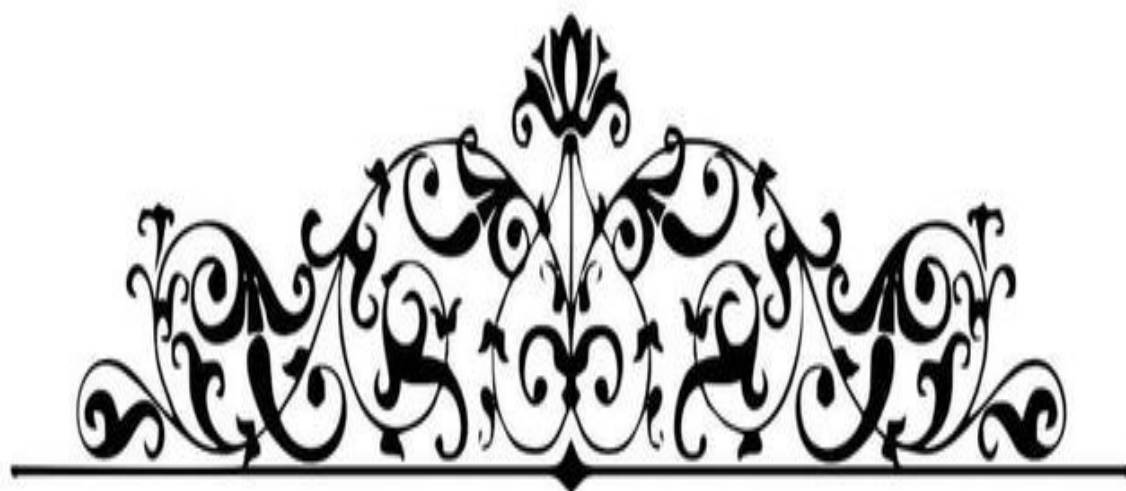
مثل كل البحوث واجهتنا جملة من العوائق والصعوبات أثناء إنجازها، ومن ضمنها نجد:

- صعوبة موضوع البحث في حد ذاته، كونه موضوع راهني، وقليل من المفكرين اشتغلوا عليه في الساحة العربية خاصة الجزائر، مما دفعنا للرجوع إلى المصادر الأجنبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتساع الموضوع وعموميته وتشعبه، الشيء الذي جعلنا نجازف باختيار أهم القضايا التي سنعالجها وندرسها في البحث.

- قلة المصادر والمراجع المترجمة إلى اللغة العربية، كون جلها باللغتين الإنجليزية والفرنسية تم توظيفها في تحرير بحث باللغة العربية، وهو ما يتطلب جهدا مضاعفا للقراءة والترجمة والاستعانة بأهل الاختصاص وما يتبع ذلك من صعوبة إيجاد المصطلح المناسب والفهم الجيد للأفكار قبل تحيينها، ما جعلنا نشعر بالارتباك أحيانا في القبض على مفاهيمه بدقة.

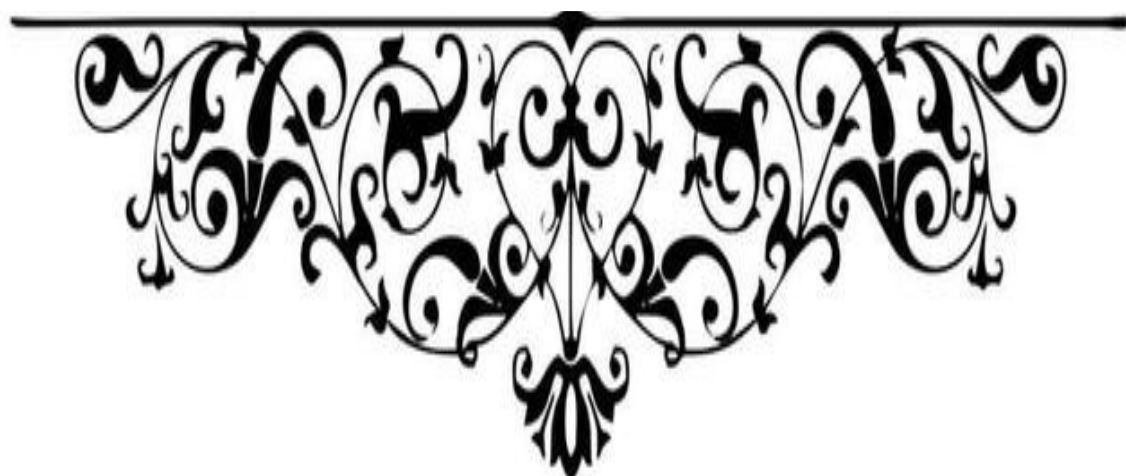
- صعوبة المقارنة بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، خاصة أن هناك خلط كبير في الأوساط الأكاديمية في استخدام كلا المصطلحين كمترادفات.

وختاما نرجو أن نكون وفقنا في طرح عملنا هذا، وحققنا الهدف منه، فإن جانبنا الصواب فالكمال لله وحده تعالى وبه نستعين، ونسأله التوفيق السداد، وأما النقائص التي سيتم تدوينها من قبل المناقشين فهي من مقتضيات الروح العلمية التي تتسم بالنسبية والانفتاحية وضرورة المراجعة وقابلية الخطأ.



## الفصل الأول: الإنسانية المتحولة من الأسس

الفلسفية إلى التطبيقات العلمية



## أولاً: من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية:

- 1- النزعة الإنسانية: الدلالة والسياق.
- 2- فلسفة ما بعد الحداثة وتفكيك الإنسان.
- 3- الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟.

## ثانياً: الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي.

- 1- مفهوم الإنسانية المتحولة.
- 2- الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها.
- 3- مسلمات الإنسانية المتحولة.
- 4- اتجاهات الإنسانية المتحولة.

## ثالثاً: الرصد التاريخي للتصور الفلسفي للإنسانية المتحولة:

- 1- البحث عن الخلود في الفكر القديم.
- 2- السعي نحو تحقيق الإكمال في الفكر الحديث.
- 3- التكنولوجيا الفائقة ومآلات الإنسانية.

## رابعاً: الإنسانية المتحولة من الخيال إلى التجسيد

- 1\_ الإنسانية المتحولة في أدبيات الخيال العلمي والفن
- 2\_ الإنسانية المتحولة في المخابر.
- 3\_ أعضاء وجميعيات الإنسانية المتحولة.

### تمهيد:

في سعيه من أجل حياة أسهل وأسعد اتجه الإنسان منذ زمن طويل إلى التكنولوجيا، حتى وصل إلى تحديات لا يمكن تخيلها قبل بضع سنوات، حيث تلعب التكنولوجيا العلمية وبالتحديد الأدوات الرقمية والمعلوماتية والعلوم العصبية المعرفية وتكنولوجيا النانو، دوراً مركزياً في حياتنا الفردية والجماعية، إذ أن تقنية العالم الحالية والمستقبلية أمر أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وأمر مرغوب فيه، إذ لم يعد الإنسان قادراً على قبول هشاشته وحدوده، مما جعل العلماء يعلنون ليس فقط عن تحسين الإنسان، ولكن أيضاً عن تحوله العميق، وهذا ما نادت به الإنسانية المتحولة.

إن التقدمات العلمية والتقنية تثير تساؤلات حول العقائد السائدة بشأن الحالة الإنسانية، حيث تعد الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية من أبرز مظاهر هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة، إذ لم تكتسب المناقشات حولها اهتماماً أكاديمياً وشعبياً كبيراً فحسب، بل أدت أيضاً إلى ارتباك مفاهيمي واسع النطاق. وهذا ليس مفاجئاً بالنظر إلى تاريخهما الحديث وتعارفهما المفاهيمي، وانخراطهما في أسئلة وموضوعات مماثلة. وهنا يجدر بنا التساؤل:

كيف تشكل مفهوم ما بعد الإنسان؟ وما هو السياق الذي ارتبطت به حركة الإنسانية المتحولة؟ وما هي جذورها الفكرية ومنطلقاتها الفلسفية؟ وما هي المجالات العلمية التطبيقية لها؟



أولاً: من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية.

لقد آمن العقل الحديث بجملة من المبادئ، مكنته من الخروج من قبضة التحجر والعجز نحو الأنوار، كما وصفها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط<sup>1</sup> Emmanuel Kant (1724-1804)، ويمكن إجمالها في: العقلانية، العلمانية، التحرر، حقوق الإنسان، وقد اعتبرت المرتكزات الجوهرية للنزعة الإنسانية، التي تجعل من الإنسان مركز الكون مقابل إلغاء كل المركزية الأخرى خصوصاً اللاهوتية، بعد أن شاع في الفكر الفلسفي التراتبية الوجودية: الله - الطبيعة - الإنسان، ومنه تأليه الإنسان وأنسنة القداسة، أي وضع الإنسان باعتباره ذلك الكائن العاقل فوق كل شيء من منطق العقلانية وضرورة سيادتها، غير أن هذه العقلانية التي طبعت الفكر الحديث، حددت مفهوماً جديداً للإنسان يمكن النظر إليه من خلال ما يصنع ويفعل كخاصية جوهرية، وليس النطق كما ساد مع الفيلسوف اليوناني أرسطو<sup>2</sup> (384 ق.م - 322 ق.م) Aristot.

### 1- النزعة الإنسانية: الدلالة والسياق:

ظهرت الإنسانية أو الإنسانية Humanisme كمصطلح لنزعة أو حركة نهاية القرن الثامن عشر ميلادي وبدايات القرن التاسع عشر ميلادي، إذ لم تكن معروفة من قبل في الفكر الغربي، فقد صاغها المفكر التربوي الألماني نيتامر P.T. Nithommer عام 1808م، أثناء مجادلة حول مكانة الدراسات الكلاسيكية في التعليم الثانوي، واشتق منها Humanisme في الفرنسية و Humanism في الإنجليزية<sup>1</sup>. وذهب البعض الآخر من المفكرين إلى أن أول ظهور فعلي لهذه المفردة " إنسانية " كانت مع بيير جوزيف برودون Pierre-Joseph Prandhon (1809-1865) عام 1850م، وقد تم إدراجها في معجم ليتري Littre الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر<sup>2</sup>.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن مصطلح الإنساني، يمكن النظر إليه بوصفه صفة اشتقت في اللغات الأوروبية في القرن السادس عشر ميلادي وتحديداً عام 1856م، من قبل المؤرخ الألماني وعالم اللغة جورج فوليت George Volit وذلك لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعليم الكلاسيكي أثناء فترة عصر

<sup>1</sup> إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحيلة - إشكالات تأليه الإنسان وتفنيداً في الفكر المعاصر، مركز دلائل للنشر، الرياض - السعودية، ط2، 2019، ص19.

<sup>2</sup> منوي غباش، تحولات الخطاب الإنساني: من الإنسانية إلى ما بعدها، مجلة تبين، عدد 44، مجلد 11، ربيع 2023، ص 12.

النهضة.<sup>1</sup> لكن ما يحمله هذا المصطلح من معاني ومدلولات له جذور ترجع إلى الحضارات الشرقية القديمة، وبدرجة أولى إلى الحضارة اليونانية والرومانية.

إن مصطلح الإنسانية من حيث الاشتقاق اللغوي اللاتيني يعود إلى كلمة إنسان Human والتي ترجع بدورها إلى كلمة Humus اللاتينية والتي تعني الأرض أو التربة، والمقصود بها: الإنسان الواقف على الأرض.<sup>2</sup>

بدأت دلالة كلمة الإنسانية Humanism بالتشكل مع بداية عصر النهضة الأوروبية، في خضم الحركة الإنسانية التي انطلقت في إيطاليا، وبرغم هذه العراقة، فإنه من خلال تتبع الأصل التاريخي للمصطلح Humanism نلاحظ تطوراً دلالياً حاصلًا في المفهوم، وكذلك تطوراً في شكل الكلمة ذاتها، غير أن العودة إلى اليونان القديمة يقودنا إلى وجود عبارة وهي "Enkikiliapaedia" والتي تشير إلى التعليم المتوازن، والمتأمل في فكرة التعليم لدى اليونان يجد أنها تشير إلى المعارف الإنسانية القديمة المتمثلة في: القواعد اللغوية، البلاغة، المنطق، علم الأعداد، الفلك، التجانس الصوتي، و هي معارف قدمت تقنية للتعليم و النقاش في علم من دون كتب، يعتمد في سبله للمعرفة على المهارات الجدلية و الدقة في التفكير، و التمكن من اللغة.<sup>3</sup> و كانت الكلمة اللاتينية التي وضعها شيشرون مصطلحاً لفكرة التعليم المتوازن اليونانية هي Humanistas، ثم أصبح عصر النهضة الخاص بالمواد المدروسة في مجال اللغات و الآداب الكلاسيكية هو Studia-Humanistas ومدرس تلك الدراسات كان يسمى Humanist أي إنساني.<sup>4</sup>

وقد أضحت الدراسات الإنسانية تشير في القرن الخامس عشر ميلادي إلى دراسة القواعد اللغوية والبلاغة والتاريخ والأدب والفلسفة الأخلاقية، والتي كانت تتكون من قراءة النصوص اللاتينية الخاصة بالعصر الكلاسيكي ما قبل المسيحي، وتشمل أيضاً على الترجمات اللاتينية اليونانية والنصوص اليونانية القديمة نفسها. حيث بدأت كحركة أدبية كلاسيكية في إيطاليا، وأطلق على روادها اسم الإنسانيين Humanistis، الذين قاموا بالعودة إلى كتابات الإغريق والرومان القدماء ذات الطابع الديني.<sup>5</sup> ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا، ونلاحظ هنا أن المفهوم الأول للإنسانية كان مرتبطاً بإحياء التراث الإنساني اليوناني

<sup>1</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (دط)، 1982، ص158.

<sup>2</sup> إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص20.

<sup>3</sup> عاطف أحمد، النزعة الإنسانية: دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ط2، 1999، ص ص17، 18.

<sup>4</sup> إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحيلة، ص20.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص ص29، 30.

الروماني القديم للاستفادة من ثقافتهم والعودة إلى أدبهم وفنونهم باعتبارها مرجعية يمكن الاعتماد عليها، لكن النزعة الإنسانية لم تبق مقتصرة فقط على هذه الدلالة، بل صارت تحمل معاني أخرى فرضها التطور التاريخي للفكر البشري، إذ أصبح لها أبعاد تاريخية وفلسفية خاصة.

وإذا انتقلنا إلى المفهوم الاصطلاحي لا نجد تعريفاً دقيقاً لها نظراً لتعدد تيارات الحركة الإنسانية، ولقد تعددت تسمياتها، إذ نجد الإنسانية، الإنسانوية، الإنسانية، النزعة الإنسانية، المذهب الإنساني، الدين الإنساني، الهيومانية، فهذه المصطلحات كثيراً ما تستعمل مترادفاً لتأدية معنى واحد، وإن كان البعض يفرق بينهما، والمراد بهذه العائلة من المصطلحات في الجملة رفع قيمة الإنسان وتأليهه أحياناً، وجعله في مركز الكون، والبعض يفضل تعويض الإنسانية بمصطلح الإنسانوية للدلالة على المبالغة والغلو في ذلك المذهب.<sup>1</sup>

لقد ورد في الموسوعة الفلسفية ل: أندريه لالاند ما يلي: " حركة يمثلها إنسانيو النهضة: بترارك، إيراسموس Erasmus... وتتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري وجعله جديراً، ذا قيمة، وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة، فيما يتعدى العصر الوسيط والمدرسية".<sup>2</sup> أي أن النزعة الإنسانية تؤكد على المركزية البشرية<sup>3</sup> والعمل على الرفع من قيمتها باعتبارها سبيل الخلاص الإنساني.

تمثل النزعة الإنسانية في هذا السياق تلك الرؤية التي تضع الإنسان والقيم الإنسانية في المقدمة أو هي ذلك التصور الفلسفي الذي يثق بالإنسان ويتفاءل بإمكانياته وأنه قادر على صنع التقدم الحضاري، بوصفه قيمة عليا، وبهذا يغدو الإنسان بما هو إنسان الغاية.

تجسدت الإنسانية من وجهة نظر الفيلسوف الفرنسي **لوك فيري** Luc Ferry (1951-) عندما نفت خضوع الإنسان لأي سلطة متعالية وخارجة عن ذاته سواء الطبيعة أو الإله، فالإنسان يملك كل الحرية في

<sup>1</sup> إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانوية المستحيلة، ص 21.

<sup>2</sup> أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد 2، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001، ص 568.

<sup>3</sup> أو مركزية الإنسان (الأنثروبوسين) Anthropocentrism: هي التيارات التي تعتقد بأن الإنسان هو الكائن الأكثر أهمية في الكون، فهي تنظر إليه على أنه استثناء نتيجة تفرد العقل والوعي، هذا ما يجعل منه مركز الكون مقارنة ببقية الكائنات، ما يمنحه إمكانية السيطرة عليها. (ينظر: jame setter and other, pronouncing dictionary, cambridge university press, cambridge, p8)

<sup>4</sup> فيلسوف وسياسي فرنسي (1951-) تقلد العديد من المناصب في الجامعات الفرنسية، اشتغل وزيراً للشباب والتعليم من سنة 2002 إلى 2004 كان خلالها مسؤولاً عن تنفيذ القانون الفرنسي بشأن العلمانية، حصل على دكتوراه دولة في العلوم السياسية سنة 1981 ودكتوراه فخرية من جامعة شيربوك (كندا) كما حصل على العديد من الجوائز، يعمل الآن في المجال الأكاديمي والبحث العلمي، وأصبح واحداً من أكثر المثقفين الفرنسيين تأثيراً، وهو يعبر عن آرائه في وسائل الإعلام، يمثل امتداداً للنزعة الإنسانية العلمانية. (انظر:

<https://www.lucferry.fr>

ممارسة كل حقوقه بما يمليه عليه عقله.<sup>1</sup> أي أن ميزته العاقلة تمكنه من التحكم في ذاته وحياته وتاريخه، وهو الذي يبنى الحقائق والعالم والتاريخ... إلخ.

تعود جذور النزعة الإنسانية تاريخياً إلى الإرث اليوناني، إذ انطلقت من الفكر السياسي اليوناني الذي أنتج جملة فلسفات إنسانية تنطلق من الإيمان بجمال الحياة وضرورة الاستمتاع بها، لكن هذا لا ينفي دور الفلسفات الشرقية القديمة التي اهتمت كذلك بالجوانب الإنسانية، ففي الفكر الصيني القديم نجد كونفوشيوس، الذي تمحورت أفكاره حول التربية، وخصوصاً تربية الإنسان المواطن الأخلاقي المسلم.... إلخ،<sup>2</sup> ولذلك بقيت فلسفته سارية المفعول في الفكر الصيني طيلة قرون، وهذا لأن فلسفته نابعة من احترامه للطبيعة وإيمانه بقداستها.

لقد برزت الهيومانية أو الإنسانية لدى مفكري اليونان خاصة بعد تجاوز الفكر الأسطوري والطبيعي، حيث تم انتقال الاهتمام من الطبيعة إلى الإنسان، ويمكن أن نلمس النزعة الإنسانية لدى السفسطائيين من خلال اعتقادهم بأن الإنسان معيار لكل شيء، وأنه يجب الاهتمام بحياة الإنسان والأبعاد العملية للحياة،<sup>3</sup> وهنا يظهر اهتمامهم بالإنسان وحجم إمكانياته في إدراك الحقيقة بشدة.

لقد عمل سقراط على توجيه التفكير نحو الإنسان من خلال مقولته الشهيرة "اعرف نفسك بنفسك"، إذ أن معرفة النفس حسبته تمثل نوعاً من الرقابة على الذات.<sup>4</sup> وهنا تظهر فكرة المركزية البشرية في فكر سقراط من خلال جعله الذات هي جوهر المعرفة والوجود، فكل إنسان يملك الحقيقة في أعماق نفسه وما عليه إلا سبر أغوارها بالبحث والتقصي والتساؤل.

ليأتي بعد ذلك عصر آخر هو العصر الوسيط، الذي شهد سيطرة الكنيسة على العقل، حيث فرضت منظومة فكرية إيديولوجية، تعكس طبيعة العصر وتكويناته الاجتماعية، مما جعل الدراسات اللاهوتية تهيمن

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كبللي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2015، ص150

<sup>2</sup> رالف بارتون بير، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، (دط)، 1961، ص12.

<sup>3</sup> محمد هادي طلعتي، الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، تعريب: حسن علي مطر، كتاب ضمن سلسلة مصطلحات معاصرة، عدد43، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2022، ص ص44،47.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص57.

على الدراسات الإنسانية بشكل واضح طيلة العصور الوسطى، وذلك لأن العلوم الإلهية أشرف من العلوم الإنسانية وأجل شأنًا<sup>1</sup>، وكانت الفلسفة تعتبر خادمة مطيعة لعلم اللاهوت المسيحي.

ثم شرعت الأمور تتغير بدءاً من القرن الرابع عشر ميلادي، حيث ظهر فرانسيسكو بيتاركا (1304-1374) Francesco Petrarca، الذي تجرأ على إبداء إعجابه بالكتاب الوثنيين السابقين على المسيحية، ثم تلاه آخرون كثيرون مشوا على نفس الخط، وبرر هؤلاء أخذهم عن فلاسفة اليونان و الرومان بأن كتبهم تحتوي على الحكمة و العلم و العقلانية الصائبة والحرية على الرغم من وثنيتهما، وبالتالي فيجوز الأخذ عنهم دون أن نتخلى عن الإيمان، و لكن رجال الدين انزعجوا من هذا التصرف واعتبروه خروجاً عن المسيحية، وقالوا إن الحكمة لا توجد إلا في الكتب الدينية<sup>2</sup>، وهكذا جرت معركة بين الطرفين استمرت عدة قرون حتى انتصار الحداثة.

لقد وضع الفلاسفة النهضويون والإنسانيون الإنسان في مركز كل اهتمام أو تساؤل، واعتبروا كل معرفة لا تهدف إلى الرفع من شأن الإنسان لا جدوى منها، وسعوا لبناء مجتمع يختلف عن مجتمع القرون الوسطى المستكين لأقوال الكهنة، وذلك بتثقيف الإنسان وتهذيبه لكي يصبح عقلانياً ذكياً معتمداً على نفسه وإمكانياته لا متواكلاً ولا كسولاً، وعلى هذا النحو انطلقت النزعة الإنسانية قوية فاتحة، وكان من أهم ممثليها على مستوى أوروبا: غيوم بوديه (1467-1540) Guillaume Budé، جاك لوفيفر، ديتابل... وآخرون<sup>3</sup>، وبفضل المطبعة الآلية التي ظهرت في ذلك الوقت راحت كتب هؤلاء المفكرين الإنسانيين تنتشر في كل الأوساط بسرعة البرق.

ظهر تيار جديد لدى العلماء من رجال الدين، وهو ما يمكن تسميته بالمذهب الإنساني المتدين، أي ذلك الذي يوفق بين أفكار الكنيسة من جهة وفكر أدباء اليونان و الرومان من جهة أخرى، ومن أبرز ممثليه المفكر الهولندي إيراسموس، ولكن حروب المذاهب داخل المسيحية وكل المجازر التي رافقتها، وضعت حداً للنزعة الإنسانية المتفائلة جداً بنوايا الإنسان وإمكانياته، فقد كشف عن وجهه القبيح أثناء تلك الحروب المذهبية المدمرة، وبدأ أنه قادر على ارتكاب أبشع الأعمال، وعندئذ بدأت بالبروز ملامح نزعة إنسانية

<sup>1</sup> محمد هادي طلعتي، الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، ص ص 59-60.

<sup>2</sup> مصطفى كحل، تحولات مفهوم الإنسان في فلسفة الحداثة وفلسفة ما بعد الحداثة، مجلة بحوث ودراسات، عدد 95، 2019، ص 102.

<sup>3</sup> محمد هادي طلعتي، الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، ص ص 76-110.

معادية للدين كرد فعل على هذه الحروب و ما رافقها من فضائع ومجازر، تنظر إلى الإنسان على حقيقته بخيره وشره، فبقدر ما هو قادر على صنع المعجزات و تحقيق التقدم، بقدر ما هو قادر على ارتكاب أكبر المجازر والحماقات في حق أخيه الإنسان.<sup>1</sup> و هنا بدأت تلوح في الأفق معالم العلمانية.

لقد تم الانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والإنسان حسب فيري، فالأنسنة هي الوجه الآخر لعلمنة الدين، بحيث: "يكفينا معرفة كيف نتصرف في شؤون الحياة اليومية، ولا حاجة بنا لإطلافا للدين لنكون نزهاء ومستقيمين، ولا حاجة بنا إطلافا كذلك للإيمان بوجود الله للقيام بالواجب".<sup>2</sup> وبالتالي ينافح فيري عن نزعة إنسانية لائكية Humanisme laïc ترى أن الطبيعة في حد ذاتها عمياء وقاسية وغير عادلة وأنها لا تعرف إلا القوة الغاشمة، وهو ما يبرر ضرورة تصحيحها وتحسينها خدمة للإنسان، وذلك بجعله السيد عليها. وهذا في مقابل وجود اتجاهين فكريين سيطرا على الفكر الغربي الأوروبي طويلا، الأول: النزعة المسيحية التي ترجع جذورها إلى أفكار القديس توما الإكويني، والثاني: تمثله نزعة إنسانية أنوارية، ترجع جذورها إلى الإيطالي جيوفاني بيك دو لاميراندول (1494-1463) Giovanni Pic de la Mirandol وكوندورسيه la Condorcet وجون جاك روسو Rousseau (1778-1712) وكانط Kant وماركس Marx (1883-1818) والتي تقر بإمكانية الإنسان بلوغ الاكتمال la Perfectibilité بفضل حريته وقدراته التي يمكنه تجاوزها وتعزيزها.<sup>3</sup>

يذهب فيري إلى أن بداية الانفصال عن اللاهوت وظهور الإنسانية كانت بظهور حقوق الإنسان، وقد صاحبها عقلنة راديكالية للقيم في عصر الحداثة ومع فلسفة الأنوار التي أخرجت البشرية من جب اللاهوت ومكنت الإنسان من خلق قيمه بعيدا عن الدين، فالله أصبح وفقا لكانط موضوعا للإيمان العلمي، له وجود أخلاقي فقط، وهنا حدث قلب للمفاهيم الكلاسيكية بانتقال خصيصة القداسة إلى الإنسان بعد أن كانت حكرا للدين فقط، هذا الإنسان الذي يتمتع بكرامة مطلقة، وأنه غاية في حد ذاته، ومنه حدثت القطيعة بين المطلق المقدس و الإلهي.<sup>4</sup> وما نستشفه من أفكار فيري هنا، أن إرث الأنوار نتج

<sup>1</sup> رالف بارتون بيرري، إنسانية الإنسان، ص 17، 18.

<sup>2</sup> لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 2022، ص 28.

<sup>3</sup> Luc Ferry, Alain renaut, la pensée 68 : Essai sur l'antihumanisme contemporain, Gallimard, Paris, 1985, p 18.

<sup>4</sup> Luc Ferry, Philosophe à dix-huit ans, Grasset, 1999, p22.

عنه أنسنة الإلهي و تأليه الإنساني، حيث أصبح الاهتمام منكبا حول الصفات البشرية وتركيتها التي لطالما تم إقصاؤها فكريا طويلا.

وينطلق **فيري** في مسألة النزعة الإنسانية، من تقاليد البيولوجيين المحافظين Bio-conservateurs<sup>1</sup> التي مفادها أن طبيعة الإنسان معطى ثابت و بالتالي مقدس، هذا ما اتخذته النزعة الإنسانية الكلاسيكية (المسيحية، الماركسية، الوجودية) أساسا لها، وبهذا نظرت للإنسان على أنه كائن متفوق عن بقية الكائنات الغريزية بفضل العقلانية، هذا ما وصفه **فيري** بالنظرة الاختزالية و التحيزية و اللاهوتية الضيقة، فهي تناست عنصرا مهما، وهو إمكانية تجاوز الحدوديات البشرية جسديا وذهنيا بفضل البيوتكنولوجيات، أين كانت مهمة الطب الوقاية والعلاج فقط وليس الإعلاء والتعزيز، وهنا تكون الشيخوخة والموت أمر طبيعي غير مرضي، وهذا ما ترفضه الإنسانية الفائقة.<sup>2</sup> ولهذا سعى **فيري** لتجاوز الإنسانويات التقليدية و الحديثة نحو أفق مفارق للإنسانية Trans humanisme.

يعلق الفيلسوف البلجيكي **جبلبرت هوتوا** Gilbert Hottois (1946-2019) على هذه النظرية بقوله: "الإنسانية دينية أو علمانية، فهي ذلك الفهم الذي يضع العنصر البشري في قلب نظريته للعالم مانحا له ميزات معينة يعتقد اعتقادا مطلقا أن الأحياء الأخرى، لا يمكن أن تتميز بها أبدا كالعوي والحرية والحس الأخلاقي والعقل الكوني... إلخ<sup>3</sup>، ويؤمن المذهب الإنساني أو الإنسانية بالتقدم الآتي عن طريق التقنيات المادية المطبقة على البيئة وعن طريق التقنيات الرمزية المطبقة على الأفراد كالتربية والعلاقات الإنسانية والمؤسسات والأخلاق والحقوق... إلخ.

أما عن المؤسس الفعلي للإنسانية حسب **فيري** فإنه الإيطالي **جيوفاني بيكا دي لا ميرندول** الذي يعتبر الأب الروحي للنزعة الإنسانية، وذلك بفعل الأفكار التي نشرها في مقال له بعنوان (مقالة في كرامة الإنسان) التي شكلت الدعامة الأساسية لنشأة الإنسانية، والتي نجدها في فلسفة **روسو** و **كانط** و **إدموند هوسرل** (1859-1938) وغيرهم، إذ يعتبر أول من تجرأ على الحديث عن الحرية الإنسانية التي تمكن

<sup>1</sup>البيولوجيا التحفظية bioconservatisme الاتجاه فلسفي وعلمي وسياسي يرفض استخدام مختلف التكنولوجيات الفائقة بغرض التدخل في

التركيبية البيولوجية للإنسان خوفا من تحريف طبيعته وما ينجر عن ذلك من انعكاسات أخلاقية. (ينظر: <https://lalangefrancaise.com>)

<sup>2</sup>Ferry Luc: La révolution transhumaniste : comment la technomédecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies, plon, un département d'edi8, paris, 2016, p 30.

<sup>3</sup>Gilbert Hottois, Transhumanisme : est-il un humanisme ? académie royale de Belgique, Belgique, 2014, p 36.



صاحبها من التخلص من كل القيود الدينية اللاهوتية الميتافيزيقية والأخلاقية المفروضة عليه، هذه الحرية أصبحت المبدأ الأول الذي نادى به الإنسانية.<sup>1</sup> وعليه فالحرية عند الإنسان هي التي تمكنه من صنع ماهيته وفق اختياره للممكّنات عكس الحيوان، هذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر John Paul Sartre (1905-1980) مع الفلسفة الوجودية ب: " الوجود يسبق الماهية".

إذن فحسب دو لا ميراندول الحرية تشكل جوهر الإنسان، فهي التي تميزه عن بقية الكائنات، وتجعله يتفوق عن الآلهة التي اخترعها بنفسه كفكرة وآمن بها، هذا ما يجعله استثناء ومحط إعجاب. وهنا يكون الإنسان قد بنى كرامته من صميم إرادته الحرة التي تجعله خارج الطبيعة، وكل هذه الأفكار، قد دافعت عنها الإنسانية وحقوق الإنسان، بل وقامت من أجلها.<sup>2</sup> لكن في نظر فيري، بالرغم من عبقرية أفكار بيلك دي لا مير ندول إلا أنها قوبلت بالسخرية من قبل الكثير وعلى رأسهم: فولتير (1694-1778)، بليز باسكال (1623-1662).

وقد واصلت هذه النزعة مسيرتها في شقها الفلسفي إلى الأمام في القرون التالية، حيث يمثل التنوير الأرضية التي مهدت لظهور الحداثة التي شكلت انقلابا فلسفيا علميا، وقد بنت أسسها على فلسفة ديكارت، الذي تجاوز مفهوم التنوير عن طريق اعتبار أن العقل جوهر وأساس بناء المعرفة، إذ دعا الفيلسوف الفرنسي رونييه ديكارت (1596-1650) إلى تسخير العالم والفكر لخدمة الإنسان، فجوهر البشرية حسبه يكمن في الإيمان القوي بالعقل وقدراته. كما قدم ديكارت تصورا متينا للذات من خلال جوهر التفكير والوعي الذي ينظر للمرء على أنه أنا متفردة كونه مفكرا،<sup>3</sup> هذا التصور الذي هيمن فكريا وفلسفيا حقبة التنوير والحداثة، ودام إلى غاية إطاحته من قبل فلسفات ما بعد الحداثة التي عملت على تقويض ونسف كل مفاهيم الأنا التي تبلورت من خلال "الكوجيتو الديكارتي".

برزت الفلسفة الكانطية في القرن الثامن عشر ميلادي، وهي أكبر فلسفة نقدية تكشف عن إمكانيات العقل البشري و وحدته، وقالت بأن الإنسان قادر على صنع التقدم، أي الخروج من مرحلة التخلف إلى مرحلة الحضارة والاستنارة، وتحسين الأوضاع المعيشية على هذه الأرض.<sup>4</sup> إذ يقول فيري في حق

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كيلباي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 152، 153.

<sup>2</sup> Luc ferry, Pic de la Mirandole : la naissance de l'humanisme, le Fiagro, paris, 2013, p 47.

<sup>3</sup> Luc Ferry, Descartes : je pense donc je suis, le Fiagro, paris, 2013, p 16.

<sup>4</sup> Luc Ferry, Kant et les lumières : la science et la morale, le Fiagro, paris, 2013, p 31.

كانط: "إن تاريخ الإنسانية مرتبط بوفرة عجيبة من أسماء المفكرين ... وخاصة إلى كانط، حيث أن أعماله الصعبة ولكنها الحاملة لتغيير حاسم في تاريخ الفلسفة، تفتح آفاقا تذهب إلى أبعد من الصورة العامة عن الإنسانية، كما نكون قد رسمناها"<sup>1</sup> بمعنى أنه يمثل التحقق الفلسفي الأكثر اكتمالا لهذه النزعة.

أشاد فيري بالأعمال النقدية لكانط المتمثلة في: "نقد العقل الخالص"، "نقد العقل العملي"، "نقد ملكة الحكم"، التي قام من خلالها بمساءلة العقل الفلسفي حول: ما الذي يمكن معرفته؟ وما الذي يمكن فعله؟ وما الذي نأمل به؟، وهي كلها تصب في سؤال جوهري: ما الإنسان؟ وبذلك وصفت الفلسفة الكانطية بأنها تجلي ماهوي لعصر الأنوار<sup>2</sup>، هذا الأخير الذي يعد لحظة مفصلية في تاريخ الإنسانية، وبفضله تمخض مفهوم الإنسان الكوني، هذا المفهوم الذي أصبح يحتل مكانة أنطولوجية وثقافية جعلته سيدا للطبيعة والكون وصانعا للقيم والتاريخ.

كان الإنسان قديما ينظر إلى الله كمبدأ أخلاقي ميتافيزيقي مطلق لامتناهي، أما في التقليد الأنواري، فقد حدث قلب لهذه المفاهيم، إذ أضحي الإله مجرد فكرة قد يؤمن بها الإنسان، بعد أن كان يفكر انطلاقا منه، وهنا برز الإنسان كجوهر واعي وكائن ثقافي متحرر له كرامة،<sup>3</sup> هذا ما أعلن قلب المنظور للمقدس والمتعالي الذي أصبح الإنسان جوهره، أو ما أطلق عليه بعد انتشار التيار العلماني في أوروبا بـ "أنسنة الإلهي".

ومن زاوية أخرى، نجد أن للتقدم العلمي والتكنولوجي دورا حاسما في بلورة الإنسانية، حيث كان هاجسه إخضاع وتطويع الطبيعة لإشباع حاجات الإنسان، فتم اندماج العلم والثروة فولدت التقنية التي مكنت البشرية من سبر أغوار الطبيعة واستغلالها لخدمة الإنسان، وتحكمه في كل شيء.

رسم فيري عدة مميزات للإنسانية: التحرر من أي سلطة خارجية، رفض الدوغمائية، اللجوء إلى التجربة، نقد الميتافيزيقا، الدفاع عن حقوق الإنسان، الإيمان بالعلم والتقنية، التفاؤل وفكرة التقدم، واللائكية... إلخ، هذه السمات نفسها شكلت حجر الأساس للحركات المضادة للإنسانية Anti-humanisme، خاصة في الفترة المعاصرة، حيث تمت الاستعاضة عن الإنسانية إقرارا من فلاسفة العالم الغربي بزوال المركزية الأوروبية، إذ لم تعد نموذجا للغير، احتراما لخصوصية الثقافات والحضارات وحتى الهويات.

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كبللي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 164.

<sup>2</sup> Luc Ferry, Kant et les lumières : la science et la morale, pp37,39.

<sup>3</sup> لوك فيري: الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 42، 43.

## 2- فلسفة ما بعد الحداثة وتفكيك الإنسان

مع ظهور الكوجيتو الديكارتي، احتلت الذات مكانة بارزة في الفكر الفلسفي، وشكلت أهم مقومات الحداثة، لكن مع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت موجة القلق تنتاب العقل الغربي من مبادئ الحداثة، وذلك لما بين الواقع تهاافتها، وأن ما يحدث فعلا هو العكس، فإذا انطلقنا من فكرة النظر إلى الإنسان بوصفه كائن حقوقي.. فإن النتيجة تخالف ذلك، تجريم للحريات وكتبها... إلخ.

إن التحولات التي عرفها الإنسان المعاصر عن مفهومه وكنهه أعادت طرح مقولة أبو حيان التوحيدي(923\_1023): "الإنسان أشكل عليه الإنسان"<sup>1</sup>، وبشكل أكثر قلقا وعمقا، حيث ساهمت الظروف المعاصرة للحياة الإنسانية والمتمثلة في سيطرة التقنية على جل مجالات الحياة، في إخراج مفهوم الإنسان من طابعه التقليدي وجعلته في تحد مستمر للتقنية، وهذا ما عبر عنه كورت بينتوس K. Pinthus (1886-1975) في المجموعة الكلاسيكية للشعر التعبيري الذي نشره عام 1919م، تحت عنوان (أفول الإنسانية).<sup>2</sup> كما تأسس عدد من الأطروحات الفلسفية أكدت غياب المقدس و تآكل الذات الإنسانية إلى حد موتها، ومن هنا بدأت تلك المركزية التي احتلتها الذات في التراجع والانحيار، وأصبح نقد الذات وتقويضها من أهم مقومات حركة ما بعد الحداثة في الفلسفة، وقد أدت حركة تفكيك مسلمات الحداثة الغربية إلى بروز خطاب ارتيابي تشاؤمي.

لقد أحرزت الرؤية الفلسفية المعروفة بـ "ما بعد الحداثة" شيوعا لا نظير له في العالم الغربي والممتدة بدءا من فلسفة فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900) العدمية، إضافة إلى أفكار كل من كارل ماركس وسيغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939)، حيث اعتبرت انطلاقة للفلسفة التفكيكية والتي ولدت ثقافة معارضة مضادة لمعبودات الإنسية أي القداسة والتعاليم والمثالية والعقلانية... إلخ.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أبو حيان التوحيدي، مسكويه، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أدهم صقر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009، ص 175.

<sup>2</sup> جيباني فاتيمو، نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، (دط)، 1998، ص 43.

<sup>3</sup> لوك فيري، تعلم الحياة: ساروي لك تاريخ الفلسفة، ترجمة: سعيد الوالي، مراجعة: زهيدة درويش، أبو ظبي للثقافة والتراث، (دط)، (دت)، ص 308.

تجسد في هذا السياق معنى "موت الإنسان" في الخطاب الفلسفي المعاصر على حد تعبير عبد الرزاق الدوّاي، إذ يقول: "أما النقد ما بعد الحداثي للإنسية فيقوم على إعلان موت الإنسان، والعمل على التحرر من وهم الإنسان "الإنساني"، أي الإنسان الواعي الفاعل المبدع، فالنزعة الإنسانية ليست أكثر من خطاب فلسفي ميتافيزيقي لإخفاء أوهام الإنسان عن نفسه وقناعا يتستر وراء عجزه وجهله، ونشيد فيه نوعا من الأمل و العزاء و الطمأنينة"<sup>1</sup>، ومنه فالمنظومة التحديثية، بدأت بالإعلان عن الإنسان وانتهت إلى القضاء عليه أي موته فلسفيا و ليس طبيعيا، بمعنى زوال مثالية و قدسية الإنسان وتعالیه، وكأن أنصارها في لحظة تجسيد لنبوءة نيتشه التي جاءت على لسان زارذشت Zarathousta، حيث قال: "إن الإنسان شيء يجب تجاوزه، أي أن الإنسان جسر وليس نهاية"<sup>2</sup>.

وفي هذا السياق لا يمكننا الإحجام عن أهمية النقد الذي قدمه نيتشه لزعة أسس هذه النزعة، وفعليا فإن فلسفة نيتشه قد أسست لمجموعة من الأفكار التي شكلت الإرهاص الأول لسقوط النزعة الإنسانية، فمقولة "موت الإله" قد أفسحت المجال أمام القول بموت الإنسان نفسه، فسقوط الإنسان نتج عن فكرة موت الإله التي تعتبر أساس سقوط القداسة والتعالی الإنساني الذي أعقبه فيما بعد أزمة النزعة الإنسانية وأفولها. وهذا ما أكدته نيتشه في افتتاحية مؤلفه (إرادة القوة) أن الإنسان أصبح في الوضع الراهن يتدحرج إلى خارج المركز نحو المجهول.<sup>3</sup>

يأتي الإعلان الأول لنيتشه حول "موت الإله" أو "أفول المتعالی" في الجزء الثالث من مؤلفه (العلم المرح)، حيث قال: (أين الإله؟ أنا سأقول لكم ذلك! لقد قتلناه أنتم وأنا! نحن كلنا قتلة!)<sup>4</sup>، وقد أجمع أغلب دارسي فكر نيتشه وعلى رأسهم مارتن هايدغر Martin Heidegger (1889-1976)، بأن موت الإله هنا ليس المقصود به نفي الإيمان في وجود إله، بل المقصود هنا زوال كل الأوهام والميتافيزيقا والمثالية والأخلاق التقليدية... إلخ، التي تغنت بها مختلف الحضارات عموما والحادثة الأوروبية على وجه الخصوص.<sup>5</sup> وكل ما

<sup>1</sup> عبد الرزاق الدوّاي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدغر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت-لبنان، (دط)، 2000، ص 20.

<sup>2</sup> فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير واحد، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، (دط)، 2007، ص 40.

<sup>3</sup> جيانى فاتيمو، نهاية الحداثة، ص ص 36، 37.

<sup>4</sup> فريدريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 1993، ص 132.

<sup>5</sup> Luc Ferry, Nietzsche : la mort de dieu, le Fiagro, paris, 2003, pp 65, 66.

صنعه رجال الدين والأخلاق من مثل عليا تليق بالضعفاء. وهنا فعدمية نيتشه قد أخضعت كل ما هو مقدس متعالى لاهوتي كان أو ميتافيزيقي أو أخلاقي لمطرفة النقد والتصويب.

إن إعلان نيتشه لموت الإله لا يكشف عن وحدة الإنسان في العالم، إذ أن الأمر أخذ أبعاد أخرى، إذ انجر عن أفوله تهاافت وزوال القيم الأخلاقية والاجتماعية العليا التي طالما تغنت بها الحداثة والنزعة الإنسانية على حد سواء، والتي اعتبرت جوهر الإنسان العاقل المسيطر والسيد على الطبيعة بفضل عقلانية ديكرت وأتباعه.<sup>1</sup> هذا ما وصفه نيتشه بالأوهام الميتافيزيقية أو الأخلاقية المصطنعة من قبل الإنسان ذاته وأصبح أسيرا لها، وبفضلها عاش في عالم اصطناعي يتسم بالمثالية المخادعة والكاذبة.

ينبع نقد نيتشه للنزعة الإنسانية انطلاقا من نقده للحداثة وعقلانيتها التي أعلت من كل ما هو مثالي أخلاقي، وأدانت كل ما هو غرائزي جسدي، وهذا ما جعلها تخلق أسباب عدميتها من ذاتها خاصة أنها أنتجت ما يعرف بـ "الإنسان الأخير"، هذا الكائن الذي يجسد مفارقات الحداثة بتمثله للضعف والهشاشة والتبعية القطيعية وللخروج من هذه الحالة لابد من مرحلة جديدة تكون بميلاد "الإنسان الأعلى".<sup>2</sup>

لم يكن نيتشه راض عن إنسان العصر الحديث الذي خلفته الظروف التاريخية، والذي تشكل أكثر بفعل السلطة القيمية المفروضة من قبل الكنيسة، ما خلف إنسان القطيع البائس الهش الضعيف، الشفوق، المسالم، الرحيم... إلخ، كما روضته الكنيسة أي "الإنسان الأخير"، ولهذا لابد من قلب هذه القيم من خلال ولادة إنسان جديد هو الإنسان الأسمى "Sur-Homme" هذا الإنسان صاحب العدمية الفاعلة أي القادر على الخروج عن القيم الراهنة وقلبها. وهنا يرفض نيتشه أن يكون الإنسان الأعلى نتيجة تطوره الحيوي البيولوجي كما ذهب تشارلز داروين Charles Darwin (1809-1882)، بل يستمد علوه من القوة والإرادة التي تمكنه من قلب القيم ككل وهذا كإشارة لرفضه للأوضاع السائدة في أوروبا على وجه الخصوص آنذاك، ليكون بذلك الإنسان إنسان القيم الجديدة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> روجيه غارودي، البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة: جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1979، ص ص 5، 6.

<sup>2</sup> محمد أندلسي، أفول المتعالى وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيتشه، دار التنوير للطباعة والنشر، بغداد-العراق، ط1، 2015، ص ص 103، 105.

<sup>3</sup> عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص ص 205، 208.

كما يذهب نيتشه إلى أن إفرازات النزعة الإنسانية هو التعالي الروحي العقلاني الميتافيزيقي في مقابل الخط من كل ماله علاقة بالجسد باعتباره مصدر الانحدار إلى الحياة الشهوانية التي تبحث دائما عن الإشباع، وهذا ما يتناقض مع قيمها خاصة العقلانية، في حين أن نيتشه أعطى معاني ودلالات مغايرة للجسد فهو ليس أساس الملذات والأخطاء، فبالنسبة للإنسان الأعلى يصبح الجسد منبع الإرادة والقوة والجمال والحياة وهنا يكتسب قدسيته.<sup>1</sup> يقول نيتشه ردا على الإنسانين المتشائمين اتجاه الجسد: "إني لا أتبع سييلكم أيها المحتقرون للجسد، فأنا لا أرى فيكم جسورا مؤدية إلى الإنسان الأرقى".<sup>2</sup> إذ جعل من سمات هذا الإنسان أنه مرتبط بالواقع وهو معارض لإنسان الحداثة ولا يتقيد بقواعده الأخلاقية.

وجدير بالذكر في هذا السياق أن المحاولة الجريئة لطرح أزمة النزعة الإنسانية فلسفيا كانت مع الفيلسوف الألماني **مارتن هيدغر** في مؤلفه (رسالة عن النزعة الإنسانية) سنة 1946 الذي يمثل ردا على السؤال الذي وجهه له **جان بوفريه** Jean Beaufret هل يمكن إعطاء مضمون جديد للنزعة الإنسانية؟ حيث ربط بين الإنسانية، والميتافيزيقا، واعتبر هذه الأخيرة إغفالا للوجود ونسيانا له، وهذا يعني أن النزعة الإنسانية صادرة عن ميتافيزيقا ذاتية كإعلاء من قيمة الإنسان واعتباره مركزا مرجعيا، وقد أوضح في كتابه "الوجود والزمن" أن سمة الميتافيزيقا هي الإنسانية، ولكن اعتبر أن فكرة "موت الإله" هي أساس تقويض القداسة الإنسانية، من منطلق أن أصل الإنسان هو الله وفقا للطرح الأوغسطيني الذي ينص على أن الله قريب للإنسان من قربه إلى نفسه، وبالتالي سقوط فكرة الله تؤدي إلى سقوط الإنسان.<sup>3</sup> والتساؤل الذي يمكن طرحه هنا: كيف ساهمت صلة النزعة الإنسانية بالميتافيزيقا وفق منظور **هيدغر** في تفسير وتوضيح أزمة النزعة الإنسانية؟

لقد سار **هيدغر** على خطى نيتشه في نقده للإنسانوية، من خلال موقفه من الحداثة وإفرازاتها، إذ تتميز حسبه بعدة مميزات أهمها التقنية التي تشكل جوهرها لها، والتي اعتبرها الوجه الآخر للميتافيزيقا، حيث جسدت علاقة الإنسان بالعالم والطبيعة والكينونة، هذه العلاقة التي قلبت المفاهيم حيث أصبح الإنسان

<sup>1</sup> عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ص ص 213، 214.

<sup>2</sup> فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ص 32.

<sup>3</sup> جيباني فاتيمو، نهاية الحداثة، ص ص 38، 39.

مسلوباً منفعلاً مرتبطاً بالتقنية، بعدما كان سيد الطبيعة ومنتجها.<sup>1</sup> وهنا تصبح ماهيته تسير وفق ديمومة ثابتة جوهرها النطق وهذا ما يفرضه منطق الميتافيزيقا.

لقد انتقد هيدغر التقنية وفق منظور فلسفي، فمشروع العلم المعاصر حسبه هو مشروع الهيمنة على العالم بواسطة الذكاء والإرادة الإنسانية، هذا التقدم الذي يحقق التحرر ومنه السعادة للبشر، لكن بمجيء التقنية أصبحت السيطرة هي الغاية في حد ذاتها، وأضحى التحكم من أجل التحكم والقوة من أجل القوة، والسيطرة لصالح القوي والمتحكم والمنتج، والأدهى من ذلك هو التحكم السياسي للتقنية.<sup>2</sup> يقول فيري واصفاً موقف هيدغر: ((إنه الوحيد، برأبي، الذي أعطى عن العالم اليوم- عما يسميه "عالم التقنية"- تفسيراً يتيح فهم سبب استحالة التوقف عند موقف نيتشه على الأقل، إذا أردنا إلا أن نكون بكل بساطة شركاء في واقع يأخذ حالياً شكل العولمة الرأسمالية)).<sup>3</sup> أي أن الهدف ليس السيطرة على العالم بل الأهداف التي تسعى إليها هاته السيطرة.

وتدعمت هذه المواقف أكثر مع ثورة التحليل النفسي بزعماء النمساوي سيغموند فرويد sigmaund Freud، الذي بفضل جهوده في نظرية اللاشعور، وما صاحبها من رد الاعتبار للجسد ككيان بيولوجي غرائزي لا يمكن تجاهله أو تجاوزه، تم قلب العديد من التصورات والمنظورات التقليدية للنفس، العقل، الشعور، الوعي، الإدراك، الجسد... إلخ، وهذا ما شكل ضربة مميتة لمبادئ وأسس النزعة الإنسانية وعلى رأسها الكوجيطو، الذي كان شكا في موضوعات العالم الخارجي وبقينا في الذات، لكن مع التحليل النفسي صار شكا في الذات نفسها ومقوماتها.<sup>4</sup> إذن فكرة أن الإنسان مسؤول عن أفعاله وأفكاره هي مجرد وهم، وعليه فعندما أعلن فرويد أن اللاوعي هو الذي يتحكم في الوعي، بدأت تلك المركزية التي احتلتها الذات في التراجع والانهيار، وبفضل جهوده أصبح نقد الذات والإعلان عن لا مركزيتها من أهم مقومات حركة ما بعد الحداثة في الفلسفة، وعموماً في أواخر القرن التاسع عشر، بدأت مرحلة تشظي الذات مع فرويد، حينما قسم النفس إلى جانبين: واعي ولا واعي.

<sup>1</sup> محمد أندلسي، أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيتشه، ص ص 108، 110.

<sup>2</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties: an essay on Antihumanism**, translated by : Mary H.S Cattani, British library cataloguing in publication data, london, 1990, pp 126,128.

<sup>3</sup> لوك فيري، تعلم الحياة، ص 311.

<sup>4</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties**, pp 185, 186.



أعلن الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (1926-1984)، أواخر ستينيات القرن الماضي صيحته المشهورة: "موت الإنسان la mort de l'être humaine، وهي صيحة أحدثت ضجة كبيرة على مستوى الساحة الفكرية، وفي إيدان صريح بنهاية الإنسان كما طبعته القوة الخفية.<sup>1</sup> حيث نجد في أواخر كتابه (الكلمات والأشياء) الذي يعتبر أهم التأليف الفلسفية والتاريخية في القرن العشرين، إذ اعتبر موضوع الإنسان لا يتجاوز القرن والنصف ليركز بالخصوص على هذه العبارة: "... كل ذلك يدل ولا شك على أن الإنسان مشرف على الموت (...). فالإنسان اختراع، تظهر أركيولوجيا فكرنا بسهولة حداثة عهده، وربما نهايته القريبة."<sup>2</sup> إذ يستنتج المفكرون القارئون للمتن الفوكوي أن فوكو كان من البنيويين القائلين بفلسفة "موت الإنسان" أو أفول النزعة الإنسانية، وما أكد ذلك حسب فوكو أن هناك إقصاءً حقيقياً للجنون باعتباره يمثل اللاوعي أو اللاعقل على مدار تاريخ الفكر، إذ أن الكوجيطو الديكارتي يقصي الجنون تماماً ويستبعده.

تم إنشاء هذا المفهوم الخاص بالإنسان وفقاً لفوكو في فترة التنوير الأوروبي -من أواخر القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر- وتطور في القرن التاسع عشر، خلال الثورة الصناعية، ومات في القرن العشرين عندما أعلن "نيتشه" موت الله وولادة الإنسان الأعلى، وفي هذا الصدد يذكر فوكو: "عاد نيتشه إلى اكتشاف النقطة التي ينتمي فيها الإنسان والله إلى بعضهما البعض، وعندما يكون الثاني مرادفاً لاختفاء الأول، وعندما يعلن وعد الرجل الخارق أولاً وقبل كل شيء عن قرب موت الإنسان".<sup>3</sup>

يعتقد فوكو أن موت الإنسان وموت الله مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، لا يمكن استبدال هذا "الإنسان" الجزئي والواقع تاريخياً، كما تم تصويره خلال عصر التنوير الأوروبي، إلا بإنسان ممكن تماماً، أي فرد دون الحاجة إلى إله خارجي، وبالتالي قتل الله رمزياً. إذن موت الإله يعقبه موت الإنسان حسب نيتشه، وهذا يظهر في قول فوكو: "إن ما يعلنه نيتشه هو انفجار وتشظي الإنسان، وهو الاختفاء النهائي".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, *la pensée* 68, p 166.

<sup>2</sup> ميشيل فوكو، *الكلمات والأشياء*، ترجمة: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، (دط)، 1990، ص 312، 313.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 342.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 397.

يرى فيري أن فوكو أقر بأن الظروف التي عايشها العالم الغربي حديثاً، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، والتي نجد من مظهراتها: الحروب العالمية، وسائل الإبادة الجماعية، التقدم العلمي والتكنولوجي... وغيرها، جعلت من الإنسان موضوعاً للتفكير، إذ أنه لم يكن موجوداً قبل القرن الثامن عشر، ويولي فضل استقاء مادته المعرفية إلى عدة فلاسفة سابقه، وعلى رأسهم نيتشه وهيدغر، ومدرسة فرانكفورت، حيث ساهموا كثيراً في بلورة مشروعه الفكري الذي يندرج ضمن صيحة "موت واختفاء الإنسان"، معلناً بذلك رفضه للنزعة الإنسانية، باعتبارها نزعة ميتافيزيقية، بكل مقولاتها التي لم تولد سوى الأوهام والأساطير، والتي جعلت من الإنسان حدث معرفي ثقافي مؤقت أو منعطف.<sup>1</sup> لهذا فمصيره الاندثار والزوال، وبهذا فقد أضفى إنسان النسق صبغة الظرفية العابرة على حدث ظهوره ونشوئه، وانتهى بوصفه "أسطورة القرن العشرين"، الذي حان وقت استئصاله من الثقافة الجديدة.

ويعتقد فيري أنه يجب التمييز بين موتين مختلفين للإنسان، حسب الرؤية الفوكاوية:

-موت الإنسان كذات ميتافيزيقية كما توحى به فلسفة نيتشه وهيدغر.

- موت الإنسان بالمعنى الذي ينتج عن العلوم التي تدعم بقايا الإنسانية الميتافيزيقية، وتجعل من الإنسان موضوعاً للدراسة عن طريق تحويله إلى شيء، وبالتالي السماح لذاته الحقيقية بالهروب.<sup>2</sup>

لقد اتخذت الفلسفة الفرنسية عموماً -وفقاً لفيري- بكل مشاربها وتفرعاتها منذ سنة 1968 موقفاً مناهضاً للإنسية خاصة مع فوكو، جاك ديريدا (1930-2004)، جاك لاكان (1901-1981)، جان فرانسوا ليوتار (1924-1998) و لوي ألثوسير (1918-1990)، هذا ما يدفع حسبه للتساؤل: لماذا أعلن جيل الستينات أنه يجب إدانة مركزية الإنسان؟، كما ينوه فيري على أن المواقف المعارضة والمعادية للإنسانية لم يكن الغرض منها الدفاع عن الهمجية والمطالبة بالإنسانية، وإنما كانت بسبب الآثار التي نتجت عن الإنسانية الحديثة، خاصة وأنها تدافع عن مبادئ ميتافيزيقية، وهنا كان لزاماً البحث عن شروط إنسانية غير ميتافيزيقية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, **Foucault**, In : « New French Thought : political philosophy », editor : Mark Lilla, princeton university press, United Kingdom, 1994, pp 57, 58.

<sup>2</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties**, p 101.

<sup>3</sup> Luc Ferry, Alain Renaut, **Pensée** 68, pp 30,33.

وبالرجوع إلى موقف فيري من الحركات المضادة للإنسانية Anti-Humanisme، فإنه يقر بأن النقد فيها كان منصبا على سمات الإنسانية الآتفة الذكر، حيث شكلت محورا للنقد لدى الكثير، والذي أجمله في أربع نقاط وهي كالتالي:

- **نقد العقلانية المفرطة:** إن الإفراط في الاستناد إلى العقل كبديل للقوة الإلهية التي أصبحت غير كافية، على أساس أن العقل لوحده كاف لبناء تصوراتنا الكاملة عن الحياة والوجود والكون والإنسان والثقافة والسياسة... إلخ، وذلك بالرجوع إلى القواعد التي رسمتها العقلية الإغريقية قديما، يعبر عن تناقض ذاتي لا يدركه العقل،<sup>1</sup> الذي أصبح مالك التاريخ، لكن هذا العقل ذاته تولدت منه أفكار الاستعمار والاستعباد والعنصرية والإرهاب ... إلخ، وما قد وضع تحافت العقل مع ذاته هو تقدم العلم التجريبي وإفرازاته.

وحتى الحقوق الطبيعية والمدنية التي أشادت وتغنت بها كثيرا، أصبحت تعبر عن إيديولوجيا ونزعة قومية تخص الجنس الأوروبي المتعالي، وهذا ما دفع بالكثير من المفكرين والفلاسفة المعاصرين إلى محاكمة العقل على غرار هانز جورج غادامير Gadamer (1900-2002) في مؤلفه: (المنهج والحقيقة). وكذلك الفرنسي روسو، الذي يعتبر فيلسوف أنواري في جانب من فكره المتعلق بالديمقراطية والحقوق المدنية... إلخ، وفي الوقت نفسه يعتبر ناقداً لاذعاً للنزعة الإنسانية التي تطرفت في استخدام الحرية إلى غاية الوصول إلى بناء عالم مصطنع منحرف يعرقل التقدم ويقصي الذوات الأخرى المختلفة، ويمثل ذلك بالتمثيل المسرحي الذي يجعل المشاهدين سلبين متأثرين بمشاهد غير واقعية.<sup>2</sup>

**نقد النزعة الكونية:** إن فكرة القيم الكونية التي تأسست عليها الإنسانية، هي مجرد شعارات وهمية مثالية قابضة في الماورائيات، بعيدة عن الواقع، خاصة وأن نموذجها هو الحضارة الغربية، هذه النمذجة التي قوبلت بالرفض حسب فيري، من منطلق أن لكل ثقافة وحضارة أو مجتمع القيم الخاصة به، والتي يقوم عليها، بعيدا عن الاختزالية أو النمذجة العالمية.<sup>3</sup> هذا النقد الذي تبناه الكثير من الفلاسفة المعاصرين على غرار جيل دولوز Gilles Deleuze (1925-1995)، جاك دريدا، ميشال فوكو وغيرهم، بدعوى الحق في الخصوصية الثقافية والقيمية، خاصة أن القيم الإنسانية أفرزت الكثير من التعصب والعنصرية والقومية وإلغاء

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كيبلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 234.

<sup>2</sup> Ferry Luc, Alain Renaut, **How Think about rights**, in : « New French Thought : political philosophy », editor : Mark Lilla, p 149.

<sup>3</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كيبلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 241.

الآخر ، مثل: النازية والفاشية، هذا ما جعل الفيلسوفة الأسترالية الإيطالية روزي بريدوتي Rosi Braidotti (1954-) تربط بين هذه المظاهر والحركات السياسية وبين انتهاء النزعة الإنسانية، حيث اعتبرت مفهوم الإنسان قد انفجر تحت ضغط مزدوج من التقدم العلمي والمخاوف الاقتصادية. وقد حاولت بريدوتي تقديم عدة أمثلة لتوضيح فكرة إزاحة مركزية الإنسان بسبب أن الإنسان بمفهومه الأنثوي والحدائي، صدرت عنه جرائم لا يستصغرها المنطق والأخلاق، مما جعله يعاني من خلل لا بد من معالجته، وسنقتصر هنا على شرح مشهدين، الأول: يتمثل في إقدام المتدريس الفنلندي "بيكا أوفين" ذو 18 سنة بقتل ثمانية من أصدقائه، وجرح البعض الآخر ثم قتل نفسه داخل ثانويته بمدينة قريبة من "هلسنكي"، وذلك سنة 2007، وبعد هذه الواقعة تم نشر فيديو له يرتدي فيه قميصا مكتوب عليه "الإنسانية مبالغ فيها".<sup>1</sup> والمفارقة هنا أن هذه الجريمة وقعت في دولة غنية رأسمالية وديمقراطية، وهنا تستخلص "بريدوتي" أن هذا المثال يضرب في عمق الخلل الذي أصاب مفهوم الإنسان اليوم، وفيه، إنباء بموت الفكر الغربي الذي يسلم بكونية واستقلالية وإنسانية ذات الإنسان الأوروبي.

أما الثاني: وضحت من خلاله بريدوتي نفاق الغرب الذي ادعى تحكمه في سيرورة التقدم التقنو- علمي، وكذلك تقديسه لحقوق الإنسان. لكن الواقع يؤكد غير ذلك، والدليل هو الحروب غير العادلة التي مزقت عدة شعوب.<sup>2</sup> ففي أفغانستان أو غزة حاليا في حرب 7 أكتوبر 2023، اضطر الناس لأكل الحشائش حفاظا على حياتهم، في الوقت الذي كانت فيه عدة دول أوروبية وأمريكية تغذي أبقارها وأغنامها على العلف المكون من اللحوم.

تعتبر بريدوتي أن حركة نسوية ما بعد الحداثة، في التسعينات من القرن الماضي، من أشهر الاتجاهات التي انتقدت النزعة الإنسانية نظرا لتكريسها الهيمنة الذكورية القائمة على إيديولوجية التفريق الجنسي، حيث جاء على لسان إحدى ممثلاتها لوس إريغاراي Luce Irigaray (1930-) أن صورة الإنسان المتعالي كما مارسته الإنسانية هو نموذج مذكر أوروبي أبيض وسيم... إلخ،<sup>3</sup> وقد أعابت بريدوتي خاصة على الليبرالية الفردية استغلالها نموذج "الإنسان الفيتروفي" كمثال للكمال والجمال يخص الرجل الأبيض فقط، حيث تم

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كيلباي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 14 - 19.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 37، 39.

وضع صورته على أكواب قهوة شركة "ستاربكس" كدعاية تسويقية للكمال وفق النموذج الأوروبي والغربي عموماً، في حين توافق **بريدوتي** مفكري ما بعد الحداثة في أن الفيترونية تركز المركزية الإنسانية.

إن السلبات السابقة المرتبطة بالنزعة الإنسانية جعلت **بريدوتي** تعلن أن هذه النزعة أضحت تحمل في طياتها بذور فنائها أخلاقياً، سياسياً وفكرياً، فهي تعبر عن مركزية أوروبية وعنصرية ذكورية نجم عنها جعل الإنسان الأوروبي محرك التطور البشري والمشروع الأخلاقي، متجاهلة التنوع الجنسي وتعدد الثقافات والهويات، وهذا ما يعبر عن نظرة ضيقة وجهل والوعي السيء من قبلها، وقد وصفت ذلك بمأزق العصر الجديد الذي فهم مركزية الإنسان وعلاقاته الاجتماعية والإنسانية وقيمه الأخلاقية، نتيجة السيوالة اللامتناهية لما بعد الحداثة بتعبير الفيلسوف البولندي **زيغمونت باومان** (Zegmund Bauman 1925-2017).

ولنفس السبب رفض الأنثروبولوجي الفرنسي **كلود ليفي ستروس** (Claude Lévi Strauss 1908-2009) النظرة الأحادية لبقية الحضارات، سعيًا منه لنقد النزعة الأوروبية المركزية من باب الحداثة وأهم ركائزها ألا وهي العقلانية الحديثة في كليتها،<sup>1</sup> داعياً في كتابه (العرق والتاريخ) الذي نشر عام 1956م، إلى تأسيس رؤية جديدة تحترم خصوصيات كل حضارة دون مقارنة أو تمييز بينها وبين بقية الحضارات، ما يكرس تنوعاً للحضارات الإنسانية، فالمجتمعات التي يسميها "المتوحشة" - في عيون الغرب - لا تقل قيمة عن الغرب الأوروبي.<sup>2</sup> وبهذا ستسقط فكرة أوروبا الحضارة كما جسدتها الإنسانية، فالحضارة للجميع ولا يمكن نمذجتها وفق منطقة معينة، هذا الطرح الذي يفضي إلى نسبية القيم الإنسانية وعليه فهذا النقد الموجه للنزعة الإنسانية الأنوارية أسقط القناع الذي كانت تحتبئ وراءه كاشفاً وجهها الآخر والذي استخدمته كذريعة ومسوغ للسيطرة على الشعوب غير الأوروبية واستعمارها.

**- نقد التقدم:** إذا كانت أول مشكلة واجهتها النزعة الإنسانية، أنها تعبر عن ثقافة أوروبية خالصة يطغى عليها طابع العنصرية والتحيز للعرق الغربي، فإنه تعمق النقد الموجه لها بعد ذلك ليطل أسسها ومبادئها، أهمها أنها ألغت الجانب اللإنساني أي البيولوجي أو الغرائزي للإنسان لهذا فهي اهتمت بالجانب

<sup>1</sup> لوك فيري، ألكسندر رونو، نقد الأنوار، ترجمة: المصطفى باري، مجلة مدارات، عدد 16، المغرب، 2008، ص 161.

<sup>2</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلبي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 243.

الأدبي والفلسفي وأغفلت التقنية في المقابل، مما خلق نظرة متطرفة براغماتية للتقنية التي تحولت إلى غاية والإنسان تابع لها.<sup>1</sup>

في نفس السياق وجهت مدرسة فرنكفورت النقدية نقدها إلى مشروع الإنسانية في حد ذاته كاشفة عما به من خلل وتناقض، فالعقلانية التقنية الآداتية التي اتخذتها هذه النزعة، كأهم عامل للتحرر من سيطرة الطبيعة وإخضاعها للإنسان باسم التقدم العلمي، انفلتت منها الأمور وانقلبت المفاهيم وأصبحت التقنية هي الهدف أو الغاية، وأصبح الإنسان مجرد وسيلة، وتعبير أدق مجرد سلعة ما أدى إلى تشيئته،<sup>2</sup> وتعبير هيدغر أصبح موظف التقنية.

- النقد ذو المنزع البيئي: الذي تبناه مشروع "الإيكولوجيا العميقة"<sup>3</sup> Deep Ecology، التي تلغي تفوق الإنسان على الطبيعة وتنظر إليه على أنه عضو فيها وجزء منها، ومن أبرز ممثلي هذا التيار، هانس يوناكس Hans Jonas (1993-1903).<sup>4</sup> ويفهم من موقف فيري الذي يرحب وينسب نفسه إلى التيار الإيكولوجيا العميقة، التي تصبو إلى نوع من العلاقة مع الطبيعة ليس فيها غلبة لأي طرف على الآخر، وهذا ما دفع به إلى مهاجمة وإدانة التصور الأنواري حول مركزية الإنسان خاصة على الطبيعة، ووفقا لرؤيته في كتابة (النظام الإيكولوجي الجديد) ، فإن الإيكولوجيا العميقة ليست محاربة لمشاكل الطبيعة الثانوية، بل هي رؤية مستحدثة عن العلاقات بين الإنسان و بيئته.

وقد شكل كل هذا مراجعة شاملة لمفهوم وأسس الإنسانية. مما نتج عنه إعادة التفكير فيما يعني أن يكون الإنسان إنسانا، وذلك وفقا لمقولات جديدة، تنسجم مع المستجدات الراهنة خاصة في ظل الانفجار المعرفي والتقني.

وإجمالا يمكن تصنيف الاتجاهات التي عملت على مراجعة ونقد الإنسانية في الفلسفة المعاصرة إلى تيارين، الأول: الذي دعا إلى التخلي عن وهم النزعة الإنسانية، والفكر التاريخي باسم الدعوة إلى التحرر

<sup>1</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية: من الإنسان إلى ما بعده، ترجمة: محمد أسليم، مطبعة بلال، المغرب، (دط)، (دت)، ص 226، 227.

<sup>2</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلباي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 246، 247.

<sup>3</sup> الإيكولوجيا العميقة deep ecology: فلسفة بيئية تعمل على تعزيز القيمة الجوهرية لجميع الكائنات، ويتمثل مبدؤها الأساسي في الاعتقاد بأن البيئة الحية ككل يجب احترامها واعتبارها تتمتع بحقوق أخلاقية وقانونية أساسية أي لا وجود لتفوق بشري عليها. (ينظر: luc ferry, (nouvel ordre écologique, p 280.

<sup>4</sup> Luc Ferry, Le Nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal, l'homme, édition Grasset, Paris, 1992, p 58.

من أوهام الميْتافيزيقا بما فيها العلم نفسه، دون تقديم بديل، وذلك مع نيتشه، هيدغر والبنوية عموماً، وغيرهم من الفلاسفة.

أما الثاني: فقد دعا إلى التخلي عن وهم النزعة الإنسانية والفكر التاريخي باسم العلم والتقدم مع تقديم البديل، ويمثل ذلك أنصار البيولوجية التقدمية<sup>1</sup>، وكذلك مع ما يعرف بـ: "ضد الإنسانية"، الذين نادوا بضرورة تأسيس إنسانية جديدة تقوم على تقدم العلم ذاته، ما نتج عنه ظهور فكرة "الإنسانية المتحولة" و"ما بعد الإنسانية".

### 3- الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟

حظي عصر ما بعد الحداثة بالكثير من النقاشات الفكرية، كان على رأسها تداولاً حديث النهايات، عبر من خلالها الفلاسفة عن منظور تناهي أو اكتمال عدة موضوعات، مؤكدين على ضرورة الحديث عن مستقبلها، بهدف الكشف عن إمكانياتها وحدودها، من بينها إعلان "موت الإنسان" كما ذكرنا سابقاً، مما ولّد أفكاراً جديدة تمثلت في تشكيل مفهوم جديد تماماً للإنسان يختلف عن كل التصورات الفلسفية السابقة، وإعادة تركيب رؤية جديدة، تعززت أكثر بفعل التطبيقات البيوتكنولوجية على الكائن الحي والإنساني على وجه الخصوص، ما أفضى إلى طرح فكرة ميلاد إنسان جديد أو ما يطلق عليه بـ: "الإنسان الفائق/ المتجاوز" أو "ما بعد الإنسان".

والمشكل الذي يطرح نفسه هنا: هل الإنسانية المتحولة امتداد للنزعة الإنسانية أم أنها تناقضها، وبالتالي قامت على عدميتها؟ هذا يحيلنا إلى طرح سؤال آخر فلسفي وأخلاقي يرتبط بعلاقة الإنسان الفائق، وبتصور الإنسان للإنساني، فعندما نتحدث عما بعد الإنسان، فهل هذا يعني أن إنسان الحداثة قد اكتملت صورته وشروطها، لهذا انتقل للبحث عن ما بعده، أم أنه لم يكتمل كمشروع لهذا لا بد من تكملته بمشروع ما بعدي جديد؟

لقد طرح هذا الإشكال مواقفاً متعارضة، والتي يمكن حصرها في اتجاهين، الأول: الذي يؤكد على استمرارية التصور الإنساني، وعدم اعتبار زيادة قدراته مدخلاً لتغيير هذا التصور وتمثله الإنسانية المتحولة، والآخر: الذي يرى أن تطور التقنيات سيدفع إلى إحداث تشويش كثيف على جملة المفاهيم والتصورات، التي

<sup>1</sup> البيولوجيا التقدمية bioprogressim: تيار فلسفي وعلمي وسياسي يشجع على استغلال مختلف التقنيات المعاصرة المتطورة والفائقة في مجالي الطب والبيولوجيا، بهدف تعزيز وتحسين حياة الإنسان الجسدية والعقلية والنفسية. (ينظر: <https://shs.caim.info>)



ترسخت حول ما بعد الإنسانية، الحداثة والإنسان والثقافة، بل وحتى حول المادة<sup>1</sup>. خاصة وأن ما بعد الإنسان كفكرة تبلورت أكثر مع تدخل التقنيات في التركيبة البيولوجية للإنسان وفق منطق حتمية التطور، وبالتالي البحث عن وجود وهوية جديدة لهذا الإنسان.

تمثل الإنسانية مشروع الحداثة الغربية، حيث عملت على إعادة الاعتبار للإنسان، وجودا وهوية، وجعلته سيدا على الطبيعة وحررته من القيود الدينية، الاجتماعية والفكرية الدوغمائية، وبهذا التصور يتبنها أصحاب هذه الحركة الجديدة، ويعتبرون أنفسهم امتدادا وإكمالا لها، والمجسدين الفعليين لأهم مبادئها، على اعتبار أنهم يرون الحداثة مشروعا متعثرا بفعل عوامل تاريخية لم يحقق ما كان منتظرا منه، وهم مستعدون لتسلم المهمة من جديد والذهاب إلى أكثر مما تتمناه هذه الحركة المتفائلة. لقد وثقت إنسانية الحداثة بقدرات الإنسان العقلية، وعملت على تطويرها سعيا لجعلها كائنا متحضرا وراق بأخلاقه، جوهره الحرية والإرادة، لهذا كانت غايتها منذ نشأتها تحقيق الكمال المعنوي وتحسين القدرات العقلية والذهنية للكائن البشري، وبنفس المنطق أي السعي لبلوغ الكمال والسمو تتقاطع مع حركة الإنسانية المتحولة أو البعدية، التي جعلت شغلها الشاغل إقامة كيان إنسان فائق بيولوجيا جسديا.<sup>2</sup> إذن يتفق أنصار الإنسانية المتحولة مع فكرة الكمال، ويعتبرونه من أولوياتهم وأسمى هدفهم.

يسلم أنصار الإنسانية المتحولة أيضا بأنها نزعة عقلانية مادية تقوم كسابقتها فلسفة الأنوار والحداثة على أساس نقدي رافض لكل الدوغماتيات والمغالطات، وهذا ما دفع بالفيلسوف السويدي نيك بوستروم Nick Bostrom (1973-) إلى اعتبار الإنسانية المتحولة هي إنسانية الأنوار مضاف إليها التكنولوجيات. أي أنها امتداد واستمرار للإنسية الكلاسيكية من خلال اهتمامها بتحسين والإعلاء من القدرات الجسدية والذهنية للإنسان، بعد تطور التقنيات البيولوجية وتدخلها في صنع هوية وماهية جديدة للإنسان، تماما مثلما عملت الأنوار والحداثة على تحرير الإنسان من أحبال الفكر الكنسي السكولائي<sup>3</sup>. وبالتالي فبوستروم يعتبر الإنسانية المتحولة امتدادا تاريخي وتطور فكري للنزعة الإنسانية.

<sup>1</sup> إشراف علي عبود المحمداوي، خطابات المابعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 4.

<sup>2</sup> محمد جديدي وآخرون، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة في زمن الهيمنة الفيروسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2022، ص ص 144، 145.

<sup>3</sup> Nick Bostrom, A history of transhumanist thought, 2005, <http://www.nickbostrom.com/papers/history.pdf>

وعلى نفس الدرب نجد كل من جيمس هيوز James Hughes (1961-) في كتابه "إعلان ما بعد الإنسانية" الصادر سنة 2002، وقبله الفيلسوف الإنجليزي ماكس مور Max More في مقاله "قواعد إكستروبية 3.0: إعلان ما بعد الإنسانية" الصادر سنة 1998، قد أكدوا على أن الإنسانية المتحولة هي انتصار لوعود الأنوار، وعليه فهي لا تتنافى مع مبادئ النزعة الإنسانية، إذ كلاهما يؤمنان بالعقل والتقدم. وقد حدد مور طبيعة وجوهر العلاقة بين الهيومانية والترانسهيومانية في قوله: "يفضل خبراء التحول الإنساني، مثلهم مثل أنصار النزعة الإنسانية، العقل والتقدم والقيم المتمحورة حول تحقيق رفاهيتنا بدلا من التركيز على سلطة دينية خارجية، وبذلك فهم يشكلون امتدادا للنزعة الإنسانية عن طريق التشكيك في حدود الإنسان بأدوات العلم والتكنولوجيا مقترن بالتفكير النقدي والإبداعي... إذ نرى الإنسانية بمثابة مرحلة انتقاله في نمو الذكاء التطوري، وندافع عن استخدام العلم لتسريع وتيرة انتقالنا من حالة الإنسانية إلى حالة الإنسانية المتحولة أو ما بعد الإنسانية".<sup>1</sup>

ويمكن تصوير الإنسانية العابرة للكائن البيولوجي الحالي غير المعزز تقنيا بأنها توسعة وامتداد لفكرة الإنسانية، فلفظ إنسانية متحولة مشتق جزئيا منها، حيث يؤمن دعاة الإنسانية أن البشرية كينونات مهمة، وفي هذه النقطة يتشاركون مع دعاة الإنسانية المتحولة إيمانهم بالقيم الإنسانية المنشودة، إضافة إلى تأكيدهم على القدرات الفائقة التي يمكن أن يصل إليها الكائن البشري جسديا وذهنيا، والتي تجعله متميزا عن الإنسان الحالي أو الهومو-سابينس، فكما سعت الإنسانية للاستعانة بالوسائل العقلانية المتاحة آنذاك لتطوير الوضع البشري سابقا، والارتقاء به وبالعالم الخارجي معا، دعا أنصار الإنسانية المتحولة كذلك إلى اللجوء للوسائل العقلانية (التكنولوجيا) لتطوير ذاتنا والارتقاء بها، مع ما يتماشى والتقدم العلمي والتكنولوجي.<sup>2</sup> وهنا تصبح الإنسانية المتحولة مكملة لنقائص الإنسانية الكلاسيكية. ثم إن التركيز على مفاهيم مثل: العقلانية والتقدم والتفأول يتماشى مع حقيقة أن الإنسانية المتحولة من الناحية الفلسفية تتجذر في عصر التنوير، وبالتالي فهي لا تستولي على النزعة الإنسانية، ومن خلال دفع هذه الأخيرة إلى أبعد من ذلك، يمكن تعريف الإنسانية المتحولة بأنها "إنسانية فائقة".

<sup>1</sup>Max More, *The Extropain principles : A Transhumanist Déclaration*, Mrob, 1998, accessed on 6-2-2023, at : <http://bit.ly/40km4x>.

<sup>2</sup>إدوار كلينتر وآخرون، الإنسان المزيد، ترجمة: شاكرا جميل، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، (دط)، 2019، ص ص 101، 103.

إن النظرة الثابتة لخصائص النزعة الإنسانية وخصائص هذه الحركة الجديدة، مروراً بالتقلبات الفكرية التي صاحبت عصر ما بعد الحداثة إلى غاية الآن. نصل إلى أن "الإنسانية المتحولة" قامت على أنقاض ورماد الإنسانية. بل وهي كرد فعل عليها نظراً لفشل مشروعها على أرض الواقع، ويمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

-تسلم الإنسانية بمركزية الإنسان Anthropocentrisme، والتي أصبح الإنسان بموجبها متفوق عن بقية الكائنات وعلى رأسها الحيوان، وهذا بفضل جوهره الثابت الميتافيزيقي ككائن متعال عاقل ناطق، هذا ما لا يستصيغه أنصار الإنسانية المتحولة معتبرين أنها أفكار وهمية لا تغدو أن تكون مجرد أساطير وخرافات وايدولوجيا تجعل من الإنسان قابع في الماورائيات وتبعده عن حقيقته المتمثلة في تحقيق كماله البيولوجي.

-يؤمن دعاة الإنسانية المتحولة بالتطور المستمر للإنسان، وأن الإنسان الحالي أو ما اصطلح عليه بالإنسان العاقل قد مضى وقته وأن الأوان لظهور إنسان جديد مختلف تماماً،<sup>1</sup> أو ما يسمى "الإنسان الفائق".

لقد وضعت التقاليد الفلسفية تصوراً عن الطبيعة البشرية ورهنتها بجملة من الخصائص منها: العقلانية، القداسة، الحرية، الاستقلالية الفردانية، الثبات، المطلقية، والحقوق الطبيعية، هذا التصور الذي سيطر على الفكر الإنساني ردحا من الزمن، اتخذته النزعة الإنسانية مشرباً ومعيّاراً لها. أما عن الإنسانية المتحولة، فهي تقترح إما أن نعود إلى الطبيعة، ونقبل الحدود الطبيعية الخاصة بنا، أو أن نسعى للتغلب عليها والتخلص منها، والخيار الأول هو ما يدافع عنه مناصري التيار الإنسي من خلال التخلي عن فكرة أنه بإمكاننا التحكم في الطبيعة البشرية، وقبول كوننا خاضعين لحتمية بيولوجية، وفي المقابل يجادل خبراء التحول الإنساني بأنه يجب علينا بذل أقصى جهدنا للتغلب على حدودنا الطبيعية من خلال العلم والتكنولوجيا، فقدر البشرية ومصيرها ليس الانسجام مع الطبيعة، بل إعادة تشكيلها وإعلائها.

نلامس اليوم تجلياً واضحاً لخطاب إنسانوي جديد، ينهل أسسه ومبادئه من التراث الفكري للإنسية الغربية، ومن تجاوزه لها في الآن نفسه. وهنا نعتبر الإنسانية المتحولة تمثلاً واقعياً لأهداف إنسانية الأنوار، خاصة في فكرة المكافحة عن الحقوق الإنسانية، وفي مقدمتها الحرية، إلا أن الإنسانية قائمة على فكرة

<sup>1</sup> محمد جديدي وآخرون، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، 145.

الحقوق الطبيعية الثابتة عقليا والتي أقرتها الشرائع الدينية، ما يحيل إلى بعدها الميتافيزيقي، هذه الفكرة بالذات شكلت أهم نقد وجه للنزعة الإنسانية من قبل الترانس إنسانية، فالكائن البشري يملك حرية التصرف في جسده سواء بالمحافظة على خصائصه العادية أو تغييره وتحسينه بفضل البيو تكنولوجيا الفائقة التي أتاحت له ذلك.<sup>1</sup>

ييشر بيان الإنسانية المتحولة الثاني الصادر سنة 2012 م بإعداد نسخة نموذجية لتحول الكائن البشري، وهذا نتيجة تأثر الإنسانية بمخرجات التقنو-علمي، ما يجدد طموحها نحو تعزيز قدرات الإنسان وبلوغ الخلود إن أمكن، مع الدعوة إلى تحديد الأخلاق لتتلاءم مع هذا الراهن، تقوم على أسس احترام استقلالية الفرد والحفاظ على حقوقه، ومن أهمها الحق في تحسين حياته وتطوير جسده والإعلاء من قدراته الإدراكية.

إن القراءة الممحصنة لهذا البيان التأسيسي لهذه الحركة، تضعنا أمام إشكال قلق حول تموضع الإنسانية المتحولة، التي تنادي بتجاوز الإنسان الحالي والانتقال به نحو نوع جديد فائق، مقارنة بالإنسانية التقليدية وتقاليد الأنوار، حول الحقوق والحريات والديمقراطية، وأمام هذه المفارقة يتساءل فيري إن كانت الإنسانية المتحولة تسعى لتوسيع الإنسانية الكلاسيكية أم القطيعة معها؟ ويجب عن ذلك بأن مناصري التحول الإنساني يسعون لصياغة أهدافهم وفقا لتقاليد النزعة الإنسانية الأنوارية وفي عصر الحداثة.<sup>2</sup>

يحدد فيري أربع نقاط أساسية نلمس فيها رجوع الإنسانية المتحولة إلى النزعة الإنسانية:

أولا: في فكر الإيطالي بيلك دي لامبروندول، الذي يقر بأن حرية الإنسان تمكنه من التحرر من طبيعته. وكذلك في فكر كوندورسييه وفرنسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626) وغيرهم، الذين أقروا بإمكانية بلوغ الكمال البشري.<sup>3</sup>

ثانيا: تحمل الإنسانية المتحولة تراث التفاؤل العلمي الذي حظيت به الحداثة والتنوير، ويتجلى هذا في اهتمامها بالتقنيات المتطورة في المجال البيو طبي خاصة والذكاء الاصطناعي.

<sup>1</sup>Gilbert Hottois, *Demain les posthumains*, 2015, p228.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *la révolution transhumaniste*, p36.

<sup>3</sup>Ibid, p153.

ثالثاً: أدبيات الخيال العلمي التي برزت في عصر الحداثة، حيث عرّضت هذه الإنسانية الجديدة إلى جعلها واقع.

رابعاً: ارتباط نشوئها بالسياق الفكري المتمثل في عصر النهايات ولما بعد والضديّات، مثل: النزعات المناهضة للإنسانية، ما بعد البنيوية، التفكيكية.<sup>1</sup>

ويمكن إيجاز الاختلافات بين الإنسانية المتحولة وإنسانية الأنوار في النقاط التالية:

- الانتقال من الحتمية البيولوجية إلى الاختيار (التعديل الجيني).
  - الانتقال من الطب العلاجي إلى التعزيزي والإعلاني.
  - عدم وجود طبيعة إنسانية ثابتة تتمحور حولها جميع الحقوق.
  - التعزيز الشامل لجميع مقومات الإنسان الفيزيكية والعقلية والنفسية ومنه الاجتماعية والثقافية... إلخ.
- فيما يخص موقف لوك فيري حول هذا الموضوع، فإنه يؤكد بأن مشروع الإنسانية كما سعى إليه أصحابه جاء واعداً ومبشراً بتحسين ظروف الإنسان من خلال الإيمان بقداسته وإزاحة القداسة الإلهية والطبيعية وكذا الاعتقاد بالتقدم الذي هو في صالح تحرر الإنسان، هذا ما وصفه بالوعود الجميلة للأنوار.<sup>2</sup> وهنا يتساءل: هل نجحت في تحقيق ذلك؟ وإذا كان فعلاً مصير الإنسان هو التقدم، فكيف نفسر التراجع الذي شهده العالم الغربي خاصة؟

يجب فيري من خلال وصفه الإنسانية بأنها تمثل الحداثة وتراجيديتها، وسبب انحطاطها، وهذا ما أثبتته الواقع، فالتحرر الذي اكتسبه إنسان الإنسية لم يغير شيئاً، بل زاد الإنسان غطرسة وجبروتا وعنصرية... ما ولد شيطاناً جديداً أسوأ وأخطر من الشيطان الذي مات، شيطان ذو نزعة إنسانية ممزقة أفضت إلى الحروب، الصراعات، النزاعات، الاقتتال والتعنيف في بلدان ذنبها الوحيد أنها تختلف دينياً ولونياً وجغرافياً عن خصوصيات العقل الأوروبي المركزي، ويكفي هنا تقديم مثال بما يحدث في رواندا أو البوسنة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Ibid, p 37.

<sup>2</sup> Marcel Neusch, **Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu**, Nouvelle revue théologique, 119 N°3, 2021, PP 345, 346.

<sup>3</sup> لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 73، 75.

يؤكد فيري على أن الكثير من الاجتهادات الفلسفية الفرنسية المعاصرة أمثال: فوكو، دريدا، لاكان، بورديو... إلخ، اتجهت صوب تفكيك إنسان الحداثة كما صورته الإنسانية، التي بدأت بالإعلاء من شأن الإنسان، وانتهت بالقضاء عليه حيث أفرزت ما يعرف بضدية الإنسان للإنسان.<sup>1</sup> وبالرغم من هذه العدمية، فإن فيري يتبنى نظرة تفاؤلية تسعى للنجاح والسعادة، إذ يعترف بالأزمة وفي المقابل يبني مفهوم جديد للحياة المستقبلية أو للإنسانية الجديدة أو ما أسماه "الإنسانية المتحولة"، التي حسب منظوره ستنتصر على كل ما أفرزته الإنسانية، فهي تصحح مسارها وتتجاوز عيوبها، فهي بناء جديد للإنسان يحقق القطيعة التامة مع الإنسان الكلاسيكي.

---

<sup>1</sup>Luc Ferry, Alain Renaut, *pensée*68, p15.

ثانيا: الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي.

يطرح اليوم تطور العلم إشكالات كثيرة تتعلق بحدود تأثيره في هوية الإنسان وقدراته ومستقبله، فالعلم اليوم في حقول معرفية كثيرة يحقق تراكمات نوعية، ويسعى لتحقيق هدف تطوير الإنسان، وتحويله وتحديث قدراته، والدفع به نحو الاستزادة، سواء من خلال تقنيات البيو تكنولوجيا أو المعلوماتية والعلوم المعرفية. يتطلع العلم إذن، من خلال رصد التطور في التقنيات التي حصلها، إلى أن يحقق هدف تجاوز الإنسان الحالي، وصناعة إنسان آخر متطور، يواكب التطورات الحديثة ويستثمرها، وهذا ما يعرف بمشروع " الإنسانية المتحولة/ المتجاوزة".

### 1- مفهوم الإنسانية المتحولة:

من حيث الاشتقاق اللغوي يتشكل مصطلح "الإنسانية المتحولة"، والتي يقابلها في اللغة الفرنسية Transhumanisme، وفي اللغة الإنجليزية transhumanism، من ثلاث مفردات رئيسية:

-الكاسحة Trans والتي تعني: التحول، التخطي، التجاوز، الانتقال والعبور. والتي تدل على مرحلة انتقالية Transitory، وتدل أيضا على التجاوز Trensced، وتشير إلى الانتقال من الوضع العادي الطبيعي إلى هيئة جديدة.

- ثم المفردة: Human والتي تعني الإنسان أو الكائن البشري.

-ثم اللاحقة ism: للدلالة على الحركة أو النزعة<sup>1</sup>.

أما عن ترجمتها إلى اللغة العربية، فلم يتم الاتفاق حولها بعد، وجميعها تصب في: الإنسانية العابرة، الإنسانية المتحولة، الإنسانية الانتقالية، الإنسانية الفائقة، الإنسانية الإعلائية...وما إلى ذلك.

يصعب وضع مفهوم دقيق ومضبوط لمفردة "الإنسانية المتحولة" من حيث الدلالة الاصطلاحية، وهذا يرجع إلى الأسباب التالية:

أولا: راهنية هذا الموضوع، حيث يعتبر جنيني وحديث التشكل.

<sup>1</sup>Max More , Transhumanism towards a futurist philosophy, at : <http://www.primement.com/~maxmore>

ثانياً: مفهوم علائقي، تتداخل فيه عدة تخصصات، حيث تقدم الإنسانية المتحولة نفسها كمجال عبر منهجي، يتقاطع مع: الفلسفة والدراسات الأدبية والثقافية والخيال العلمي وعلم المستقبلات والفنون المعاصرة وعلم الاجتماع والبيو إتيقا والدين والدراسات البيئية...إلخ.

ثالثاً: مفهوم مظلي، إذ هناك تداخل واضح بين مصطلحات تقع منهجياً في الحقل العام "ما بعد الإنسان"، من قبيل: ما بعد الإنسانية، الإنسانية المتحولة، فوق الإنسانية، مناهضة الإنسانية، البيولوجيا التقدمية، التطورية الجديدة، الإكستروبييا، الإعلائية التكنولوجية Techno- transcendence حيث تسعى كل هذه النماذج لاستزادة الإنسان تجاوزاً لمحدودياته البيولوجية الفيزيائية والذهنية النفسية، ويشكل الاعتماد على التعزيز الاصطناعي أفضل وسيلة يلجأ إليها الإنسان لتحقيق هذا المسعى.<sup>1</sup>

لقد تبلور المفهوم الفلسفي لمصطلح الإنسانية المتحولة مطلع ستينيات القرن العشرين، وذاع صيته عالمياً بداية التسعينات، دالاً على التوجه العلمي المعاصر خاصة في مجال الطب والبيولوجية والمعلوماتية، ودورها في الفهم المعاصر للإنسان، على هذا الأساس ظهرت الإنسانية المتحولة كنزعة واتجاه فكري يرمي إلى تعزيز كفاءة الإنسان وتحسين مؤهلاته الفيزيائية والذهنية، من خلال القضاء على الآلام والأمراض والعجز، وتحدي الشيخوخة وقساوة الطبيعة، وهذا بالاستعانة بالتقدم التقني-علمي، خاصة ما أنتجته الطفرة التكنولوجية والذكاء الاصطناعي من تغييرات جوهرية، ومنه فهي تبشر بقدوم عصر جديد يتغير معه مستقبل الإنسان، أي تعمل على إخراج الكائن البشري إلى ما هو أبعد من حالته العادية الحالية.<sup>2</sup>

تفترض إذن الإنسانية المتحولة أن الإنسان كائن غير كامل من الناحية البيولوجية والعقلية، مثل: المرض، الشيخوخة، الموت، قلة الذكاء أو التركيز، ولا بد من تعديل طبيعته البشرية وصولاً به إلى إنسانية جديدة متجاوزة لكل محدودياته الفيزيائية والنفسية، مثل: محاربة الشيخوخة والقضاء على الآلام والعجز وحتى تحدي الموت. ويخطط للوصول إلى هذا بمساعدة ما اصطلح عليه مؤخراً بالتقنيات الفائقة أو العلوم المتقاربة NBIC (النانو تكنولوجيا Nanotechnology، التكنولوجيا الحيوية Biotechnology، المعلوماتية Informatics، العلوم المعرفية/الدماع Science cognitive)، وبهذا تعتبر الإنسانية المتحولة مرحلة

<sup>1</sup> إلزا غودار، أنا أسلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2019، ص40.

<sup>2</sup> أولغا تشيتفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها، ترجمة: باسم الزعبي، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2020، ص98.



من انتقال الإنسانية إلى مرحلة ما بعد الإنسانية Post- humanism، أين يصبح أكثر قوة وذكاء وقد يصل إلى الخلود.

يعتبر مصطلح " الإنسانية المتحولة " غامضا من حيث أصوله، إذ يمكن العثور على أفكار الكمال البشري طوال تاريخ الفكر الإنساني، وخاصة فكرة التنوير، والإنسانية العلمانية، وترجع البوادر الأولى للحديث عن تحسين حياة الإنسان البيولوجية إلى سنة 1923، وتحديدًا مع المقال الذي نشره عالم الكيمياء الإنجليزي جون برودونساندرسون هالدين J. B. S. Haldane (1964-1992)، والذي يحمل عنوان: " ديدالوس أو العلم والمستقبل"، مستشرفا فيه مخرجات التقنو علمي فيما يخص التعزيز العقلي وغزو الفضاء.<sup>1</sup> ومع منتصف القرن الماضي أخذت معالم أفكار التحسين البشري في التشكل أكثر، خاصة مع الأب اليسوعي الكاثوليكي والفيلسوف بيير تيلار دي شاردن PIERRE TEIHLARD DE CHARDIN (1881-1955) في مقالته المنشورة سنة 1950، والتي حملت عنوان (ما قبل الإنسان الفائق/ المتجاوز: مراحل كوكب حي)، حيث أثار فيه قضية الإنسان المتجاوز في القلب المطلق للأشياء، وعلى الرغم من أن أفكاره حملت تصورا عن المستقبل الروحي البشري، إلا أنه ألهم صديقه جوليان هكسلي. وقد حاول شاردن التوفيق بين الاتجاه الكاثوليكي مع نظرية التطور، وهذا ما شكل المرجع الفكري لعالم الأحياء البريطاني جوليان هكسلي Julian Huxley (1887-1975) -ابن طوماس هكسلي Tomas Huxley (1825-1895) الملقب بـ "كلب داروين" - غير أن هكسلي لم يفكر وفق القوالب المسيحية مثل دي شاردن، إذ لطالما كان يردد: "إما داروين أو الله"، ولهذا أخذ مفهوم الإنسانية المتحولة أو التطورية على أنها التوفيق بين العلم والدين، وجعل لهذا الأخير، دورا ثانويا تابعا، حيث ينبغي لهُ أن يتكيف مع التقدم البشري.<sup>2</sup>

تتجلى النزعة التطورية في فكر جوليان هكسلي من خلال وضعه التطور موضع الدين، وأنسب إليه وظيفة الإله، وهي التنسيق بين الإيمان والأمل لدى الإنسان الذي بفضل قوة التطور يحل محل الآلهة القديمة، ويصبح الأساس المسير لهذا التطور، وهنا يأتي مفهومه عن الإنسانية التطورية التي تقوم على أن الإنسان يملك طبيعة لا حدود لها، ويمكن تطويرها بالاعتماد على التقدم العلمي والتكنولوجي، وليس بالدعاء والتضرع إلى الله.<sup>3</sup> وبناء على هذه الأفكار يربط أنصار "الإنسانية المتحولة" مصطلح " التحول البشري " غالبا بجوليان

<sup>1</sup> محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان: الهندسة الوراثية نموذجًا، دار الموج الأخضر للنشر، الجزائر، ط 1، 2023، ص 246.

<sup>2</sup> أولغا تشيتفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 124.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 125.

هكسلي، إذ أنه في عام 1957م، صاغ مصطلح "الإنسانية التطورية/ المتحولة" في كتابه (زجاجات جديدة لخمير جديد/New Bottles for New Wine)، حيث أكد: "يمكن للنوع البشري إذا رغب أن يتجاوز نفسه، ليس بشكل متقطع، فرد هنا بطريقة، وفرد هناك بطريقة أخرى، ولكن كلياً، كبشرية، نحن بحاجة لإعطاء اسم لهذا الدين الجديد. ربما يكون التحول البشري مناسباً: الإنسان يبقى إنساناً، لكنه يتجاوز نفسه، من خلال إدراك إمكانيات جديدة لطبيعته البشرية... أنا أؤمن بالإنسانية المتحولة: سوف يأتي يوم يكون هناك ما يكفي من الناس الذين يستطيعون قول ذلك حقاً، عندها تكون البشرية على أعتاب نوع جديد من الوجود مختلف تماماً عن وجود الحالي، كما نختلف نحن عن إنسان بكن. سيكون هذا في النهاية؛ وفاء واعياً بمصيرنا الحقيقي"<sup>1</sup>. إذن، يعتقد هكسلي أن الإنسان سيبقى إنساناً، ويربط التحول البشري بخلق بيئة اجتماعية أكثر ملائمة، بالإضافة إلى تقنيات التنمية الروحية. إذن فحسب جوليان هكسلي ذو النظرة المتفائلة يعبر مذهب الإنسانية المتحولة عن أحدث أشكال الإنسانية التطورية، ويشير حسبه إلى فهم القدرات الجديدة للطبيعة البشرية وتجاوز حالتها العادية إلى حالة جديدة توصف بالفائقة، من خلال تسخير مختلف التقنيات التي تسمح وتمكن من ذلك.

نجد كذلك أن أفكار هذه النزعة عرضت قبل ذلك بشكل تشاؤمي مع أخوه ألدوس هكسلي في روايته "عالم جديد شجاع" سنة 1932م، التي رسم فيها ملامح عصر يخضع فيه الإنسان للآلة، التي غيرت من طبيعته البيولوجية وغيبت قيمه الروحية والجمالية.<sup>2</sup> لكن بعد جوليان هكسلي، أخذ هذا المصطلح معنى مغاير، وسرعان ما أصبحت مفردة الإنسانية المتحولة الكلمة الأساسية لتجاوز الحدود البيولوجية للإنسان من خلال التكنولوجيا.

لقد ارتبط تشكل هذا التصور بالمفهوم التداولي الحالي بالفيلسوف الألماني بيتر سلوترديك Peter Sloterdijk (1947-) الذي أثار سنة 1999، قضية التغيير الراديكالي للطبيعة البشرية، متسائلاً عن كيفية ترويض الإنسان وتدجينه أو القضاء على توحشه؟، هذه الفكرة التي عرضها في مداخلة له في ندوة حول هايدغر والتي نشرت فيما بعد في مقال صحفي، والموسومة بـ "قواعد الحضيرة البشرية" Rules for Human Parc، قد أثارت جدلاً واسعاً امتد إلى يومنا هذا. وقد انطلق بصدد هذا من مسلمتين: أن الإنسان

<sup>1</sup>Julian Huxley, *New bottles for new wine*, chatton and windus, London, 1957, pp 13, 17: أنظر: <https://www.transhumanism.org/index.php/WTa/more/huxley>.

<sup>2</sup>أولغا تشيتيفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص ص 126، 127.

كائن عتيق بطبعه، وقابلية تغيير طبيعته البشرية وتحسينه<sup>1</sup>. وعليه فمصطلح التحول الإنساني يشير وفقاً له إلى النزعة التي تحاول بناء وصياغة تصور محدث للإنسان المعاصر الذي بات بإمكانه تغيير طبيعته وجسده، ليس بالانتقاء الطبيعي كما سلم داروين وإنما بفعل الانتخاب البيو تكنولوجي، وهو ما أطلق عليه اسم تأنيس البشر أو تدجين البشر.

لقد أخذ مصطلح الإنسانية المتحولة بعده الفلسفي أكثر في نهاية القرن العشرين مع رائد المستقبل الإيراني فريدون إم. إسفندياري (Freidon M. Esfandiary) (1930-2000)، الذي غير اسمه عام 1974 إلى FM-2030 اعتقاداً منه أنه سيعيش حتى عام 2030، حيث أدخل مصطلح الإنسانية المتحولة بمعناه الحالي منتصف الستينات، بينما كان يدرس في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك، أسس مجموعة مستقبلية تسمى Up-2-Wingers، وشعب الأفكار التخمينية حول ظروف الإنسان المستقبلية<sup>3</sup>. اعتقد FM2030- على عكس جوليان هكسلي- أن أكبر مشكلة نواجهها ليست اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، بل هي بالأحرى الحقيقة القاسية لقيودنا البيولوجية، أي الفناء البشري. وقد توقع أنه بحلول نهاية القرن العشرين، ستعمل اختراقات هائلة على إصلاح هذا الخلل وتحويل النوع البشري، فالبشر المتحولون حسبهم هم أول تجليات لكائنات تطورية جديدة، والتي تلعب دور الجسر في التطور، فالإنسانية المتحولة، هي اختصار لإنسان انتقالي، والذي يربط بين الإنسان وما بعد الإنسان.

دافع FM-2030 كثيراً عن الإنسانية المتحولة التي تشير حسبهم إلى استخدام التكنولوجيا لتحسين القدرات البيولوجية والعقلية للإنسان، وآمن بأن التحول البشري هو السبيل الوحيد لتجنب الفناء، ويعتبر اليوم FM-2030 رائداً للترانس-إنسانية المعاصرة، وقد كان مؤثراً بشكل خاص على الجناح الأمريكي للإنسانية المتحولة، بما فيها ذلك ناتاشا فيتامور (Natacha Vita-more) (1950-) التي ولدت باسم نانسي كلارك (Nancie Clarck) التي صاغت بيان هذه الحركة في عام 1983.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 349.

<sup>2</sup> هي اختصار لـ "upward-moving people" أي: الأشخاص الصاعدون، وهي مصطلح أطلقه رائد الفضاء فريدون إم. إسفندياري على مجموعة مستقبلية أسسها في منتصف الستينات في مدينة نيويورك، وكانت هذه المجموعة تؤمن بإمكانية استخدام التكنولوجيا لتحسين الظروف البشرية، وركزت على أفكار مثل التحول البشري والهندسة الوراثية.

<sup>3</sup> Béatrice Jousset-Coururier, *Le transhumanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?* groupe Eyrolles, Paris, 2016, p13.

<sup>4</sup> أولغا تشيفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 219.

يعتبر الفيزيائي الأمريكي روبرت إيتينجر Robert Ettinger (1918-2011) رائدا آخر لحركة الإنسانية المتحولة، وبالتحديد في كتابه (رجل نحو رجل خارق Man into Superman) سنة 1972، أين أكد على دور التبريد في فلسفة ما بعد الإنسانية، نظرا لأن التجميد بالتبريد قد يكون الفرصة الوحيدة لمعظم خبراء التحول الإنساني، ويعتبر ماكس مور Max More - ولد باسم أكنور Max O'Connor - زوج ناتاشا فيتا مور - مديرا لإحدى أكبر منظمات التبريد، مؤسسة Alcore Life Extension، وكذلك ينسب إليه باعتباره أنه أول من أدخل اللاحقة ism إلى Transhumanism أي الإنسانية المتحولة، وبالتالي صاغ اسم الحركة الحالية.

برزت الإنسانية المتحولة كحركة ذات توجه ثقافي إيديولوجي في ثمانينيات القرن الماضي، وبالتحديد في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، التي كانت مهدا للتكنولوجيات الفائقة متمثلة في وادي السيليكون Silicon Valley، وكذا حركة العصر الجديد التي تنبأها "معهد إسبالينسكي"، وقبل ذلك بفترة وجيزة مع نشأة معهد الاستشراق من قبل المهندس الأمريكي إريك ديكسلر Eric Drexler (1955-) وزوجته كريستين بيترسون Christine Peterson، الذي يستثمر التقنيات المعاصرة لتحسين الحالة الإنسانية<sup>1</sup>. وقد تبنى هذه الحركة مجموعة من الفلاسفة والمختصين في علم المستقبلات وعلى رأسهم ماكس مور الذي قام ببلورة مذهبه سنة 1990 وأسماه مبادئ تفاؤلية Extropianism، وأنشأ معهد إكستروبي معلنا فيه عن نوع من داروينية جديدة مستقبلية واصفا إياها بأنها أيديولوجية المستقبل، وفي عام 2010 أصبح مديرا عاما "لشركة ألكور" وهي أكبر شركة للعلاج بالتبريد Gyonics في و.م.أ كما ذكرنا آنفا<sup>2</sup>. وقد اعتبر مور مبادئه هذه بمثابة قواعد إتيقية تمنح دلالة وتوجها لحياة الإنسان. خاصة وأن قوانين التطور لم تعد تلبي حاجيات الإنسان ولا تطلعاته المستقبلية وبالتحديد فيما يتعلق بالجسد البشري وحدوده البيولوجية التي لا بد من السعي للتغلب عليها كشيخوخة والمرض والعجز وحتى الموت.

وفي الفترة المعاصرة وتحديدا سنة 1998، أخذت هذه النزعة الصبغة الرسمية بفضل جهود وأعمال الفيلسوف السويدي نيك بوستروم Nick Bostrom من خلال صياغة مبادئها وأهدافها، والذي جزم بعدم وجود قواعد أخلاقية تمنع التدخل في الطبيعة الإنسانية وأن إلغاء الإنسان حق من حقوق الإنسان في حد

<sup>1</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 247.

<sup>2</sup> أولغا تشيفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 220.

ذاته، ووفقاً لمنظوره أنه من السخافة الاعتقاد بأن الإنسانية المتحولة مجرد إيمان نظري بقدرتنا على تخطي الحواجز البيولوجية بمساعدة التكنولوجيا، بل هي أعمق من ذلك تحيل إلى دلالة إعادة صياغة مفهومنا عن الكائن الإنساني أو ما يعنيه أن يكون الإنسان إنساناً ووفق حمولة أنطولوجية وقيمية جديدة<sup>1</sup>. انطلاقاً من تصوره هذا فهو يعرف الإنسانية المتحولة بأنها توجه فكري وثقافي يسعى إلى تعزيز وتطوير قدرات الإنسان العادية العقلية والجسدية والنفسية ليصبح أقوى وأجمل وأذكى وأصح، من خلال محاربة الشيخوخة، الأمراض والآلام، وذلك بالاستعانة بالتقنيات المتطورة، وهذا تكريساً لحقوق الإنسان والتي من أهمها الحق في اختيار الحياة التي يرغب فيها والجسد الذي يعيش به، وبهذا تصبح حركة الإنسانية المتحولة امتداداً لإنسانية الأنوار من حيث الاعتقاد بمركزية الكائن البشري وتقديس حقوقه خاصة الحرية<sup>2</sup>.

حسب عالم الفيزياء الأمريكي **ميتسيو كاكو** Michio Kaku (1947-) إن عصر الإنسانية المتحولة بدأ في التبلور في القرن العشرين وتحديدًا مع ثورة الكم quantum وثورة DNA، وثورة المعلوماتية، والتي شكلت الركيزة الأساسية لقيام ثورة الإنسانية المتحولة-المتجاوزة<sup>3</sup>. والإنسانية المتحولة حسب الفيلسوف الأمريكي **جيلبرت هوتوا** يستشرف المستقبل من منطلق أن الوضع البشري الراهن لا يمثل نهاية التطور وإنما بدايته فقط، لهذا لا بد من الاشتغال على تقنيات العقل التطبيقي لإتاحة الفرص لتسريع هذا التطور.

كما تنبأ المفكر اليهودي الأمريكي **يوفال نوح هراري** Yuval Noah Harari (1976-) في مؤلفه "العاقل" بقدوم إنسان جديد أسماه "الإنسان المتأله"، وهذا نظراً لتمكنه من مشاركة الإله بعضاً من خصائصه كالخلق والتدمير، هذا ما يشكل نقطة تحول بالنسبة للبشرية التي ستنتقل من صورة الإنسان العاقل-Homo sapiens إلى صورة الإنسان الإله<sup>4</sup> Homo-Deus.

لا تهدف الإنسانية المتحولة إلى علاج النقائص والأمراض للجسد البشري، بل تروم إلى الإغلاء والاستزادة من قدراته وأدائه العضوية والعقلية ليصبح أقوى، أسرع، أذكى وفائق، إلا أن النظرة الواقعية

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 220.

<sup>2</sup> خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، مجلة ألف: اللغة، الإعلام، والمجتمع، مجلد 10، عدد 1، يناير 2023، ص 619.

<sup>3</sup> ميتسيو كاكو، رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 2001، ص ص 11، 12.

<sup>4</sup> يوفال نوح هراري، العاقل: تاريخ مختصر للنوع البشري، ترجمة: حسين العبري وصالح بن علي الفلاح، دار منجول للنشر، ط 1، 2018، ص 495.

لوعود الإنسانية المتحولة، توضح أن العلم والبيوتكنولوجيا لم يصلا بعد إليها، لكن هناك محاولات جادة من قبل المختصين ومراكز البحوث والمخابر والتي أثمرت نتائج مذهلة كاستخدام الخلايا الجذعية والتهجين والطب الترميمي، ولقد عبر **لوك فيري** عن هذا الوضع والتحول الإنساني الجديد بمصطلح "الثورة" والتي يقودها حسب تيار انطلق من الولايات المتحدة الأمريكية وتحديدا ف وادي السيليكون Silicon Valley، ثم أوروبا حمل اسم الإنسانية المتحولة.

كما يعتقد **فيري** وأغلب المدافعين عن الإنسانية المتحولة، بأنها تعبر عن عقلانية مطلقة ورؤية علمانية مادية ملحدة للعالم، تتأسس مثل فلسفة الأنوار على الروح النقدية ضد الاعتقادات الدوغمائية الوثوقية العمياء، وضد كل أنواع السلطوية التراثية والتقليد<sup>1</sup>.

تعتبر الإنسانية المتحولة وفقا لرؤية مناصريها استمرارا لنزعة قديمة لطالما حاولت علاج عجزنا الفيزيقي، والتي شرعت منذ القدم بابتكار العكازات والنظارات، فالبشرية دائما تسعى للكمال، وهذا ما جعل الإنسان يعدل في جسده مثل: الختان، تقويم الأسنان، ثقب الأذنين، عمليات التجميل، وتعديل الأعضاء كتدعيم القلب الضعيف، فهذا **إيلون ماسك** Elone Mash أحد رواد هذا التيار وصاحب شركة Neuralink يعتقد بأنه ليس هناك ما يجبرنا على ترك العين البشرية على ماهي عليه محدودة، فربما عند إضافة عدسات أو تقنيات بصرية يكون الأمر مفيد ومستحسن، فلماذا نرحب بابتكار النظارات التي تساعدنا على الرؤية الجيدة، ونعتبره إنجازا جيدا، وفي المقابل نجرم القيام بتحسين النظر العادي والوصول به إلى دقة تضاهي رؤية النسر أو أكثر؟

يتجلى مشروع الإنسانية المتحولة وفقا لخطاب **فيري** الفلسفي في فكرة الانتقال من نموذج الطب العلاجي الموجود منذ الصينيين والإغريق القدماء، الذي يكفي بعلاج البشر عندما يصابون في حادث أو بمرض، إلى نموذج تحسيني إعلائي، إذن الفكرة هي كالتالي: التمكن من جعل الإنسان أكثر ذكاء وقوة، وبالأخص إطالة عمره، ويوضح هذه الفكرة بالمثل التالي: لدينا اليوم مرض هو "التهاب الشبكية الصباغي" الذي يسبب العمى، وهناك شركة ألمانية ابتكرت شريحة إلكترونية يتم زرعها خلف الشبكية، تعيد البصر لمن فقدوه تماما، وهنا لانزال أمام الطب العلاجي كما نعرفه تماما، حتى لو كان فيه بعض التهجين مع الآلات،

<sup>1</sup> هشام معافة، الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، نحو فلسفة للإنسان الجديد، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلد 13، عدد 1، الجزائر، جانفي 2024، ص 65.

لكنه مثل القلب الاصطناعي يبقى طب كلاسيكي من حيث الأسس وغايته الإصلاح والتصحيح. لكن لتخيل بأن هذه الشرائح تطورت بعد عدة سنوات، إذ ستسمح لنا بالحصول على حدة بصر النس، ربما نحن كناس عاديين لن نذهب لزراع الشريحة لأننا لا نهم بالحصول على مثل هذه الحدة، لكن الجيوش ستكون مهتمة جدا بهذا، وهنا تكمن المشكلة، أو أحد جوانبها، خاصة بالنسبة للقناصين والبحارة والطيارين، سيشكلون كتائب من أشخاص لديهم حدة بصر النس، فالجيوش كانت دائما هي الرائدة في هذا المجال، فالإنترنت مثلا كانت أداة عسكرية في البداية، لكن بعد ذلك انتشرت بين الناس... والأمثلة كثيرة، ولهذا يمكن القول أن تقنيات التحسين ستدخل إلى البيوت، لأنه إذا عائلة ما حسنت من أولادها فإن العائلة المجاورة ستعجب في نفس الشيء، إذن فعندما نتحدث عن التحسين، فهذا يعني بأنه سيكون لدينا بصائر أكثر حدة، وقدرة أكبر على التركيز والاستدلال العقلي... إلخ، وحسبه كذلك أننا لم نصل بعد إلى هذا، لكننا جد قريبون منه، إذ أن الأمر حقيقي وواقعي وليس من الخيال العلمي، وهذا هو هدف الإنسانية المتحولة أي ليس علاج النقص وإنما تطوير السليم.<sup>1</sup> هذا الانقلاب في المنظور انطلق منذ سنوات من خلال تطوير الجراحات التجميلية، المخدرات المقوية والمعدلة للمزاج...، فالأمر حسب **لوك فيري** إذن لا يتعلق بالعلاج *Thérapeutique*، بقدر ما يتعلق بالمعانة التي تحتاج إلى إعلاء واستزادة *augmentation*، فالقبح ليس عيبا، ولكنه يخلق معاناة لصاحبه، وعليه فحسبه من المبكر جدا، بل من السخف الحكم على مشروع الإنسانية المتحولة بأنها كابوس أو خطر.

يجب **لوك فيري** عن سؤال: ماذا تعني الإنسانية المتحولة؟ بأنها مشروع كبير وواعد هدفه تحسين الإنسانية الحالية، على جميع الأصعدة الجسدية، الفكرية، العاطفية والأخلاقية، بفضل تقدم العلوم وخاصة البيوتكنولوجيا، ومن أهم خصائص هذا المشروع هو التحول من النموذج الطبي التقليدي أي نموذج العلاجات الذي يتمثل في إصلاح أو علاج الأمراض، إلى نموذج متفوق يهدف إلى تحسين أو زيادة إمكانيات الإنسان، ويستشهد **فيري** على فكرته هذه بقول الفيلسوف السويدي **نيك بوستروم**: "سيأتي يوم تتاح لنا الفرصة لزيادة قدراتنا الفكرية والجسدية والعاطفية والروحية، بشكل يفوق ما هو ممكن في الوقت الحالي، سنخرج بذلك من طفولة الإنسانية لندخل في حقبة ما بعد الإنسانية".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 4,5.

<sup>2</sup> Ibid , p 29.



تعايش تيارات متعددة داخل حركة الإنسانية المتحولة، مثل الإنسانية المتحولة الليبرالية، والإنسانية المتحولة الديمقراطية، والإنسانية المتحولة النفعية، القاسم المشترك بينهما جميعا هو العلم والتكنولوجيا كأصول رئيسية لها، ولكن مع اختلافات في التركيز والاهتمام، فبينما تدعو الإنسانية المتحولة الليبرالية إلى السوق الحرة باعتبارها أفضل ضامن للحق في تعزيز الإنسان، فإن الإنسانية المتحولة الديمقراطية تدعو إلى المساواة في الوصول إلى التحسينات التكنولوجية، والتي يمكن أن تقتصر على فئات اجتماعية، سياسية معينة وترتبط بالقوة الاقتصادية، وقد حدد مؤسس الإنسانية النفعية **ماكس مور** مبادئها على أنها: التقدم المستمر، التحول الذاتي، التفاؤل العلمي والاستعانة بالتكنولوجيات الذكية والتفكير العقلاني والمجتمع المفتوح.

يمكن القول بأن مشروع الإنسانية المتحولة مرهون بفكرتي تعزيز الجسد البشري والإعلاء من قدراته الفيزيائية والعقلية، بواسطة التكنولوجيا، والهدف العبور به من حالته العادية التي هو عليها إلى حالة أخرى جديدة، أو قد يتحول إلى نوع جديد تماما اصطلاح عليه: **السايبورغ**<sup>1</sup> أو الإنسان الآلة، أو الإنسان البيو تكنولوجي **homme bionique** أو الإنسان العاقل الإصدار الثاني **homo-sapien 2.0**، أو حتى النسخة الثالثة **3.0**، أو الإنسان الأخضر **homme vert**... وغير ذلك. إيماننا منهم بأن الإنسان لا بد منه أن يتخلى عن التطور الطبيعي البطيء وأن يعمل على تطويره بنفسه، على أن مشروع ترقية الإنسان، يتمثل في نزعتي ما بعد الإنسانية **Posthumanism** والإنسانية المتحولة **Transhumanism**<sup>2</sup>.

تتخذ الإنسانية المتحولة وفقا لمنظور **فيري** اتجاهين أساسيين، الأول: ترجع جذوره الفكرية إلى **بيك دولاميراندول** و **كوندورسييه** من خلال معالجتهم لموضوع الكمال الإنساني، ومنه يدافع أنصاره عن نوع من تعزيز الإنسانية وتطويرها دون إلغائها أو تقويضها تماما، وهذا يكون بتحقيق شرطين أساسيين: الانتقال من العلاج إلى التحسين لتعزيز القدرات وبلوغ الكمال والذي يتمظهر في تحسين النسل والتعديل الجيني، والأطفال حسب الطلب، وقهر الموت والشيخوخة، والنظر إليها كمرض يمكن تخطيه والقضاء عليه بهدف إطالة العمر وبلوغ الخلود، أما الثاني: فنلمسه في الحركة التي يدعو أنصارها مثل عالم الحاسوب الأمريكي **راي كيرزويل** **Raymond Kurzweil** (1948-) إلى دمج الإنسان مع الآلة، لإنتاج نوع إنساني جديد يمثل

<sup>1</sup>السايبورغ **cyborg**: مصطلح مركب من جمع الأحرف الثلاثة الأولى **cyb** لكلمة **cybernetique** والأحرف الثلاثة **org** لكلمة **organisme** وهو ما يشار به إلى الكائن الحي السيبراني أي الآلي، وهو الإنسان المركب أو المزيج بين المكونات البيولوجية والتقنية (ينظر: **G. Hittois et J. Missae lerable, l'humain et ses préfixes encyclopédie du (trans/post)humanisme, pp371, 373.**

<sup>2</sup>فرانسوا جاكوب، الإنسان في مهبط التقنية، ص 4.



القطيعة مع الإنسان بالمفهوم الحالي، ويتجاوزه وصولاً إلى ما يعرف بـ "ما بعد الإنسانية" <sup>1</sup> Post humanism. ويستعين في ذلك بالذكاء الاصطناعي ليصل إلى مرحلة تحميل وعيه في كمبيوترات أو رقاقات وشرائح إلكترونية. هذه المرحلة أطلق عليها اسم "التفرد التكنولوجي" الذي يغير طبيعة الإنسان وما يصاحب ذلك من تغييرات أنطولوجية وقيمية وسوسولوجية في حياتنا الخصوصية والمهنية والعلائقية، ومن ثم هويتنا الإنسانية نفسها، وعليه يسعى هذا الاتجاه نحو صناعة الإنسان بدل إنجابه، بحيث يصبح الإنسان صانعاً لنفسه أو كما أطلق عليه فيري الإنسان المؤله.

## 2- الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها:

تتداخل الإنسانية المتحولة مع شبكة من المفاهيم التي لا تتعد عنها كثيراً في المعنى، واتجه أغلب الدارسين لهذا المجال أمثال فرانثيسكا فيرناندو Francesca Fernando إلى أن مصطلح "ما بعد الإنسان" "Post-human" يعتبر مفهوماً جديداً لا يزال في طور التشكل والتبلور بعد، كما وصف بأنه مظلي يضع تحته عدة تيارات واتجاهات فكرية تتفرع عنه، ونجد من أبرزها وأكثرها أثارة للنقاش والجدل، مفردتي: الإنسانية المتحولة Transhumanism وما بعد الإنسانية Posthumanism.

### أ- بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية: المفهوم والعلاقة:

تتشكل مفردة ما بعد الإنسانية Posthumanism بالبائدة Post أي "بعد" في اللغة العربية، والتي تحيل إلى معنى النهاية والتغير الجذري والجوهري، و human وتعني "إنسان"، و ism للدلالة على الاتجاه أو الحركة أو النزعة، وهي تشير إلى المرحلة اللاحقة التي ستخط الإنسانية الرحال إليها قريباً، بفعل التطور التكنولوجي. يمثل "الما بعد" لحظة تتم فيها القطيعة مع كل المسلمات والمبادئ التي وثق العقل بما حد تحجر الفكر، وكل النظم الثقافية والاجتماعية التي تم تقديسها إلى حد حرمة تغييرها، وبالتالي فهو يمثل زمن الانفتاح والتغيير والتعديل والتحسين خاصة بالاستفادة مما وصلت إليه التكنولوجيا الفائقة <sup>2</sup>.

وتعرف ما بعد الإنسانية بأنها حركة فكرية فلسفية عالمية تدعو إلى تجاوز مركزية الإنسان أو حالته العادية، أي تجاوز مركزيته بالالتفات إلى الكائنات الأخرى الموجودة معه في هذا الكون، أو تجاوز حالته العادية إلى الإنسان الخارق من خلال تعزيز قدراته في ذاته أو بأدوات مساعدة.

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 27, 28.

<sup>2</sup> سعيد عبيدي، عصر ما بعد الإنسان أو زمن انتصار التكنولوجيا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017، ص 83.

ترجع جذور هذا المصطلح إلى النظرية الأدبية النقدية للأديب والناقد الأمريكي ذو الأصول الأمريكية إيهاب حسن (1925-2015) في مؤلفه: "برومثيوس: نحو ثقافة ما بعد إنسانية"، "Prometheu as Performer: towards as Posthumanist Culture ?" الصادر سنة 1977، متحدثاً فيه عن الحاجة الملحة لاستيعاب ما سيطراً على طبيعتنا البشرية من تغييرات جذرية بفضل التطور التقني، مما يستدعي حسب إعادة تصوراتنا عن الذات والهوية الإنسانية<sup>1</sup>. ثم توالى الكتابات بعد ذلك حول هذا الموضوع، وأخذت الآراء تتراوح بين مؤيد محتفي ورافض ناقد.

تعتقد أستاذة الفلسفة والدراسات ما بعد الإنسانية بجامعة نيويورك فرنشيسكا فيراندو في كتابها (فلسفة ما بعد الإنسانية)، أن "ما بعد الإنسان" أصبح مفهوماً مفتاحياً في الأوساط الأكاديمية، حيث أضحت الإنسانية بحاجة لإعادة صياغة المفهوم ليتماشى مع عصر تتسارع فيه التطورات البيوتكنولوجية، وفي ضوء الضرورات السياسية والبيئية لعصرنا، وعليه فمصطلح "ما بعد الإنسانية" يوفر بديلاً بحثياً تطور استجابةً لأزمة الإنسان في مواجهة التكنولوجيا بعصر ما بعد الحداثة في ظل تفسخ أيديولوجي وتقويض للنزعة الإنسانية لصالح النزعة المادية وتفشي الرأسمالية<sup>2</sup>. إذن فما بعد الإنسانية تعمل على تقويض النزعة الإنسانية القائمة على مركزية الذات، ومن هنا اكتسبت تسميتها، فهي توحى بتجاوز الطرح الإنساني، بالاعتماد على ما غفل عنه ألا وهو التقنية والاهتمام بالجسد والكيان البيولوجي للإنسان وبالكائنات الأخرى كذلك.

هناك ارتباك كبير حول الأطر المفاهيمية لما بعد الإنسانية حسب الفيلسوف البلجيكي جيلبرت هوتوا، إذ هناك من يستخدم "البوست" و"الترانس" استخدام التبادل، لكنهما يختلفان عن بعضهما تماماً، مرجحاً سبب ذلك إلى تراجع الحس النقدي لدى المهتمين بهذا المجال مما يجعلهم يتعاملون معهما كمترادفات، في حين أن هناك تفصلاً زمنياً وأنطولوجياً بينهما، من منطلق أن الإنسانية المتحولة تمثل الحالة الراهنة للبشرية التي أضحت تعتمد غالباً على التكنولوجيا، وما بعد الإنسانية كمرحلة لاحقة تعبر عما سيؤول إليه الوضع البشري في المستقبل<sup>3</sup>.

لقد نوه فيري على صعوبة التفريق بين دلالة هذين المفردتين، فالإنسانية المتحولة تعبر عن التجاوز والانتقال والتخطي والإعلاء والعبور، بينما تعبر ما بعد الإنسانية عن القطيعة والتغير الجذري الذي يطرأ على

<sup>1</sup> أخيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، ص 620.

<sup>2</sup> محمد جديدي وآخرون، البيوتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 147.

<sup>3</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 232.

ماهية وخصائص الإنسان بحيث يخرج عن المفهوم الحالي للإنسانية، وبهذا نكون أمام شكلين من الإنسانية: الأولى هي الإنسانية المتحولة بيولوجيا، أي أن الإنسان كقاعدة موجود والتعديل يقع في جيناته أي جانبه البيولوجي، والتي تعتبر امتدادا لتقاليد الكمال البشري التي دعا إليها كوندورسييه، الثانية هي ما بعد الإنسانية التي نجد جذورها في فكر الأنوار وبالتحديد مع جون جاك روسو حول الكمال اللائق للإنسان<sup>1</sup>، إذن الإنسانية المتحولة تقدم نفسها كمقدمة ومرحلة انتقالية تربط بين الإنسانية العادية وما بعد الإنسانية.

بناء على ذلك يشير مصطلح الإنسانية المتحولة إلى التعديلات البيولوجية والعقلية التي تطرأ على قدرات الإنسان بفضل التطور البيو تكنولوجي الذي نحن على مشارفه في الوقت الراهن، بينما تستشرف ما بعد الإنسانية مستقبل الكائن البشري في ظل هذا التعزيز والتعديل، الذي يصل حد التغيير الجذري في الطبيعة البشرية أي الوصول إلى نوع جديد أكثر تطورا للإنسان، أي إنسان مصطنع، ولهذا فهي ترتبط أكثر بثورة المعلوماتية والذكاء الاصطناعي<sup>2</sup>.

ويمكن إجمال التقارب بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية في النقاط التالية:

— في الحوار الأكاديمي المعاصر، أصبح مصطلح " ما بعد الإنسان " مفردة رئيسية لمواجهة الحاجة الملحة لإعادة تعريف شامل لمفهوم الإنسان، في ضوء التطورات الوجودية والمعرفية والعلمية والتقنية الحيوية في القرنين العشرين والحادي والعشرين. ليشمل المشهد الفلسفي الذي برز منذ ذلك الحين العديد من الحركات والمدارس الفكرية، غالبا ما يتم استحضار مصطلح " ما بعد الإنسانية " كطريقة عامة وشاملة، للإشارة إلى أي من هذه وجهات النظر المختلفة، مما يخلق لبسا منهجيا ونظريا بين الخبراء وغيرهم على حد سواء، ومنه أصبح " ما بعد الإنسان " مصطلحا شاملا ليشمل: ما بعد الإنسانية بكل تفرعاتها، والإنسانية المتحولة بكل أشكالها، والمادية الجديدة، والبيولوجيا التقدمية، والإكسترويا، والنزعات المناهضة للإنسانية وفوق الإنسانية. ثم إن أكثر مجالات الدلالة التي تثير الحيرة واللبس هي تلك التي تشترك فيها ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة، وهناك أسباب مختلفة لهذا الالتباس، حيث ظهرت كلتا الحركتين على وجه التحديد في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، مع اهتمامات بموضوعات متشابهة، إذ تتقطعان في تصور مشترك للإنسان كحالة غير ثابتة وقابلة للتغير، لكنهما لا تلتقيا في نفس الجذور ووجهات النظر. على أن كلاهما يرتبط بسياقات ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية والدراسات العلمية والتكنولوجية وما بعد الكولونيالية.

<sup>1</sup> Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 27.

<sup>2</sup> Gilbert Hottois : Le transhumanisme est-il un humanisme ? p 21.

— إن التطوير أو التحسين أو التحول من جهة، والقطيعة من جهة أخرى كلاهما استجابة لتطور التقنية ولتطلباتها التي بدأت تفرض نفسها كضرورة بحيث لم يعد العقل البشري ولا الجسد البشري قادرين على مواكبتها<sup>1</sup>.

— كلاهما يساعدنا في إعادة تعريف الأنطولوجيا بنظرة أوسع وأكثر مرونة من خلال التغييرات التي نواجهها في الحياة الحقيقية، كما يتفقان في نقدهما لتعريفات الطبيعة البشرية التقليدية كما تصورها النزعة الإنسانية، وكذا البيولوجيون المحافظون، إذ يقران أن تحسين الذات خاصية أساسية للطبيعة البشرية.

— الفكرة الجوهرية لدى كلاهما تتمثل في محاولة التفكير بعيدا عن التمرکز الإنساني، وأنه لا بد من تفكيك هذه الثنائية أو مفهوم الإنسانية الكلاسيكية (الإنسان مركز الكون/ مركزية الإنسان Anthropocentrism) وتفوقه على جميع الكائنات الموجودة لخدمته والخاضعة لسيطرته، باختصار أن كلاهما يتبنى فكرة التجاوز.

— يعتبر تحرير البشر هو الهدف الرئيسي لكل من الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث تسعى الأولى إلى تحرير البشر من قيودهم البيولوجية، كجزء من هذه المساعي، قد يعيد أنصار التحول البشري استخدام بعض المفاهيم الإنسانية بشكل جزئي. أما ما بعد الإنسانية، في المقابل، يمكن تعريفها بأنها نهج نقدي يأمل في تحرير البشر من الآثار الضارة للنموذج الإنساني المعمول به من خلال فضح افتراضاته الخاطئة، في حين يختفي كلا التقليدين ب "نهاية الكائنات البشرية" ويعيدان النظر في معنى أن تكون إنسانا، يحدث ذلك على أساس نظري مختلف، فبينما يمكن اعتبار الإنسانية المتحولة تعزيزا وإعلاء للإنسانية تكنولوجيا، يمكن وصف ما بعد الإنسانية على أنها نقدا للإنسانية. ومع ذلك، تتفق كلا النزعتين في اعتبارها الإنسان الإنساني القديم سواء من الناحية الفيزيولوجية أو المفاهيمية شيء لا بد من تجاوزه.

أما عن نقاط الاختلاف بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية فيمكن حصرها فيما يلي:

— إن التركيز على مفاهيم مثل العقلانية والتقدم والتفائل يتماشى مع حقيقة أن الإنسانية المتجاوزة من الناحية الفلسفية تتجذر في عصر التنوير، وبالتالي فهي لا تستولي على النزعة الإنسانية العقلانية. ومن خلال دفع النزعة الإنسانية إلى أبعد من ذلك أي الارتقاء بها، يمكن تعريف الإنسانية المتحولة بأنها إنسانية فائقة. ففي العالم الغربي تم وضع الإنسان تاريخيا في سلم هرمي بالنسبة إلى عالم اللاإنسانية، لم يفلح هذا البناء الرمزي القائم على استثنائية الإنسان الذي تم تصويره جيدا في سلسلة الوجود العظيمة، في الحفاظ على

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 19.

سيادة البشر على الحيوانات غير البشرية فحسب، ولكنه أيضا شكّل نطاق الإنسان نفسه، مع افتراضات متحيزة جنسيا وعنصرية وطبقية، بعبارة أخرى، لم يكن كل إنسان يعتبر كذلك: النساء السود والشواذ والأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم، يمثلون هامش ما يمكن اعتباره إنسانا، أي أنهم ذوات مقصية من دائرة الإنسانية. على سبيل المثال، في حالة العبودية كان يتم التعامل مع العبيد على أنهم ملكية شخصية للمالكهم، يتم شراؤهم وبيعهم. وعليه تعكس ما بعد الإنسانية تصورا رافضا للسرديات الكبرى والميتا سرديات ومفاهيم التعالي والقداسة ومقاطعا للثنائيات الحديثة: عقل-جسد، إنسان-طبيعة، إنسان-حيوان، إنسان-آلة، ومنه إزاحة الإنسان بالمعنى الكلاسيكي عن المركز، وهي بهذا تبشر بالولوح إلى عصر جديد أو مرحلة جديدة تقوم على أنقاض مسلمات الإنسانية، وعليه يقدم فلاسفة ما بعد الإنسانية تفكيكا جذريا للإنسان بمفهومه الأنواري الكلاسيكي، باعتباره كائن ذكوري أبيض غربي عقلاني، وحاولت النظر إلى أشكال بديلة لتجسيده، يشمل ذلك توسع الإنسان في العالم الرقمي والاندماج مع التكنولوجيا، وعلى الرغم من أن الإنسانية المتحولة تهتم أيضا بهذه الأشكال البديلة للتجسد فإن **فرانشيسكا فيراندو** تعتبرها تفتقر إلى تفكير نقدي في التشكيلات التاريخية للجسد البشري، إذ يرونها مجرد مظهر خارجي يتشكل وفقا لرغبة الفرد، بينما ما بعد الإنسانية تقدم فهم للجسم كموجود في العالم ناتج عن تفاعلات اجتماعية وسياسية. فحسب الفيلسوف الفرنسي **جان ميشال بيسنييه** Jean-Michel Besnier (1950-) فإن ما بعد الإنسانية تمثل نموذج مثالي بديل عن النزعة الإنسانية التي أثبتت الواقع تهافتها، لهذا فهي فرصة لتغيير نوعنا الإنساني والارتقاء به نحو الأفضل، بينما يعتبر أغلب ممثلي الإنسانية المتحولة أنفسهم ويصفون نزعتهم بأنها امتداد لإنسية الأنوار خاصة الإيمان بالتقدم والكمال. لهذا تم وصفها بأنها إنسانية الأنوار مضاف إليها التقدم التكنولوجي.

\_\_ يمكن التأكيد بناء على ما سبق على أن ما بعد الإنسانيين يرفضون الإيمان الإنساني بأن " الإنسان مقياس كل شيء"، ووفقا لذلك، فقد فقدت الإنسانية مصداقيتها. ومع ذلك، فإن ما بعد الإنسانية ليست مجرد مشروع نقدي، بل تنطوي أيضا على نتائج إيجابية، ففي معظم الحالات، يتم التأكيد على البعد المعياري

لما بعد الإنسانية بطريقة نقدية وليس بطريقة تأكيدية صريحة، وهو ما يمثل اختلافا مركزيا آخر عن نهج الإنسانية المتحولة الذي يرتبط عادة بمنظور معياري فوري وصريح<sup>1</sup>.

— على الرغم من أن ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة يلتقيان في الاهتمام المشترك بالتكنولوجيا، فإن الطرق التي يفكران بها في هذا المفهوم مختلفة هيكليا، إذ يعتبر البعد التاريخي والوجودي للتكنولوجيا قضية محورية عندما يتعلق الأمر بفهم مناسب لجدول أعمال ما بعد الإنسانية، ومع ذلك لا تجعل من التكنولوجيا موضوعها الجوهرى، مما سيقبل من محاولتها النظرية إلى شكل من أشكال الاختزالية التكنولوجية، فالتكنولوجيا ليست الآخر الذي يجب الخوف منه والتمرد عليه، ولا تحمل الخصائص الإلهية تقريبا التي يعزوها إليها بعض مناصري الإنسانية المتحولة، ومنه فإن ما تشركه هذه الحركة وحركة ما بعد الإنسانية هو مفهوم التكون التكنولوجي، على اعتبار أن التكنولوجيا هي سمة من سمات الجهاز البشري أكثر من كونها أداة وظيفية للحصول على الطاقة أو التطور أو حتى الخلود، فإنها تصل إلى نقاش ما بعد الإنسانية من خلال وساطة النسوية، وبالتحديد من خلال المرأة الآلية لدونا هاراواي (Donna Haraway) (1944-) وتفكيكها للثنائيات والحدود الصارمة، مثل تلك الموجودة بين الكائنات البشرية وغير البشرية، والكائنات الحية والآلات، والمجال المادي وغير المادي، وفي النهاية، الحدود بين التكنولوجيات والذات.

— يمكن وصف الإنسانية المتحولة بأنها خطاب متفائل بالتكنولوجيا، إذ يتم طرح الأفكار والمفاهيم والتأملات المرتبطة بالإنسانية المتحولة، من قبل فلاسفة التقاليد الليبرالية البيولوجية وخبراء الأخلاقيات الحيوية والمهندسين وعلماء الكمبيوتر والمستقبليين، كما أن خبراء التحول الإنساني قد نظموا مؤسسات تمنح هذه الحركة نفوذا سياسيا معينا. وعلى النقيض من ذلك، يصعب تحديد حركة ما بعد إنسانية متماسكة، إذ نرى بدلا من ذلك خلافا بشأن تاريخ ومفاهيم وأهداف ما بعد الإنسانية، وإذا كان من الممكن تحديد جذور تاريخية للإنسانية المتحولة، فإنه من الأصعب بكثير تقديم تاريخ متماسك لهذه المجموعة من الأفكار التي ترتبط بما بعد الإنسانية إلى الحد الذي وصف تاريخها بأن له بداية ونهاية غير واضحتين في الفكر الفلسفي، فالبعض اعتبارها كرد فعل على إعادة تقييم نيتشه للقيم، والبعض الآخر ربطها برفض ماركس لجوهر إنساني طبيعي خارج العلاقات الاجتماعية، وهناك من رهنها بالاكشاف الفرويدي للقوى اللاواعية في الإنسان، ومن وجدها في ثلاثة انتقادات حديثة للإنسانية: ما بعد بنوية فوكو، وحركة النسوية، والتقدم التكنولوجي.

<sup>1</sup> روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة، عدد 488، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط 1، 2021، ص 51.

— إن العلاقة بين كلاً الحركتين معقدة وتستحق اهتماماً أكبر بكثير، غالباً ما يتم رسم خط حاد فاصل بين الإنسانية المتحولة وما بعد إنسانية، إذ يحرص كلاهما على فصل أنفسهما عن بعضهما البعض بشكل خاص، على سبيل المثال، يقترح قسم الأسئلة الشائعة حول الإنسانية المتحولة أن ما بعد إنسانية تساهم في إفساد المعنى الأصلي بمصطلح الإنسانية البعدية، وفي المقابل أكد فلاسفة ما بعد الإنسانية مثل هايليز كاثرين Kathrin Haylis (1943-) رفضهم للإنسانية المتحولة. وتتمنى دوناهارواي أن تنأى بنفسها عن " التعزيز التكنولوجي السعيد للتحويل البشري"<sup>1</sup>.

— يمكن ملاحظة شك واسع النطاق اتجاه الدين وفقاً لمنظور فلاسفة ما بعد الإنسانية، والذي يرجع إلى معارضته للمعتقدات الدينية أيضاً، حيث تشير تيروش صامويلسون Tirosh Samuelson إلى الجذور الدينية للإنسانية المتحولة، خاصة في تفكير جوليان هكسلي وتيلار دي شاردن، وتقر فعلياً بعدم وجود تعارض بين الإنسانية المتحولة والأديان التقليدية، حتى أن بعض الحركات الدينية تؤيد أفكار التحول والتحسين البشري. علاوة على ذلك، تجادل بأن الإنسانية المتحولة تتقارب مع عناصر التفكير الديني، على سبيل المثال المفاهيم الآخروية، مثل: التفرد والخلود...، فليس من الغريب أن تكون الشخصية الأسطورية "برومتيوس" نموذجاً متكرراً في خطابات الإنسانية المتحولة وما بعد البشرية. فقد ساعد هذا الإله الجبار في خلق البشرية بإحضار النار لهم، وعاقبه "زيوس" لاحقاً بعقوبة شديدة، وفي مقالتها " برومتيوس" تحلل فرانسس تريسنجي Trijsje Franssen كيف يظهر غموض هذه الأسطورة في التلقي المعاصر، وتؤكد أن "برومتيوس" بالنسبة للإنسانية المتحولة هو رمز للتقدم ويعبر عن الإرادة في التطور والتغلب على القيود حيث لا يجسد فقط صفة التحسن، بل يعبر أيضاً عن جذور الإنسانية الانتقالية<sup>2</sup>، وفي الوقت نفسه، يفترض أن هذا الاحتفال بالدافع البروميثي للسيطرة هو هدف لحركات نقد التحولية، إذ تستقبل حركة ما بعد الإنسانية جانباً مختلفاً من "برومتيوس"، حيث لا يسلطون الضوء فقط على الغطرسة المرتبطة به، بل يستخدمون الأسطورة أيضاً لرفض الإنسانية وتحطيم اعتقادها بمفهوم مركزية الإنسان والثنائيات البشرية.

— يتناول مايكل هاوس كلير في مقالته المشهورة بعنوان "اليوتوبيا" الأبعاد اليوتوبية في كل الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، إذ يقر بأن الإنسانية المتحولة على وجه الخصوص تتمتع بنظرة يوتوبية مميزة وتعتبر عن حماس واسع النطاق لمستقبل معزز تكنولوجياً أين سيجد أحفادنا في النهاية نعيماً لا نهاية له أو حتى

<sup>1</sup> روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ص 140.

<sup>2</sup> Robert Ranish, Stefan Sorgner, *Introducing post\_transhumanism*, Peterlang edition, p18, 19.



الخلاص<sup>1</sup>، وهنا نلمس جذور الإنسانية المتحولة في إنسانية عصر النهضة، وقبل كل شيء في فكرة بيك دي لا ميراندول القائلة بأن البشر لديهم طبيعة ثابتة، ولكن لديهم القدرة الفريدة على تشكيل أنفسهم وتحقيق إمكانات تشبه القدرة الإلهية.

— يحلل جيمس هيويز في مقالته " السياسة " الأبعاد الاجتماعية والسياسية للمناقشات حول الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث يظهر التزام فلاسفة الإنسانية الانتقالية بالحرية الفردية في ظل تفاؤلهم بالتكنولوجيا والشخصية غير المركزية، ما يبرر تعددية وجهات النظر السياسية داخل حركة الإنسانية المتحولة بين الإنسانية المتحولة الديمقراطية، والإنسانية المتحولة الليبرالية، والإنسانية المتحولة اليسارية<sup>2</sup>، في المقابل نجد عزوفا سياسيا لدى فلاسفة ما بعد الإنسانية الذين اتفقوا في رفضهم لموقف خبراء التحول الإنساني بشأن مسألة المكانة الأخلاقية والمواطنة باعتبارها إعادة إنتاج التحيزات الإنسانية اتجاه التفوق البشري.

يعتبر الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك أول من أضفى الطابع الفلسفي لحركة ما بعد الإنسانية Posthumanism سنة 1999م، هذا المصطلح الذي نعبر به حسبنا عن القطيعة التامة فيما بين المرحلة الإنسانية التي نحن فيها وتلك القادمة التي سيقوم فيها كائن آخر مختلف جذريا وجوهريا بملكاته الجسدية والذهنية، بينما يشكل ما يمكن تسميته بالإنسانية المتجاوزة/ العابرة/ المتحولة، وبهذه الدلالة يشكل العبور المقدمة للوصول إلى القطيعة التي يعبر عنها تماما مصطلح التفرد Singularity، والذي يرجع في أصله إلى العالم الأمريكي من أصل مجري جون فون نيومان John Von Neuman (1903-1957)<sup>3</sup>، غير أن الأمريكي راي كيرزويل استخدمه على النحو موسع واعتمده عنوان لأحد كتبه في عام 2005 (التفرد القريب) The singularity is near.

يؤكد كيرزويل أن عام 2009 يشكل اللحظة التي سيتم فيها تعزيز الكائن البشري برقاقات تكنولوجية تزيد من قدراته ومقاومته للعجز والنقص، بينما سيكون عام 2045م، بداية الزمن الذي لا يمكن فيه لأي إنسان الاستمرار دون الدعم التقني، وهنا نلجفي مرحلة التغير الجذري للإنسان واصطلح عليه عصر التفرد التكنولوجي، يعتبر هذا المخطط الزمني الذي اقترحه كيرزويل عاملا مساعدا في إزالة الخلط

<sup>1</sup> Ibid, pp 19,20.

<sup>2</sup> James Hughes, **The politics of the members of transhumanism**, <http://www.changesurfer.com/acad/transhumpolitics.htm>

<sup>3</sup> Fernando H. Llando, **Transhumanism , vulnerability and human dignity**, Deusto journal of human rights, N4, 2019, 44.



والغموض الحاصل ما بين المصطلحين السابقين<sup>1</sup>، حيث يمكن أن يدل Transhumanism إلى مرحلة العبور ما بين 2029 و 2045 التي تأخذ هنا معنى " الانتقال المتدرج " باتجاه الوصول إلى القطيعة التامة ابتداء من 2045 التي يشير إليها مصطلح Posthumanism

يمكن القول عموماً أن مصطلح الإنسانية المتحولة/ المتجاوزة /الفائقة متداول أكثر من طرف العلماء والباحثين الذين يسعون لتحسين الجسدي البيولوجي للإعلاء منه تجاوزاً لكل قصور أو عيب، بينما في الأوساط الفلسفية والأدبية يفضلون بشكل عام مصطلح " ما بعد الإنسانية " التي تعبر عن تصور جديد لماهية وكيونة النوع الإنساني وما يصاحبها من حقوق وواجبات، علاقات اجتماعية... إلخ<sup>2</sup>. لقد تم استحداث تسمية تجمع بين هذين المصطلحين، وهي الإنسانية الزائدة+Humanity، ويرمز لها بـ H+، وهذا لأمرين، أولهما إزالة الخلط الذي طأهما، وثانيهما إشارة للإعلاء والاستزادة في الإنسانية الحالية كهدف جوهري لهما<sup>3</sup>.

من جهتنا، سنستخدم مصطلح الإنسانية المتحولة -تقيداً بالترجمة الحرفية للمصطلح- للإشارة إلى تلك الحركة التقنو-فلسفية والتي تستهدف تجاوز الحدود البيولوجية التي تعيق الإنسان، بتجاوز قدراته الجسدية والذهنية، بواسطة التقنيات الفائقة، والبحث عن المبررات الفلسفية التي تدعم هذا الإعلاء والاستزادة وتشريعه عقلياً وأخلاقياً والتأهيل المسبوق لقبوله عبر مختلف الوسائل الفنية والثقافية والتربوية.

### ب- الإنسانية المتحولة والحركات المناهضة للإنسانية:

يوجد تنوع كبير داخل المشهد لما بعد الإنساني -كما ذكرنا سابقاً- حيث يقود كل اتجاه إلى مجال متخصص للمناقشة، وإذا كان المنطق العقلاني والتقدم والإرادة الحرة في العصر الحديث هي اللب في خطاب الإنسانية المتحولة، فإن النقد الجذري لهذه الافتراضات نفسها هو جوهر معاداة الإنسانية، وهو موقف فلسفي يشترك مع ما بعد الإنسانية في جذوره في ما بعد الحداثة، لكنه يختلف عنها في جوانب أخرى، فتجاوز الإنسان في نظر فلاسفة الإنسانية المتحولة يعني التغلب على القيود البيولوجية وإعلائها لبلوغ

<sup>1</sup> S.S. Merzlyakov, Posthumanism vs transhumanism : from the end of exceptionalism to technological humanism, herald of the russian academy of sciences, vol 92, suppl 6, 2022 , pp 475, 481.

<sup>2</sup> Béatrice Jousset-Courturier, Le transhumanisme, p 7.

<sup>3</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 235.

الكمال وحتى الخلود، بينما تتجاوز عند النزعات المناهضة للإنسانية يعني تقويض مركزية الإنسان ونسفها في مقابل الاهتمام بالبيئة والحيوان والآلة... وغيرها.

يحتل هدم مفهوم الإنسان مكانة مركزية لدى النزعات المناهضة للإنسانية التي تدعو إلى تجاوز مركزية الإنسان في هذا الكون لصالح الكائنات الحية الأخرى، فهي ليس مركز الكون بل جزء من نظام حيوي كلي، وهو إحدى النقاط الرئيسية في اشتراكهما مع ما بعد الإنسانية. ومع ذلك، فإن الفرق الرئيسي بين الحركتين متضمن بالفعل في تركيبتهما، تحديدا في دلالتهم لـ "ما بعد" و "ضد أو معاداة". تدرك معاداة الإنسانية تماما تداعيات "موت الإنسان"، كما أكد بالفعل بعض منظري ما بعد البنيوية، ولا سيما ميشيل فوكو. على النقيض، لا تعتمد ما بعد الإنسانية على أي موت رمزي، سيستند هذا الافتراض إلى ثنائية ميت/حي، في حين تم بالفعل تحدي أي شكل صارم من الثنائية من قبل ما بعد الإنسانية، في منظورها العملي الوجودي ما بعد الثنائي. بعد كل شيء، تدرك ما بعد الإنسانية أنه لا يمكن بسهولة رفض أو محو الافتراضات الإنسانية الهرمية، وفي هذا الصدد، فإنها تتناغم أكثر مع نهج دريدا التفكيكي بدلا من موت الإنسان عند فوكو، والاختلاف المتوقع حول الذات الديكارتي العاقل هذه الذات التي قوامها الهوية المتجانسة المتميزة بخصائص معطاة ثابتة كونية متأصلة، فهناك عدة تيارات طعنت في هذه الذات وفي مركزيتها أمام باقي الموجودات ومن بينها ما بعد الإنسانية، بينما ما بعد بنيوية فوكو شككت في وجود هذه الذات أصلا، وهذا ما استندت إليه النزعات المناهضة للإنسانية.

يمكن الجزم على العموم بأن فما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة تعتبران جزء من حركة أشمل وأعم هي النزعات المعادية للإنسانية التي تشمل: ما بعد الإنسانية، ما بعد البنيوية، التفكيكية، النسوية، البيئة العميقة... الخ.

### ج- ما بعد الإنسانية والإكستروپيا:

تم تأسيس معهد الإكستروپيا<sup>1</sup> من قبل ماكس مور وزوجته ناتاشا فيتا مور كأحد فروع حركة الإنسانية المتحولة، إذ يمثل الاتجاه المتطرف فيها، يهدف إلى عكس قانون (الإنتروبيا)<sup>2</sup> الذي يعني أفول وتلاشي كل ما هو موجود، هذا القلب يفتح الباب للخلود والتطور اللامحدود<sup>3</sup>.

فالإكستروپيا أو حركة التفاؤلية العلمية، تقدم منظورا عاما مختلفا للوضع البشري مبني على أسس عقلانية واقعية، بعيدة عن أي دوغمائية أو تعصب مذهبي، وعليه ففلسفتها مفتوحة حول مبادئ الإنسانية: العلم والعقل والسعي اللامحدود لتطوير وتحسين حياة الإنسان، لهذا فالمؤمنون بهذا التوجه يقرون بأنه من الضروري بل من الأخلاقي الاستغلال الأمثل ولأقصى حد لتوظيف التكنولوجيا لهذا الغرض، وعليه فهذا التيار ينادي بضرورة تدخل تقنيات العلم والتكنولوجيا لتسريع وتيرة التطور البيولوجي، والقضاء على كل معيقاته ومحدودياته مثل: الشيخوخة والمرض والعجز والموت، وفي المقابل الإغلاء من الإمكانيات العقلية والجسدية<sup>4</sup>.

لقد صاغ ماكس مور وأتباعه مجموعة من المبادئ الإكستروبية لفلسفتهم سنة 1988 ومشروعهم العلمي والإيديولوجي تعبر بدقة عن أهدافهم ويتعاملون معها، ليس كقيم مطلقة ومشاركة وإنما كخطوات براغماتية نفعية لهذا فهي قابلة للتغيير والتعديل مادامت تصب في صالح الإنسان.

**المبدأ الأول: " التقدم الدائم "** يرفض الإكستروبيون موقف البيولوجيون المحافظين للطبيعة البشرية التي تنص على أنها جملة خصائص ثابتة التي لا يصح العبث بها وتغييرها، وفي مقابل ذلك يعتقدون على غرار إنسانيي الأنوار بضرورة التقدم والتطور في جميع المجالات، لهذا فهم ينادون بضرورة التدخل لإحداث تغييرات مرغوبة ومستحسنة للكائن البشري من خلال تعزيز وتعديل طبيعته والارتقاء بها نحو الكمال المنشود

<sup>1</sup> Estropy وهي نقيض الأنتروبيا التي تعني في اليونانية التحول، فإذا كان نظام الأنتروبيا هو الدافع المساعد على الموت، فإن الإكستروپيا يسير في الاتجاه المعاكس، وهو تخليص الجسم من الحركة التي تقوده إلى الموت والزوال، وعليه فالإكستروپيا تعني درجة البقاء على قيد الحياة (ينظر : أولغا تشينغيفيكوفا، دكتاتورية المستنيرين، ص 220)

<sup>2</sup> Entropy يوفر مفهوم الإنتروبيا نظرة ثابتة عميقة اتجاه التغير التلقائي للعديد من الظواهر اليومية، وهي كلمة يونانية تعني التحول، وتشير إلى الحركة التي تؤدي إلى السكون والموت والانذار. (ينظر: <http://dictionary.cambridge>)

<sup>3</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 8.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص ص 117، 118.

منذ القدم ومنطلقهم في ذلك أن البشر مرحلة انتقالية تقع بين إرثنا الحيواني ومستقبلنا ما بعد الإنساني<sup>1</sup>. هذا التطور لا يمس جسده فحسب، بل سينعكس على الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي كذلك.

**المبدأ الثاني: " تحويل الذات":** يهتم خبراء الإكسترويا بتحسين الذات جسديا وفكريا ونفسيا وأخلاقيا، للوصول إلى أفضل من حالتنا الحالية دون التخلي عن قيمنا. هذا ما يقتضي إعادة النظر المستمرة في حياتنا، وهذه دعوة صريحة للتجديد، لهذا فهم مطلعون دائما على التطورات الجديدة في العلم والتكنولوجيا لاستغلالها في تحسين الذات<sup>2</sup>.

### المبدأ الثالث: " التفاؤل العلمي":

وفيه تتجلى الروح التفاؤلية التي تثق في نصره وتغلب العلم والتكنولوجيا على كل ما ينقص حياة الإنسان، لهذا فهي تتربص المستقبل بكل إيجابية وترفض أي انهزام أو استسلام أمام العوائق والظروف التي تواجهها. لهذا فهم يحافظون على وتيرة التقدم ويستثمرون فيه من خلال دعم البحوث والمؤسسات والمخابر المتعلقة بالعلوم المعاصرة مثل النانو تكنولوجيا والمعلوماتية والذكاء الاصطناعي والبيو تكنولوجيا... وغيرها التي يتطلعون إلى نجاحاتها بكل ثقة ودون أي شك<sup>3</sup>.

### المبدأ الرابع: " التكنولوجيا الذكية":

لا ينبغي الخوف من نتائج التكنولوجيا خاصة فيما يتعلق بالذكاء الاصطناعي، فهي وسيلة واعدة لتغيير وضعنا نحو الأفضل، لهذا فهم ينصبونها موضع الدين. إذ ينبغي دمجها مع جسد الكائن البشري للوصول إلى الكيان ما بعد الإنساني لتحرير الإنسان من كل القيود التي فرضتها عليه طبيعته البيولوجية والاجتماعية<sup>4</sup>.

### المبدأ الخامس: " المجتمع المفتوح":

<sup>1</sup>Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, p 31.

<sup>2</sup>فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص ص 122، 123.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص ص 124، 126.

<sup>4</sup>Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, p 32.

إن المبادئ السابقة لا يمكن تطبيقها إلا في ظل مجتمع حر ديمقراطي يؤمن بتبادلية الأفكار وينتهج العقلانية النقدية، فالجتمتع المنغلق الذي يجمع التفكير ويقيّد أي إبداع أو تطوير أو تحسين لهذا تم وصفه بأنه أشد خطورة من الاعتقاد بالأفكار الخاطئة<sup>1</sup>.

### المبدأ السادس: "التوجيه الذاتي":

لكل شخص الحق في حرية التصرف في جسده واختيار الطريقة التي يعيش بها، والمبادئ التي يؤمن بها بعيداً عن كل سلطة دينية أو أخلاقية متعالية تنصب نفسها كمرشد وموجه مع تحمل مسؤولية إرادتهم لهذا ينبغي أن يكون الاختيار قائم على الذكاء والفطنة<sup>2</sup>.

### المبدأ السابع: "التفكير العقلاني":

الذي يفرض التعامل مع الأفكار ليس كحقائق ثابتة التي تقود إلى الدوغمائية والإيمان الأعمى الذي يحيط من قيمة الإنسان، لهذا لابد من وضع أي فكرة داخل سلة النقد والتمحيص، فمن شروط التقدم إعادة النظر في معتقدات ومسلمات الماضي<sup>3</sup>.

### 3\_ مسلمات الإنسانية المتحولة:

يقوم مشروع الإنسانية المتحولة على جملة من المسلمات التي يمكن اجمالها في:

#### أ\_ حتمية التقدم والتطور:

لطالما وصفت فكرة التقدم Progress تاريخياً بدين الحداثة الغربية، بالرغم من أن جذورها تضرب في أعماق الفكر الإنساني القديم، إذ يمكن النظر إلى التقدم على أنه عملية سير وتغيير تراكمية تمثل المرحلة اللاحقة الأفضلية عن سابقتها، ووفقاً لهذا المنظور، فهو يتضمن ثلاث عناصر أساسية يهدف إلى التحسين، والحصول على ما هو أفضل، وعدم العودة إلى الماضي بل الاتجاه نحو المستقبل، أي استحالة توقيف التقدم، ومن هذا المنطلق يضع الإنسان نفسه موضع السيد المسيطر على الطبيعة.

لقد ساهم التطور Evaluation التقنوعلمي في تغذية وبلورة التفاؤل بالتقدم كمجال للتحسين اللانهائي هذه الذهنية التي تصاعدت خاصة في القرنين الأخيرين إلى حد الخلوصل إلى حتمية ولزومية التطور،

<sup>1</sup>فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 129، 130.

<sup>2</sup>Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme**, p 34.

<sup>3</sup>Ibid, p 35.

ومن هنا أضحي تصور التطور ينطوي على وثنية أن كل ما هو جديد هو الأفضل، فالجدة تمشي توازيا مع الأفضلية، وتم اتخاذ القاعدة "البشرية دائما تسير نحو الكمال" كعقيدة راسخة، تقتضي الوقوف عند كل ما يعيقها وأولها: عدم التطور أو ببطء التطور.

هناك سؤال بالغ الأهمية يفرض نفسه على عقولنا بالبحاح: هل التقدم قوة فاعلة مستقلة بذاتها، أم منفعة ينبغي على الإنسان أن يتدخل في تحريكها وتسريع وتيرتها وإزالة العقبات عنها؟ وهل يمكن للإنسان أن يسرع من التطور ويتدخل في تحديد مساره أم أنه يخاطر في تأخير إكماله؟

لقد تمت إعادة صياغة مفهوم التقدم وفق منظور التطورية الداروينية، إذا كان التطور نفسه مصاعا على ضوء التقدم. ومع نظرية داروين ارتبط بالمفهوم البيولوجي، فلطالما نظر الإنسان إلى نفسه على أنه كائن متطور وقابل للتحسين على الدوام، هذا التطور الذي اعتبر في الأنوار كمشروع سياسي، أما في وقتنا الحالي، فقد أخذت هذه الفكرة معنى بيولوجي بحت. بعد منطق أن الإنسان يتمتع بالمرونة الفيزيائية والبيولوجية على حد تعبير الفيلسوف الهولندي **مارك هونيادي** Mark Huniadi<sup>1</sup> (1960-)، أي يمكنه تحرير نفسه من كل حتمية بيولوجية واجتثاث نفسه من كل جوهر ثابت أو خصائص مطلقة نسبت له عبثا في وقت ما، وهكذا فقط يمكن أن تتأسس إنسانيته الحققة.

لقد أخذ براديجم التطور متخيلا مستحدثا يتمحور حول الحياة البيولوجية على حساب الأنظمة الاجتماعية والدينية والسياسية، هذا ما تبنته الدعوات المعاصرة للاحتفاء بنهاية الاستثناء الإنساني، وإعادة تعريفه على ضوء معيار أنثرو-تقني مناقض تماما للمعيار الأنثرو-ثقافي سابقا<sup>2</sup>. وقد نتج عن تنحية قابلية التطوير من الميدانين السياسي والاجتماعي، ولوج الإنسان نحو نزعة تطورية جديدة أكثر راديكالية من التطورية الداروينية إذ أصبح كل من الإنسان والآلة معنيان بالتطور، ما يفرض على الكائن البشري ألا يكتفي بتغيير بيئته بل أن يحسن ويعدل نفسه كذلك كحاجة ملحة وقد أكد على هذا الأمر عالم الرياضيات الأمريكي **نوربرت وينر** Norbert Wiener (1894-1964) في قوله: "لقد أحدثنا تغييرا شديدا على بيئتنا، وينبغي علينا أن نغير أنفسنا<sup>3</sup>".

<sup>1</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 281.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 298، 300.

<sup>3</sup> Norbert Wiener, *Cybernétique et société : l'usage humain des êtres humains*, coll, UGE, paris, 1954 10/18 p56.

لا يأخذ التطور حسب منظور الانسانية المتحولة التصور الذي عرف مع جون لامارك Jean Lamark (1744-1829) وداروين تماما، والذي يطرأ على جميع الأنواع من منطلق التغير المستمر في الكون، وإنما التطور بفعل التدخل التكنولوجي على الطبيعة البشرية تغييرا وتعديلا وتعزيزا<sup>1</sup>. أي أن فكرة حتمية التطور البيولوجي القائمة على فكرة قابلية الكائن البشري للتحسين والتي تبنتها النزعة الإنسانية كمشروع ماهوي لها. وقد أخذت اليوم منحى آخر باختزالها في الجانب التقنوعلمي، من خلال التركيز على تحسين الحياة في حد ذاتها بهدف تمديد الحياة الفردية.

وبناء على ذلك يستند خطاب الإنسانية المتحولة على رؤية داروينية مستحدثة، إذ تقر هذه النزعة أنه يجب على البشر أخذ التطور بأيديهم والقيام بمحاولات واسعة النطاق لدمج التكنولوجيا في حياتهم، وتهدف هذه المشاريع إلى زيادة جذرية في وظائف الجسم (العمر الصحي، العمر الافتراضي)، والقدرات المعرفية والعاطفية (الذكاء، الذاكرة) والصفات الجسدية (القوة، الجمال)، والسلوك (الأخلاق) على أساس تأكيد سمات محددة، هناك وعد بأن تعزز التكنولوجيات الصالح العام والسعادة الفردية. لتحقيق هذه الأهداف يثق أنصار الإنسانية المتحولة في التقدم العلمي، ولا يقتصر التحول البشري على تقنيات محددة، ولكنه يشمل جميع أنواع الوسائل لتحقيق رؤاهم، بما في ذلك الوسائل التي ذاع صيتها اليوم NBIC.

يكن المسعى الأساسي لحركة الإنسانية المتحولة في القضاء على المحددات الطبيعية للكائن البشري والعمل على تجاوزها سواء من خلال إدخال تعديلات على جسده وعقله، أو بإنشاء كائن مصطنع يمكن وصفه بأنه نسخة معدلة ومتطورة للإنسان العادي أو العاقل Homo-Sapiens، ولتحقيق هذا المسعى يعمل خبراء التحول الإنساني على منح بدائل متعددة من أشكال التطور يمكن إجمالها في:

**الإنسان الدوائي:** الذي يتم التحكم في وعيه وإدراكه من خلال تغيير حالته المزاجية والشعورية، وحتى معتقداته، وهذا بالاستعانة ببعض العقاقير والمواد الكيميائية الملائمة لذلك.

الإنسان المعدل وراثيا: ويتحقق ذلك من خلال التعديل الجيني، أي التحكم في تغيير جيناته وصفاته البيولوجية من قص وحذف، أو تركيب وإضافة أو إعلاء واستزادة، ويتمظهر هذا النوع من التطور البشري البيولوجي من خلال تقنيات التخصيب الاصطناعي، اطفال حسب الطلب، الاستنساخ... وما يضاهاها.

<sup>1</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 237.

الانسان البيوني Bionic: ويتجلى من خلال دمج عضوية الإنسان مع الآلة أو قطع اصطناعية ورقائق وأجهزة سواء بإيصالها بدماعه أو تركيبها مع أعضائه، مما ينتج الإنسان الآلة أو الروبوت أو السايبورغ<sup>1</sup> Cyborg.

تعتبر الإنسانية التحسينية عن إيمان تام بالتقدم مشابه للذي آمن به فلاسفة عصر النهضة. وهنا يتساءل فيري: إذا كانت الإنسانية في عصر النهضة قد استطاعت بالفعل الانفصال عن الطبيعة. فلماذا نتوقف عن هذا الحد الجيد؟ ولماذا لا نذهب حتى النهاية؟ ومعنى هذا حسب، أن مشروع السيطرة على المادة الوراثية الخاصة بالإنسان ينبغي أن يستمر حتى النهاية إذا أرادوا تجنب تدهورها بشكل لا رجوع فيه<sup>2</sup>. وفي هذا السياق نجد المولعون بالتكنولوجيا الجديدة Techno-Philia، بدأ من كبار المدراء والتنفيذيين للشركات المتعددة الجنسيات يعبرون عن تفاؤلهم بهذا التقدم.

يتساءل فيري عما يقدمه هذا التفاؤل بالتقدم من حلول لمشاكل الإنسانية؟ حقيقة يمكن أن يجد حلاً لجميع التحديات التي تعصف بالكوكب، فإذا كنا نستثمر بشكل أكبر في التكنولوجيات الجديدة فيمكن تجنب حوادث الطرق من خلال السيارات ذاتية القيادة مثل "جوجل كار"، والسرطان من خلال الطب التجديدي وكذلك السمّة وأرق النوم والأوبئة والكوارث الإنسانية وحوادث الطائرات والجرائم والارهاب والاحتباس الحراري والتلوث والجوع في العالم، ورعاية المسنين والأشخاص ذوي الإعاقة في المنزل والشيخوخة<sup>3</sup>. فنظرياً يمكن لهذه التكنولوجيات الجديدة حل كل شيء، لهذا يتفاءل بها أصحاب مشاريع الإنسانية المتحولة ويمولونها.

## ب\_ موت الموت أو السعي نحو الخلود:

منذ القدم كان النظر إلى الموت والمرض كأمر طبيعي متضمن في مقومات الهوية البشرية، وظل الخلود والأبدية مطمحاً وحلماً للإنسان، لكن ليس الخلود البيولوجي وإنما الروحي<sup>4</sup>. وقد اختزل أرسطو فكرة حتمية الموت في دالة منطقية استنتاجية تصل الإنسان بالفناء كنتيجة لها "كل إنسان فان".

يسير البحث عن الخلود، بواسطة العلم جنباً إلى جنب مع الرغبة في تجاوز الإطار التطوري للجنس البشري من أجل الوصول إلى وضع ما بعد الموت، على هذا النحو، ينطلق الطب التجديدي والطب النانوي

<sup>1</sup> أولغا تشيتفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص ص 228، 230.

<sup>2</sup> Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 50.

<sup>3</sup> Ibid, p51.

<sup>4</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 311.



وببيولوجيا الشيخوخة من تفكيك بيو طبي للشيخوخة والموت إذ تسعى هذه التخصصات إلى الإغلاء من الإمكانيات الجسدية للفرد كترميم لما أسماه فلاسفة هذا الاتجاه بترميم "أخطاء الطبيعة"<sup>1</sup>.

يلخص لنا هذه الأفكار نيك بوستروم في طابع رمزي المتمثل في حكاية "التنين الطاغية" الذي لا بد من تقديم تكريم يومي له بمقدار 10,000 شخص، بعضهم يتم ابتلاعهم فوراً، والبعض الآخر ينتظر نهاية مروعة، أحياناً لعدة أشهر في سجن مليء بالآلام والعذاب (رمزاً للمرض والشيخوخة التي تسبق الموت) مع الألم الذي يسببه لذوي الضحايا. وهنا ندرك أن هذا التنين هو الموت نفسه، حيث يصف لنا بوستروم كيف يتعامل البشر معه بمواقف مختلفة الاستسلام والانقياد أولاً ثم الحتمية، التعاون مع العدو، ثم الثورة التي تنتهي بنصر وهمي وهو الوعد الذي تقدمه الأديان بحياة أبدية ولقاءات مع الأحباء المفقودين بعد الموت أي الحياة الآخرة، لكن هذا خلافاً لما يؤمن به أنصار التحول الإنساني، فمن الواضح أنه إذا نجح العلم في هزيمة الموت حقاً يوماً ما على أرض الواقع وليس في الآخرة، فإن ذلك سيكون ضربة قوية للمذاهب الدينية، وهي تجسد بالضبط المرحلة الأخيرة التي تعلنها الحكاية، هذه اللحظة في تاريخ الإنسانية التي يمكن فيها لتقدم التكنولوجيا والعلوم أن تسمح يوماً ما للبشر المنكوبين بالقضاء على التنين المرعب<sup>2</sup>. على الرغم من غرابة الأمر يعتقد العديد من الباحثين اليوم أن المشكلة التي تشغل البشرية منذ القدم، وهي الموت، لم تعد تنتمي إلى الأساطير أو الديانات أو الفلسفة، ولكنها تنتمي إلى الطب والبيولوجيا، وتحديدًا إلى تلك الابتكارات الرائعة NBIC، إذ بفضل تلاقي هذه التكنولوجيات الجديدة التي لا تزال حقيقتها مجهولة تقريباً للجمهور، يمكن القضاء على الموت في المستقبل، من خلال السيطرة على عملية الشيخوخة، على أن الموت سيبقى ممكناً دائماً في حالة وقوع حادث أو انتحار أو هجوم<sup>3</sup>.

يرى فيري أن هذه العلوم المتقاربة بتقنياتها المتطورة سوف تمكننا من السيطرة على الشيخوخة ومنه الموت، وهذا من خلال التقنيات والخطوات التالية أولاً هناك علم الجينومات، فمع التقدم الكبير في تسلسل الحمض النووي والعلاجات الجينية، ستمكن من اكتشاف معظم الأمراض الوراثية و الوقاية من بعضها، وحتى إصلاح الجينات المعيبة في المستقبل من خلال الجراحة الجينية التي تتقدم بخطى سريعة منذ بضع سنوات، ثم ستأتي تكنولوجيا النانو لدعم الطب، من خلال صنع الأجهزة النانوية، التي تكون أصغر بآلاف المرات من قطر شعرة الشعر فعند وضعها في أجسامنا يمكنها تشخيص وإصلاح عيوبنا، الثورة الثالثة، ثورة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 319.

<sup>2</sup> Luc Ferry : La révolution transhumaniste, p47.

<sup>3</sup> Ibid, p 48.

البيانات الضخمة مع ظهور أجهزة الكمبيوتر القوية التي ستمكننا من مقارنه مليارات الخلايا مع بعضها، مما يفتح الطريق للطب المخصص لكل مرض وكل مريض، ثم الاتجاه الرابع للبحث هو الروبوتات التي بمساعدة التكنولوجيا ستعزز إمكانيات التداخل بين الإنسان والآلة، كما لم يحدث من قبل، كما أن البحث في مجال الخلايا الجذعية<sup>1</sup> سيفتح طريق الطب الترميمي، بينما ستؤدي التقدمات في الذكاء الاصطناعي بلا شك إلى ظهور إنسان محسن، وعليه فعلى عكس الافتراض السائد، فإن الموت ليس حتميا تماما، وفي هذه النقطة بالذات لابد من التأكيد على أن الموت مثل جميع العمليات البيولوجية التي تم إختيارها من قبل التطور، فإن الموت له فائدته ووظيفته، حيث يسمح تعاقب الأجيال بتشجيع الطفرات المفيدة بمنطق دارويني<sup>2</sup>. لكن ما يهم في التفكير البشري التحولي هو أن هذه الثورات قيد التقدم، وأن السؤال المتعلق بها إن كانت مشروعة؟ وما إذا كان يجب تمويلها أم لا؟ تشجيعها أم إيقافها؟ قد طرح بالفعل.

يتساءل فيري في هذا الصدد: هل من الممكن إطالة العمر؟ هل سيكون مثل هذا الاحتمال كابوسا للبشرية أم جنة على الأرض؟، يجب فيري بالنفي في كلا الحالتين، هذا لأن اغلب الأشخاص يفضلون الشيخوخة على الموت، فالخلود حلمهم الدائم، لكن هذا سيشكل مشكلة ديموغرافية متعلقة بالكثافة السكانية، لهذا فالأنجع ترك حرية الاختيار كمعيار لهذا الموضوع .

ينبغي التنويه هنا إلى أن الخلود الذي تصبو إليه نزعة الإنسانية المتحولة كمشروع مستقبلي، فهو خارج عن السياق الفلسفي الميتافيزيقي كما صورته الثقافات القديمة التي أرادت حياة بشرية دون موت، بل خلودا بيولوجيا فيزيقيا، والذي يراد منه إطالة أمد الحياة لمئات السنين، فالموت في النهاية لا مهرب منه<sup>3</sup>. وما يضفي صبغة الواقعية على حلم الخلود عند خبراء التحول الانساني والقدرة الهائلة للاكتشافات والتطورات التي تقدمها التقنيات المتقاربة NBIC وكذا أبحاث الذكاء الاصطناعي<sup>4</sup>، هذه التقنيات بمخرجاتها المتعددة جعلت العلماء والباحثين يسعون إلى وضع حد للموت والقضاء عليه، وهذا تحقيقا لحلم البشرية الأبدي المتجسد في الخلود الذي يعتبر أهم سبب للبحث عنه هو الخوف من الموت. وبناء على ذلك، يحيل التصور العام لنزعة الإنسانية المتحولة إلى فكرة الالافناء العلمي immortalism، بمعنى بلوغ الخلود الذي يتحقق على

<sup>1</sup> هي الخلايا الرئيسية في الجسم غير متخصصة بحيث تتولد منها جميع الخلايا الأخرى المتخصصة التي لها وظيفة علاجية، وتتمثل أهميتها من خلال قابليتها للتجدد من تلقاء نفسها لهذا يتم زرعها في مكان الخلايا المريضة أو الميتة. (ينظر: خالد أحمد الزعيري، الخلايا الجذعية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص ص 53، 51)

<sup>2</sup> Luc Ferry : *La révolution transhumaniste*, p p 47, 48.

<sup>3</sup> محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 240.

<sup>4</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 60.

أساسين الأول: من خلال الاعتماد على التقنيات البيو تكنولوجية الفائقة، كالحاايا الجذعية، الاستنساخ، العلاج بالتبريد Gyonic... وما إلى ذلك، والثاني: من خلال الاعتماد على تكنولوجيا النانو والذكاء الاصطناعي، من خلال فكرة تحميل الوعي المتمثل في نسخ الوعي وإدراك وذكريات الإنسان على دعائم إلكترونية، مثل الكمبيوترات وشرائح أو الرقائق وUSB، هذه العملية شبيهة بفكرة تناسخ الأرواح Metempsychosis الرقمية، على حد تعبير عالم الروبوتات في جامعة "ميلون كرانيجي" هانز مورافيك Hans Muravik (1948-) التي تحدث عنها مطولا بشكل معمق في كتابه الذي ادخله الى عالم الإكستروبيا والمعنوب ب: "أطفال العقل"<sup>1</sup>.

لقد أضحي الموت اليوم قضية طبية بحتة، إذ تم تجريده من معالمة الرمزية والدينية، فهو مشكلة بيولوجية يمكن حلها بيو تكنولوجيا، وصار التصدي له أمرا ممكن من خلال تأخير أو القضاء عليه تماما، والشاهد على ذلك هو دخول السايبورغ وما بعد الإنسان على الساحة الثقافية . وعلى ضوء ذلك يمكن تحقيق الخلود بطريقتين: بيولوجي أو رقمي.

**الخلود البيولوجي:** والذي يتحقق من خلال إطالة العمر وتجديد الشباب الدائم، وتأخير الشيخوخة وذلك عن طريق الاستعانة بتقنيات البيو طبية الفائقة، مثل: الاستنساخ، والطب التجديدي، والتمديد الاصطناعي للحياة، وعلم التجميد... وما إلى ذلك.

ويتجسد حلم الخلود في مؤسسة دنيوية تطرد كل تعال معياري، وعلى اعتبار أن أكبر عائق أمام الخلود هو الموت، فهناك ارتباط للموت بالشيخوخة مما يؤثر على طريقة إدراكنا للموت. في بداية التسعينات برز حقل علمي "بيولوجيا الشيخوخة"، أدى إلى الإقرار بأن التقدم في سن ليس حادثة طبيعية حتمية، وكذا الموت ليس ضرورة بيولوجية، وهذا بواسطة إمكانية التدخل في عملية الشيخوخة ومحاولة القضاء عليها، إذ أصبحت تفسر بإرجاعها إلى عاملين أساسيين: هما إما الاختلال المرتبط بتقدم السن كعملية وراثية مرهونة بالتطور، أو أنها مجرد حادث عرضي من حوادث الانتقاء الطبيعي أي أنها خطأ في الطبيعة، وفي كلا الحالتين يمكن تجاوزها علميا وتقنيا<sup>2</sup>.

من علامات الشيخوخة ترهل الجلد وبياض الشعر... وعلى الرغم من أن الخلايا لها خاصية تصحيح الأخطاء، إلا أن عامل التقادم في الزمن والعمر يثبط ذلك، فتتسارع عملية الشيخوخة، ومن هنا

<sup>1</sup> أولغا تشيتيفيركوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 230.

<sup>2</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 317، 318.

انكب الباحثون على اختراع تقنيات لتقوية وتعزيز عملية تصحيح الأخطاء بواسطة الهندسات والمعالجات الجينية وخلق أنزيمات جديدة، واستخدام التكنولوجيا الفائقة من قبيل "النانو روبوت"<sup>1</sup> لمعالجة الاختلالات الجينية، ومنه محاربة الشيخوخة ولقد أعلن فريق بحثي تحت إشراف البروفيسور **خوان كارلوس بليمونتي** في "معهد سالك بكاليفورنيا" عن نجاح تجربة القضاء على الشيخوخة في عينة فئران من خلال الاعتماد على تقنية التجديد الخلوي وقد زاد عمرها بنسبة 30%<sup>2</sup>.

كان ينظر للجسد على أنه يشيخ كلياً بفعل التقادم في السن، غير أن الأبحاث التي توصلت إليها مؤخرًا "جامعة كاليفورنيا" الأمريكية بينت أن لكل جزء من العضوية ساعته البيولوجية الخاصة به، وهذا ما يفسر أن بعض الأعضاء تشيخ أسرع من الأخرى، هذه الأفكار التي قلبت المنظور السائد للشيخوخة<sup>3</sup>، ثم إن هذه النتائج شكلت الانطلاقة لفهم سر الشيخوخة وعلاقتها بالتقدم بالعمر، وقد وقفوا عند اكتشاف جين وراثي مسؤول عن حساب العمر وحدوث الشيخوخة، ومن هنا زاد الاهتمام بهذا الموضوع أكثر، وقد تمكن عالم الجينات "بجامعة كاليفورنيا" **ستيف هورفيت** من رسم خريطة تخص الساعة البيولوجية لكل أعضاء الجسم، مستفيداً من تقنيات النانو، والهدف من ذلك هو التمكن من إعادة الخلايا إلى حالتها الأولى أي تجديد الشباب كخطوة أولى نحو الخلود<sup>4</sup>، الذي أصبح له بعد اقتصادي يتمثل في بيع منتجات وأعشاب وعقاقير ومكملات وفيتامينات وهرمونات للعناية بالبشرة والجسد واللياقة البدنية.

إن تحقيق الخلود البيولوجي مرهون بتجديد الشباب ومحاربة الشيخوخة، التي تمثل مرحلة ختامية من مراحل العمر البشري، وقد حددت علمياً بعد سن الستين سنة، وتتميز بضعف الوظائف والأعضاء الحيوية تدريجياً إلى غاية الموت، لكن خبراء التحول الإنساني ونظراً لسعيهم الدؤوب نحو تخليد الإنسان، وكذا التطورات الحاصلة في المجال البيوطبي، فقد توجهوا إلى إعادة النظر في منظور الشيخوخة واعتبارها مجرد سقم يصيب الإنسان أي مشكلة بيولوجية تقنية يمكن حلها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أو الروبوتات النانوية وهي عبارة عن آلة ذرية تتجول في مجرى الدم، ولها أذرع وملاقط تلتقط الخلايا المريضة والمعطلة وتعمل على إصلاحها وإصلاح الأخطاء الجينية. (ينظر مستقبل البشرية، ص 259. أو حسن الخاطر، الخلود البيولوجي ص 128)

<sup>2</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإمارات، ط1، 2023، ص ص 258، 261.

<sup>3</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، أطراف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014، ص 115

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 117.

<sup>5</sup> سامي محمود، لا للشيخوخة المبكرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993، ص ص 13، 14.

بالنسبة لخبراء التحول الانساني طول العمر ليس بالأمر غير الطبيعي الشاذ، فإذا تأملنا الطبيعة نجد العديد من الكائنات المعمرة كأشجار الزيتون أو حيوان الهايدرا والسلحفاة... وغيرها التي تعيش لأمد بعيد فقد يصل إلى ألف سنة، ويمكن تفسير هذا الأمر أن هناك جينات في الطبيعة تعزز المقاومة ضد الشيخوخة وتحمي الأجسام مطولا<sup>1</sup>.

بالرغم أن المعطيات الراهنة لا تثبت وجود أي منتج طبي أو تقني مضاد للشيخوخة أو مؤخر لأعراضها طويلا، خاصة وأن هذا التحدي الذي يسعى إليه أنصار الإنسانية المتحولة لا تستصيغه الطبيعة البيولوجية للإنسان، إلا أنهم متفائلين كثيرا بحدوث ذلك في السنوات القادمة، وهذا ما يثبته مؤتمهم العالمي الثاني "مستقبل العالم 2045" سنة 2013 بنيويورك، والذي حضره أهم علماء الأعصاب والمهندسين أين تم مناقشة آفاق تطبيق تكنولوجيا المعلومات والنانوبيولوجيا بغية تخليد الانسان والرفع من قدراته الجسدية والروحية.

تدعم شركة "Krio Rus" في روسيا تقنية تجميد البشر كطريقة للخلود، بهدف إعادة الحياة لهم من خلال إنعاش أجسادهم في المستقبل خاصة في ظل القفزات الهائلة التي ينتعش بها المجال البيوطبي، ويعتبر رجل الأعمال الروسي **دانييل ميدفيديف** أول من روج وبشر بهذا المشروع في روسيا<sup>2</sup>.

في عصرنا الحالي راود العلماء فكرة تجسيد تجميد الأجساد بتقنيات مختلفة أبرزها بالتبريد، متأملين العودة إلى الحياة من جديد في المستقبل بعد أن تجد البشرية آليات تسمح بإعادة التكوين للكائنات الحية على غرار عملية إعادة إحياء الحيوانات المنقرضة<sup>3</sup> التي يعمل حاليا عليها، أو نقل الوعي إلى عقل بشري آخر أو إلى عقل اصطناعي<sup>4</sup>. وعليه فبؤادر تحقيق الخلود البيولوجي كانت مع تقنية التجميد، خاصة تجميد الدماغ بعد الموت، هذه الأبحاث التي تعمل عليها شركه التجميد الأمريكية "Alcor" ألكور والتي يترأسها زعيم الترانسهيومانيزم **ماكس مور**.

كما يسعى خبراء الإنسانية المتحولة إلى تجاوز الموت وبلوغ الخلود بواسطة التكرار للكائن البشري، فتقنية الاستنساخ تمكننا من ضمان استمرار النوع الإنساني، وكذا التعديل الجنسي لنسخ إنسانية خالية من

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 256.

<sup>2</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص 129.

<sup>3</sup> تجرى محاولات لإعادة إحياء إنسان النياندرتال من خلال استخلاص خلايا من بقايا جسد تم العثور عليه في سيبيريا.

<sup>4</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 256.

الأمراض<sup>1</sup>. ولقد ساد الاعتقاد طويلا بأن الإنسان يشيخ مع تقدم السن بفعل ضعف الأعضاء لكن الأبحاث البيو طبية قلبت هذا المنظور، إذ تم إمطة اللثام عن جين مسؤول عن شيخوخة أعضاء الجسم البشري، ومن هنا تجدد المسعى لتجاوز والتغلب على الشيخوخة.

من جهته يجزم **لوك فيري** بأنه لا يمكن خلق إنسان خارق للعادة بعينين زرقاوتين، لكن يمكن محاربة الشيخوخة وتطوير الحياة المعيشية للإنسان، وذلك عن طريق التقنيات الحيوية كتهجين الإنسان والآلة، فهذا يكون بفضل العلم والطب لزيادة طول عمر الإنسان، إذن فالهدف الحقيقي حسب هو الوصول إلى التصالح ما بين الشيخوخة وفترة الشباب، إلى كسر مقولة "لو الشباب يعرف لو الشيخوخة تستطيع" أين نستطيع في النهاية للوصول إلى أمة متصالحة ومتماسكة بالطاقات الشبانية والأفكار والإبداع ستكون حتما أمة أقل غباء أو أكثر تطورا وإبداعا. كما يؤكد أنه حاليا لا يوجد دليل على أن هذا ممكنا، ولكن على سبيل المثال، تم التمكن بالفعل من زيادة عمر الفئران المعدلة وراثيا بنسبة 80%، من خلال القضاء على خلايا الشيخوخة، هذا سيفتح الآفاق مستقبلا أمام التكنولوجيا الحيوية، وما هو مؤكد أن التاريخ مفتوح ولن يغلق في وقت قريب، ويذهب **فيري** أيضا إلى أن النقد الفلسفي يشير إلى أن الحياة غير المحددة بالموت أو حتى المفتوحة على فترة زمنية طويلة ستفقد كل معناها، يفترض أن الإنسان مبرمج للكسل وعدم الفعل، ناهيك عن المشكلات الواقعية المتعلقة بالتركيبة السكانية أو علم البيئة أو الاقتصاد السياسي، وكلها مرتبطة في النهاية بقضية الاكتظاظ السكاني الناتج عن تحقق أهداف الإنسانية المتحولة<sup>2</sup>.

يؤكد **فيري** أيضا أنه لا يمكن تجاهل الاعتراضات العلمية على إمكانية موت الموت، وذلك بسبب فائدته من وجهة نظر داروينية، وأيضا بسبب أن الكائن الحي هو جسم معقد لا نهائي الصعوبة، بحيث قد يؤدي إصلاح أجزائه بشكل منفصل إلى آثار سلبية متسلسلة قد لا يمكن السيطرة عليها. بالإضافة إلى ذلك يعتبر الدماغ البشري معقدا لدرجة أننا لا نستطيع أن نتصور كيف يمكن تباطؤ عملية الشيخوخة التي تهدد الدماغ مع التقدم في العمر، إلا أن أنصار الإنسانية المتحولة ينفون وجود أي سبب عقلائي لوضع حدود مطلقة مسبقا للبحث العلمي<sup>3</sup>، خاصة إذا نظرنا إلى التقدم الذي تحقق في مجال علم الأحياء في الآونة

<sup>1</sup> شريف بن زينب، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، مجلة مقاربات فلسفية، جلد 11، عدد 1، 2024، ص 402.

<sup>2</sup> Entretien avec Luc ferry, en ligne : <https://sfgg.org/media/2018/10/entretien-exclusif-avec-luc-ferry.pdf>

<sup>3</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p49.

الأخيرة. فلا يوجد شيء يؤكد أن البحوث حول عمليات الشيخوخة لن تشهد تقدما مماثلا في العقود أو القرون القادمة .

**الخلود الرقمي:** تظهر فكرة الخلود الرقمي في أدبيات العلوم المعرفية والمعلوماتية من خلال خلود العقل، هذا الأخير الذي يعبر عن جوهر هويتنا بعيدا عن الجسد الذي يعتبر عقبة مادية اتجاه تحقيق الخلود، فهو مجرد وعاء حامل للمعلومات يمكن التخلي عنه وتعويضه بأي حامل إلكتروني كجهاز كمبيوتر أو أي شريحة<sup>1</sup>.

تعطي آفاق الإنسانية المتحولة تصورا مزدوجا تقنيا وفلسفيا، إذ يتصور مروجها أولا: تعزيز الانسان وقدراته الجسدية والحسية والمعرفية والعاطفية والأخلاقية، ثم يتم السعي لتحرير الجسم البيولوجي، لأن تجسدا الحالي بالألم، المعاناة، المرض والموت، وبالتالي النقص والنهاية. وأخيرا يعتبر التعايش بين البشر والروبوتات والبشر الآليين أمرا لا مفر منه، وبناء على ذلك فإن آفاق الإنسانية الجديدة هو "قتل الموت" لتحقيق الخلود السيبراني، وهذا يشير إليه تحليل وفهم دوافع الإنسانية المتحولة بوضوح، الذي يتجه نحو تمثيل غير مسبوق للجسم البشري وتحولا في علاقته بالآلة يتشكل في مجتمعاتنا المعاصرة، ما يجعل فكرة بناء إنسان في المختبر أكثر قوه ودكاء وتحكم في حالاته العاطفية الحسية، وقادرا على العيش لفترة أطول بكثير، هي فكرة ذات مغزى كبير، إنها ليست سوى مفهوم كامل للإنسان مهددا بالزوال، في هذا الصدد يبدو أن التعبير "إنقاذ الروح"، حتى في معناها الحرفي يتكيف بشكل كبير مع هذه التحولات<sup>2</sup>.

يتم العمل على نقل معلومات العقل البشري وبيانات الدماغ إلى جهاز كمبيوتر كنوع من الخلود الفكري وتجاوز الحاجة إلى الجسد، فهو مجرد حامل فقط، بفضل التقدم التكنولوجي وهذا ما وضحته شركة جوجل سنة 2013 م، إذ تنبأت بأنه سيتم تحقيق نوع جديد من الخلود يسمى بالخلود الرقمي من خلال استنساخ العقل، بل اتجه البعض إلى القول بإمكانية استنساخ الإنسان بعد موته ثم زرع رقاقة أو شريحة محملة بوعيه وذكرياته داخل دماغ المستنسخ الذي يعيش منذ الوهلة الأولى من حياته بخبرة الإنسان السابق<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ميتشيو كاكو، مستقبل العقل: الاجتهاد العلمي لفهم العقل وتطوريه وتقويته، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2017، ص 322، 323.

<sup>2</sup> Jean Guilhem Xerri, **Qu'est-ce que le transhumanisme ?** pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015, p8.

<sup>3</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص ص 131، 132.



تكمّن الفكرة الجوهرية هنا حسب ميتشيو كاكو في أن نقل الوظائف العقلية العليا للإنسان والمتعلقة بالدمغ والجهاز العصبي تماما من تفكير وتذكر وشعور... إلخ، باستخدام الإلكترونيات التي تضاهي ما يحدث في الشبكة العصبية للدماغ، من شأنه أن يخلص الإنسان من معيقات الخلود وإطالة العمر أي المرض والعجز وتوقف الأعضاء داخل الجسد عن وظائفها... ويسمي كاكو هؤلاء البشر ب "المحملين"<sup>1</sup>.

يشير **بوستروم** إلى أن الطريق للخلود بواسطة التعديل البيولوجي ليست الأسلوب الأمثل إذا يصفها بأنها مؤقتة تساعد فقط على تخطي بعض النقائص والعجز وفي المقابل إطالة العمر، أما الطريقة الرقمية فهي الأمثل و الأضمن لبلوغ الخلود عن طريق التخلص من الموت في حد ذاته<sup>2</sup>، ويسمي **راي كيرزويل** المرحلة التي يتحقق فيها الخلود الرقمي أين يحمل وعي الإنسان وحتى مشاعره على آلة أو روبوت أو جهاز بمرحلة التفرد التكنولوجي Singularity. كما أنه أسس مدرسة فكرية تعنى بالتحول البشري وتحقيق الخلود في جانبه الرقمي وأطلق عليها "معهد التفرد التكنولوجي" الذي يحظى اليوم باحترام كبير بين الرؤساء التنفيذيين في كاليفورنيا. وبصفته مهندسا ومخترعا وكاتبا ومحاضرا، يعمل **كيرزويل** منذ عام 2013 في كشوفات جوجل، حيث يقود مشروعا سريا للغاية حول واجهات حاسوب- آلة، وقد كرس نفسه تماما لتحقيق أكبر أحلامه: تعليم دلالات اللغة البشرية للآلات من أجل تسريع تطوير ذكاء اصطناعي أكثر تعقيدا، وهو هدف وفق ل **كيرزويل** سيتم تحقيقه بحلول عام 2040، حيث ستتفوق الآلات على الذكاء البشري، ممهدة الطريق لعصر جديد، عصر التفرد التكنولوجي.

أسس عالم الكيمياء الحيوية البريطاني **أوبري دي جراي Aubrey de Grey** (1961-) في عام 2009 في ماونتن فيو، في قلب وادي السيليكون، مؤسسة SENS، وهي منظمة غير ربحية تعمل في السعي وراء الخلود، كما أثار كتابه "إنهاء الشيخوخة" بشكل كبير على النقاش حول إطالة العمر بشكل جذري، حيث أسقط العديد من المحرمات حول حتمية الموت وأقنع العديد من رواد أعمال الاقتصاد الجديد بأن الاستثمار في مكافحة الشيخوخة ليس بالأمر الغريب. وفي عام 2011، أرسل الملياردير الروسي **ديميتري ايتسكوف** إلى عدد من أغنى زملائه في جميع أنحاء العالم رسالة يدفعهم فيها إلى الاستثمار في البحث عن الخلود، وفي

<sup>1</sup> ميتشيو كاكو، مستقبل العقل، ص 207.

<sup>2</sup> أولغا تشيفيركوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 331.



وقت لاحق من ذلك العام، أسس مبادرة 2045م، وهي مشروع يهدف إلى تحقيق أكبر حلم للتحويل البشري بحلول ذلك التاريخ: تحميل العقل، وهو نقل الوعي البشري إلى دعامة رقمية أبدية لا يمكن كسرها .

### 4- اتجاهات الإنسانية المتحولة:

إن الخوض في أسس حركة الإنسانية المتحولة يضعنا أمام اتجاهين أساسيين هما:

**الاتجاه الأول:** ما بعد الإنسانية: Post- Humanism يمثل الاتجاه العام الذي يضم تحته كل الحركات والتيارات الفلسفية التي تنادي بتجاوز الإنسان الحالي ومركزيته.

**الاتجاه الثاني:** الإنسانية المتحولة كاتجاه يدعو إلى تغيير حالة الإنسان الجسدية والنفسية من خلال الاستعانة بتقنية البيو تكنولوجية.

وكما ذكرنا آنفا هناك تداخلا كبيرا بين هذين الاتجاهين ولكل منهما تفرعاته الخاصة، ومن بين الاتجاهات العديدة التي تفرعت عن مفهوم ما بعد الإنسانية، نجد:

#### أ- ما بعد الإنسانية الأخلاقية Ethic- Post humanism:

هذا التيار الذي يتعامل مع الكائن البشري كجزء من مجموعة فاعلين في الطبيعة بحيث تربطه معهم روابط في الحياة، وبهذا فهي تلغي مركزية الإنسان عن بقية الأشياء، كما تهتم بدراسة أخلاق الحيوان والبيئة والآلة... وغير ذلك، بهدف إضعاف الهوة بين الإنسان وبقية الكائنات .

#### ب- ما بعد الإنسانية التكنولوجية Techno-Posthumanism:

وهي حركة فلسفية وثقافية تركز على استخدام التكنولوجيا لتحسين القدرات البشرية، كما تمثل دراسة في الأصول الإبتيمولوجية والميتافيزيقية للتكنولوجيا وكيفية تأثيرها على الوعي البشري وآلياته. لقد تعزز هذا التيار أكثر مع ظهور فلسفة "التكنيك" حيث استخدمت هذه المفردة لأول مرة من قبل فريدريك جوزيف هيربرت، ومن بعده جاك إلول Jack Elul (1912-1994) وبيتر سلوتردايك كمجال بحث في العلائقية بين الآلات والأجهزة التي تعزز قدرات الإنسان<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, Bodhi international journal of research in humanities, arts and science, vol8, october 2023, pp11, 12.

يصبوا أنصار هذا الاتجاه إلى الإعلاء من القدرات الإنسانية بواسطة التقنيات الفائقة للتغلب على كل ما ينقص حياة الإنسان من عجز ومرض وألم. ويعتبر هذا التيار الأبرز لحركة ما بعد الإنسانية والأقرب إلى الإنسانية المتحولة، وبرغم جذوره التي ترجع إلى أفلاطون من خلال تناوله موضوع التقنية والآلة، إلا أنه لم يتبلور بشكله الحالي إلا مطلع القرن الحالي، خاصة مع الفيلسوف الألماني **مارتن هيدغر**، الذي كانت التقنية أهم انشغالاته، وكذا تجلت في أعمال الفرنسي **ميشال فوكو**، خاصة في محاضراته "تقانة الذات"، إذ يمثل خطابه وتحليلاته حولها جوهر الفكر ما بعد الإنساني<sup>1</sup>.

وقد تعمقت أفكار هذا الاتجاه أكثر مع **دونا هاراواي** في بيانها الذي أصدرته سنة 1985 "بيان السايورغ"، إذ طرحت فيه فكرة السايورغ أو الإنسان الآلي، كتجاوز للتصور الاختزالي الديكارتي، إذ من خلاله تلغى جميع الحدود والثنائيات: ذكر-أنثى، إنسان-حيوان، إنسان-آلة<sup>2</sup>. لا يهتم أنصار هذا التيار بمجرد تجاوز قدراته البيولوجية المحدودة فقط، بل يتوقعون إعادة صياغة مفهوم الإنسان جذرياً.

### ج- ما بعد الإنسانية الأدبية/ الثقافية:

تركز على الآثار الثقافية لما بعد الإنسانية، مثل: الفن والأدب والسينما وهو الاتجاه الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الكائنات الحية المتطورة والآلات الذكية، وبين العملية السيميائية وتصويرها على أنها كائنات مثلها مثل الإنسان قادرة على إنتاج العلامات اللغوية وتأويلها. لهذا فأدب ما بعد الإنسانية يشمل مواضيع عدة يصعب اختزالها، وتنظر للذات الإنسانية كجزء من سلسلة مترابطة، سواء كانت حيوانية أو شبيهة بالإنسان أو أكثر من الإنسان. الإنسان الفائق أو الآلة الذكية وتستحضر الأعمال الأدبية فاعلية الكائن البشري ضمن عالم أوسع من الذوات والكائنات، ونجد من أهم الأعمال التي ركزت على العوالم السيميائية للكائنات الحية شعر **جون كلير John Clare**، وبعض قصائد **ثيودور روثك Theodore Roethke (1963-1908)** لدان براون **Dan Brown (1964-)**، ورواية الجرذان **لجون دانيال John (1920-2024)** Daniel.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، مجلة التجديد، مجلد 25، عدد 49، ماليزيا، 2021، ص 203.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 204.

<sup>3</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, Is transhumanism a threat to human existence, pp 11, 12.

تتمظهر أفكار نزعة ما بعد الإنسانية الأدبية أيضا من خلال التلاحم بين التقنية والأدب، وهو الأمر الذي تمخض عنه أجناسا أدبية جديدة، أطلق عليه بصيغة العموم "الأدب الرقمي أو الإلكتروني" الذي يمثل نموذج واضح للأدب ما بعد الانساني، من قبيل: النص المتشعب، والرواية التفاعلية، والساير بنك<sup>1</sup>، والشعر التوليدي، والنص المرموز، والمدونات الإلكترونية، والتغريد الأدبي في مواقع التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك، انستغرام، منصة إكس... الخ<sup>2</sup>.

يضم الأدب ما بعد الإنساني مجموعة واسعة من الأساليب والطرق، فكثيرا ما تتسم الروايات ما بعد الإنسانية ببني سردية وتقنيات روائية تجريبية، قد يعكس هذا التجريب الطبيعة المجزئة أو السائلة لهوية الموضوع في عالم ما بعد الإنسانية، وقد يستخدم المؤلفون طرقا سردية غير خطية، أو وجهات نظر متعددة، أو أشكالا سردية غير تقليدية لتحدي أساليب التمثيل الكلاسيكية وتعتبر رواية "نيورو مانسر" New Romanser لويليام جيبسون William Jilson، عملا أساسيا في أدب "الساير بنك" ومقدمه لموضوعات ما بعد الإنسانية. حيث توظف أسلوبا جزئيا وجزءا لاستكشاف تأثير التكنولوجيا والفضاء الإلكتروني على الهوية الذاتية للإنسان كما أنه غالبا ما تظهر عناصر الخيال العلمي و"الساير بنك" بشكل بارز في أدب ما بعد الإنسانية، قد تشمل هذه العناصر تقنيات متقدمة وواقعا افتراضيا ومناظر طبيعية حضارية بائسة، مما يخلق خلفية مذهلة بصريا وموضوعيا لموضوعات ما بعد الإنسانية، لهذا تمثل رواية "نيورمانسر" بشكل بارز عناصر الخيال العلمي وأدب "الساير بنك" في السياق لما بعد إنساني<sup>3</sup>، وتعكس موضوعها الأساسي المتمثل في الكائن المهجين وغموض الحدود بين الإنسان وغير الإنسان.

وتقع العديد من الأعمال الأدبية ما بعد الإنسانية في مستقبل بائس أو توقعي، مما يسمح للكتاب باستكشاف عواقب التكنولوجيا المتقدمة والتحويلات المجتمعية. غالبا ما تخلق هذه الأعمال شعورا بالقلق والتوتر يعكس العضلات الأخلاقية والوجودية التي تطرحها ما بعد الإنسانية. مثلا: تدور أحداث رواية فيليب ك ديك (1928-1982) Phillipe K. dick "هل تحلم الآلة الكهربائية بخراف كهربائية؟" في مستقبل بائس حيث أدى التقدم التكنولوجي إلى خلق بشر صناعيين يعرفون بالنسخ المضاهاة. تستكشف

<sup>1</sup> Cyberpunk وهو نوع من أنواع الخيال العلمي مشهور بتركيزه على عالم التقنية المتطورة. (ينظر:

<https://www.noonpost.com>)

<sup>2</sup> عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، ص 212.

<sup>3</sup> Robert Ranish, Stefan Sorgner, *Introducing post\_transhumanism*, p 24.

الرواية، العضلات الأخلاقية والوجودية التي تظهر عندما يطمس البشر والنسخ المضاهاة الحدود بين الهوية والوعي والإنسانية، مما يعكس الاهتمامات المركزية لما بعد الإنسانية في إطار مستقبلي يتسم بالقلق والتوتر<sup>1</sup>. كما تطرح أسئلة فلسفية أنطولوجية تخص الطبيعة الإنسانية والتعاطف وما يعنيه أن تكون إنسانا في عالم يسكنه "الأندرويد"، وبهذا فهي تُشركُ القراء في نقاشات فلسفية من خلال مناجاة الشخصيات الذاتية والخطاب التحفيزي للتفكير حول آثار الذكاء الاصطناعي وما بعد الإنسانية مما يجعلها استكشافا ثريا لهذه الموضوعات في سياق أدبي.

تشير هذه المحاولات الأدبية الأولى بوضوح ليس فقط في حقيقة الاهتمام الكبير بقضايا تحسين الحالة البشرية سواء من المنظور الاجتماعي أو البيولوجي ولكن أيضا جميع أشكال العواقب المترتبة على هذه المعالجات. كما تسير عمليات البحث الأدبية أو بالأحرى القصص المصورة التي ظهرت في القرن العشرين بشكل مختلف قليلا، مثل شخصيات "باتمان" و"سوبرمان" و"سبايدر مان"، لنذكر أكثرها شهرة؛ تجسد شخصية "باتمان" التي خلقها "بوبكين" والذي هو حامي مدينة "جوثام" عنصرين: اللياقة البدنية لشاب والتكنولوجيا العالية، بفضل القطع الأثرية التي تجعله مدافعا لا يقهر عن السلام في مدينته. أما في حالة "سوبرمان"، يبدو أننا نتعامل مع مقياس مختلف لأن البطل يأتي من الفضاء الخارجي، وأفعاله كذلك كونه في كثير من الأحيان؛ يتمتع سوبرمان نفسه بالرغم من كونه إنسان، بقوة عظمى بفضلها لا يمكنه فقط الطيران والبقاء في فراغ الفضاء، ولكن أيضا القيام بأنشطة مستحيلة بالنسبة للناس العاديين. وأهم شيء في هذه الحالة هو دمج كل هذه الامكانيات الخارقة للطبيعة في كائن حي يشبه الإنسان. آخر نوع من الأبطال الخارقين المثاليين هو "سبايدرمان"، إنه مراهق تعرض للدغة عنكبوت في رحلة مدرسية، ونتيجة لذلك يخضع جسده للعديد من التحولات في المظهر الخارجي، بحيث تجعل منه مدافعا آخر للمدينة المهددة.

في جميع هذه الحالات هناك سيناريو متشابه للغاية، مجتمع بشري مهدد من قوة شريرة شيطانية إلى حد ما، وقوات الأمن الرسمية التي لا تستطيع السيطرة عليها، ويظهر المدافع بإمكانيات القتال متجاوزا قيود البشر. في هذه الحالة، نحن نتعامل مع الرؤية الكلاسيكية للترانسإوية، من ناحية يتم اختزلها إلى التصور الأمني للمتلقي الشاب للثقافة الشعبية، ومن ناحية أخرى، فهي تفي بالوظيفة الأيديولوجية للحامي المفرط الذي يعيد الانسجام الاجتماعي المفقود.

<sup>1</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, pp 5, 6.

د- ما بعد الإنسانية النقدية الفلسفية Critical-philosophical Post- Humanism :

يمثلها مجموعة من الفلاسفة والمفكرين ما بعد الحداثيين، الذين حملوا لواء نقد وتقويض النظر للإنسانوية والأسس التي قامت عليها، وفي مقدمتهم فريدريك نيتشه، وكارل ماركس، ميشيل فوكو، ونعوم تشومسكي Noam Chomsky (1928-)، وجاك ديريدا، وجان فرانسوا ليوتار، وجان بودريار Jean Boudrillard (1929-2007)،<sup>1</sup> وبذلك شكل فكرهم البناء النظري لأفكار ما بعد الإنسانية بجميع اتجاهاتها. وقد اتجهت جهودهم نحو تفنيد المفهوم الكلاسيكي الأنواري الديكارتي للذات الإنسانية التي انحصرت في مقولات جوهرية: الحرية، الوعي، الاستقلالية، الحقوق، هذه الصفات التي تنطبق فقط حسب مفكري الأنوار والحداثة على الإنسان الذكر الغربي الأشقر المتحضر، هذا ما شكل حجر أساس نقدهم لهذه النزعة، وقد حاولوا تجاوزها، من خلال الاعتراف ببقية الذوات والفئات التي لا طالما وضعت على الهامش من قبيل: النساء، السود، ذوي الاحتياجات الخاصة... وغيرهم<sup>2</sup>، وبالتالي الوصول إلى تعريف الإنسان وفق منظور جديد غير إقصائي أو اختزالي، ومن هنا بدأ الحديث عن ما بعد الإنسان.

ه- ما بعد الإنسانية الكائنية الطبيعية Animot Post humanism :

يعزى استخدام هذه المفردة أو هذا المعنى إلى الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا، والمراد به الفلسفة التي تنظر إلى الإنسان على أنه جزء من الطبيعة أو الكون، هذا الأخير الذي يتشكل من عناصر وعوالم وكائنات حية تتساوى مع الإنسان في الفاعلية نحو الوجود، فالكوارث التي تسبب بها الإنسان نتيجة غطرسته التي ورثها من الإنسانوية كالحروب والاستعمار... الخ، تسقط عنه حالة القداسة والأفضلية التي حضى بها كثيرا؛ مع إعادة النظر في دور الطبيعة في تكوين ماهية الإنسان<sup>3</sup>.

وتؤكد لويز وسلنج Louise Westling أن هذه الاتجاه ارتسمت معالمه أكثر مع كتابات ديريدا، في أواخر حياته وتحديدًا كتاب "الجنسانية" سنة 1983م، و"الحيوان الذي أكونه" سنة 2002، الذي دعا من

<sup>1</sup>Rosi Braidotti, *Posthuman critical theory*, chapter 2, in : critical posthumanism and planetary futures, new delhi : springer india : imprint : springer, 2016, pp 16, 21.

<sup>2</sup>روزى بريدوتى، ما بعد الإنسان، ص72.

<sup>3</sup>Luc Ferry, *Le nouvel ordre écologique*, p 125.

خلاله إلى التخلي عن فكرة أن الحيوان لا يملك وجودا متجانسا مثل الإنسان، وعليه، لا بد من الاعتراف قبل كل شيء بأن كوننا غني بالكائنات الحية التي تحيط بنا وتستحق التقدير<sup>1</sup>.

ويظهر هذا أكثر في استنكاره للاستخدام اللغوي ل(ما) أو (من) للتمييز بين العاقل وغير العاقل، وهذا دفع به لاقتراح مصطلح Animot، ليشير بها إلى التفاعل الذي ينتج من علاقة الإنسان وعالم الحيوان<sup>2</sup>. ثم إن هذه الأفكار تأثر بها تيار النقد البيئي الذين ساروا على نفس خطى دريدا، في إلغاء الحدود بين الإنسان والبيئة، كاشفين عن خطره عليها، في مقابل الاعتماد على قيم غير مركزية وغير اختزالية، مما يفضي إلى التعامل مع الكون بوصفه حاضنة لعوالم أخرى غير البشر.

يذهب فيري في هذا السياق إلى أنه لا ينبغي النظر إلى التكنولوجيات المتطورة من قبل الإنسان كجزء مندمج في الطبيعة الأم، بما هي حدث عارض غير متوائم مع الطبيعة، بالعكس علينا أن ننظر إليها باعتبارها مستوى عال من الوعي أو كذكاء وفكر كلي تتمتع به الطبيعة ذاتها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عادل خميس الزهراني، ما يعد الإنسان وما يعد الإنسانية، ص 198.

<sup>2</sup> Louis Westling, *Littérature, environment, and the posthuman*, Nature and literary & cultural studies, eds, catrin gersdorf & sylva mayer, Rodopi, B, V, Amsterdam & New york, 2006, p 373.

<sup>3</sup> Luc Ferry : *La révolution transhumaniste*, p p 56, 57.

### ثالثاً: الرصد التاريخي للتصور الفلسفي للإنسانية المتحولة.

إن التوق البشري لاكتساب قدرات جديدة غير مسبقة توق قديم قدم نوعنا البشري ذاته، إذ أنه لطالما جاهدنا بغية توسيع حدود وجودنا البشري في المستويات الاجتماعية والجغرافية والعقلية كافة، وثمة ميل طاع ومستديم لدى بعض الأشخاص للبحث عن منعطف يمكننا من خلاله تجاوز أي معضلة وجودية أو محدودية يمكن أن تطال الحياة البشرية أو السعادة البشرية أيضاً. ومع مرور التاريخ شهدت البشرية العديد من المحاولات والاقتراحات التي ساعدت على تحقيق فكرة الخلود والكمال سواء من خلال الدين أو الإيمان أو عن طريق الفلسفة والعلم.

#### 1- البحث عن الخلود في الفكر القديم:

اهتم البشر منذ القدم بفكرة الخلود وبحثوا عن الطريق إليها. فلطالما رفض الإنسان طبيعته وسعى لتجاوز ذاته، هذا ما يمثل الرغبة في الأبدية، ومع تطور دماغ الإنسان وإدراكه لحتمية الموت، أخذ البشر يبحثون عن الحياة الأبدية كبديل عن الواقع. ورغم أن الديانات السماوية قد بشرت الإنسان بالخلود الروحي أي الحياة الأبدية بعد الموت، سواء في الجنة أو النار، إلا أنه منذ تواجده يتوجسه الخوف من الشيخوخة والموت، فأقبل ساعياً للبحث عن الطرق الكفيلة بإبعاد الشيخوخة عنه، وإطالة العمر فبنى المعابد والمدافن الضخمة على أمل العودة إلى الحياة<sup>1</sup>.

لا يوجد شيء أرعب الإنسان منذ القدم مثل الخوف من الموت لما فيه من ألم فقد الأحبة وكل ما نرغب فيه، هذا ما دفع بالبشرية أن تبحث عن الخلود إلى غاية الآن، فكيف السبيل إلى ذلك؟ من خلال تقنية تطيل عمر الإنسان كالسحر، لم يستطيع الإنسان بلوغها بعد لكنها أملاً يلوح في الأفق، بينما تقترب إليه شيئاً فشيئاً، وعبر مراحل الفكر الإنساني اختلفت التفسيرات حول ماهيتها وطبيعتها وكيفية الحصول عليها.

إن الرغبة في الحياة والخوف من الموت والسعي للخلود واقع تعيشه الإنسانية جمعاء، و طبيعة مغروسة في كل فرد فينا، وقد عبر عنها السومريون قبل خمسة آلاف سنة في قالب أسطوري سميت بـ"ملحمة جلجامش Gilgamesh" التي وصفها فيري بأنها أول رواية أدبية دونت في تاريخ البشرية مثلت الصراع الأزلي

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 251.

بين الفناء وبينت إرادة الإنسان في محاولاته للتشبث بالوجود والبقاء، هذا ما جعلها تحمل متخيلاً فلسفياً، إذ تروي لنا قصة هذا الملك العظيم "جلجامش" حاكم مدينة "اوروك" Uruck الذي يكتشف تقريباً في نفس الوقت الحب الجنوني واختبار الموت المروع للشخص المحبوب، إنها في الأساس قصة عن الصداقة، وربما العاطفة التي نجدها نادراً في الأدب الروائي، وبعد أن عرف السعادة في الحب وأن يكون محبوباً، يشهد هذا الملك بعجز وفاته صديقه "انكيديو" Enkidou مما يدفعه إلى التفكير في معنى الحياة، في البداية يتساءل بشكل أساسي في سياق الدين، ويبدأ في البحث بشكل يائس عن الخلود وعن علاج للموت، وقد سمع عن رجل اسمه "اوتانا بيسيتي" Utanapisti، الذي نجا من الطوفان وأصبح خالداً بفضل الآلهة، ينطلق للعثور على هذا الشخص كمحاولة لسرقة سره، ولكن قريباً يدرك أن سعيه هو عبث وأن الخلود لا يمكن الوصول إليه بشكل نهائي، سينتقل بعد ذلك من مسألة يمكن اعتبارها دينية (السعي للخلود) إلى مسألة علمانية فلسفية (كيفية قبول الموت دون التخلي عن سعي الحياة الجديدة)<sup>1</sup>. إذن لم تكن ملحمة جلجامش إلا تمثلاً لذلك الصراع الأبدي بين الموت ورغبة الإنسان في الخلود، ذلك الإنسان الضعيف والهش الذي يحاول دائماً التمسك بالحياة مدفوعاً بغريزة حب الحياة وحفظ البقاء، حيث تساءل جلجامش: أأكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟ فأجابت صاحبة الحانة: إلى أين تسعى يا جلجامش؟ إن الحياة الأبدية لم تخلق للبشر الذين قدرت لهم الآلهة الموت واستأثرت لها الخلود في الحياة<sup>2</sup>. ومن المؤكد أن هذا الملك كان يسعى إلى تدخل سحري بدلاً من تدخل له أصل أو سبب علمي والأخير هو الأساس بالنسبة لحركة الإنسانية المتحولة، وحسب فيري كثيراً ما يُستشهد بالبحث عن الخلود باعتباره واحد من غايات هذه الحركة.

تعد ملحمة "جلجامش" أول من أكدت سعي الكائن البشري للخلود من جهة، وبقينه آخر الأمر بأن هذا الخلود لن يتحقق عن طريق الاستمرارية الجسدية، بل باستمرارية الأثر الطيب والفعل الصالح. وهنا نلمح هذا الإسقاط الفلسفي الذي ينطوي على ثنائية متضادة، إذ لطالما تم تصوير المسعى البشري لتجاوز المحدوديات الطبيعية الحاكمة باعتبارهما مسعى ينطوي على ازدواجية ما يمكن توصيفه بمفهوم الغطرسة، ثم يدافع هؤلاء الذين يرون في هذا المسعى سيندفع خارج سقف المحددات الطبيعية الضرورية لإدامة الحياة البشرية، وبالتالي ستكون مجلبة لبعض النتائج العكسية إذا ما تحققت بالفعل على أرض الواقع. يمكننا أن نلاحظ شيئاً من هذه الثنائية في الميثولوجيا الإغريقية أين سرق "بروموثيوس" النار من "زيوس" كبير آلهة

<sup>1</sup> Luc Ferry, *Mythologie et philosophie : les sens des grands mythes grec*, Plon, le fiagro, 2016, pp 540,541.

<sup>2</sup> ملحمة جلجامش، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرؤوف عوني، مؤسسة هندواي، القاهرة، (ط1)، 2017، ص 80.



الإغريق وأعطاهما للبشر الفانين، الأمر الذي ترتب عليه تحسين دائم للوضع البشري بسبب مفاعيله وتأثيراته<sup>1</sup>.

يعتبر ألم وحسرة فقد الأحبة كذلك من أهم العناصر التي دفعت بالفراعنة القدماء إلى ابتكار آلية التحنيط حفاظاً على أبدانهم بعد الموت كنوع من الخلود الجسدي، وبنفس الدافع مصحوباً بالرغبة في العيش إلى الأبد سعى اليونانيون القدماء إلى تطوير السحر والكيمياء وطرائق التعزيز في طبيعة الكائن البشري بغية الانتقال بهم إلى حال أفضل<sup>2</sup>. حيث نجد تجليات فكرة البحث عن الخلود في الفكر الأسطوري الإغريقي، وتحديدًا في قصة البطل الأسطوري (آخيل)، وتدور أحداثها في محاولة والدته (سيتيس) أن تجعله خالدًا، ما دفع به إلى إدخاله في نهر الخلود (ستيكس)، لكن الماء لم يصل إلى منطقة الكعب، فأضحت تمثل نقطة ضعفه. كما ورد أيضًا في الروايات الأسطورية الإغريقية أن المشعوذة (سيرس) عرضت على (أوليس) من خلال المرأة، أن يعيش معها إلى الأبد فقط بشرب جرعة ماء سحري، على أن فكرة ماء الحياة أو المشروب السحري كما يسميه البعض، والذي يعطي لشاربه حياة أبدية خالدة، آمنت بها الكثير من الحضارات وذكرت في الكثير من الأساطير والروايات والقصص القديمة، كقصة "الإسكندر ذي القرنين" في القرن الرابع قبل الميلاد، هذه الشخصية التي اختلف حولها المؤرخون فيمن يكون، إلا أنهم اتفقوا في سعيه للبحث عن ماء الخلود لينعم بحياة أبدية إلا أنه فشل في بلوغ ذلك<sup>3</sup>.

إن ولع الإنسان القديم بالخلود ونسجه قصص وروايات عن تقنيات تمكنه من بلوغ هذا المراد، والتي ترنحت بين ماء سحري أو نبتة سحرية... إلخ، هذا ما أدى إلى ظهور فكرة حجر الفلاسفة أو ما يعرف بـ "الإكسير" في الحضارات القديمة، هذه المادة التي تمكن حسبهم من معالجة الأسقام والآلام، ومنح الحياة مع تمديدها وتحويل المعادن الخسيسة إلى ثمينة، قد دأبت جميع الحضارات في البحث عنه ومنها الحضارة الإسلامية، وبفضل هذه الأبحاث توصلوا إلى علم الكيمياء والاطلاع على خواص المعادن، مثل أعمال جابر بن حيان الذي يعتبر حسب ويل ديورانت صاحب كتاب "قصة الحضارة" له الفضل الكبير في إلهام أوروبا بالكيمياء وسحرها ومعرفة إكسير الحياة ومنذ تلك اللحظة سعت شعوبها لكشف سره وأريققت لأجل ذلك الدماء وارتكبت أبشع الجرائم نذكر أشهرها القصة الواقعية التي تمت تسميتها بـ "كونتييسة الدم"، حيث

<sup>1</sup> مصطفى صمودي، من جلعامش إلى نيتشه: بحث في الثقافة العامة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015، ص20.

<sup>2</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 244.

<sup>3</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص ص 72، 74.

مُثِّلَتْ وقائعها في فيلم سلوفاكي سنة 2008م، بطلتها أميرة وكونتيسة هنغارية إليزابيث باثوري، التي وصفت بالسفاحية وعاشت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، حيث أقدمت على خطف وتعذيب وقتل أكثر من ستة مئة فتاة، بهدف الاستحمام في دمائهم إيماناً منها بأن مثل هذه الطقوس تحقق لها طول الحياة وتمكنها من التغلب على الشيخوخة<sup>1</sup>.

يعتبر حجر الفلاسفة حجراً أسطورياً مثل "نبته جلجامش" و"إكسير الحياة" و"ماء الخلود" الذي نُسِجَتْ حوله الروايات والقصص في العديد من الحضارات، وبحث عنه الكثير من الفلاسفة والعلماء أمثال إسحاق نيوتن Issac Newton (1643-1727) إلى أن جاء الكيميائي الفرنسي أنطوان لافوازييه Antoine Lavoisier (1743-1794) في القرن الثامن عشر، وأسقط الستار عن كل هذه الخرافات وجعل من الكيمياء علماً حقيقياً<sup>2</sup>. ومن هنا آمن العقل البشري بأن العلم هو المفتاح السحري وقدرنا الوحيد لتحقيق أحلامنا ورغباتنا، بل وحل مشاكلنا أيضاً، ولهذا اتجه الطب اليوم لمعاقبة التكنولوجيا سعياً لتحقيق إطالة العمر وتطوير القدرات وبلوغ الكمال.

إن التطور العلمي والتكنولوجي في الألفية الأخيرة، خاصة في مجالي الطب والبيولوجيا، جعل تلك الأحلام اليوتوبية القديمة تقترب من التحقق، من خلال تطوير ميدان الصحة بالقضاء على الأمراض وارتفاع متوسط العمر، هذا ما جعل الكثير من الفلاسفة والعلماء يضعون مشاريع ويؤسسون حركات وجمعيات لتحقيق حلم الخلود<sup>3</sup>. فهذا الباحث اوبري دي غراي يعتقد أن الإنسانية ستتمكن من بلوغ الخلود البيولوجي بواسطة الأبحاث والتجارب المستجدة والمتطورة حول الشيخوخة وإمكانية تأخيرها أو القضاء عليها، ذلك أنها السبب الأول للموت، وغياها يؤدي إلى إطالة أمد الحياة.

يمكننا أن نتساءل هنا: هل يتمكن الإنسان من تحقيق هذا الحلم القديم بمساعدة العلم الحديث؟ تقع مسألة إطالة عمر الإنسان ضمن أهم أولويات الإنسانية المتحولة، فلا يصح أن يظل الإنسان الفائق أو إنسان ما بعد الإنسانية يعاني من قصر العمر وأمراض الشيخوخة، وإلا لما كان يتميز عن الإنسان الحالي في شيء لذلك يبذل علماء وخبراء الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية كثيراً من الجهود لإطالة عمر الإنسان الجديد والتغلب على الأمراض، لكن ينبغي التأكيد على أن قهر الموت بصفة نهائية وتحقيق حلم الخلود ما

<sup>1</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص 77، 79.

<sup>2</sup> بن زينب شريف، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، ص 402، 403.

<sup>3</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص 113.

زال بعيدا رغم محاولات ما بعد الإنسانيين، أملا في تحقيق ذلك في يوم من الأيام، إذ أن قضية الحياة والموت تقتصر على قهر الشيخوخة في الوقت الحاضر، وإطالة عمر الإنسان الجديد أطول وقت ممكن<sup>1</sup>. وما نخلص إليه أنه إذا كنا نجد أصولا للتفكير المتوافق مع حركة الإنسانية المتحولة في النصوص البشرية القديمة، فإن عصر التنوير الأوروبي هو الذي يعزى إليه الفضل في فتح الطريق أمام بداية فلسفة الإنسانية المتحولة.

### 2- السعي نحو تحقيق الاكتمال في الفكر الحدائي:

شهد عصر الأنوار ميلاد فكرة الاكتمال *Perfectibilité*، التي انخرطت ضمن مشروع سياسي يهدف إلى اجتثاث البشر من تبعيتهم لعالم سابق هو عالم اللاهوت، أو لعالم الطبيعة، وهنا تجد فكرة التحسين *Amélioration* والتعزيز *Enhancement* مبررها الفلسفي، وإطارها النظري المؤسس لها في فلسفة الإنسانية المتحولة، لأن الطبيعة والإنسان، لم يعودا في منظور الأنوار الجديدة مكتملين، بل يحتاجان إلى عمل، وتطوير وإعادة بناء وتشكيل من أجل تحسينهما باستمرار، بيد أن الكمال أضحي اليوم فكرة بيولوجية فقدت كل دلالاتها السياسية.

إن فلسفة الحدائنة والتنوير عبرت عن الصراع ضد الدين والمجتمع، لهذا تم النظر إلى التحسين والتطوير كمشروع اجتماعي وسياسي يصبو لتغيير الأوضاع الاجتماعية وسيطرة المتعاليات والطبيعة وإحلال المساواة والعدالة والحرية، ولقد كان لمقال "حول كرامة الإنسان" لبيك دو لا ميراندول وقعه الكبير في إرساء آفاق تطور الإنسان لبلوغ الكمال المنشود، حيث اعتبر أنه بإمكان الإنسان أن يخلق نفسه ويرتقي بها نحو الأفضل والأحسن، وهكذا تتحقق إنسانيته<sup>2</sup>.

كما أثرت أفكار الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت حول آلية الجسد البشري في مخرجات الطب والفيزيولوجيا المعاصرين، وساهمت في استباحة الكيان الفيزيقي للإنسان تقنيا وأخلاقيا، فأما تقنيا من خلال امكانية إجراء إصلاحات وتعديلات وتغييرات على أجسادنا بغرض تعزيزها، وأما أخلاقيا: من خلال سقوط القداسة والتعالي المنوطان بجسد الإنسان، إذ أصبح ينظر إليه على أنه مجرد مادة للاختبار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ص 63.

<sup>2</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 289.

<sup>3</sup> محمد جديدي وآخرون، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية المهشة، ص 139.

نظر الإنسان إلى نفسه على الدوام على أنه كائن لين مرن ويمتلك قابلية للتحسين غير محدودة، وقد تجذرت هذه الرؤية حقبة التنوير والحداثة ومع الإنسانية، ويرجع الفضل في وضع هذه المفردة إلى روسو، عندما اعتبر أن الإنسان لا يخضع لأي حتمية طبيعية أو غيرها تحدد مصيره، مخالفاً بذلك الرؤية المسيحية والفلسفة اليونانية. على أن التطور والتغيير حسبه يتخذ شكلين، إذ لا يمثل بالضرورة التقدم والتحسين، فقد يأخذ منحى التدهور كذلك<sup>1</sup>.

إن دراسات الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو اهتمت كذلك بفكرة الكمال الإنساني خصوصاً في كتابه "خطاب المساواة"، عام 1755 الذي تتبع فيه تطور الإنسان من الحالة الوحشية إلى مرحلة الحضارة الحديثة، مؤكداً أن الإنسان إذا ما حرم من كل الخصائص التي تميزه عن غيره من الكائنات بعيداً عن مجتمعه، لن يكون أكثر من مجرد حيوان يعتمد في معاشه وحياته على استخدام المخ، ولذا فإن الملكة المميزة للإنسان في الحقيقة العمل للوصول إلى الكمال وهذه العملية لا تنتهي، لأن العقل الإنساني يستطيع أن يطور نفسه وينمو بغير حدود إلى مالا نهاية كما أن التطور العقلي يخلق رغبات وحاجات جديدة... وهكذا<sup>2</sup>.

هاجم روسو في كتابه "أصل التفاوت بين الناس" و"العقد الاجتماعي" و"المتوحش النبيل" جميع الجوانب التقدمية للقرن الذي كان يعيش فيه، وأخضع كل شيء امتدحه أسلافه إلى النقد والتحليل وخلاصة ما قال: (إن التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والتجاري ونظم الحكم الحديثة لم تحسن أخلاق البشر بل جعلته أسوأ مما كانوا عليه، وأن الترف والجشع والغرور وحب الذات والحرص على المصلحة الشخصية)<sup>3</sup>. وكلها إفرازات رديئة للحضارة، ويرى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee 1889-1975) أن أول جملة من العقد الاجتماعي لروسو تنص على أن الإنسان يولد حراً ولكنه مكبل بالقيود في كل مكان، هذه القيود التي فرضها المجتمع الحديث بمؤسساته العقلية، العلمية والتقدمية، وإذا كان المفكرون ابتداءً من توماس هوبز (Tomas Hubes 1588-1679) ومن أتوا حكموا على المؤسسات والممارسات الاجتماعية القائمة بمقياس العقل، ففي حركة التفاوت جذري أخضع روسو العقل نفسه للنوع ذاته من النقد الذي قام به

<sup>1</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 281.

<sup>2</sup> إشراف وتنسيق محمد جديدي، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 251.

<sup>3</sup> جون جاك روسو، أصل التفاوت بين البشر، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (دط)، 2013، ص 37.

الفلاسفة باسم العقل، وكان ما اكتشفه روسو أن العقل في الحقيقة وبالكامل ليس شيئاً طبيعياً، فالعقل عنده هو الملكة التي أغوت الإنسان بالتخلي عن حالة الطبيعة ليصير متمدناً وهي صفة مربية بكل تأكيد<sup>1</sup>.

أنهى الفيلسوف الاجتماعي والرياضي الفرنسي دو لا ماركيز كوندورسيه Le Marquis de Condorcet (1743-1794) في سنة 1794 متأليف كتابه الشهير "مخطط لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري" Tableau historique des progrès de l'esprit humain esquisse et prospectus والذي نشر سنة 1795م بعد وفاته، والذي عرض فيه نظريته التفاؤلية لمستقبل البشرية التي تسير في خط التطور حيث تتبع نمو وتطور الجنس البشري خلال الزمن، وذلك عبر تسع مراحل متميزة، تبدأ بمرحلة العشيرة البدائية وتنتهي بمرحلة الصحوة العلمية في العصر الحديث الذي تطرق فيها إلى اكتشاف عصره، أما الفصل العاشر والأخير المعنون بـ "مقطع حول انطالاتنا" فقدم فيه تنبؤاته حول المستقبل الذي سيكون عليه البشر<sup>2</sup>، حيث يتحقق تقدم وكمال الإنسانية، كما عبر عن رغبته في ارتقاء المجتمع البشري بواسطة العلم والتقنية.

يؤكد كوندورسيه أن النوع البشري يسير دائماً نحو التقدم ولو بشكل بطيء، إذ أن التقدم يمثل حتمية تاريخية للمجتمع الإنساني، أما التراجع فيمثل صفة عرضية يلغي مؤقتاً قانون التقدم، فتاريخ الحضارات البشرية في ترابط مستمر، فكل جيل جديد يقوم بالاعتماد على الجيل الذي يسبقه، وبهذا يضمن التقدم نحو الكمال الذي لا يخضع لأي قوة ما عدا عامل الزمن، حيث يقول في مقدمة كتابه: "وتدل كل الدلائل على أننا قادمون على عصر سوف يشهد أعظم الثورات التي يحققها النوع البشري... إن عصر التنوير الذين نعيش فيه يضمن لنا أن هذه الثورة ستكون منطوية على السعادة، ولكن بشرط أن نعرف كيف نستخدمها ونسخر لها كل قواها"<sup>3</sup>. وحسبه فكل مرحلة من مراحل تقدم العقل البشري لها سماتها المميزة التي تميزها عن سابقتها من حيث الأفكار، العلوم، الأخلاق، نمط العيش... إلخ، هذا ما يثبت فكرة التقدم، ويعبر كوندورسيه عن مستقبل البشرية بالسمات والمثل العليا الثلاث: العالمية، الاجتماعية، والأخلاقية، حيث قال: "إن آمالنا في الحالة المستقبلية للنوع البشري يمكن تلخيصها في هذه النقاط الثلاثة الرئيسية: القضاء على عدم

<sup>1</sup> قاسم الحبشي، فكرة التقدم وفلسفة المستقبل: ألفن توفلر نموذجاً، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، عدد 31، ص 354.

<sup>2</sup> صلاح عثمان، الداروينية والانسان: نظرية التطور من العلم إلى العولمة، منشأة الإسكندرية، (دط)، 2001، ص 134.

<sup>3</sup> السيد محمد بدوي، مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندورسيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 1995، ص 46.

المساواة بين الدول، وتقدم فكرة المساواة بين أفراد شعب واحد، وأخيرا التحسين الخلقي للإنسان<sup>1</sup>. معبرا بذلك عن رغبته في التخلي عن أنواع المظالم التي شهدتها في عصره.

أكد كوندورسيه كذلك على ضرورة التعليم العام باعتباره أساس كل تقدم، حيث نادى بضرورة تولي الدولة تعليم الأطفال والشباب والمعاقين على السواء، وتلك دعوة ثورية وتقدمية إلى حد كبير إذا ما قيسست بالعصر الذي ظهر فيه، وإذا ما قيسست أيضا بالدعوة الداروينية الحديثة التي محورها "البقاء للأصلح"<sup>2</sup>.

نخلص هنا إلى أن كوندورسيه حاول تقديم متخيل استشرافي لمستقبل البشرية قائم على حتمية التقدم العقلي البشري، وتتمظهر هذه النزعة التفاؤلية في أفكاره من خلال أمنياته الثلاث التي يأمل في تحقيقها مستقبلا، وهي: قيام المساواة بين الأمم، المساواة بين أفراد الشعب الواحد، الكمال الحقيقي والواقعي للإنسان الذي يتحقق فقط بتحقيق الشرطين الأولين، وهذه النهاية حتمية حسبه، إذ لا توجد إمكانية للتدهور أو التقهقر أو الانحطاط، وهو مستمر بشكل لا نهائي يمكن أن يتباطى، لكن يستحيل توقفه خاصة وأن الإنسان بفضل العلم وتطبيقاته تمكن من إزاحة عراقيل التقدم والذي نجد تجلياته في العلوم والفنون واللغة والعلوم الاجتماعية و الأخلاقية و السياسية والاقتصادية والتعليم والطب<sup>3</sup>. كما أنه ينوه إلى أن هناك تجل آخر للكمال الإنساني يتمثل في تطور الإمكانيات البيولوجية للكائن البشري خاصة الحسية والعمليات العقلية، لكنها مرهونة بحدود لا يمكن تجاوزها، و يشير في نفس السياق إلى أن التقدم المستقبلي في المجال الطبي خاصة الوقائي والعلاجي منه، سيؤدي إلى زيادة متوسط عمر الإنسان عن العصور السابقة، إلا أنه لن يصل إلى الخلود، هذه الفكرة التي ستفتح الأفق فيما بعد مع حركة الإنسانية المتحولة إلا أن فلاسفتها آمنوا بإمكانية إلغاء أي محدودية تعيق الإنسان عن الكمال.

يؤمن كوندورسيه من هذا المنطلق بأن إنسان المستقبل سيكون أقوى وأسعد وأكثر ذكاء من إنسان اليوم، وما على البشرية إلا التحرر من مختلف القيود والعوائق حتى تسير في أفق التقدم وتحقيق الكمال الاجتماعي والأخلاقي من خلال: الحقيقة، الفضيلة، السعادة، خاصة وأن الإنسان يتقدم من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية بفضل عقله وطبيعته الخيرة لذلك هناك أمل في ارتقائه على الدوام حد بلوغ الكمال، فالتاريخ هو حصيلة نشاط الإنسان وخبراته تسير في حركة تقدمية خطية صوب الكمال والسعادة.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 98، 99.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 48.

<sup>3</sup> عاطف وصفي: كوندورسيه، سلسلة نوايغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت)، ص 101، 102.

ويتجه فيري بالاعتقاد إلى أن كوندرسيه لا يحتزل قابلية التحسن في التغيرات السياسية والاجتماعية، بل يطرأ كذلك على الطبيعة بما في ذلك الطبيعة البشرية، ويستشهد بمسلمة كوندرسيه التي تنص بأنه يجب على الجنس البشري أن يتحسن، سواء من خلال اكتشافات جديدة في العلوم والفنون، ونتيجة لذلك بشكل ضروري في وسائل الرفاهية الشخصية والازدهار المشترك، أو من خلال التحسين الفعلي للقدرات الفكرية والأخلاقية والبدنية. ويعقب فيري على هذه الأفكار بأنه وعلى الرغم من التطور الضعيف للعلوم في عصره إلا أنه كان يعلم بإمكانية زيادة الإمكانيات الطبيعية ليس فقط الاجتماعية والسياسية للإنسان<sup>1</sup>.

أخذت فكرة الكمال الإنساني مع النظرية التطورية منحى آخر بيولوجي، متخيلة عن الأبعاد السياسية والاجتماعية التي أشاد بها الفلاسفة قبل ذلك. ويعتقد أصحاب التطور العضوي أن التطور في مختلف الأنواع كان نتيجة التغير والنمو والتعديل والتكيف والتطور حسب داروين وأتباعه قد لا يتضمن التقدم Progress أو التدهور Regression وإنما يشير إلى التحولات التي يخضع لها الكائن البيولوجي من أجل التكيف مع الظروف البيئية<sup>2</sup>.

بدأت نظرية التطور الكلاسيكية مع عالم الحيوان والنبات جان لامارك (1744-1829) Jean Lamark من خلال تفنيده للتصنيف الطبيعي للكائنات الحية الذي كان سائدا وفي المقابل تسليط الضوء وتوجيه الأنظار نحو علاقة التطور بالعوامل البيئية، فهذه الأخيرة حسبه تجبر الكائنات الحية للتكيف معها موضحا فكرته بطول رقبة الزرافة<sup>3</sup>.

لقد تبلورت نظرية التطور أكثر مع أفكار البيولوجي الإنجليزي تشارلز داروين التي عرضها في مؤلفه "أصل الأنواع" الصادر سنة 1859م، الذي بين فيه أن الكائنات الحية في صورتها الحالية هي نتيجة تطورات وتحولات في بنيتها البيولوجية منذ آلاف السنين بفعل صراعها فيما بينها من أجل البقاء، هذا الصراع الذي يسعى فيه كل نوع لمواكبة التغيرات التي تطرأ على البيئة، ليصير من الكائنات التي يجري عليها الانتقاء أو الانتخاب الطبيعي Natural Selection. لهذا قد تضطر لتغيير بعض صفاتها لتحقيق التكيف، وهنا يورث صفاته الجديدة إلى أفراد نوعه القادمين، أما الكائنات التي لا يمكنها التأقلم مع العوامل البيئية الجديدة بتغيير

<sup>1</sup> Luc Ferry : La révolution transhumaniste, p30.

<sup>2</sup> صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، ص 22.

<sup>3</sup> الشيخ مرتضى فرج، الداروينية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مصر، ط1، 2017، ص 15، 16.

طبيعتها أو بعض من صفاتها سيؤول مصيرها إلى الانقراض<sup>1</sup>، ومعنى ذلك أن الطبيعة تعمل كقوة انتخائية تقضي على الضعيف، ليتكون نوعا جديد من الأحياء منسجمين مع بيئتهم الجديدة، وهذه الأفكار التي تتمحور كلها حول فكرة التطور الطبيعي وقد أطلق عليها الفيلسوف الأمريكي المعاصر دانييل دينيت Daniel Dennit بالفكرة الخطيرة.

لقد أكد داروين أنه مقتنع تماما أن الكائنات الحية ليست ثابتة، وإنما تنحدر الأنواع التي يمكن أن نعتبرها من نفس الجنس، من سلالة الأنواع الأخرى، على أساس نفس مبدأ التنوع الذي يسري على كائنات نفس النوع، فنحن حين ندرس الكائنات الحية من ناحية علاقاتها العضوية وتوزيعها الجغرافي وتعاقبها الجيولوجي، ربما نصل إلى نتيجة مهمة وهي أنها لم تخلق بشكل منفصل كل على حدى، وإنما انحدرت من أنواع أخرى من الكائنات، فالكائنات جميعها متطورة وتشد أنواعها وأجناسها بعضها إلى بعض صلة قرابة وطيدة، وعلاقات بيولوجية محددة، وأنها لم تصل إلى ما هي عليه في شكلها الحاضر وبنائها الحالي إلا بعد تطورات كثيرة وتحولات عديدة في شكلها الخارجي وبنيتها الداخلية منذ أزمان سحيقة وعبر ملايين السنين<sup>2</sup>.

يفسر داروين هذه الظاهرة بقوله أن الأفراد من كل نوع يولد عدد يزيد عما يمكن أن يكتب له البقاء، ولما كان هناك صراع من أجل البقاء يتكون باستمرار، فإنه يترتب على ذلك أن أي كائن، لو تغير بطريقة طفيفة على نحو مفيد، في ظل الأوضاع المعقدة للحياة، التي ينتابها التغير في بعض الأحيان، مثل هذا الكائن ستكون له فرصة أفضل للبقاء، ومن ثم يصبح من الكائنات التي يجري عليها الانتقاء الطبيعي، إذ أنها تكون قادرة على التكيف مع التغيرات التي تحدث في البيئة. ومن ثم تنتقل هذه الصفة الجديدة إلى أفراد الأجيال القادمة عن طريق الوراثة، أما الكائنات التي لا يحدث فيها هذا الفارق العرضي فإنها تنقرض في المدى الطويل<sup>3</sup>. إذن في الصراع من أجل البقاء إنما يتم الفوز للفرد الذي تؤهله صفاته مثل الشجاعة، القوة البدنية، السرعة، الذكاء... الخ للبقاء.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 16، 17.

<sup>2</sup> تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداي للنشر، مصر، (دط)، 2018، ص 182، 183.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 210، 215.



لقد دعت نظرية التطور الداروينية إلى إعادة النظر في قيمة الإنسان التي خلعتها عن نفسه دينيا وفلسفيا، باعتباره سيد الكون وغاية الحياة، مثلما أعاد نيكولا كوبرنيك (1473-1543) Nicolas Copernic النظر في مكانة الأرض وجعلها مجرد كوكب صغير في مجرة فلكية مركزها الأرض<sup>1</sup>.

بعد نظرية داروين التي ترك فيها سؤال أصل الإنسان مفتوحا، قد أعقبتها محاولات كثيرة لعلماء وبيولوجيون قدموا دراساتهم حول هذا الموضوع لعل من أبرزهم عالم البيولوجيا الإنجليزي **طوماس هنري هيكسلي** (1825-1890) T.H.Huxley الذي يعتبر من أكبر مناصري الداروينية - كما ذكرنا آنفا - إلى درجة أنه وصف نفسه بأنه "كلب داروين الحارس"، كما أكد على التطور لدى الإنسان ليتجاوز بعده الطبيعي وجعل منه بديلا للإيمان الديني، هذه الأفكار تأثر بها كذلك حفيده البيولوجي الإنجليزي **جوليان هيكسلي** خاصة في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) Man in the modern world والذي أسهب من خلاله في تحديد جملة الصفات الفيزيائية البيولوجية التي ميزت الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، والتي هيأته للتطور والارتقاء. ونجد من أهمها نمو الدماغ أو المخ<sup>2</sup>.

هذه الأفكار التي جعلت من **جوليان هيكسلي** الأب الروحي لنزعة الإنسانية المتحولة، غير أن أنصار هذه النزعة يشجعون البشر على انتزاع مصيرهم البيولوجي من قبضة التطور الأعمى العشوائي الدرويني، الذي تهيمن عليه الطبيعة المتروكة لها، وقد يأخذ وقتا أطول ليتحقق ولا يمكن للإنسان التحكم فيه، ومنه يتجه التطور وفقا للإنسانية المتحولة نحو تجاوز قدرات الإنسان البيولوجية والعقلية والخروج من الشكل الحالي لهم، هذا ما أكد عليه **ماكس مور** في العديد من المناسبات على ضرورة تسريع وتيرة التطور من خلال التدخل فيه تقنيا<sup>3</sup>. وعليه فههدف الإنسانية المتحولة وفقا لـ **مور** هو تعديل التصميم الأعمى للطبيعة كما كان لأفكار **داروين** صدى لدى العديد من فلاسفة ما بعد الحداثة الذين استقبلوها بصدر رحب وجعلوها منطلقا لأفكارهم، أمثال المفكر الألماني **كارل ماركس** و**سيغموند فرويد**، و**نيتشه**، حيث أشار **فرويد** في أحد محاضراته إلى تأثير هذه النظرية على الإنسان الحديث واعتبر أن من إفرازاتها اجتثاثها مكانة الإنسان المرموقة في نظام الخلق وأن له طبيعة بهيمية، ما عمل على تصدع مركزية الإنسان. كما استفاد منها **نيتشه** قبل ذلك ليحولها إلى دعوته للقضاء على أخلاق الضعفاء أو العبيد، ليحل محلها أخلاق الإنسان الأعلى أو

<sup>1</sup> صلاح عثمان، الداروينية والإنسان، ص 115.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 96.

<sup>3</sup> محمد جديدي، الأفق البيوايثقي، الجزء 2، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021، ص 27.

السوبرمان. لهذا وصف القرن الثامن عشر بأنه عصر التفكك الجدي في مسألة مستقبل الإنسان، خاصة مع الثورة البيولوجية الداروينية، التي ألزمت الفلاسفة وعلى رأسهم نيتشه بالتفكير في أمر هذا الكائن الذي نسميه الإنسان في مستقبله على ضوء القيم الجديدة. النابعة ليس من الدين وإنما من العلم.

لقد تلقى نيتشه<sup>1</sup> عن داروين فكرة الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل البقاء ليحولها إلى دعوة للقضاء على الأخلاق المسيحية، التي كان يسميها بأخلاق العبيد، لكي يحل محلها نوع آخر من الأخلاق هو أخلاق الإنسان الأعلى Superman، وهو الشخص الذي يجب أن ينظر إليه العالم على أنه مصدر المعرفة والسيطرة والقوة، وهو أيضا الشخص القادر على التخلص من معوقات أخلاق العبيد<sup>2</sup>.

إن الإنسان وفق منظور العدمية النيتشوية، ذات هشة محتقرة، يقدر الأوهام ولذلك يذهب نيتشه إلى ضرورة التخلص من كل ما حملته فلسفة الأنوار والفلسفة الحداثية التي أعلنت من شأن الذات باعتبارها واعية عاقلة وأحطت من قيمة الجسد وهذا ما شكل سبب عدميتها كما ذكرنا آنفا.

فإذا كان عهد الحداثة المتأخرة عهد "الإنسان الأخير"، وإذا كان العهد الذي يليه عهد الصراع ضد هذا الإنسان الأخير، فإن العهد الذي نحن سائرون إليه عهد ما بعد العدمية أو عهد الإنسان الأعلى، أي عهد محاربة آثار العدمية ومخلفاتها والمقصود بذلك تجاوز الإنسان الأخير نحو الإنسان الأعلى، والحال أن الإنسان الأعلى هو إنسان المستقبل، الذي شأنه أن يحرر الناس من المثال، وأن يخرجهم من قرف إرادة العدم والعدمية، وأن يعيد إلى الأرض غياتها وإلى الإنسان أمله<sup>3</sup>. مع العلم أن الإنسان الأعلى عندنا شيء ليس المقصود به الإنسان المثالي أو العبقرى، إنما الإنسان الأعلى هو نط من الاكتمال الأعلى، الذي عارض به الإنسان الحديث الأخير كما رسمته المسيحية والعدمية، فالإنسان الأعلى هو الإنسان المقوم، يهب الوجود قيمة، بحيث لن تعود القيم التي تنهض عليها حياته قيما أبدية مطلقة ميتافيزيقية، وإنما أضحت قيما تجريبية مؤقتة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إن الرجوع إلى نيتشه بعد أن عرضناه في المبحث السابق كان بمهدف الكشف عن موقف فيري وحركة الإنسانية المتحولة عموما من فكرة الإنسان الأعلى.

<sup>2</sup> الشيخ مرتضى فرج، الداروينية، ص 25.

<sup>3</sup> محمد الشيخ، النقاشات الفلسفية القارية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيوتقنية، مجلة التفاهم، مجلد 17، عدد 63، يناير 2019، ص ص 152، 153.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 159.

إن فكرة "الإنسان الأعلى" كما صاغها نيتشه والتي شكلت أحد ركائز فلسفته، فقد ارتبط مفهومه إذن بالتححرر الكامل للإنسان من القيم الأخلاقية والدينية السائدة. غير أن صورة هذا الإنسان الأعلى لم تكتمل عنده إلى النهاية، الأمر الذي دفع العديد من الفلاسفة مثل فوكو وهيدغر، ولوك فيري إلى وضع تصورات عن هذا "الإنسان الأعلى". وقد اشتق نيتشه صورة الإنسان الأعلى من القوة، فالقوة عنده كل شيء، والإنسان الكامل أكبر فضائله الشجاعة والإقدام، لا التواضع ولا الرحمة، وأسمى ما فيه هو إرادته وثبات عاطفته.

### 3-التكنولوجيات الفائقة ومآلات الإنسانية:

سعى الإنسان دائما للتكيف والتأقلم مع عالمه الخارجي، هذا ما دفع به إلى توظيف مختلف قدراته العقلية والحسية لبلوغ هذا المسعى وإحداث تغييرات جذرية على البيئة والطبيعة التي يعيش فيها. لكن نظرا لتضائل بعض قدراته ومحدودية الأخرى أو كما قال أفلاطون بأن الإنسان موجود بين منزلتي الكمال المطلق والنقص المطلق، وهو الأمر الذي جعله مفطورا على حب الكمال والسعي نحو التخلص من النقص، ما أفضى به إلى الاستعانة بالأدوات والوسائل المتعددة، والتي استخدمها لأغراض مختلفة كالحماية وحفظ البقاء، البحث عن الغذاء والبحث عن السكن، وكون الإنسان منذ وجوده لم يكن راضيا عن نفسه ولا قانعا بإمكانياته، ومع إدراكه لمحدودية هذه القدرات الممنوحة بدأ يتنازل عن مميزاته ويمنحها للآلات والأدوات، فبدلا من استخدام يديه في قطف الثمار من الأشجار وتسلقها، أصبح يستخدم الأغصان للقيام بنفس المهمة وهو واقف في مكانه كنوع من الإقرار بعجز إمكانيات النوع الإنساني، وهكذا توالى الامتدادات المصنعة لإتمام نقص الإنسان، مثل: السيارات والتلسكوب والسماعات والنظارات وغيرها، غير أن سيناريو الامتدادات Extrntions المكمل للنقائص البيولوجية للإنسان أخذ منعرج آخر في القرن الماضي، اتجه نحو تجاوز محدودية العقل الإنساني وتجلت في اختراع الحاسوب، هذه الامتدادات التي حاولت تغطية وتعويض القصور والعجز الجسدي والعقلي للإنسان سميت بـ"التقنية" وسمي العصر المصاحب لها بـ"الحضارة التقنية"<sup>1</sup>. هذا الحال الذي وصل إليه الإنسان بفضل البحث العلمي والاكتشاف التكنولوجي مكنه ليس فقط من السيطرة على الطبيعة وتطوير ظواهرها، وإنما من تعديل طبيعته البيولوجية أيضا للخروج من حالته الهشة والضعيفة إلى حالة القوة.

<sup>1</sup> مدحت محفوظ، حضارة ما بعد الإنسان، مصائر العرق البشري في عصر الآلات الحية الفائقة الذكاء، دار الكتب القومية، 2006، (دم)، (دط)، ص ص 43، 46.

يرى فيري أننا نعيش حالياً ظهور وتقارب متزايد التكامل لعدة ثورات في مجال العلوم والتكنولوجيا والتي ستؤثر على جميع قطاعات الحياة البشرية خاصة الطب والاقتصاد، وتتمثل هذه العلوم المتقاربة بالرغم من اختلاف تخصصاتها في التكنولوجيا النووية Nanotechnology، المعلوماتية Informatics، (الحوسبة والبيانات الضخمة)، والعلوم المعرفية أو الحيوية Biotechnology، (الذكاء الاصطناعي)، هذه الفروع والتخصصات اختصرت في NBIC واصطلح الادراكية Science cognitive (الذكاء الاصطناعي)، والتي نجد تماثلها في الروبوتات، الطابعات ثلاثية الأبعاد، العلاجات الترميمية باستخدام الخلايا الجذعية، التهجين... الخ<sup>1</sup>.

لقد تم التعرف رسمياً وإعلامياً على الفروع المشار إليها بالحروف الابتدائية لكل فرع NBIC، من خلال تقرير أعدته مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية NSF بالتعاون مع وزارة التجارة سنة 2002م، حيث تم تحديد التكنولوجيات والصناعات والمشاريع الأكثر تأثيراً في المستقبل<sup>2</sup>.

إن أيديولوجية الإنسانية المتحولة استفادت كثيراً من هذا التطور التقني لبناء تصورها حول المستقبل أو المرحلة التالية من تاريخ البشرية، ويمكن تحديد أهم التطورات العلمية والتكنولوجية والتي تمثل جلياً سياقاً لتأسيس النزعة الإنسانية المتحولة فيما يلي:

#### أ- النانو تكنولوجيا Nanotechnology:

شهدت البشرية العديد من الثورات العلمية آخرها الثورة العلمية الخامسة والتي اصطلح عليها بـ "التكنولوجيا النانوية أو النانو تكنولوجيا" حيث مست جميع مجالات الحياة نظراً لسرعة انتشارها. إذ يتوقع الخبراء أن النانو تكنولوجيا ستتمكن من تغيير حياة الإنسانية جذرياً بفضل تطبيقاتها التي كان ينظر إليها قريباً على أنها مجرد خيال علمي خاصة عند التقائها مع التكنولوجيا تنتج لنا النانو بيولوجيا التي ترتبط بشكل مباشر مع حياة الإنسان<sup>3</sup>.

إن مصطلح النانوتكنولوجيا nanotechnology في اللغات الأجنبية ينقسم إلى لفظتين إغريقيتين Nanos التي تعني بالإنجليزية Dwarf، أي قزم وهي ثمرة اجتماع عدة تخصصات علمية مثل الهندسة والكيمياء

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 163.

<sup>2</sup> إشراف وتنسيق محمد جديدي، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 153.

<sup>3</sup> محمد غريب إبراهيم عميش، النانوبيولوجي عصر جديد من علوم الحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 2012، ص 5، 7.

والبيولوجيا والفيزياء. وTechnology، و التي تعني علم الصناعة أما في اللغة العربية فهي تقابل التسميات التالية: التقانة النووية، تقنية المنمنمات، تكنولوجيا الصغائر، تكنولوجيا التقزيمات والتكنولوجيا المتناهية الصغر<sup>1</sup>.

ظهر مصطلح النانو تكنولوجيا في محاضرة للفيزيائي الأمريكي ريتشارد فينمان Richard Feynman (1918 - 1988) بعنوان (هناك متسع في الأسفل: دعوة للدخول إلى مجال جديد في الفيزياء) سنة 1959م، في الجمعية الفيزيائية الأمريكية، والتي وجه فيها الأنظار إلى أهمية الإمكانيات الهائلة المحتملة من وراء استخدام البنى والتصميمات فائقة الصغر، ومع أنه لم يضع هذا المصطلح بشكله اللغوي الحالي "نانو تكنولوجيا" إلا أنه مهد له نظريا. وقد برز هذا المصطلح تحديدا في سبعينيات القرن العشرين عام 1974م، مع الباحث الياباني نوريو تانيجوشي Norio Tanigichi (1912 - 1999) في بحث له يحمل عنوان "حول المفهوم الأساسي للنانو تكنولوجيا"<sup>2</sup>.

يتساءل **لوك فيري** عن المقصود بحرف N الذي يبدأ به اختصار NBIC؟ ويجب بأنه تجل لثورة في عالم الفيزياء الكلاسيكية أطلق عليه اسم تكنولوجيا النانوية نسبة لكلمة "نانو" والتي تعتبر وحدة قياس للأشياء المتناهية في الصغر بحيث أن النانومتر يمثل مليارا من المتر، إذ يمكن تمثيله بأن كائن بحجم النانو متر له سمك أصغر ب خمسين ألف مرة من سمك شعرة، ويستشهد بالتعريف الذي قدمته الجمعية الملكية للهندسة في تقريرها المخصص لسنة 2004م حول تقنيات النانو، إذ ورد فيه: "علم النانو هو دراسة الظواهر والتلاعب بالمواد على المقاييس الذرية والجزيئية الكبيرة، حيث تختلف الخصائص بشكل كبير عن تلك التي لوحظت على نطاق واسع"<sup>3</sup>.

أما من الناحية الاصطلاحية فأشمل تعريف قُدم لها من طرف المبادرة الوطنية الأمريكية للنانوتكنولوجيا NNI والذي ورد فيه: "تطور الأبحاث والتقنيات على مستوى الذرة والجزيء عند مستوى قياسات بين 1 و 100 نانومتر لشرح وفهم الظواهر وسلوك المواد عند هذا المستوى النانوي، بهدف تخليق

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 13.

<sup>2</sup> فتح الله شيخ، محمود موسى، قصة النانوتكنولوجيا حاضرها ومستقبلها، المكتبة الأكاديمية، مصر، (دط)، 2009، ص ص 17، 19.

<sup>3</sup> Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p165.

واستخدام تركيبات وأجهزة ونظم صغيرة الحجم تمتلك خصائص ووظائف جديدة"<sup>1</sup>، أي أنها تتعامل مع المواد والمعدات فائقة الصغر وذلك بتحضيرها واستخدامها في التطبيقات المختلفة.

ويذهب فيري إلى أن دمج هذا التخصص وتقنياته المتطورة مع مجال الصحة والطب والبيولوجيا يولد لنا "طب النانو" وهو فرع واعد للغاية وملئ بالتقنيات المتقدمة وبفضله قامت أيديولوجية الإنسانية المتحولة، ويوضح ذلك بأنه يشير بوجود علاجات مستهدفة ومنظمة لمختلف الأمراض والأطراف الاصطناعية المصغرة بجميع أنواعها، إدخال قطع أثرية إلى الدماغ أو زرع آليات نانومترية في جسم الإنسان لأغراض طبية، أدوية النانو التي تتجه مباشرة نحو الخلايا المريضة... هذا الأمر حسب فيري سيجعلنا نشكك في تصورنا لإنسانيتنا والتساؤل حول معدن التهجين الذي نرغب في تأسيسه بين التكنولوجيا والطبيعة؟ بينما هو جامد وخامل وما هو كائن على قيد الحياة؟<sup>2</sup>

إن النانو تكنولوجي أو الثورة العلمية الجديدة ليست مجرد اتجاه علمي جديد يقدم خدمات وإضافات للعلم، بل هي ثورة تفتح الآفاق المستقبلية لمجىء إنسان جديد، لهذا يعتبر هذا الفرع العلمي من أهم المجالات التي يعول عليها كثيرا خبراء التحول الإنساني لتحقيق مساعيهم التي يرمون إليها، هذه الفكرة قد عبر عنها ميتسيو كاكو بقوله: "يدعي أنصار تكنولوجيا الأجهزة النانوية أنها قد تعطينا أيضا نوعا من الخلود، فهم يعتقدون بتجميد الإنسان بعد الموت، ومن ثم استخدام أجهزة إنسان آلي جزيئية تعكس تلف الخلية المحتتم الذي يحدث عندما تحطم البلورات الجليدية جدار الخلية"<sup>3</sup>.

### ب- البيوتكنولوجيا: Biotechnology

إن البيو تكنولوجيا في الاشتقاق اللغوي هي نتيجة تآلف كلمتين يونانيتين الأولى Bio وتعني الحياة، والثانية تكنولوجيا Technology والتي تعني علم الصناعة، أما من حيث المعنى الاصطلاحي فهناك تعريفات متعددة لهذا الحقل، فهناك من يعرفها بأنها التدخل التقني في حياة وجسم الإنسان، ونجد تجلياتها في زرع الأعضاء والأنسجة، الخلايا الجذعية، التعديل الجيني، الاستنساخ... وغيرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد غريب إبراهيم عميش، النانوبيولوجي عصر جديد من علوم الحياة، ص 14.

<sup>2</sup> Luc ferry, La révolution transhumaniste, p 167.

<sup>3</sup> ميتسيو كاكو، مستقبل العقل، ص 344.

<sup>4</sup> محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 33.

تعرف البيوتكنولوجيا بأنها فرع علمي يضع تحته عدة تخصصات أبرزها الطب والبيولوجيا والتكنولوجيا، هدفها تسخير التقنيات الحديثة للتدخل في البشر والكائن الحي بصفة عامة، وتعتبر الهندسة الوراثية أهم فروعها التي فككت شفرة الخريطة الجينية للإنسان، وهو الأمر الذي أتاح إمكانية معالجة الجينات وتعديلها أيضاً<sup>1</sup>، لهذا يعول عليها كثيراً دعاء الإنسانية المتحولة، كما تعد أحد الفروع الأربعة التي تسمى بالتكنولوجيات الفائقة أو العلوم المتقاربة NBIC التي يقوم عليها المستقبل الإنساني إذ ساهمت مخرجاتها في تغيير حياة الإنسان .

يعبر الحرف **B** من NBIC عن مجال التكنولوجيا الحيوية، ووفقاً لـ **فيري** يمكن أن نلمس أهميتها بالنسبة للإنسانية المتحولة من خلال الإنجازات التي قدمتها ثورة الهندسة الوراثية التي مكنت من التعرف على الجينوم البشري<sup>2</sup> أو الخريطة الجينية للإنسان التي من خلالها يمكن التحكم في الصفات الوراثية المشككة للطبيعة البيولوجية للكائن البشري، إذ يمكن حذف بعض الصفات غير المرغوب فيها كالتي تسبب الأمراض الخطيرة، وهنا يتساءل **فيري**: هل لدينا الحق في تعديل الجينوم؟ حسبه يعبر هذا السؤال عن جوهر الإنسانية المتحولة التي يميل مؤيدوها إلى الإجابة بالإيجاب بشرط اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب المخاطر وراء ذلك، وكما يذهب **فيري** إلى أن هذا المشروع الواعد تهتم به المؤسسات والمخابر خاصة في الو.م.أ، وتجدد الإشارة إلى أن تكلفة تسلسل الجينوم البشري الأول في عام 2000م بلغت 3 مليارات دولار، بينما تبلغ في الوقت الحالي 3000 دولار، ومن المتوقع أن تنخفض إلى أقل من 100 دولار قبل نهاية العقد، هذا يعني أنه سيكون من الممكن معرفة الحمض النووي للشخص مع أي تشابحات محتملة بنفس سهولة إجراء فحص الدم، ولكن ربما لا تكمن أهمية هذا المجال في معرفة الحمض النووي فقط، بل في الاكتشافات الحديثة، مثل أداة "كريسبر كاس 9" Cas9-Crisper<sup>3</sup> وتسمى كذلك "بتقنية المقص"، التي بفضلها أصبح من الممكن

<sup>1</sup> منيرة علي الجنزوري، التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية، دار المعارف للطباعة والنشر، 2008، ص 11.

<sup>2</sup> كلمة تتكون من جزأين: الأول GEN ومأخوذة من أصل إغريقي Genos وتعني المورثة بمعنى أصل السلالة، وهي عبارة عن قطعة صغيرة تكون متواجدة في نواة الخلية الجسدية المسؤولة عن ظهور الصفات الوراثية المميزة للبشر، أو متواجدة في الخلية الجنسية المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية بين الأجيال، والثاني OME المأخوذة من Chromosome أو الصبغي الحامل للجينات البالغ عدده 46 كروموزوم. (ينظر: إيريك. ب. وايدمير، مادة الحياة: وصف مختصر للجزيئات التي تجعلنا نبض بالحياة، تر: هاشم أحمد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014، ص9)

<sup>3</sup> أو تقنية التحرير الجيني، وهي من أبرز وأحدث تقنيات الهندسة الوراثية تستخدم في التعديل الجيني للمادة الوراثية، حيث تقوم على بروتين كاس 9 الذي يشبه المقص الجزيئي الذي يقوم بقطع الجين المسؤول عن المرض واستبداله بجين سليم. (ينظر: طارق يحيى قابيل، في رحاب الثورة البيوتكنولوجية، منظمة المجتمع العلمي العربي، ط1، 2019، ص27)

"قص" و"الصق" الحمض النووي، بل وحتى تهجينه بسهولة مثل تصحيح خطأ إملائي أو نقل جملة باستخدام برنامج معالج النصوص، وتفتح هذه الأداة آفاقا واسعة في مجال الجراحة الحيوية، حيث يمكن إخفاء أو تشغيل جين معين أو تعديله أو إزالته أو تهجينه، ما يفتح إمكانيات لا حصر لها، وإن لم تكن حاضرة بعد أمام الهندسة الوراثية البشرية<sup>1</sup>. وعليه فالهندسة الوراثية كمبحث علمي لم تتوقف عند حدود تخليص الإنسان من بعض الأمراض وإنما سعت إلى إطالة أمد حياة الإنسان، بل سعت إلى إنتاج الإنسان داخل المخابر.

يمكن القول انطلاقا من هذا بأن البيو تكنولوجيا ترتبط بالمعارف والمعلومات التي سبقتها، فهي نتيجة تراكمية لجهود وأبحاث الكثير من العلماء المخصصين في مجال البيولوجيا والطب والكيمياء والفيزياء والتكنولوجيا، وغيرها من العلوم، وجذورها تعود إلى النظرية التطورية ثم قوانين الوراثة وصولا إلى ثورة التحكم الجيني في أواخر القرن العشرين.

لقد فتحت هندسة الجينوم البشري آفاقا واعدة حول إمكانية إعادة تركيب وبناء الكائن الحي البشري كلية، حسب نموذج مبتكر غاية في التحسين والكمال، وذلك من ناحية الصفات البيولوجية والخصائص النفسية والعقلية تمكنه من القوة الجسدية والذكاء الخارق والعمر الطويل<sup>2</sup>.

إن ظهور فرع التكنولوجيا والتي تجري الأبحاث فيها حول الروبوتات النووية، وهي أجهزة عالية الدقة توضع داخل الجسم في دم المريض، ويكمن دورها في الكشف عن أي خلل عضوي أو أي عدوى ثم العمل على إصلاحها، وترمي الأبحاث في هذا المجال إلى تخفيض معدل الوفيات وكذا احتمالية الإصابة بالأمراض خاصة الخطيرة منها، مثل: السرطان<sup>3</sup>. هذا ما شكل نقطة تحول في مجال البيو تكنولوجيا التي حولت مسار المجال البيوطبي من العلاج إلى التحسين والتعزيز والإعلاء من خلال التحامها بالفروع والتخصصات الأخرى.

### ج-المعلوماتية Informatic:

ويتعلق الأمر هنا بالحرف الثالث "I" من "NBIC"، والتي تشير إلى مجال المعلوماتية، وحسب لوك فيري فإن قسم البيانات الضخمة "Big Data" يمثل أكثر تجلياتها، تشير البيانات الضخمة إلى كمية هائلة من المعلومات المنظمة أو غير المنظمة، العامة أو الخاصة، التي تتدفق باستمرار عبر الشبكات العالمية وتتكون هذه

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 168, 169.

<sup>2</sup> محمد جديدي وآخرون، البيوتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 136.

<sup>3</sup> حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، ص 128.



البيانات من رسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية وتصفح الإنترنت والتفاعلات على وسائل التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك Facebook، منصة X، لينكدإن linkedin... والبيانات من الأجهزة المتصلة بالإنترنت. لقد زاد حجم البيانات الرقمية بشكل كبير في السنوات الأخيرة، حيث لم يعد يتم قياسها بالبيتا بايت ( $10^{15}$  بايت) ولا حتى بالاكسابايت ( $10^{18}$  بايت) بل بالزيتابايت ( $10^{21}$  بايت)، ولإعطاء فكرة عن الطبيعة المذهلة لحجم البيانات التي تتجول باستمرار عبر "الويب" يكفي أن نعرف أن "البيتا بايت" كان يمثل بالفعل ما يعادل 2 مليار صورة فوتوغرافية بدقه متوسطة، ثم إن المعلومات التي يمكن استخلاصها من البيانات الضخمة هي ذات استخدامات متنوعة لا حدود لها، ويمكنها أن تخدم الأغراض الأكثر تنوعاً بدءاً من علاج الأوبئة والتعامل مع الكوارث الطبيعية وإدارة أقساط التأمين، أو مكافحة الجريمة إلى تسلسل الجينوم البشري، بما في ذلك تنظيم النقل الجوي وحركة المرور على الطرق والسيارات ذاتية القيادة و مكافحة السرطان والمراقبة المنزلية للمرضى وكبار السن والإعلانات المستهدفة أو اختيار ومراقبة فعالية المواضيع التي يحتفظ بها فريق المرشح في الحملة الانتخابية<sup>1</sup>.

إن اكتساح المعلومات جميع المجالات مكن الإنسان من ولوج عصر جديد من معالجة المعلومات وتخزينها وإجراء عمليات حسابية معقدة تتطلب عقولاً جبارة وأزمنة طويلة، كل ذلك في ثواني معدودة وبدون تعب، بل تمكن المعلوماتية من تسيير مؤسسات بأكملها، ناهيك عن كونها أضحت أداة فعالة في الحروب المعاصرة وفي صناعة العوامل الافتراضية، ولا ننسى هنا مساهمة الذكاء الاصطناعي في نمو هذا المجال العلمي.

إن عصرنا الحالي يسير نحو خيار التكنولوجيا الرقمية كاستراتيجية والمعلومات كثرة، فحجم المعلومات التي كانت تخزن في عقل الإنسان كذاكريات أصبحت بدون فائدة، إذ انصب الاهتمام حول حفظها خارجياً أي في جهاز إلكتروني منفصل عن الإنسان، فالتحول نحو حوسبة الحياة الإنسانية جعلت الإنترنت بمثابة همزة وصل بين جميع العقول والحواسيب الإلكترونية ما أفضى إلى خلق عالم افتراضي متكامل، وذلك بالاعتماد على جعل الموجودات الطبيعية والواقعية وحتى الذوات الإنسانية إلى معلومات رقمية مخزنة في شكل سلاسل عديدة<sup>2</sup>. كما يتوقع خبراء التحول الإنساني أن تغير تكنولوجيا المعلومات ليس فقط طريقتنا في

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 171, 172.

<sup>2</sup> بشرى زكاغ، عصر المعلومات وظاهرة الإنسوبي أو الإنسان المعدل حاسوبياً، مجلة أفكار، عدد 7، المغرب، يونيو 2016، ص 96.

العمل أو اللعب، بل حتى الجوانب الأعمق في حياة الإنسانية فيما يخص هويتنا وأجسادنا وطبائعنا وأخلاقنا<sup>1</sup>.

### -العلوم المعرفية أو الإدراكية Science Cognitive :

يتمثل الحرف الأخير "C" من الاختصار "NBIC" في العلوم المعرفية أو الإدراكية، ويعتبر الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence أبرز تجلياتها، الذي يمثل فرعاً من فروع علم الحاسوب، وقد اعتبره مؤسسه جون مكارثي John Makarathi (1927-2011) سنة 1956 بأنه علم و هندسة و<sup>2</sup>صنع آلات ذكية"، ويكمن هدفه الجوهرى في خلق ذكاء آلي يحاكي ويضاهي الذكاء البشرى ويتجاوزة إن أمكن ذلك، من خلال صنع آلات أو تصميم عملاء أذكىء قادرين على فهم الوظائف الموكلة إليهم، مع إنجازها بدقة تامة ويعتبر معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (M/T) من أهم المختبرات العالمية الرائدة في مجال تصنيع الروبوتات، الذي يعتبر من أهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي AI.

ووفقاً لـ **لوك فيري** ينبغي أن نفرق بين الذكاء الاصطناعي الضعيف وهو حقيقة واقعة بالفعل، إذ يقتصر دوره على حل المشكلات ويمكنه تقليد الذكاء البشرى ولكن ميكانيكياً فقط، أما النوع الثانى والمتمثل في الذكاء الاصطناعي القوي الذي لا يزال حسب مجرد خيالٍ علميٍّ أو يوتوبيا، لأنه يعبر عن ذكاء آلي قادر ليس فقط على تقليد الذكاء البشرى ظاهرياً ولكن أيضاً على امتلاك عنصرين بشريين هما: الوعي الذاتى والعواطف، كما يوحي الذكاء الاصطناعي إلى فكرة نقل الوعي الإنسانى من الدماغ البشرى إلى حاملات إلكترونية أو رقمية مثل مفتاح<sup>3</sup> USB.

<sup>1</sup> خالد العبادى، عندما يغير عالم المعلومات الجديد حياتنا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017، ص 37.

<sup>2</sup> Nick Bostrom, E. Yudkowsky, **The ethics of artificial intelligence**, <https://nickbostrom.com/ethics/artificial.intelligence.pdf>

<sup>3</sup> Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p157.

#### رابعاً: الإنسانية المتحوّلة من الخيال إلى التجسيد.

يعتقد البعض أنه حتى لو بدا الأمر مجرد خيال، فإن حالة ما بعد الإنسانية التي يشير إليها مور تشير، في الواقع، إلى حقيقة قد تحدث بشكل معقول في المستقبل: إمكانية تحويل البشر إلى نوع حيوي محسن. ستجعل التطورات الجينية من البشر المتحولين ذوي مواهب عالية، وشباب دائم، وغير معصومين من الخطأ، عملياً مثاليين وخالدين. في هذا العالم الجديد الجريء الذي تهيمن عليه العلوم التقنية، والمبني على أركان الثورة ما بعد الإنسانية، سيعيش البشر الفرديون الضعفاء والناقصون جنباً إلى جنب مع البشر المبرمجين، والمعصومين والمثاليين، وكذلك مع السيورغ. هذا سيكون بلا شك غروباً للنوع البشري، الذي يُقلل إلى وضعية الخضوع والعبودية بسبب تفوقه الجسدي والفكري على النوعين الآخرين - البشر المتحولين والرجال الآليين.

#### 1\_ الإنسانية المتحوّلة في أدبيات الخيال العلمي والفن:

إذا كان العلم بوابة المستقبل فإن الخيال العلمي مفتاحه السحري، فالعلم غلبا ما تنبأ به الخيال العلمي، وفي المقابل قدّم الكثير من الحقائق الجديدة التي ألهمت كتاب الخيال العلمي<sup>1</sup>. وعليه فإن أدب الخيال العلمي ليس كأي كتابة أخرى عن العلم، فهو يتطلع إلى الأمام حيث تنظر الأنواع الأخرى عادة ما تنظر إلى الخلف. كما أن له عدة أنواع نجد ما يتقاطع مع موضوعنا هو أدب الخيال العلمي التنبؤي وليس أدب السحر والشعوذة والأسطورة.

إن الخيال العلمي ككل أدب ينقل أيديولوجية ما، وقد انعكست التيارات العلمية والتقنيات المعاصرة لهذا القرن فيه، فكثير من قصص وروايات وأفلام الخيال العلمي تعطي الانطباع بشكل أكثر عمق عن أن التقدم العلمي هو المحرك الوحيد للتطور<sup>2</sup>.

في هذا السياق، يمكن القول بأن أدبيات الخيال العلمي (SF) بدأت بالظهور تزامناً مع ظهور العلم والتقانة وتطورهما، بحيث كان دائماً مرتهناً بقضايا العلماء الذي يكتب فيه، لهذا نجد أن أبرز ما يميز القرن العشرين أن هذه القضايا أصبحت متعلقة بالإنسان بالدرجة الأولى، من حيث هويته ومستقبله ومصيره... إلخ، خاصة بعد الانفجار الذي شهدته التكنولوجيا في مجالات الطب والبيولوجيا والكمبيوتر

<sup>1</sup> جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل: أدب الخيال العلمي، ترجمة: رؤوف وصفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (دط)، 2005، ص 11.

<sup>2</sup> جان غاتينيو، أدب الخيال العلمي، ترجمة: ميشيل خوري، طلاسدار، دمشق، ط1، 1990، ص 160.

والروبوتات لهذا كثر الحديث عن الأشخاص الآليين Robots، أو الإنسان المهجن Cyborg، أو الإنسان المسخ... وغيره. وقد تكلم عن موضوع الآليين كنسخ معدنية للإنسان عام 1920 التشيكوسلوفاكي كارل كابيك K. capek (1890-1938) في أعماله التي حاول فيها أن يعطي لمحة أو إجابة عن سؤال: هل يخشى أن يحل الكائن الآلي محل الإنسان البشري؟ وأن يسلب منه مكانته؟ وقد عبر عن تشاؤمه المضاد للعلم. وهكذا توالى الأعمال الأدبية والفنية والسينمائية التي تتحدث عن حدود العلم، ومستقبل الإنسان في ظل المستجدات والاكتشافات التقنية والعلمية، بل وحتى انعكاساتها على البشرية. ولعل هذا ما قصده الإنجليزي **الدوس هيكسلي** في مقدمة سلسلته "أفضل العوالم": «إن موضوع أفضل العوالم ليس تقدم العلم بحد ذاته، وإنما تقدم العلم بتأثيراته على الكائنات البشرية»<sup>1</sup>.

لقد ساهمت كتابات أدباء الخيال العلمي في إنعاش اتجاه التحول الإنساني وما بعد الإنسانية بالأحلام والطموحات والخيالات الجامحة، فالخيال العلمي المحتفي بمفهوم التقدم والمتجاوز لكل الاعتبارات حتى وإن كانت أخلاقية أو دينية، ألهم المفكرين والفلاسفة والسياسيين ومنحهم فرصة مشاهدة كيف يبدو المستقبل البشري في ظل التطورات التكنولوجية. على أساس أن الخيال شرط الإبداع، فلو لم يتخيل الإنسان الطيران، لما تحقق له هذا الحلم عبر التقنيات، لذلك فهناك خيال يدعو إلى التفاؤل بالمستقبل والإمكانات العظيمة المتاحة أمام الإنسان، وهناك اتجاه متشائم ومتخوف من المستقبل، وتعد رواية "فرانكشتاين Frankenstein" للكاتبة البريطانية **ماري شيلي** Mary Shelley (1797-1851) سنة 1818 بداية أدبيات الخيال العلمي، هذا وقد ساهمت "هوليوود" في تقليص المسافة بين أدبيات الخيال العلمي والجمهور من خلال إنتاج سلسلة ضخمة من الأفلام والمسلسلات حول قضايا ومواضيع البحث الداعية إلى الإنسانية المتحولة أو ما بعد الإنسانية، مثل الكوارث، التحسين البشري، التعديل الجيني، الاستنساخ، تحميل الدماغ، والتخاطر وغير ذلك.

ففي رواية الكاتبة **ماري شيلي** الصادرة سنة 1818 م (فرانكشتاين: أوبرومثيوس الحديث Frankenstein: or the Modern Prometheus) حيث تدور أحداث الرواية حول شاب يدعى "فيكتور فرانكشتاين" المولود عام 1818م، والذي ينجح في إحياء مخلوق مرعب يخلقه من أجزاء جثث بشرية بواسطة التكنولوجيا، فتجث مخلوق بهيمة بشرية ومتجاوز للحدود البيولوجية للبشر. ومن هنا، تتبع الرواية

<sup>1</sup> جان غاتنيو، أدب الخيال العلمي، ص 41، 43.

قصة هذا المخلوق وعلاقته بخالقه والعواقب الوخيمة التي تنتج عن تجربته الخطيرة، وتعتبر هذه الرواية من أهم الأعمال الأدبية في القرن 19 وتدخل في إطار أدب الرعب والخيال العلمي، وكذلك أول عمل أدبي تناول فكرة التطور المتجاوز للإنسانية والعلاقة بين الإنسان والتطور والتكنولوجيا<sup>1</sup>.

أما رواية "1984"، فهي من تأليف الكاتب البريطاني جورج أورويل George Orwell (1903-1950)، وتم نشرها في عام 1949م، وتدور أحداثها حول مجتمع خيالي يسمى أوشينا، حيث تسيطر الأنظمة الشمولية والتكنولوجية على كل شيء وتتحكم في حياة الأفراد وأفكارهم وأفعالهم، فالرواية تتبع قصة شخص يدعى (وينستون سميث) الذي يحاول الانتفاض ضد النظام القائم، وهي تعد من أوائل الأعمال الأدبية التي تناولت موضوع ما بعد الإنسانية والتطور التكنولوجي<sup>2</sup>.

تتعمق بعض نصوص الخيال العلمي غالباً في فكرة تجاوز القيود البشرية من خلال التكنولوجيا أو الهندسة الوراثية أو وسائل أخرى، يستكشف هذا الموضوع إمكانية تطور البشر لتعزيز قدراتهم البدنية والإدراكية، إذ تصور رواية "عالم جديد شجاع" Brave New World (1932) لـ ألدوس هيكسلي -وهي تمثل الجزء الأول من سلسلة عوالم رائعة- مجتمعاً بائساً، حيث تستخدم التكنولوجيا للهندسة الوراثية وتكييف الأفراد لأدوار محددة في المجتمع، كما تستكشف الرواية عواقب استخدام التكنولوجيا لتعزيز قدرات السلوك البشري والتحكم فيها، حيث يتم تصميم البشر وتربيتهم وراثياً منذ الولادة لتناسب أدوار مجتمعية محددة ولقمع الفردية، إذ يستخدم المجتمع تقنية الإنجاب المتقدمة لإنتاج مواطنين بسمات وقدرات محددة، بالتالي تجاوز حدود التكاثر الطبيعي البشري، ويتم تصنيف الأفراد في هذا المجتمع إلى خمس فئات متفاوتة، كل منهم مصممة لدور معين في المجتمع، تقع فئة "الألفا" في أعلى التسلسل الهرمي وتليها فئة "بيتا" وقد تم تصميمهم وراثياً ليكونوا أذكاء ومتعلمين، أما في الطبقة الدنيا نجد فئة "جاما" التي تشير إلى الطبقة الشعبية، والطبقة الأخيرة تشمل فئتي "دالتا" و "الإبسيليون" اللتان تم تصميمهما ليكونا أقل ذكاء وأكثر ملائمة للمهام الوضيعة، ويحملن صفات قبيحة لهذا تتعرض بويضات المنتمين لهذه الفئة للبرد وتوقيف نموها<sup>3</sup>. كما يتطرق الكاتب أيضاً لمكافحة الشيخوخة والأمراض، من خلال أخذ الحقن لزيادة نسبة الكالسيوم والمغنيسيوم أو لنقل دم الشباب، وهناك فئة أخرى تسمى المتوحشون أو المتمردون، وهم أفراد قرروا محاربة هذه التحسينات

<sup>1</sup> ريهام حسن، ما بعد الإنسانية، الرقمية، بعد ما بعد الحداثة: الجنس الأدبي وتحولات العصر، مجلة روابط رقمية، عدد 1، 2018، ص 78.

<sup>2</sup> علاء أحمد وخن جمال، ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الإنسانية، مجلة أبحاث، مجلد 6، عدد 1، 2021، ص 146.

<sup>3</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 110.

وتبعاتها، لهذا فهم يخبثون في محميات غير حضارية بعيدا عن التكنولوجيا ويتبعون نمط الحياة العادية يقودهم شخص اسمه "برنارد ماركس"، هذا ويتم استخدام مفهوم عملية متطابقة متعددة من بويضة بشرية واحدة مما يتجاوز كذلك القيود الطبيعية للتكاثر البشري، هذا وتثير الرواية أسئلة أخلاقية وفلسفية عميقة حول استخدام التكنولوجيا لتجاوز القيود البشرية، في حين أن هذا المجتمع قد قضى على العديد من المشاكل المرتبطة تقليديا بالوجود البشري، مثل المرض والفقر، إلا أنه ضحى أيضا بالفردانية والعمق العاطفي والاستقلالية الشخصية<sup>1</sup>. وعليه تعد رواية عالم جديد شجاع بمثابة قصة تحذيرية حول المخاطر والعواقب المحتملة لتعزيز القدرات البدنية والمعرفية من خلال التكنولوجيا والهندسة الوراثية. وقد تم اقتباس الكثير من موضوعات وأفكار هذه الرواية لإنتاج فيلم Divergent من إخراج "بيل بيرجر"، وتم إصداره عام 2014م، حيث تدور قصة الفيلم حول عالم مستقبلي ينقسم فيه الناس إلى فئات مختلفة حسب شخصياتهم وميولهم، وتنبع القصة شخصية تدعى (كريس) التي تكتشف أنها تنتمي إلى فئة نادرة تسمى "المتردون" وتحاول الحفاظ على هويتها والتغلب على النظام الفاسد، ويصور الفيلم مواضيع مثل الهوية والتمرد والسيطرة والتحرر منها، مما يجعله يندرج تحت فئة أدب ما بعد الإنسانية<sup>2</sup>.

مع بدايات القرن العشرين، وتزامناً مع تطور العلوم البيولوجية والجراحة التجميلية والأطراف الصناعية، أصبحت مثل هذه الموضوعات وما يماثلها مصدر إلهام للعديد من مؤلفي وكتاب الخيال العلمي. ونجد من أشهرها قصة "عالم النسيان رقم 90" لبرنارد وولف<sup>3</sup>، وكذا قصة "من؟" لـ "ألجير بودريز"<sup>3</sup>، والفكرة الجوهرية لكلاهما هي المزج بين الكائنات البشرية والأطراف الاصطناعية، لتثير قضية: ما الإنسانية؟ وإمكانية تغيير طبيعة جسم الإنسان؟ وما الذي يجعل الإنسان إنساناً؟

تتميز العديد من الروايات بشخصيات أو كيانات تمثل اندماجاً بين المكونات البشرية والآلية، وتمحو الحدود بين العضوي والاصطناعي، وتتحدى هذه الكائنات الآلية التعريفات التقليدية للإنسان. فهذه رواية "الخدعة البصرية" (1984) لـ **ويليام جيبسون**، هي رواية رائدة في مجال "السايبربنك" قدمت مفهوم الكائن الآلي واندماج البشر مع التكنولوجيا. في الرواية (كيس) هو بطل الرواية وهو قرصان كمبيوتر سابق أصيب جهازه العصبي بالضرر بسبب نشاطاته السابقة. يتم توظيفه من قبل صاحب عمل غامض لتنفيذ عملية

<sup>1</sup>Littérature et transhumanisme

[http : //unmondesanshuman.wordpress.com/litterature-et-transhumanisme/](http://unmondesanshuman.wordpress.com/litterature-et-transhumanisme/)

<sup>2</sup> تمت مشاهدة الفيلم عبر تطبيق نيتفليكس وأعطته الباحثة قراءة فلسفية.

<sup>3</sup> جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل، ص 78.

سرقة في الفضاء الإلكتروني، وهو شبكة واقع افتراضي. لمساعدته في هذه المهمة، يخضع كيس لتعديلات جراحية ليصبح "راعي البرامج"، تشمل هذه التعديلات زرع منفذ مايكروسوفت في رأسه مما يسمح له بالاتصال مباشرة بالفضاء الإلكتروني. يتم تعزيز جسد (كيس) وعقله وربطهما بالتكنولوجيا، مما يطمس الحدود بين العضوي والاصطناعي. كما تضم الرواية أيضاً شخصية (مولي ميلونز)، وهي من مقاتلي الشوارع الذين لديهم تحسينات سيبرانية واسعة النطاق، بما في ذلك شفرات حلقة قابلة للطّي تحت أظافرهم وعدسات معكوسة مزروعة فوق عينيها. تجسد شخصية (مولي) اندماج المكونات البشرية والآلية، وتتحدى التعريفات التقليدية لما يعنيه أن تكون إنساناً. ولهذا تعتبر رواية "الخدعة العصبية" عملاً كلاسيكياً من أدب الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية، حيث تستكشف موضوعات الفضاء الإلكتروني والسيبرنتيكا وتأثير التكنولوجيا على الهوية البشرية<sup>1</sup>، لقد كان لها تأثير كبير في تشكيل نوع ساير بانك، وكان لها دور فعال في مناقشات حول ما بعد الإنسان في عالم متقدم تكنولوجياً.

أما في رواية "الشتات" (1997) من تأليف جورج إيغان، فهي تشكك في استقرار وفردانية الهوية البشرية، حيث تدرس كيف يمكن أن تكون الهوية مجزأة أو سائلة أو موزعة عبر كيانات مختلفة، بما في ذلك الآلات والحيوانات والنظم البيئية مثال مقنع على عمل ما بعد الإنسان، وتشير إلى التجزئة وسيولة الهوية عبر كيانات مختلفة، بما في ذلك الآلات والحيوانات والنظم البيئية. كما يتعمق إيغان في عالم مستقبلي حيث يتعايش ويتفاعل الوعي الرقمي وأشكال الحياة الاصطناعية وكيانات ما بعد الإنسان<sup>2</sup>. هذا وتتحدى الرواية المفاهيم التقليدية للهوية الفردية، حيث يمكن للشخصيات تحميل وعيها في أشكال مختلفة، بما في ذلك الأجسام الآلية والواقع الافتراضي، يمكنهم أيضاً تعديل هوياتهم وتجاربهم حسب الرغبة، مما يؤدي إلى شعور شديد بالسيولة والتوزيع بالذات.

تتناول الكثير من أعمال الخيال العلمي الموجهة فلسفياً موضوع طبيعة الإنسان وفكرة تحميل عقل شخص ما استناداً إلى فكرة نسخ نمط معلوماته كالذكريات والصفات الشخصية في حاسوب فائق، هذا ما

<sup>1</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, p7.

<sup>2</sup> Ibid , p8.

جسدته رواية "مسح المخ" لروبرت ساوير Rober Sawyer، حيث يسعى "جاك سوليفان"، الشخصية الرئيسية، إلى تجنب الموت وتحقيق الخلود من خلال نسخ مخه، ويحاول تحميل عقله في جسم اصطناعي<sup>1</sup>.

تدرس بعض الروايات التفاعل بين العالم الطبيعي والتقدم التكنولوجي، وتطرح أسئلة حول تأثير التكنولوجيا على البيئة وإمكانية ظهور أشكال جديدة من الوعي البيئي. في رواية (أوريكس وكريك)، يرسم (أتود) مستقبلاً بئساً حيث أدى التقدم العلمي والتكنولوجي الحيوي إلى خلق الكائنات المعدلة وراثياً والتلاعب بالعالم الطبيعي. تتابع الرواية قصة (سنومان)، أحد الناجين من كارثة عالمية، يتأمل ماضيه والأحداث التي أدت إلى سقوط الحضارة البشرية. كما أن الشخصية المركزية في السرد هي (كريك)، وهو عالم لامع يقوم بإنشاء كائنات حية معدلة وراثياً تعرف باسم Crakers، تم تصميمها لتكون في مأمن من الأمراض وليس لديها ميل للعنف وتعيش في وئام مع الطبيعة. رؤية (كريك) هي تصميم نسخة جديدة محسنة من البشرية تتعايش بسلام مع البيئة، وتثير الرواية أسئلة عميقة حول عواقب التجارب العلمية والتلاعب البيئي. إنها تستكشف التوتر القائم بين التقدم التكنولوجي والمسؤولية البيئية<sup>2</sup>، بالإضافة إلى إمكانية أن تخلق البشرية علاقة أكثر انسجاماً مع العالم الطبيعي من خلال التكنولوجيا الحيوية، إنها تجسد الموضوع ما بعد الإنساني لتأثير التكنولوجيا على البيئة وإمكانية ظهور أشكال جديدة من الوعي البيئي.

ثم إنه مثل هذه الروايات غالباً ما تتصارع مع المضاعفات الأخلاقية المتعلقة بالتحسينات التكنولوجية والهندسة الوراثية، ومعاملة الكائنات غير البشرية، إنها تشجع القراء على التفكير في الآثار الأخلاقية لهذه التطورات. لقد تم تعيين رواية Girl (2009) من تأليف باولو باسيغالوي في مستقبل حيث وصلت التكنولوجيا الحيوية إلى مستوى من التطور يتضمن إنشاء كائنات معدلة وراثياً، بما في ذلك "الأشخاص الجدد" أو Windups، تم تصميمهم وراثياً لخدمة الاحتياجات الإنسانية، لكنهم يثيرون أيضاً أسئلة أخلاقية معقدة حول معاملتهم وحقوقهم. الرواية تعد بمثابة قصة تحذيرية حول المخاطر الأخلاقية للبحث بالطبيعة البشرية، وتعرض أيضاً موضوع الإنسانية المتحولة، وتميز بين الشخصيات البشرية والكائنات المعدلة وراثياً<sup>3</sup>. كما تستكشف الرواية قضايا متعلقة بالهندسة الوراثية والقرصنة البيولوجية واستغلال الكائنات غير البشرية لأغراض الكسب المادي، وتتحدى القراء للتفكير في الآثار الأخلاقية لإنشاء واستخدام أشكال

<sup>1</sup> سوزان شنيدر، الخيال العلمي والفلسفة من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الاصطناعي، ترجمة: عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة،

ط1، 2011، ص 20.

<sup>2</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, Is transhumanism a threat to human existence, p6.

<sup>3</sup> Ibid, p p 8, 9 .



الحياة المصممة صناعيًا، وتحتل الأسئلة المحيطة بحقوق ومعاملة الشخصيات المصنوعة مكانة محورية في القصة، مما يدفع القراء إلى التفكير في الأبعاد الأخلاقية للتطورات ما بعد الإنسانية. وكذا تعمل الرواية كمثال يحفز الفكر في أدب ما بعد الإنسانية، ويتعامل مع العضلات الأخلاقية، ويشجع القراء على التفكير في عواقب التطورات البيو تكنولوجية لكل من البشر والكيانات غير البشرية في عالم المستقبل.

أما عن رواية "دورة حياة كائنات البرامج" (2010) للكاتب تيد شيانغ، فهي تتعمق في عالم الذكاء الاصطناعي والوعي الرقمي، حيث تدور القصة حول تطوير الرقميين، وهم كيانات رقمية تم إنشاؤها للتفاعل مع البشر والتعلم من تجاربهم. يثير هؤلاء الرقميون تساؤلات حول اللغة والتواصل وقيود الفهم. تتابع الرواية تحديات وتعقيدات تعليم وتربية هذه الكائنات الرقمية، التي تطور أشكالها الخاصة من التواصل والتعبير، و يستكشف عمل تشيانغ كيفية تطور اللغة والتواصل في سياق الذكاء الاصطناعي والكيانات غير البشرية، مؤكدًا على الحدود المتغيرة للفهم والاعتبارات الأخلاقية لإنشاء حياة رقمية تشعر، ثم تتحدى الرواية القراء للتفكير في تداعيات التكنولوجيا على اللغة والتواصل،<sup>1</sup> بالإضافة إلى الأسئلة الأخلاقية والفلسفية المرتبطة بتطوير الذكاء الاصطناعي الذي يصل إلى الوعي الذاتي ويطمس الخطوط الفاصلة بين أشكال التعبير والفهم البشري وغير البشري.

إن أكثر مواضيع الخيال العلمي شيوعًا هم الرجال الآليين Robots، حيث يتم استكشاف علاقتهم مع الإنسان مبدعهم، وماذا يحدث إذا انقلب المخلوق على الخالق؟ فمنذ كارل كابل، كانت الغلبة دائمًا للآليين على حساب البشر، إلى أن وضع إسحاق أسيموف Issac Asimov (1920-1992) "قوانين الأنسنة الآلية"، وذلك بمنع أي آلي يعرض إنسانًا للخطر.<sup>2</sup> هذا وتجسد لنا رواية "مدينة" (1952م) للكاتب الأمريكي كليفورد سيماك Clifford Simak (1904-1988) رؤى مؤسس الإنسانية المتحولة نيك بوستروم، من خلال استشرافها لمستقبل الإنسان الذي سيتحول إلى ما بعد الإنسان من خلال هجر طبيعته البيولوجية الجسدية واستبدالها بكيانات آلية أو رقمية، حيث استبدل سيماك في روايته وجود الإنسان بوجود الكلاب، أو ما أسماه ما بعد الكلب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Ibid, p9.

<sup>2</sup> جان غاتينو، أدب الخيال العلمي، ص 83.

<sup>3</sup> إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 23، العدد 3، ص 149.

تعتبر رواية فيليب ك. ديك Philip K. Dick هل يحلم الأندرويد بخراف كهربائية؟" (1968) مصدر إلهام لفيلم الخيال العلمي الشهير "بليد رانر Blade Runner" يقدم (ديك) مفهوم الأندرويد، وهي كائنات اصطناعية متقدمة للغاية يصعب تمييزها عن البشر في المظهر والسلوك، والشخصية الرئيسية (ريك ديكارد)، هو صائد جوائز مكلف بتدمير الأندرويد الخارجين عن القانون الذين هربوا إلى الأرض. وتطرح الرواية أسئلة عميقة حول طبيعة الوعي وحدود الإدراك، بينما يطارد (ديكارد) الأندرويد، يبدأ في التشكيك في الآثار الأخلاقية والفلسفية للتمييز بين البشر والأندرويد، ويتصارع مع مفهوم أنه حتى الكائنات الاصطناعية التي يكلف بتدميرها قد تمتلك شكلاً من أشكال الوعي، مما يقوده إلى التساؤل حول معنى الشعور الحقيقي<sup>1</sup>. وهنا تتحدى الرواية القراء للتفكير في الجوانب الأخلاقية والفلسفية للذكاء الاصطناعي، وإمكانية وصول الآلات إلى الوعي الذاتي، وتؤكد على غموض الإدراك والهوية البشرية في عالم يصبح فيه الحد الفاصل بين الإنسان والآلة أكثر ضبابية، مما يجعلها مثلاً جوهرياً لأدب الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية.

نجد كذلك رواية (سيد الضوء) للكاتب زلازني تعالج موضوع تجاوز البشرية. حيث تدور أحداث الرواية حول مجموعة من الناس لهم قوى خارقة نتيجة بقائهم على قيد الحياة بعد حرب دمرت الأرض. بفضل التقنيات ما بعد النووية التي يمتلكونها، أصبحوا آلهة وبنوا حضارة في كوكب آخر. لكن أحدهم رفض اضطهاد هذه الفئة الخالدة ضد الجنس البشري العادي، فقرّر الكفاح ضدهم<sup>2</sup>. ما نستشفه من هذه الرواية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الخلود والقدرة العلمية، وكذا محاولة تجاوز ثنائية: البشر-الآلهة أو بشر-فضائيين المميزة للفكر الإنساني.

إضافة إلى أن العديد من الروايات تناقش عوالم ما بعد نهاية العالم أو عوالم بائسة، حيث أدى التقدم التكنولوجي إلى انهيار المجتمع أو تهديدات وجودية، وتسلب الضوء على العواقب المحتملة للتقدم التكنولوجي غير المقيد. فرواية "الطريق" (2006) لـ كورماك مكارثي هي رواية كئيبة تستكشف منظرًا طبيعيًا مدمرًا وخراباً في أعقاب حدث كارثي غير محدد، على الأرجح نهاية العالم النووي، تتابع القصة أباً وابنه الصغير أثناء رحلتهم عبر هذا العالم القاتم والمعادي، حيث يكافحان من أجل البقاء، في حين أن رواية "الطريق" لا تتعمق في التطورات التكنولوجية المتقدمة، إلا أنها تجسد نموذج ما بعد نهاية العالم، إذ تصور لنا عالماً انهار فيه المجتمع البشري وأصبحت الموارد شحيحة، ويجب على الناجين مواجهة معضلات أخلاقية وأبسط جوانب الوجود

<sup>1</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, Is transhumanism a threat to human existence, pp 5,6.

<sup>2</sup> جان غاتيميو، أدب الخيال العلمي، ص 93.

البشري. كما تسلط الضوء على العواقب المحتملة للتقدم التقني غير المضبوط وتدهور البيئة<sup>1</sup>، وتعكس أفكارًا حول قدرة تحمل الإنسان وهشاشة الحضارة، والرابط الدائم بين الوالد والابن. في حين أن السرد لا يركز على التطورات التكنولوجية المتقدمة، إلا أنه يقدم عالمًا ما بعد نهاية العالم يتشكل نتيجة آثار الأنشطة البشرية غير المراقبة، وهو مصدر قلق رئيسي في أدبيات التحول الإنساني .

وفي نفس السياق، نجد بعض النصوص الروائية تستكشف العلاقة المتغيرة بين البشر وأجسادهم في سياق التحسينات التكنولوجية والواقع الافتراضي والتجارب الرقمية، وتتساءل حول الحدود الجسدية. حيث تدور على سبيل المثال أحداث رواية الكاتب ويليام جيبسون "الضوء الافتراضي" (1993) في عالم ما بعد البانك الإلكتروني (الساير بانك) القريب، حيث يكون للواقع الافتراضي المتقدم والتقنيات الرقمية تأثير عميق على التجارب البشرية والجسدية. تقدم الرواية مفهوم "الضوء الافتراضي"، وهي تقنية تسمح للأفراد بتجربة واقع افتراضي غامر لدرجة أنه يطمس الخط الفاصل بين العالمين الرقمي والمادي، تتناول القصة شخصيات تنتقل في عالم يتشابك فيه العالم الافتراضي والواقع المادي<sup>2</sup>. وهنا تثير الرواية أسئلة حول تأثير التكنولوجيا على الإدراك البشري وطبيعة الجسد ودمج التكنولوجيا في التجارب البشرية.

تصور رواية الخيال العلمي "سنو كراش" (1992) للمؤلف نيل ستيفنسون عالم قريب من المستقبل، حيث أدى تطور الإنترنت إلى عالم افتراضي متعدد الأوجه يُعرف باسم "الميتافيرس". في هذا المجال الرقمي، يتولى الأفراد شخصيات افتراضية يتفاعلون في بيئة عبر الإنترنت متعددة الأوجه. وتستكشف الرواية كيف أعادت هذه التكنولوجيات التحويلية تشكيل المجتمع والثقافة والتفاعل البشري، وتعمق في مفهوم "سنو كراش"، وهو دواء له تأثير عميق على كلا العالمين الافتراضي والواقعي. فيقدم بذلك عمل ستيفنسون مجتمعًا تتلاشى فيه الحدود بين الواقع والافتراضي، ويكون فيه تأثير التكنولوجيا على الوجود البشري عميقًا. من خلال استكشافها للتداعيات المجتمعية للميتافيرس وتأثير التكنولوجيا على المعايير الثقافية، تعمل الرواية كنص ما بعد إنساني مميز<sup>3</sup>. إنه يتحدى القراء للتفكير في كيف يمكن للتقدم التكنولوجي أن يعيد تشكيل الوجود البشري والمعنى، سواء في المجالين الافتراضي أو المادي؟ وكيف تتكيف المجتمعات مع هذه التحولات الثقافية والاجتماعية والأشكال الجديدة من الوجود؟

<sup>1</sup> Jhon Sekar Jeyaraj, *Is transhumanism a threat to human existence*, p 9.

<sup>2</sup> Ibid, p10.

<sup>3</sup> Ibid, p 11 .

وغالبًا ما يجمع أدب الإنسانية المتحولة والبعدية بين العديد منها لخلق روايات غنية ومحفزة للتفكير، ويشجع هذا النوع القراء على التشكيك في المعايير المعمول بها والتفكير في تداعيات عالم تتغير فيه الحدود الفاصلة بين الإنسان وغير الإنسان باستمرار.

إن الكثير من الروايات في هذا المجال تمت ترجمتها إلى أفلام سينمائية تستشرف المستقبل، لعل من أقدمها وأبرزها فيلم "أنا روبوت" "I Robot" الذي تم عرضه لأول مرة سنة 2004، من إخراج أليكس بروياس Alex Broyas، من بطولة "ويل سميث" Will Smith، والذي يستشرف مستقبلاً يقوم على توظيف الذكاء الاصطناعي وما قد يترتب عنه من مشاكل أخلاقية وواقعية. حيث أن قصته مستوحاة من رواية الكاتب الأمريكي إسحاق أزيموف (عظيموف)، وفي الحقيقة هي مجموعة قصصية صدرت سنة 1950م، حيث تحدث فيها تحديداً عن مستقبل الحياة البشرية في مدينة شيكاغو الأمريكية سنة 2035م، أين تشهد صناعة الروبوتات أوجها بحيث يتشكل صراع بين البشر والآلات الذكية<sup>1</sup>.

لقد منحنا الخيال العلمي ألف لمحة عما يمكن أن يكون الإنسان في المستقبل. فهذا فيلم "شفرة حلاقة" Blade Runner وهو فيلم أمريكي من جنس الخيال العلمي، ومن إخراج "ريدلي سكوت" سنة 1982م. وقد أخذ فكرة هذا الفيلم من رواية فيليب ك. ديك المذكورة سابقاً "هل يحلم الأندرويد بالخراف الكهربية؟". وقد لاقى هذا الفيلم نجاحاً باهراً مما أدى إلى إعادة إخراج عدة مرات، حيث تدور وقائعه حوالي عام 2019م، بمدينة لوس أنجلوس، أين تغمر مياه الأمطار الغزيرة اليابسة، مما يدفع السكان إلى البحث عن كوكب آخر للعيش فيه لأن كوكب الأرض أصبح غير صالح لذلك<sup>2</sup>.

أما فيلم "الوسي" (2014) Lucy، عالج موضوع ما بعد الإنسانية والتحول البشري من خلال فكرة تسهيل الأدمغة البشرية لوضعها في الآلات. حيث يروي قصة البطلة (كيس) التي كانت تحمل دواء CPH4 ملتصق بمعدتها، وعند القيام بخطفها، تلقت ضربة على منطقة البطن أفضت إلى تمزق كيس الدواء، مما أدى إلى ارتفاع قدراتها الذهنية مثل التخاطر وتحريك الأشياء عن بعد. وتصل في نهاية المطاف إلى الحد الأخير من قدراتها الذهنية، وبهذا المستوى العقلي الفائق يختفي جسدها ليقوم جوهرها بتصنيع كمبيوتر فائق، ثم تنزله مع جميع المعلومات الجديدة التي اكتشفتها بدماعها المتقدم، وتركت المعلومات لبقية البشرية

<sup>1</sup> بشري ببلعي، تطور الإنسان: التقدم المادي والتدهور الروحي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017، ص 60، 61.

<sup>2</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 81.

لنتعلم منها، وعندما تتساءل الشخصيات الأخرى أين ذهبت؟ ترسل رسالة تقول إنها الآن في كل مكان، مما يشبه القدرات الإلهية<sup>1</sup>.

نجد كذلك فيلم الخيال الأمريكي "شريط تقرير الأقلية" Minority report "من إخراج "ستيفن سبيلبرغ"، وقد تم عرضه عام 2002، واستوحى قصته من رواية لـ فيليب ك. ديك التي تحمل نفس عنوان الفيلم. تدور أحداثها حول التنبؤ بمستقبل مدينة واشنطن عام 2054، التي يحدث فيها تمرد سيراني، ويستطيع بشر متحولون اسمهم "البريكورغيون" ان يتنبؤوا بالجرائم بفضل قدرتهم على التنبؤ بالغيب<sup>2</sup>.

يثير الفيلم السينمائي The last generation to die المعروض سنة 2015 إشكالية مصير الإنسان، إن كان سيتمكن من البقاء في هذا العالم القديم الإنساني، أم سيعبر نحو عالم "ما بعد الإنسانية" الذي سيؤول إليه مصير البشرية، هذا الفيلم الذي ساهم في إعدادده أحد أهم منظري ومؤسسي الإنسانية المتحولة ماكس مور، ما يعني أنه يقع في حقل الفلسفة المتوازية مع خط التطورات التكنولوجية بكل أبعادها<sup>3</sup>. بالإضافة إلى فيلم الخيال العلمي "رحلة إلى مركز الذاكرة" Total Recall "الذي أخرجه بول فرهوفن سنة 1990م، وأحداثه مستوحاة من قصة "ذكريات للبيع" للروائي فيليب ك. ديك، حيث يستشرف المستقبل وتحديداً سنة 2084، وتسرد قصة شخص يريد السفر إلى المريخ الذي يعيش فيه سكان خاصين به. لهذا فهو يتفق مع شركة برمجيات تتكفل بزراعة ذكريات اصطناعية في دماغه. أما الفيلم السينمائي "الصورة الرمزية" Avatard فهو يعتبر جنس كوكب أوبرا الصادر سنة 2009م، من تأليف وإخراج "جيمس كامبيرون". إذ يمكن مشاهدته بتقنية الأبعاد الثلاثية 3D، وأحداثه تتمحور حول عام 21541 في كوكب باندورا العملاق الغازي في نظام الفاستوري<sup>4</sup>. وهنا نلمس تصورات استشرافية لعوالم ما بعد إنسانية، أين يتم تعزيز الإنسان.

على عكس الأفلام، نادراً ما يُؤخذُ مجال الموسيقى بعين الاعتبار عند تحليل قضايا ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة، على الرغم من أهمية هذه الموضوعات بالنسبة للعديد من وجهات النظر المهمة موسيقياً، كما يوضح ستيفان لورينز سورجنر كيف تظهر هذه القضايا في الأعمال الموسيقية والأوبرالية على سبيل

<sup>1</sup> إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص 152.

<sup>2</sup> فرانسوا جاكوب، الإنسان في مهبط التقنية، ص 81.

<sup>3</sup> تمت مشاهدة الفيلم في تطبيق نيتفليكس و أعطته الباحثة قراءة فلسفية.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، 81.

المثال من قبل مايكل نيمان، وفيليب جلاس، وريتشارد فاغنر، أوسفين هيليج. وكذا كيف يتم استخدام التقنيات لأغراض التأليف، على سبيل المثال "عين الآلة" لنيل هاريسون Neil Haribsson (1982-)، وكيف تتلاشى الحدود التقليدية بين التأليف والأداء، مثل "جامي ديل فال". ولماذا وكيف يتم استخدام التقنيات الناشئة في المقطوعات الموسيقية، على سبيل المثال "كرافتورك" أو "بيورك"<sup>1</sup>. وفي جميع الحالات المختلفة، يتم معالجة التحديات الوجودية والأخلاقية المطروحة.

أما في المجال الفني، فإن محاولة إيجاد جذور ما بعد الإنسان في الفن تظهر في محاولة الجمع بين الجسد الإنساني والتكنولوجيا أو أجزاء غير بشرية كالحوانات أو الحشرات أو المعادن، وهي أفكار تم طرحها قبل التقنيات الحيوية في نبوءات الأساطير القديمة، مثل "أبو الهول"، "الرجل والقنطور"، "سيران الحوراء"، "مصاصو الدماء"، "المستذئبين"، و"السايبورغ"<sup>2</sup>. وقد اختلفت ردود الأفعال الصادرة عن الفنانين والأدباء اتجاه فكرة الإنسان المتحول وما بعد الإنسان بين من يحتفي بقدوم هذا العصر ومن يتوجس الخوف وينتقد هذه الحالة.

لقد عكف بعض الفنانين في بداية ظهور الفن السوريلي في القرن التاسع عشر على تصوير ما بعد الإنسان من خلال اختلاطه بالأكياس والآلات، في موقف سخرية مثل عمل "رينيه ماغريت René Magritte"، حيث قدم في لوحته صورة أنف ممدود داخل أنبوب أداة التدخين، مشيرًا إلى اتصال الأنف بالرأس الذي يدخن نفسه. كما لجأ فنانو آخرون في أعمالهم الفنية إلى دمج الإنسان بالديناميكية، فنجد مثلاً "أمبروتو بوكيوني Umberto Boccioni" الذي جسد ذلك في عمله الفني المتمثل بالجسم البوكيوني Boccioni بعنوان الاستمرارية في الفضاء، حيث جسد فيه شخصية شبيهة بالإنسان، لكن دون ذراعين، دلالة على الدور الذي ستلعبه الآلات في جسد الإنسان. ويمكن اعتبار الروبوتات التي تؤدي وظائف إنسانية أوضح مثال عليها<sup>3</sup>.

يتناول دونالد ب. أوماتونا Donal B. Omathona في مقاله: "قضايا ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة"، موضوعات ما بعد الإنسانية البارزة في هذا المجال الفني. إذ يتم التركيز بشكل خاص على موضوعات مثل فهم التقنيات (ستار تريك)، والنزعة المركزية البشرية (مثل أعمال Blade runner بلايد رانر أو رجل المثوية الثانية أو أنا روبوت). وكذا المشاكل المتعلقة بالتقنيات، مثل فيلم متروبوليس أو التحكم في

<sup>1</sup> Robert Ranish, Stefan Sorgner, *Introducing post\_transhumanism*, pp 24, 25.

<sup>2</sup> اسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص 145.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 146.

التطور مثل أعمال دكتور "جيكول وسيد هايد" وأنا أسطورة، أو (2001: أوديسة الفضاء وأفانثار. وكذلك، موضوع الظلم كأعمال: "آلة الزمن" و"عالم جديد شجاع"، "جاتاكا"، أو موضوع تحديد الجسد في أعمال: البدلاء وسماء الفانيلا<sup>1</sup>، بحيث يتعرف القارئ على بعض من أهم موضوعات ما بعد الإنسانية والتحول الإنساني.

يُعتبر الأسترالي ستيرلاك من أبرز الفنانين التعبيريين المهتمين بتبيان إمكانيات الأعضاء البشرية، وتحسينها للقيام بوظائف جديدة. وقد اختص في الفن الجسدي الذي يمزج فيه بين الجسد البيولوجي ومكونات إلكترونية أو روبوتية، من منظور أن الجسد البشري لا بد من تجاوزه. لهذا، فهو يعتبر أحد مروجي الإنسانية المتحولة فنياً، حيث يعمل على الترويج الفني والثقافي للكشوفات الجارية في حقل البيوتكنولوجيا ومخططاتها لتعديل الإنسان<sup>2</sup>. لهذا نجد من أشهر مشاريعه قيامه بزراعة أذن ثلاثة ثلاثية الأبعاد تحت جلد ذراعه الأيسر، والتي تحتوي على ميكروفون ورقاقة إلكترونية وظيفتها أنها تمكن الجميع في أي مكان كانوا من سماع ما تلتقطه من أصوات بواسطة الإنترنت، وبهذا يتم تطوير القدرات السمعية للعديد من الأشخاص وليس فرداً واحداً فقط. والقصد من ذلك هو التأكيد على فائدة التكنولوجيا في تحرير الإنسان من قيود الزمكان وقيوده البيولوجية<sup>3</sup>.

لقد تناول الأدباء والفنانون كذلك قضايا المخاطر الوجودية للبحث العلمي والتكنولوجي على مستقبل الإنسان كخطر سيطرة الذكاء الاصطناعي، والإرهاب البيولوجي، والإرهاب الإلكتروني، وتقنيات النانو وغيرها. وقد صاغوها في شكل أعمال فنية، إذ نجد على سبيل المثال مشروع "دليل البقاء على قيد الحياة بعد الإنترنت" Post internet sur vival، هذا الكتاب الذي يضم أعمال العديد من الأدباء والفنانين كدليل لمستقبل البيئة والإنثروبوسين من خلال محاولة تجاوز الجسد البيولوجي إلى الجسد الآلي، والذي يتمثل في سايبورغ. وحسب توبي نيلسون Toby Neilson أن المخاطر الوجودية والأخلاقية للتمركز البشري أو الإنثروبوسين يمكن تخطيها من خلال الانتقال إلى إنثروبوسين مع بعد الإنسان، أين يمثل هذا النموذج المبتكر الجديد انقراض الإنسان، حيث يرسم توبي شكلين لما بعد الإنسان في هذا النوع الجديد للإنسان: أحدهما

<sup>1</sup> Robert Ranish, Stefan Sorgner, *Introducing post\_transhumanism*, p26.

<sup>2</sup> ريهام حسنى، ما بعد الإنسانية الرقمية، بعد ما بعد الحداثة: الجنس الأدبي وتحولات العصر، ص 77.

<sup>3</sup> يمكن مشاهدة هذا العرض وعروض أخرى من خلال هذا الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?V=ZNdv8ilw9NC>.



تكنولوجي والآخر بيئي. هذه الأفكار التي يعتقد بها نيلسون توبي نجد لها تجسيداً في فيلم (نيا: المرأة الاصطناعية)، حيث وجود بقايا كوكب من نفايات المستهلكات البشرية عبر قرون، وقد تمكن أحد سكانه من النجاة، وهي (نيا) التي على الرغم من شخصيتها اللاجنسية، لديها أيضاً جهاز إلكتروني مدمج في دماغها يجعلها قادرة على التواصل مع والدها (المتحكم عن بعد). هذا ويوضح الفيلم جشع الرأسماليين والعلماء لنقل الجينات غير البشرية -من نيا- للجنس البشري، مما يؤدي إلى انقراض البشر طوعياً دون إرادة حرة منهم<sup>1</sup>.

كما نجد من أبرز القضايا المستقبلية الاستشرافية التي تخيلها الفنانون للدلالة على الواقع الجديد للإنسان والتي عبروا عنها بأعمال فنية في معارض خاصة بما بعد الإنسان، لعل أهمها المعرض الذي نظمته تاجر الأعمال الفنية جيفري ديتش Jeffrey Deitch بعنوان "ما بعد الإنسان" سنة 1991م، والتي صوّر فيه أشكال التقدم التكنولوجي الحيوي والحاسوبي والتي شكلت مفهوم الإنسان المعاصر<sup>2</sup>.

تم تنظيم معرض "فوق الإنسانية" Superhumanism في صيف 2012، في مجموعة ويلكوم بلندن، عرضت فيه مجموعة من الوسائل والأدوات ومجسمات تشير إلى أفكار الإنسانية المتحولة. مثلاً، كان هناك تمثال صغير "لطائر للآيكاروس"، "كرمز للتعزيز البشري، وكذلك أجهزة مختلفة يُعتقد أنها تمثل تحسينات مبكرة، مثل النظارات، وطقم الأسنان، وأحذية الجري، وأطراف اصطناعية، وصور لأبطال خارقين من القصص المصورة، وشريحة إلكترونية مشابها لتلك التي زُرعت في ذراع **كيفن وارويك**، وكُرسي متحرك آلي يتحرك من تلقاء نفسه عبر الغرفة، وأخيراً مقاطع فيديو تعرض بعض المشهورين بالتعزيز البيولوجي، أمثال: "جوليان سافوليسكو"، "جون هاريس"، "أندي ميا"، "أندرس سانديبرج" ... وغيرهم<sup>3</sup>.

### 2. الإنسانية المتحولة في المخابر:

إن الأفكار التي تدعو إليها حركة الإنسانية المتحولة لم تعد مجرد خيال، بل واقع. فحسب **لوك فيري**، هناك تجارب حقيقية تثبت ذلك، لعل من أبرزها قيام فريق من علماء وراثية صينيون في 18 أبريل 2015 بإجراء تجارب على 83 جيناً بشرياً بهدف إصلاحها أو تحسينها، وذلك بالاعتماد على تقنية "المقص".

<sup>1</sup> إسراء محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، ص 151، 152.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 148.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 149، 150.



عمليات قص ولصق تسلسل الحمض النووي قد تقدمت وتطورت بشكل كبير مؤخراً، حتى أن التكنولوجيا الحيوية أضحت قادرة على تعديل التراث الوراثي للأفراد تماماً كما يتم فعله منذ فترة طويلة لحبوب الذرة والأرز والقمح من تعديل وراثي عليها. وبالرغم من هذا، فإن فيري يؤكد أن تعديل الإنسان لم نصل إليه بعد، لكن الأبحاث جارية ومتسارعة في هذا الصدد<sup>1</sup>. وليوضح ذلك، يورد لنا فيري مثال عن مرض التهاب القرنية retinopigmentaire، الذي أدى إلى الإصابة بالعمى للعديد من الأشخاص داخل فرنسا وخارجها، مما جعل مؤسسة ألمانية تعمل على تطوير رقاقة إلكترونية تسمح، بمجرد أن تُزرع خلف شبكية العين من استرداد بصره جزئياً، وهذا من خلال تحويل الضوء إلى إشارات كهربائية وتنقلها إلى الشبكية عن طريق قطب كهربائي لتصل إلى المخ، أين يتم ترجمتها إلى صور<sup>2</sup>.

لقد تمكن العلماء من خلال مجموعة الأبحاث من امتلاك القدرة للتلاعب الجيني من أجل إطالة الحياة. حيث صرح مدير قسم أبحاث طب الشيخوخة في كلية الطب بجامعة "إلينوي"illinois في الو.م.أ البروفيسور أندري بارتك Andre Bartke، في مقال له بعنوان: "الجينات المطيلة للعمر والعلاقات بين هرمون النمو والنمو مع الشيخوخة"، أنه من خلال مجموعة من الدراسات التي أقيمت على الخميرة والديدان والذباب، توفرت أدلة كثيرة على وجود جينات تتحكم بالشيخوخة وطول الحياة<sup>3</sup>.

وفي نفس السياق، تمكن العلماء في سنة 2000 من إطالة عمر كائن حي عن طريق العقاقير. حيث أقيمت التجربة على ديدان مجهرية بعدما تم فك رموز جيناتها، وأكدت التجارب التي أقيمت حول جيناتها أن 40 بالمئة منها تتطابق مع تلك الموجودة عند الإنسان. وتوصل العلماء في النهاية إلى أن العقاقير كان بإمكانها أن تساهم في إطالة العمر. كما اكتشف فريق من الباحثين في جامعة "كونتيكت"connecticut الأمريكية نهاية سنة 2000 جيناً جديداً اسمه العلمي "أندي"Andi، الذي باستخدامه ازداد عمر ذبابة الفاكهة، التي جيناتها تتشابه مع جينات الإنسان بنسبة كبيرة. هذا بالإضافة إلى اكتشاف جين "Oct4" أو "ينوع التشيب" الذي يؤخر الشيخوخة نوعاً ما<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 4.

<sup>2</sup>Ibid, p 9.

<sup>3</sup>سفيان عمران، البيوتيقا ومستقبل الإنسان عند فرنسيس فوكوياما: تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، مجلد 13، عدد 22، الجزائر، 2022، ص 514.

<sup>4</sup>طارق قابيل، البحث عن إكسير الحياة: شباب دائم في القرن الحادي والعشرين، مجلة التقدم العلمي، العدد 98، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2017، ص ص 16، 17.

تمكن معهد مكافحة السرطان في مدرسة الطب "بجامعة هارفارد" في عام 2010م، من تشييب الفئران من خلال تثبيط إنتاج "جزيئات التيلوميراز" التي تفرزها الفئران بشكل طبيعي، والتي تبطئ عملية الشيخوخة. وبإعادة تفعيلها لوحظ من قبل الخبراء أن الدوائر العصبية التالية لدى فئران التجارب قد استعادت وظائفها واسترجعت فعاليتها، وكذا قد تجددت أعضاء الطحال والكبد والأمعاء. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتم فيها الكشف عن سيروسة الشيخوخة يمكن عكسها<sup>1</sup>. وقد تم وضع الفكرة في سيناريو فيلم قصة "بنجامين باتون Benjamin Button"، حيث يستعيد البطل "براد بيت Brad Pitt" شبابه بمرور الوقت. إنها فكرة ملهمة بالنسبة للإنسانية المتحولة، هذا ما جعل الباحث أوبري دي غراي في مشروعه SENS يحدد السبع أسباب للشيخوخة، ما يعني أنها مجرد عرض.

هذا ما شجع أبحاث الإنسانية المتحولة على السعي لتطوير تجارب خلق كائنات حية وحيدة أو متعددة الخلايا، والشحن، وتقوية الإحساس بالسعادة، وتعزيز الإدراك والذكاء، والإعلاء من القدرات الجسدية. هذه المهام هي محاولة لتحقيق إكسبير الحياة الذي حلمت به الإنسانية من أجل إطالة العمر وعلاج الأمراض، أو تحقيق "ينبوع التشييب" المؤث للعلم البشري بالخلود، مع فارق أن الإكسبير والينبوع هما مجرد أحلام وتخيلات، في حين أن مشروع الإنسانية المتحولة هو مشروع علمي تكنولوجي فعلي، يتأسس بدعم أيديولوجي وسياسي ومالي فعليا من طرف الشركات المتعددة الجنسيات ووادي سيليكون Silicon Valley، بحثاً عن الإنسان المعدل Amélioré، المحسّن، أو المقوى أو المستزاد Augmenté، إما بالتحسين أو التهجين.

من جانب آخر، أنشأ طبيب الأعصاب جون دوناهو John Donahoe (1960-) مع فريقه واحداً من أول أجهزة واجهة الكمبيوتر الدماغية التي أطلق عليها اسم "لعبة الدماغ" لفك الارتباط بين الأفكار والعمل. إذ قام جون بزراعة جهاز "بوابة الدماغ" في (مات ناجل)، المصاب بالشلل الرباعي، والآن أصبح قادراً على التحكم في مؤشر الكمبيوتر مباشرةً بعقله. لذا فإن فكرة الكمبيوتر بأكملها هي مساعدة الشخص المصاب بالشلل ليتمكن من التحرك مرة أخرى، أو يكون قادراً على التواصل أو التفاعل مع العالم. حيث حقق جون دوناهو هذا الإنجاز باستخدام أجهزة الكمبيوتر لقراءة إشارات الدماغ داخل جمجمة (مات). وقد تم تطوير أول تقنية للقيام بذلك في عشرينيات القرن العشرين. إذ اخترع الطبيب النفسي الألماني هانز بيرجر Hans

<sup>1</sup>فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 83، 84.

Berger (1873-1941) أداة أطلق عليه اسم "مخطط كهربائية الدماغ" EEG، يقيس الجهاز النشاط الكهربائي للدماغ من خلال الجمجمة، ويمثله كخطوط معقدة على الرسم البياني، حيث اتخذ جون دوناهو الخطوط التالية الصعبة للغاية، وهي فك الرموز البيانية العقلية للشخص لتحريك جسده.

كما نجد شخصية نيل هاربيسون Neil Harbison، الذي يعتبر أول تشخصن لمفهوم السايبورغ، إذ تم الاعتراف به قانونياً، حيث ولد بمرض عمى الألوان، وقد تمت زراعة جهاز هوائي في جمجمته يمكنه من التغلب على إعاقته من خلال سماع الألوان بواسطة هذا الجهاز، بل وقد وسع من نطاق حواسه اللونية بإدراج الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية في جدول أصوات الألوان<sup>1</sup>.

كما تم تجهيز شخص آخر بأطراف روبوتية اصطناعية يتم تسييرها عصبياً، بعد أن فقد ذراعيه إثر صعقة كهربائية، وتم ذلك في مختبر "أوتوبوك" Ottobock بالنمسا الرائدة على مستوى العالم في صناعة الأطراف الاصطناعية<sup>2</sup>. وقد تمكنت الفنانة المتخصصة في البيوآرت (الفن البيولوجي) والباحثة الهولندية جلييلة السعيد من تصميم جلدا بشريا من حرير العنكبوت، قوي إلى درجة عدم اختراقه من قبل رصاصة تطلق بسرعة 329 متراً في الثانية<sup>3</sup>.

لقد أصبحت أفكار التحول البشر أيضاً قضية ذات أهمية متزايدة في أخلاقيات البيولوجيا الطبية الأكاديمية. ويشارك عدد غير قليل من خبراء أخلاقيات البيولوجيا ذوي التوجهات الليبرالية، وغالباً ما يكون لديهم تعاطف مع أخلاقيات النزعة النفعية، والمشار إليهم أحياناً باسم "البيو ليبراليين". وخلال العقد الماضي، أنتجت العديد من المؤلفات حول القضايا الأخلاقية والقانونية للاستخدامات غير العلاجية للتكنولوجيات البيو طبية. ويشمل ذلك أسئلة تمس المرضى الذين يستخدمون أدوية نفسية أو العقاقير للحفاظ أو زيادة الوظائف الإدراكية، أو الآباء الذين يختارون لأبنائهم صفات جينية معينة، وعموماً تحمل هذه النقاشات حول التحسين البشري تشابهات مع خطاب الإنسانية المتحولة. وعلى الرغم من أن التحول الجذري للإنسانية ليس هو المحور الأساسي لجميع البيو ليبراليين، فإن البعض منهم يرحبون علانية باستخدام تقنيات التحسين المتطورة، ويعتبرون استخدامها واجباً أخلاقياً.

<sup>1</sup> خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، ص 627.

<sup>2</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 82.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 83.

### 3. أعضاء وجمعيات الإنسانية المتحولة:

إن أهداف الإنسانية المتحولة بعضها قابل للتحقق على المدى القصير والمتوسط، والبعض الآخر أقل قابلية للتحقق. وعموماً، من غير المناسب اعتبارها مجرد تكهنات أو خيال علمي، حيث يتمتع ممثلو الإنسانية المتحولة بالموارد المالية والخبرة العلمية والتكنولوجية ووسائل التطوير الهائلة. ثم إن أغلب ممثليها أعضاء في الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة أو في هيئات أخرى مشابهة في الو.م.أ. وكذا فلاسفة ورياضيين وعلماء كمبيوتر، ينتمي معظمهم إلى جامعة ستانفورد (كاليفورنيا)، وتمولها شركات صغيرة وكبيرة في وادي السيليكون<sup>1</sup>.

لقد بدأت حركة الإنسانية المتحولة في التعريف عن نفسها أكاديمياً منذ عام 1980م بجامعتي كاليفورنيا ولوس أنجلوس، أين تم تأسيس تنظيم ضخيم برئاسة ناتاشا فيتامورو FM-2030 اللذان نظما عدة اجتماعات وندوات لسنوات عدة، إلى أن أعدت ناتاشا فيتامورو حصة تلفزيونية عن الإنسانية المتحولة بعنوان<sup>2</sup> "TrancontureyUpdate"

لم تكتسب الإنسانية المتحولة زخماً كحركة إلا مع تأسيس الإنترنت كشبكة اتصال عالمية واسعة النطاق، خلال التسعينات. تأسست العديد من المؤسسات والهيئات المحلية التي ساهمت في نشر أفكار الإنسانية المتحولة، نجد أبرزها:

#### أ-معهد الأكسترويا: Extropy institute

تأسس في أوائل التسعينات، وتحديداً سنة 1992، من قبل ماكس مور بمعية زميله توم مورو TomMorrow، حيث قاما معاً بتحرير مجلة لنشر أفكار الإنسانية المتحولة، تُسمى Extropy منذ عام 1988م. والهدف من هذا المعهد هو تحفيز المجتمع للاندماج ضمن هذه النزعة والدعوة إلى استغلال التقنية لتجاوز حدودنا الفيزيائية والنفسية والعقلية، ويظهر هذا من خلال مبادئ ماكس مور التي تم ذكرها سابقاً<sup>3</sup>.

#### ب-الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة (WTA) World Transhumanist Association

<sup>1</sup>Véinique Bontemps, pour l'équipe de rédaction, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Bruxelles, mais 2015, p 8.

<sup>2</sup> محمد جديدي وآخرون، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 148.

<sup>3</sup> محمد طاهير، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 252.

منظمة دولية غير ربحية تأسست سنة 1998م، على يد نيك بوستروم وديفيد بيرس David Pearce (1959-)، بهدف مواصلة النضال من أجل إضفاء الصبغة الرسمية على هذه الحركة، وقبل أن ينحرف بوستروم عن التيار الرئيسي للإنسانية المتحولة في السنوات الأخيرة، كان صوتاً أكاديمياً رائداً في هذه الحركة في العقد السابق، خاصة من خلال دوره كمدير لمعهد مستقبل الإنسانية في جامعة أكسفورد، الذي جعل الإنسانية المتحولة في متناول جمهور أكاديمي أوسع. وتترأس الجمعية اليوم ناتاشا فيتامور، وتشرف كذلك على تحرير وإدارة ونشر مجلة H<sup>+</sup> Magazine<sup>1</sup>. وتعتبر هذه المنظمة من أشهر مؤسسات الإنسانية المتحولة، وقد قدمت تعريفاً لها معترفاً به على نطاق واسع. وعلى الرغم من حذف هذا التعريف في الإصدار الأخير (3.0) لها إلا أنه لا يزال يلخص العناصر الأساسية لهذه الحركة، حيث تعرف التحول البشري كما يلي: "حركة فكرية وثقافية تؤكد إمكانية تحسين الحالة الإنسانية بشكل جذري من خلال العقل التطبيقي، خاصة من خلال تطوير وجعل التقنيات متاحة على نطاق واسع للقضاء على الشيخوخة وتعزيز القدرات الفكرية والجسدية والنفسية للإنسان بشكل كبير<sup>2</sup>".

تعتبر الإنسانية المتحولة اليوم هي شعار لمجموعة متنوعة من الحركات الثقافية والسياسية والفلسفية والرقمية، والتي تعزز الرؤية التكنولوجية المستقبلية حول تجاوز علم الأحياء البشرية. حيث تسعى لتوظيف التقنيات الفائقة لتعزيز قدرات الإنسان وصولاً به إلى مرحلة ما بعد الإنسان. لهذا فإن جل أهدافها تنحصر في النقاط التالية:

-استشراف مستقبل بشري أفضل من خلال تخطي المحددات الجسدية للإنسان.

-إحلال التوافق بين التكنولوجيا والإنسان، أي أنسنة التقنية.

-الإقرار بحق الإنسان في تعديل وتعزيز قدراته البيولوجية.

-عدم انحياز حركة الإنسانية المتحولة لأي أيديولوجيا أو مذهب قومي أو سياسي<sup>3</sup>.

ج-منصة الأخلاق والتقنيات الناشئة IEET:

<sup>1</sup> محمد جديدي وآخرون، البيواتيقا وطبيعتنا الإنسانية الهشة، ص 148.

<sup>2</sup>Nick Bostrom et al. **The Transhumanist FAQ**, v2.1. World transhumanist Association. Webpage : [nickbostrom.com/transhumanist.pdf](http://nickbostrom.com/transhumanist.pdf)

<sup>3</sup>مارتن ريز، ساعتنا الأخيرة: إنذار من عالم، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 384، 385.

تأسست في عام 2004 بمبادرة من نيك بوستروم وجيمس هافر، وتعتبر IEET اليوم أحد أهم المنصات للإنسانية المتحولة، حيث تعزز الشكل الليبرالي الديمقراطي لهذه الحركة والذي يسمونه "التكنوبوليكتيكية". وتنتشر IEET أيضاً مجلة إلكترونية محكمة بعنوان Journal of Transhumanism معروفة سابقاً باسم Journal of Evaluation and Technology وهي واحدة من أبرز الهيئات الأكاديمية لأفكار الإنسانية المتحولة.

#### د- جمعية تيكنوبروغ "Technoprog":

تأسست سنة 2007، بفضل جهود فريدريك بالونت Frédéric Balmont، وستيفان جوناري Stéphane Gounari، وألبرتو ماسالا Alberto Masala، حيث يؤمن فلاسفتها بأن مشروع التحول الإنساني يسعى إلى الارتقاء بالإنسان بيولوجياً وذهنياً من منطلق أن الطبيعة البشرية لم تكتمل بعد. تضم أغلب فلاسفة وعلماء ومختصي كمبيوتر في أوروبا، وتمثل الاتجاه المعتدل للإنسانية المتحولة الذي لا يريد الخروج والنأي بعيداً عن قيم ومبادئ إنسانية الأنوار: الحرية، المساواة والكرامة، لهذا فهم يرفضون أي شكل من أشكال التطرف في استعمال التقنية، وحصرت أهدافها في الدفاع عن مستقبل أفضل للإنسانية، كما صرح بذلك رئيسها الحالي مارك رو Marc Roux<sup>1</sup>. ونجد من أبرز ممثلي هذه الحركة الفيلسوف الفرنسي لوك فيري الذي حاول أن يضيف عليها الصبغة الإنسانية.

#### هـ- جامعة التفرد التكنولوجي Singularity University :

، قام صاحب كتاب "التفرد التكنولوجي" راي كيرزويل مع بيتر ديامينديس منشي جامعة الفضاء الدولية (INU) في سنة 2009 بتأسيس "جامعة التفرد"<sup>2</sup>، التي تحمل شعار "اجعل المستقبل ممكناً"، والتي تقع في "وادي السيليكون"، في مركز أبحاث ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) الداعمة ماليا لها، كما تتلقى الدعم من مؤسسة (X-Priz) وهو صندوق متميز لدعم الابتكارات الثورية التي تهدف إلى تحسين حياة البشرية جمعاء. لهذا، تعتبر تيار ذو توجه ليبرالي رأسمالي متأثر ببراعماتية جون ديوي John Dewey (1859-1952) وتشارلز ساندرس بيرس Peirce، ونفعية جيريمي بانتام Jérémy Bentham (1748-1832). وهدفها

<sup>1</sup>Béatrice jousset-courturier, Le transhumanisme, p24.

<sup>2</sup>موقعها الرسمي: <http://Singularity.org>

هو التعريف بأهداف حركة ما بعد الإنسانية ولفت الانتباه إلى التقنيات الناشئة، خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي والآلات الذكية والروبوتات والسايبورغ<sup>1</sup>.

نجد من أبرز منفذي مشروع الإنسانية المتحولة في روسيا (حركة روسيا 2045) وهي حركة اجتماعية يرأسها د. إيتسكوفي، تعمل مع حزب (التطور 2045) والتجمع الدولي (مبادرة 2045) على مشروع "أفاتار" Avatar، ويشمل المراحل التالية:

- من 2010 إلى 2015: إنشاء نسخة اصطناعية من جسم الإنسان تدار ذهنياً باستخدام واجهة عصبية.

- من 2020 إلى 2025 : إنشاء نسخة اصطناعية من جسم الإنسان، يمكن زراعة دماغ له في نهاية الحياة.

- من 2030 إلى 2035 : إنشاء نسخة اصطناعية للشخص الذي ينقل إليه الوعي في نهاية الحياة.

- من 2004 إلى 2045 : إنشاء جسم ثلاثي الأبعاد<sup>2</sup>.

ولقد تم تقديم مشروع تقارب العلوم NBIC رسمياً في الو.م.أ سنة 2002، في الوقت نفسه الذي اعتمد فيه بيان الإنسانية المتحولة. بعد أن قام أكثر من 50 باحثاً أمريكياً بطلب من المجلس القومي الأمريكي للعلوم والتكنولوجيا بالتخطيط لمستقبل الحضارة الإنسانية، نتج عن ذلك تقرير من 400 صفحة سنة 2003 بعنوان "تقارب التكنولوجيات لتعزيز الفرص البشرية"، يحتوي على مشاريع ضخمة حول توسيع قدرات وإمكانيات العقل والجسد البشري<sup>3</sup>.

يشكل وادي السيليكون Silicon Valey، الواقع في إحدى مناطق خليج سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، الحالة الأكثر انطباقاً لمعنى أن تكون التكنولوجيا العالية هي القدرة المستقلة الذاتية التي تتجه لتفصيل وصياغة «عالم آخر» بساكنيه وبيئاته ولوازمه. في هذا الوادي، تقيم شركات التكنولوجيا العملاقة وغيرها التي يفوق عددها 1000 شركة، منها Apple, Intel, Tesla, Facebook, Twitter،

<sup>1</sup>Béatrice jousset-courturier, *Le transhumanisme*, pp 61, 62.

<sup>2</sup>فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص ص 274، 275.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص ص 263، 264.

Google, yahoo وفيه جامعة Stanford التي تخرج علماء الوادي والمبرمجين والباحثين، وفيه مختبرات التقنية الحيوية، ومراكز الأبحاث والمعاهد، وتتجسد فيه وحدة الحروف الأربعة NBIC. ويعتبر "ملوك الوادي" هم أصحاب هذه الشركات، وملاكها، وعلمائها، والمبرمجون، والمهندسون هم من أوصلوا الخوارزميات إلى تشكيل الرحم الرقمي، وهم تحديدًا من يتحكمون بالفضاء السيبراني في جنباوته. إذ لا يتحركون كمُلوك أو أمراء أو نبلاء، بل يتصرفون كآلهة نتيجة تحكمهم في التقنيات المعاصرة.

لقد نالت حركة الإنسانية المتحولة من وجهة نظر لوك فيري الاعتراف العالمي السياسي والعلمي والثقافي بعد جهود ونقاشات كبيرة من قبل مؤسسيها سواء في الو.م.أ أو في الاتحاد الأوروبي. ويمكن إجمال هذه الجهود في أربع تقارير كبرى:

- التقرير الأول: أعده مختصون من الو.م.أ سنة 2002، ونشر سنة 2003 تحت عنوان "تظافر التكنولوجيا الموجهة إلى زيادة القدرات الإنسانية: النانو تكنولوجيا، البيوتكنولوجيا، تكنولوجيا المعلوماتية، والعلوم المعرفية) أو NBIC، حيث تم التعريف بهذه العلوم وتقنياتها، ولفت الانتباه إلى ما يمكن حدوثه في حال تقاربها. هذا الأمر الذي تم وصفه من قبل أنصار التحول الإنساني بالتفاؤلي والإيجابي وأنه سيحسن من حياة البشرية بشكل لا يمكن وصفه<sup>1</sup>.

- التقرير الثاني: تم تحرير هذا المقال سنة 2003 من طرف لجنة البيوإيثيقا الأمريكية تحت عنوان: "ما بعد العلاج: البيوتكنولوجيا والباحث عن السعادة". هدفه التعقيب على التقرير الأول الذي يبدو فيه شدة الافتتان والولع بالعلوم المتقاربة ومخارجاتها، دون محاولة لضبطها أخلاقياً، هذا ما أثار حفيظة البيومحافظين الذين حذروا كثيراً من هذه التقنيات المسيسة حسب وصفهم، لهذا عمل هذا التقرير على تخفيف حدة الصراع بينهم وبين البيوتقديمين<sup>2</sup>.

- التقرير الثالث: يعتبر أول تقرير أوروبي مخصص للإنسانية المتحولة، تحت إشراف المفتش "فيليب بيسكين"، وقد خُبر سنة 2004 تحت عنوان: "التكنولوجيات المتقاربة تمثل مستقبل المجتمعات الأوروبية"، والأفكار الواردة في هذا التقرير تتوافق مع الاتجاه البيولوجي المحافظ، محاولة التمسك بتقاليد إنسانية الأنوار التي تقرر بالتحسين في الجانب الاجتماعي والسياسي. أي أنه يعارض فلسفة الإنسانية المتحولة التي تنادي بالتحسين

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p16.

<sup>2</sup> Ibid, pp 16, 17.



البيولوجي والسياسي الفردي، إلا أنها لا تنظر إليها كأطروحة خرافية ميتافيزيقية أو يوتوبيا، بل تعتبرها واقع لا مفر منه<sup>1</sup>.

-التقرير الرابع: حُرر من قِبَل مجموعة من باحثين وفلاسفة ألمان وكنديين، أمثال جيلبرت هوتوا، سنة 2009 تحت عنوان: "تحسين الوجود الإنساني"، وقد صدر عن البرلمان الأوروبي، يميل هذا التقرير إلى التفاؤل بهذه التقنيات المعاصرة، مع الإقرار بأن مشروع الإنسانية الانتقالية أمر واقع لا يمكن التملص منه<sup>2</sup>.

وكقراءة نقدية يمكن القول أنه حتى ولو تمكنت هذه التقنيات الفائقة من إعادة تشكيل كياننا البيولوجي، فإن العضوية البشرية هي كل منتظم وفق منطق غائي، وكل رغبة أو محاولة لتعديلها أو إعادة تشكيلها خلافا لما هي عليه بالطبيعة، فإنها تعلن عن فنائها، فتأتي الإنسانية بالمضرة والشقاء بدل المصلحة والسعادة، وعليه فمن الخطأ المخاطرة عبر الانزياح من وراء غاية مبتذلة وهي التعزيز، لا يزال مناصري الإنسانية المتحولة يسعون للكمال مهما كان الثمن، لكن هذا المسعى يتعارض بشكل مطلق مع من يحترمون الطبيعة الأصلية التي وهبها الله لنا.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p17.

<sup>2</sup>Ibid, p18.

### خلاصة:

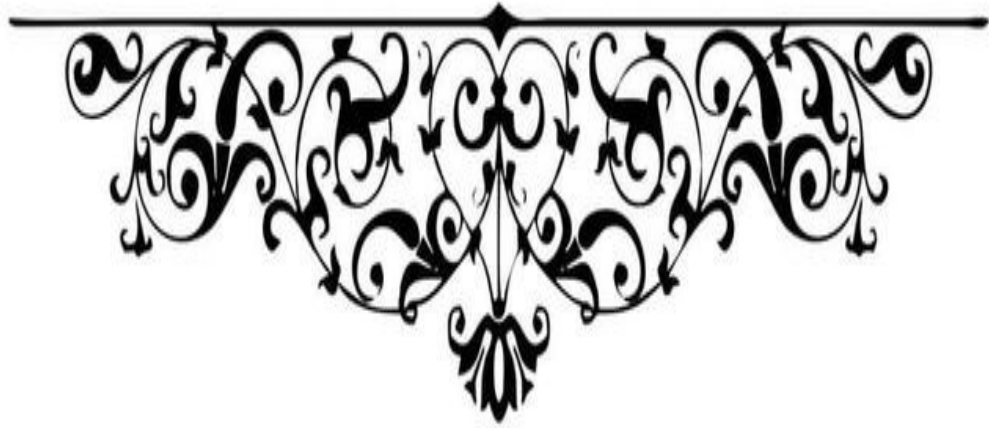
من خلال ما ورد في ثنايا هذا الفصل نتوصل إلى النتائج التالية:

- تعتبر الإنسانية المتحولة وفقا لرأي فيري مصححة لمسار النزعة الإنسانية ومتجاوزة لعيوبها.
- يعتبر فيري أن الإنسانية المتحولة مشروع هدفه الإعلاء من القدرات العادية للإنسان، مع المحافظة على كيانه البيولوجي، وبهذا تختلف عن ما بعد الإنسانية التي تهدف إلى إنتاج نوع جديد يمثل القطيعة مع الإنسان بالمفهوم الحالي.
- للإنسانية المتحولة جذور فكرية وفلسفية عبر مراحل تاريخ الفكر الإنساني.
- إن هذا الادعاء الذي كان سابقا مجرد خيال علمي، أصبح اليوم أقرب إلى الواقع خاصة مع ثورة التقنيات الفائقة، إلا أن أهدافها لا تزال في نطاق التجارب المخبرية.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة

عند لوك فيري



## أولاً: التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية

1. التصور البيولوجي الكيميائي
2. التصور الآلي للإنسان
3. التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان

## ثانياً: الإنسانية المتحولة والاقتصاد

1. من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني)
2. نهاية الرأسمالية أو الليبرالية المتطرفة
3. الإنسان الفائق هو الرأسمال

## ثالثاً: الإنسانية المتحولة والسياسة

1. الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟
2. السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان
3. التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة

## رابعاً: الإنسانية المتحولة والدين

1. الجذور الدينية للإنسانية المتحولة
2. التفردية أو البحث عن دين جديد
3. الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة

### تمهيد:

مع تسارع التقدم البيو تكنولوجي تبدو البشرية وكأنها على أبواب تحولات جذرية تعيد تشكيل التجمعات البشرية على غرار ما حدث منذ آلاف السنين عندما أدت التحولات القائمة على خوارزميات الانتقاء الطبيعي أو غيرها إلى تغييرات في بنية وطبيعة ووعي الكتل البشرية، وتطورها من تجمعات بدائية حجرية إلى مجتمعات بشرية زراعية، فصناعية، فمعرفة، ومنها إلى مجتمعات تعتمد على العقل والذكاء الاصطناعي واستخدام الإنسان الآلي بشكل واسع. لذا فمن الطبيعي، وكما حدث مع كل تحول من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن عصر إلى عصر آخر حدوث اهتزازات وتحولات اجتماعية واقتصادية، ومؤخرا سمح الانتقال من العصر الصناعي إلى العصر القائم على المعرفة ومن السيطرة على الطبيعة من قبل البشر إلى التحكم والتعديل في الطبيعة البشرية في حد ذاتها بحدوث تغييرات جذرية في طبيعتنا وهويتنا الإنسانية، وفي نماذجنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية كذلك. فالتقدم التقني الذي ينجم عن تطلعات الإنسانية المتحولة المدعوم بتزايد رغباتنا الفردية، يتجه بشكل طبيعي نحو المعاني التي تفرضها هذه القيم الجديدة. فهل سنتمكن من تحمل هذه التغييرات؟ وهل فعلا تصب جميعها في صالح الإنسان؟

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

### أولاً: التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية

يستخدم مصطلح "الإنسانية المتحولة" للإشارة إلى الإنسان المتجاوز لطبيعته وحدوده البيولوجية أو المستنسخ أو المندمج مع الإنسان الآلي أو نصف الآلي، أو بشكل أوسع دمج العضوي باللاعضوي أو الطبيعي مع الاصطناعي، وإعادة تصنيع الكائنات الحية البشرية من خلال الإعلاء من قدراتها حد التفوق على كل ما هو طبيعي. مع الأخذ في الحسبان أن إمكانيات "الإنسان الفائق" لا تزال في نطاق التجارب المخبرية والخيال العلمي<sup>1</sup>، على الرغم من وجود بعض التجاوزات والمحاولات الجادة، والتي سيكون لها الأثر البالغ في تحويل مستقبل الإنسانية، وهذا ما أطلق نقاشات واسعة حول الإنسانية المتحولة على مستوى العالم.

إن الحديث عن صياغة إنسان فائق ومعدل جينياً يسبقه الحديث عن التقنيات المعاصرة التي بدأت مع الهندسة الوراثية، حيث تم اكتشاف أسرار الخريطة الجينية للإنسان، مما ساعد على التدخل الجيني في المادة الوراثية، ناهيك عن تطور فرع البيوتكنولوجيا والعلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي والحوسبة مع تقاربها.

يعتقد أنصار الإنسانية المتحولة بأن المستقبل سيصبح مرهوناً بمسار التقنو-علمي، إذ تصبح هندسة الحياة البشرية ممكنة بواسطة التصميم المسبق من قبل تدبير الإنسان نفسه، والتي يمكن أن تتم من خلال ثلاثة طرق مختلفة:

**التعديل الجيني:** من خلال التدخل البشري في الجانب العضوي البيولوجي الوراثي بهدف تخليق أو إعادة تكوين بشر بقدرات عالية.

**التعديل السيرياني- العضوي (الآلي):** ويتمثل في تبديل أعضاء عضوية بأعضاء اصطناعية أو المزج بين القدرات الآلية والجسم البشري، أو تحويل كيان اصطناعي آلي إلى كيان شبه بشري أي هندسة بشر من طبيعة عضوية ومزودة بأعضاء آلية ذكية.

**التعديل الرقمي- الافتراضي:** يتجسد في السعي إلى نقل ونسخ وتخزين وعي وإدراك وذكريات الإنسان في جهاز آلي رقمي مثل: الشرائح الإلكترونية، الحواسيب... الخ<sup>2</sup>.

### 1- التصور البيولوجي الكيميائي:

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، ص 244.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 16، 17.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وعقب النجاح الذي حققته الثورة البيولوجية في خمسينيات القرن الماضي بعد اكتشافها تركيبة المادة الوراثية DNA، حيث فُتح المجال لبروز تكنولوجيايات مستحدثة أكثر جرأة من سابقتها، وتتمثل في الهندسة الجينية ومختلف تطبيقاتها، كالاستنساخ، وتحسين النسل، والعلاج الجيني، والخلايا الجذعية، وغيرها من الممارسات التي كان غرضها علاج وتجنب الصفات غير المرغوب فيها. لكن تطور الأبحاث في مجال الوراثة والجينات، ومع ظهور الثورة البيوتكنولوجية وتحالفها مع التقنيات الفائقة الأخرى طرح مشكلة ما يعرف بـ NBIC، مما أدى إلى الاتجاه نحو خلق إنسان بمواصفات جديدة وغير معهودة، أي الرغبة في تغيير الطبيعة البشرية<sup>1</sup>. هذا ما يمثل جوهر مشروع الإنسانية المتحولة، الذي يروم إلى التحسين والإعلاء من القدرات البشرية الفيزيائية المحدودة. بفضل التقنيات الحيوية من إطالة العمر وتأخير الشيخوخة والذكاء الخارق... إذن فهو يتجاوز علاج الأمراض فقط.

لقد راود العقل البشري - كما ذكرنا سابقاً - حلم الخلود وتمديد العمر والتمتع بقدرات جسمية وذهنية ممتازة وتجنب الآلام والأمراض، لهذا سعى العلماء إلى التدخل الاصطناعي في طبيعة الكائنات الحية كتغيير جيناتها أو استنساخها، ما أفضى إلى ظهور "علم الأحياء الاصطناعي" الذي تحدث عنه أول مرة العالم الفرنسي ستيفان لودوك Stéphane Leduc (1939-1853) في ورقته البحثية "Étude de la Biophysique" سنة 1912، وفيما بعد، وتحديدًا سنة 2004 تم تبنيه من طرف البيولوجيين، وقد تطور عبر المراحل التالية:

-مرحلة التكنولوجيا الحيوية الأساسية: والتي كانت سائدة خلال سبعينيات القرن الماضي، أين كانت الأبحاث جارية حول التعديل اليدوي لجينوم الكائنات الحية الدقيقة والحيوانات الأليفة، وكذلك بعض النباتات والبذور الزراعية، وفي هذه المرحلة كانت بدايات عملية الاستنساخ.

-مرحلة البيولوجيا التركيبية أو الاصطناعية: في هذه المرحلة بدأت محاولة التدخل في المادة الوراثية DNA للإنسان قصد العلاج من الأمراض المستعصية والعقم، وحتى تمديد العمر، وهنا بلغت عمليات الاستنساخ الحيوي الاصطناعي ذروته لأغراض علاجية وعلمية، وتمثل بالتحديد في استنساخ خلايا وأنسجة بشرية أو حيوانية، كما ظهرت محاولات لتكوين كائنات حية جديدة مستنسخة وراثياً، على عكس التطور الطبيعي الذي نادى به الداروينية.

<sup>1</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 230.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

-مرحلة المشاريع الجينومية التخليقية: هنا ظهرت الأبحاث حول تخليق أعضاء بشرية عضوية تعويضية لسابقتها التالفة، وقد سارت الأبحاث أبعد من ذلك، محاولة تخليق أجنة بشرية أو تعديل خصائص البشر والإعلاء من قدراتهم وتحسين نسلهم، والتدخل في الإنجاب، وهذا بعد التمكن من فك الخريطة الجينية للإنسان<sup>1</sup>.

نجد من أهم الممارسات التي عملت على تعديل الإنسان بيولوجياً للإعلاء من قدراته الجسدية والعقلية والنفسية "تحسين النسل" Eugenics، هذه الكلمة التي تتألف في الأصل اللغوي من كلمتين يونانيتين: الأولى (eu) تدل على الفرد الطيب أو الحسن أو نبيل العرق، وgenics وتعني وراثي أو مكون أو مولد أو جينات. وبالجمع بينهما نصل إلى: تحسين النسل، وهي تشير إلى التقنية القائمة على اختيار الأجنة أو السلالة المرغوب بها بناءً على صفاتها الإيجابية، بواسطة التكاثر بين الأفراد الحاملين لصفات جينية حسنة خالية من الأمراض الوراثية والعاهات الخلقية<sup>2</sup>. وبهذا المعنى، فهي فكرة قديمة تتقاطع مع فكرة الإيمان بوجود فوارق فردية بين البشر.

يمكن أن نميز نوعين من تحسين النسل، الأول إيجابي وينحصر في رفع معدل الخصوبة والتكاثر لدى الأشخاص الذين يمتلكون صفات وراثية متفوقة، ونلمس أساليبه في التلقيح الاصطناعي والاستنساخ. والثاني سلبي يتمثل في خفض الخصوبة والتكاثر لدى الفئات التي تتميز بالقصور والمرض والعاهات، من أساليبه الإجهاضات والتعقيم<sup>3</sup>.

ومع تطور علم البيولوجيا، خاصة في القرن 19م، وتوازياً مع النظرية التطورية لداروين، قد تم نحت مصطلح تحسين النسل بمفهومه الحالي من قبل ابن خالته العالم الإنجليزي فرنسيس غالتون Francis Galton (1822-1911)، الذي تأثر بنظرية التطور كثيراً، ومنطلقه أن هناك عدم تكافؤ طبيعي بيولوجي بين البشر، وبما أن القدرات الجسدية والعقلية لا تُمنح للإنسان بل يكتسبها بفعل الانتقاء الطبيعي، لهذا لا بد من الاختيار الاصطناعي للأشخاص نظراً لقصور وبطء الانتقاء الطبيعي، لهذا أعلن صراحة أن إنجاب

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 195، 198.

<sup>2</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص ص 92، 99.

<sup>3</sup> جون جلاد، التطور البشري المستقبلي: تحسين السلالات في القرن 21، ترجمة: محمود المليجي، المبدأ للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2013، ص 33.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأزواج الذين يعانون عيباً أو نقصاً يعتبر جريمة<sup>1</sup>. مما جعله يعتبر أن القيود الاجتماعية التي فرضتها الحضارة المعاصرة تعرقل سير التطور البشري، إذ إنها تحافظ على نسل السلالات الضعيفة<sup>2</sup>. وعليه، لا بد من نوع من التعقيم القسري لهذه السلالات حتى نضمن سير التطور نحو الأقوى والأصلح، أي السلالات القوية الخالية من الأمراض، كنوع من حصر التكاثر فقط لفئة العباقرة والعلماء والأدباء.

هذا النوع من التحسين الذي يقوم على التعقيم الإكراهي تبنته العديد من الجمعيات ومراكز البحث تحت إشراف العلماء والمختصين في الو.م.أ وأوروبا، الذين قاموا في هذا الصدد بتجارب لاستئصال سلالات بشرية جديدة بصفات وراثية خارقة. هذا الهوس الذي أخذ منحى سلبي وخطير جداً، خاصة مع بداية القرن 20م، حيث تجسدت اليوجينيا في أبشع صورها على يد النازيين، خاصة بعد إصدار الزعيم الألماني أدولف هتلر Adolf Hitler (1889-1945) مرسوماً ينص على إجبارية تعقيم العائلات التي تعاني من أمراض عضوية وراثية أو تشوهات خلقية كنوع من التصفية العرقية<sup>3</sup>. بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد الكشف عن جرائم وتجارب النازيين، تلاشت أفكاره، خاصة بعد صدور بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م، التي جرمت مثل هذه الممارسات لأن فيها حط من كرامة الإنسان. ولكن مع مطلع سبعينيات القرن الماضي، إلى غاية وقتنا الراهن، تجدد ثوبه في شكل نزعات تنادي بالإنسان الفائق أو الجديد، وخاصة بعد اكتشاف مكونات المادة الوراثية. برز النوع الجديد من تحسين النسل والذي وصف بالإيجابي أو الشامل، لأنه يرمي إلى علاج الأمراض الوراثية للجميع دون تمييز عرقي بعيداً عن التعقيم القسري. لكن مع طغيان العلم ذو الاتجاه الليبرالي والنيو ليبرالي والرأسمالية، تحولت اليوجينيا من تقنية علاجية إلى تقنية صناعية في إطار الممارسة التجارية.

ينتقد لوك فيري تحسين النسل العنصري، فهو من جهة ليس قائماً على أساس علمي، ومن جهة أخرى ينكر المساواة الأساسية بين الناس، إضافة إلى أنه لا يحترم استقلالية الوالدين، إذ إنه يمثل نوعاً من الإصلاح البيولوجي الذي يتم تنفيذه بواسطة الدولة، بينما تدعو حركة الإنسانية المتحولة إلى إعادة النظر في مسألة تحسين النسل، من خلال التأكيد على الحرية الفردية والأبوية والكرامة المتساوية للناس، والاهتمام الأساسي بتصحيح عدم المساواة الطبيعية المحتملة، أو كما يسميها فيري اليانصيب أو الحظ الطبيعي، وفي

<sup>1</sup> أولغا تشيفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها، ص 74، 75.

<sup>2</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 94.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 96.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذا السياق، يؤكد فيري على أن دور العدالة التوزيعية إلى اليوم يقتصر على إعادة التوازن التعويضي للعديد من الاختلافات والطبقة الاجتماعية، كمكافحة التمييز العنصري (الجنس والانتماء العرقي) أي اليانصيب الاجتماعي. لكنها لم تستطع التدخل في اليانصيب الطبيعي، لهذا لطالما تعاملت معه خارجياً فقط من خلال التعويض المالي والرعاية المجانية والتعليم الخاص وما إلى ذلك. لهذا تكفلت حركة الإنسانية المتحولة بإصلاح هذا الخطأ الطبيعي. وحسب لوك فيري، يكون ذلك بواسطة أن يوفر علم الوراثة إمكانية متزايدة لتصحيح التفاوتات الطبيعية نفسها، إما عن طريق منعها أي تحسين النسل الإيجابي الذي يدعمه مشروع التحول الإنساني. لهذا سيكون الأمر يتعلق بالانتقال من إعادة توزيع الموارد الاجتماعية البحتة إلى إعادة توزيع الموارد الطبيعية (الجينات). والسؤال الذي يمكن أن يُطرح في هذا السياق: هل ينبغي التدخل باسم العدالة وتكافؤ الفرص في اليانصيب الطبيعي؟ يجب فيري على لسان الإنسانية المتحولة بالإيجاب<sup>1</sup>، إذ أنها تعتبر الإصلاح البيولوجي واجباً أخلاقياً، ولكن بمعنى متساوٍ وتحسيني، غير حكومي ومعتزف بحرية من يرغب في اللجوء إليه. وهذا ما يعنيه شعارها "من الحظ إلى الاختيار".

تبنى الإنسانية المتحولة إذاً شعار "من الحظ إلى الاختيار". هذا ما يجعل منها نوعاً جديداً من علم تحسين النسل، والذي يختلف عن النوع القديم بالكامل ومن جميع النواحي. ويورد فيري أربع اختلافات أساسية بين التحسين الذي تدعو إليه حركة الإنسانية المتحولة وتحسين النسل الشمولي أو القاتل، وهي كالتالي:

- التحسين الذي تعتمده الإنسانية المتحولة ليس دولياً ولا يعتمد على الدولة، بل يستند إلى حرية واختيار الفرد. وهذا يعني الانتقال من القرعة الطبيعية غير العادلة والعشوائية إلى اختيار الإرادة البشرية الحرة.

- ليس عنصرياً أو تمييزياً كذلك، بل على العكس يهدف إلى مساواة الظروف، لأنه يسعى إلى إصلاح الظلم الواقع على البشر بطبيعتهم العمياء.

- يندرج ضمن منظور ديمقراطي، مضيفاً المساواة الجينية إلى المساواة الاقتصادية والاجتماعية.

- على خلاف تحسين النسل النازي، لا تهدف الإنسانية المتحولة إطلاقاً إلى القضاء على الضعفاء أو المعاقين، بل تسعى لإصلاح وزيادة الصفات الإنسانية التي توزعها الطبيعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p42.

<sup>2</sup> Ibid, p 41.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يخلص فيري هنا إلى أن الانتقادات التقليدية الموجهة إلى مشروع الإنسانية المتحولة، على اعتبار أنه تكريس وتكملة لمشروع تحسين النسل القديم بصيغة جديدة، غير مقنعة. حيث يرفض نظرتهم هذه الضيقة، ويعتبر أن التحسين الذي تعمل عليه هذه الحركة أخلاقي وإيجابي. إذ يتساءل في هذا الصدد: من سيرفض إصلاح الجينات المسببة والناقلة للأمراض الخطيرة في اليوم الذي يصبح فيه ذلك ممكناً في جينوم الخلايا الجنينية؟ ومن سيرفض تحسين مقاومة الجسم البشري للشيخوخة وزيادة قدراته الفكرية والإدراكية، وحتى منح الجنس البشري من خلال التهجين قدرات فائقة من جميع جوانب الحياة؟<sup>1</sup>.

ويمكننا أن نلمس علاقة التعديل البيولوجي بمشروع الإنسانية المتحولة بالحديث عن مشروع الاستنساخ، الذي عرف انتشاراً واسعاً نهاية القرن الماضي، والذي يعتبر إضافة جديدة في ميدان البيوتكنولوجيا، وهو في الأصل امتداد لمنجزات الهندسة الجينية<sup>2</sup>، خاصة بعد نجاحه على مستوى الحيوانات. حيث اتجهت الآراء المؤيدة له نحو استنساخ البشر، وهذا كوسيلة للقضاء على الأمراض الوراثية ولإعادة بعث الحياة من جديد، خاصة بعد فقدان عزيز، وكذلك الطموح نحو ترسيخ فكرة تخليد الجسد<sup>3</sup>. لهذا وصفه الفيلسوف الفرنسي جان بودريار بخلق الإنسان المصنّع المصطنع عن طريق الشفرة الوراثية.

إن الحديث عن الاستنساخ البشري Clonage humain، كمبحث عملي دقيق يصعب نوعاً ما تبسطه علمياً، فهو يتطلب تفصيلاً علمياً كبيراً، لذا يمكن أن نعرف الاستنساخ بأنه توليد كائن حي مشابه تماماً لكائن حي آخر، أو تصنيع كائن حي يكون نسخة طبق الأصل عن الكائن الأصلي. وتعتبر هذه الظاهرة موجودة منذ القدم في الطبيعة لدى الكائنات أحادية الخلية<sup>4</sup>. وهناك نوعان من الاستنساخ: الأول علاجي، الهدف منه ليس الحصول على مستنسخ، بل خلايا جذعية جنينية؛ والثاني تكاثري، هدفه خلق كائن حي للنوع البشري<sup>5</sup>.

إن الاستنساخ الذي نقصده في دراستنا هذه هو الاستنساخ اللاجنسي أو التكاثري، فعلى خلاف التكاثر الطبيعي الناتج عن التزاوج بين الذكر والأنثى. يسعى العلماء لتجسيد طريقة أخرى للتكاثر، بحيث

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 41, 42.

<sup>2</sup> ينبغي الإشارة هنا إلى أن الاستنساخ لا يعني الهندسة الجينية، فهو أيضاً من أبرز تقنيات البيوتكنولوجيا، فالهندسة الجينية دورها نقل الجينات المرغوب فيها من كائن حي إلى كائن آخر، بينما الاستنساخ هو عملية نسخ كائن حي كامل الصفات ليصبح نسخة طبق الأصل.

<sup>3</sup> محمد طاهير، *البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان*، ص 100.

<sup>4</sup> أوديل روبير، *الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثياً*، ترجمة: زينة دهبي، مكتبة المجلة العربية، الرياض، ط1، 2015، ص 8.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 94.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يمكن صنع نسخة طبق الأصل عن كائن إنساني معين يحمل نفس صفاته، هذه العملية تسمى الاستنساخ البشري بعد نجاحه في النباتات والحيوانات، وقد تم التفاؤل بهذه التقنية بعد نجاحها على الثدييات، خاصة بعد إعلان العالم ايان ويلموت Ian Wilmut (1941-2023) مع فريق عمله سنة 1997م عن نجاح استنساخ النعجة "دوللي"، وذلك بواسطة نقل نواة بويضة مستخلصة من خلية جسدية مجمدة، أخذت من ضرع النعجة الأم الأصلية، ونقلها فيما بعد إلى بويضة منزوعة النواة، وأخيرا تم زرعها في رحم الأم البديلة، وهذا دون تدخل ذكري<sup>1</sup>. وبعد ذلك توالى الأبحاث والتجارب حول استنساخ العديد من أنواع الحيوانات، حتى المنقرضة منها. بل وسعى علماء آخرون في إطار مشروع الجينوم إلى استنساخ الكائن البشري مثل "إنسان نايندرتال"، الذي انقرض منذ أكثر من 30,000 سنة<sup>2</sup>. هذا، ويتوقع العلماء بأن الاستنساخ سيمكننا من إعادة التكوين الجيني للأعضاء البشرية، كتخليق قلب اصطناعي مكون من أنسجة بشرية، أو كلية، أو رئة، وزرعها داخل جسد الإنسان. وهو حسب مناصريه يضمن الوصول إلى الخلود، ويبحث الأمل في استرجاع طفل أو إنسان غالي اختفى أو على وشك الموت، ناهيك عن مساعدة الأزواج الذين يعانون العقم.

وعلى غرار الاستنساخ، يسعى البيولوجيون إلى تطوير تقنيات أخرى تتحدى قوانين الطبيعة، كاهندسة الوراثة ومشروع الجينوم البشري، بهدف تغيير ألقبائية الجينوم للكائن الحي عامة والبشري خاصة.

يتضمن جسم الإنسان على أكثر من ستون ألف مليون خلية<sup>3</sup>، بحيث تشكل كل خلية كتابا ضخما يتكون من مائتي ألف صفحة. هذا الكتاب المعجزة الربانية يمثل كتاب الحياة الحامل لعلامات القدر الوراثي لكل خلية، أي الصفات والخصائص، وهو ما يعرف بالجينوم Génome أو الخارطة الوراثية للبشر<sup>4</sup>. وتعتبر سنة 1953 حدثا عالميا في تاريخ البيولوجيا، وذلك بقيام الأمريكي جيمس واطسون James Watson (1928-) والبريطاني فرنسيس كريك Francis Crick (1916-2004) بإنشاء فرع الهندسة الوراثية كتقنية تعمل على نقل المادة الوراثية من خلية إلى أخرى، أو تعديلها أو تغييرها من أجل علاج الأمراض، وذلك من خلال معرفة الصفات الجينية للإنسان الموجودة في الحمض النووي لكل فرد، أو ما يعرف بالشفرة

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 202، 204.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 213.

<sup>3</sup> الخلية عنصر تكويني أساسي من عناصر أجسام الكائنات الحية يخزن المعلومات الجينية.

<sup>4</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 105.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الوراثية<sup>1</sup> Génétique Code. وبفضل الانفجار البيو تقني، تمكن العلماء عام 2003 من فك 80% من رموز الشفرة الوراثية للإنسان، ومعرفة كامل أسرار الحياة الموجودة داخل كل خلية من خلايا جسم الكائن الإنساني، ومنه الحصول على المزيد من المعلومات حول تموقع وتسلسل الجينات البشرية الموزعة على 46 كروموزوم. وهذا ما عرف بمشروع الجينوم. وقد تم نشر أول صورة للحمض النووي بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني سنة 2012م. والحديث عن البيو تكنولوجيا يحيلنا بطبيعة الحال إلى الحديث عن أهم تطبيقاتها الحيوية الحديثة، ما يعرف بالتعديل الجيني بوصفه عملية تقوم على معالجة وتعديل الجينات بهدف تعديل مواصفات الكائن الحي.

إن الهندسة الجينية، أو ما يسمى التعديل الجيني، الذي يتم على أساس نقل الجينات من كائن إلى آخر ليكتسب الكائن المستحدث صفات محددة من جينات الكائن الأول، وعليه، فهذه التقنية تشجع على تغيير المادة الوراثية للكائن الحي بهدف تحسينه وإكسابه قدرات فائقة<sup>2</sup>. هذا الانكشاف الهائل في مجال الجينات، جعل هذا العصر يوصف بعصر الجينوم، حيث تم فتح آفاق واعدة في الطب العلاجي لمواجهة مختلف الأمراض المستعصية، وفي الطب التنبؤي كذلك. والأبعد من ذلك هو التطلع إلى عصر ما بعد الجينوم، أين أضحي السعي نحو إنسان خالٍ من الأمراض، وإطالة العمر لأمد بعيد، وتأخير الشيخوخة، ناهيك عن تغيير الصفات الجينية الجسدية بهدف تحسين الجنس البشري<sup>3</sup>. وبهذا، فتحت تقنيات التعديل الجيني مرحلة جديدة في إعادة كتابة الشيفرة الوراثية وإدخال إصلاحات وتعديلات على المواصفات البشرية، وهذا ما جعل البيولوجيون يسعون إلى فبركة الحياة أو صناعة الحياة الإنسانية أو تغيير مسارها.

تعتبر عملية استنساخ الجينات المرحلة الأولى من مراحل تقنية التعديل الجيني من خلال قص جين معين بواسطة بروتين أو إنزيم معين، ووضع الجين المرغوب فيه أو المطلوب محله. وتعرف عملية قص الجينات ونقلها من خلية إلى أخرى بالتعديل الوراثي أو الجيني، والتي نجحت كثيرا على النباتات ثم الحيوانات<sup>4</sup>. ومنذ اكتشاف المادة الوراثية المتمثلة في التركيب الجزيئي للحمض النووي DNA، والأبحاث تسعى لإنشاء تقنيات قادرة على التحكم بالمادة الوراثية للكائن الحي، خاصة الإنسان منها. ونجد من أبرز التقنيات التي توصلت

<sup>1</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 32.

<sup>2</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 215.

<sup>3</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 109.

<sup>4</sup> أوديل روبير، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثيا، ص 35.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إليها هذه الأبحاث تقنية التحرير الجيني Gene Editing Technique المشهورة بتقنية المقص واسمها العلمي كريسبر كاس 9. إذ تعد هذه التقنية من أفضل وأدق الطرق المستخدمة من قبل هندسة الوراثة في إطار التعديل الجيني مقارنة بطريقتي "نيوكليز" أو "إصبع الزنك"، و"الإنزيمات"، حيث مكنت هذه التقنية من تعديل تسلسل الحمض النووي الريبوزي في مجموعة واسعة من خلايا الكائنات الحية، خاصة البشرية منها. لهذا يعول كثيرا عليها من الخبراء في مجال التعديل الجيني والتحسين الوراثي، خاصة بعد تطويرها سنة 2012 من قبل **جينيفر دودنا** Doudna Jennifer (1964-) و**إيمانويل شاربنتييه** Emmanuelle Charpentier (1968-)، من خلال الكشف عن بروتين اسمه "كاس 9" يمكن توجيهه مباشرة نحو الأماكن الصحيحة لقص الحمض النووي غير المرغوب فيه. وهكذا يمكن تغيير الحمض النووي لأي كائن حي، بما في ذلك الإنسان، دون تغيير في تسلسل "الدنا". وقد حققت هذه التقنية أولى نجاحاتها سنة 2015 من خلال تصحيح طفرة مرتبطة بمرض ثيوسينوميا Tyrosinemia، الناتج عن تراكم الحمض الأميني في الجسم، يمكن أن يصيب الإنسان من الفئران. وبهذا، فتحت الباب أمام هندسة سلالات جديدة من الحيوانات والنباتات المعدلة جينيا لمقاومة مختلف الأمراض<sup>1</sup>. هذا، وقد أعلن **كريج فنتر** Graig Venter (1946-) في 20 ماي 2010 عن تصنيع أول خلية اصطناعية بإدراج كروموسوم اصطناعي لمليون قاعدة كيميائية بواسطة البرمجة الحاسوبية في بكتيريا منزوعة الحمض النووي<sup>2</sup>. وتوصلت النتائج إلى إمكانية قيام هذه البكتيريا المصنعة بالوظائف الحيوية العادية. وهذا ما جعل الباحثين يؤمنون بإمكانية فبركة الإنسان أو هندسة حياة اصطناعية مصممة مسبقا بعيدا عن الانتقاء الطبيعي الدارويني.

تحول الاهتمام مع مشروع الإنسانية المتحولة نحو هندسة جينية للإنسان حسب نموذج فائق، إذ طبقها مجموعة من علماء الصين سنة 2015 على أجنة بشرية في بداية تشكلها من خلال تعديل وإزالة الجينات المريضة وغيرها من التجارب. وقد ازدادت الآمال في هذا المجال بعد تطويرها مؤخرا بعد اكتشاف بروتين كاس 9 Crispr-Cas 13 بدلاً عن كاس 9.

يهدف التعديل الجيني الوراثي في الأساس إلى تعزيز القدرات البشرية عن طريق التدخل في طبيعته. وعملية التعزيز هذه تشمل جانبيين في الإنسان، الجانب الأول يشمل الإغلاء من القدرات البدنية الفيزيائية

<sup>1</sup> محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان، ص 140، 142.

<sup>2</sup> لورانس ألكسندر، الإنسانية البعدية في مقابل البيولوجيين المحافظين، ترجمة: خديجة حلفاوي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017، ص 47.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والتجميلية، كالقدرات الحركية، القوة، السرعة، ورشاقة الحركة وتحمل البرودة والحرارة، أو تجديد الشباب، وغيرها. أما الجانب الثاني يشمل الإعلاء في القدرات العقلية والنفسية للإنسان، وكذا المعرفية والوجدانية، حيث تعمل على تعزيز وزيادة قدرة الإدراك الحسي، والذاكرة، والتفكير، والذكاء، والخيال وكذا تعزيز المزاج وسمات الشخصية. وهناك ثلاث تقنيات أساسية لتعزيز البشري بيولوجيا: الأعضاء الصناعية، والمعالجة الصيدلانية، والهندسة الجينية. هذه الأخيرة تراهن عليها كثيرا حركة الإنسانية المتحولة، وهي ترتبط كثيرا بمشروع الجينوم. لهذا، فهي تقوم أساسا على التعديل الجيني بواسطة التلاعب والتحكم في الشفرة الوراثية للإنسان DNA، خاصة من خلال عمليات جينوم الخلايا الجرثومية التي أثبتت فعاليتها على الفئران في اكتساب جينات فائقة. وهذا ما أوحى للعلماء بتوظيفها في فكرة الأطفال المصممين<sup>1</sup>. وهذه كلها تعزيزات وتعديلات غير علاجية تتخطى الوضع السوي للصفات الوراثية أو للطبيعة البشرية عموما.

يمنح التعديل الجيني للإنسانية فائدتين: التخلص من الأمراض المحتملة وراثيا، وتغيير الخصائص البيولوجية للإنسان ككل. وبهذا، فهو يثير معنى "أفضل العوالم" على طريقة **ألدوس هكسلي**. والسؤال الذي نطرحه هنا: هل سيتوقف مشروع الجينوم عند هذا الحد فقط؟ يبدو أن الأمر يتعدى ذلك إلى استخدام مخرجات التقنيات الحيوية من أجل تغيير شروط الحياة العضوية للإنسان، أي تغيير البنية الوراثية للكائنات البشرية، وبمعنى أوضح، السعي لتصنيع الكائن البشري مخبريا. هذا الأمر يدعمه **لوك فيري** كثيرا، فهناك مصوغ للتعديل الجيني وفقا له، يتمثل في الإيمان المطلق بالتقدم، مشابه لذلك الذي كان يحرك الفلاسفة والعلماء في عصر النهضة. فإذا كانت الإنسانية في عصر النهضة قد تمكنت بالفعل من الانفصال عن الطبيعة، فلماذا نتوقف عند هذا الحد الجيد؟ ولماذا لا نذهب حتى النهاية في مجال التحسين؟ وما هو أسوأ أخلاقيا من الاختيار الدارويني الذي يقضي على المنحرفين والضعفاء، والذي أشاد به النازيون؟ هذا، ولا يمكن إغفال بعض الأفكار السلبية غير المتوقعة وغير المرغوبة في أبحاث الهندسة الجينية البشرية، ولكن هذا ليس سببا كافيا للامتناع عنها، خاصة وأن الأمر نفسه ينطبق تماما إذا قررنا الإبقاء على الوضع الحالي، فقد يؤدي إلى تدهور وتراجع طبيعتنا، وهذا يعني أن مشروع السيطرة على المادة الوراثية الخاصة بالإنسان ينبغي أن يستمر حتى النهاية إذا أردنا حقا تجنب تدهورها بشكل لا رجوع فيه<sup>2</sup>. ولهذا نجد في هذا السياق ميل

<sup>1</sup> جان كير برج أولسن وآخرون، موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018، ص ص 272، 273.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p50.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

المولعون بالتكنولوجيا الجديدة، من كبار المدراء والتنفيذيين للشركات المتعددة الجنسيات، إلى التفاؤل بهذا التقدم.

ويذهب فيري إلى أبعد من ذلك، فالتعديل الجيني أو تحسين النسل المعاصر، الذي أصبح ممكنا بفضل البيوتكنولوجيات الفائقة. لم يعد مجرد خيار، بل ضرورة مطلقة لبقاء النوع الإنساني، بسبب عجز الاختيار الطبيعي، خاصة بالنسبة للدول المتقدمة بيوطبيا، إذ أن نهاية الانتقاء الدارويني هي حالة غير مسبوقة في تاريخ العلم، فالإنسان أضحي مثله مثل باقي الأنواع الأخرى، ليس محصنا ضد التراجع، ومن الأمثلة على ذلك: فقدان حاسة الشم؛ فهذه الحاسة لدينا اليوم أقل ب عشرة آلاف مرة من حاسة الشم لدى الكلاب، ومع ذلك، قبل بضعة ملايين السنين، لم تكن أقل كفاءة من الثدييات الأخرى. وفي ظل هذا الضعف في الانتقاء الطبيعي، فإن تدهور الجينوم الخاص بنا سيؤثر بشكل خاص على نظامنا العصبي المركزي، ولهذا فإن الطب التكنولوجي القادم ليس خيارا، بل ضرورة، هذا ما يؤسس لشرعية الانتقال من الحظ (اليانصيب الطبيعي) إلى الاختيار (القرارات البشرية) ويجعله أمرا لا مفر منه إذا أردنا تعويض تأثيرات الانحدارات السلبية للاختيار الطبيعي المنظم بالفعل من قبل المجتمعات المتحضرة<sup>1</sup>.

وهناك حجة واقعية حسب فيري تثبت أن التعديل الجيني، كما أقره مشروع التحول الإنساني مرغوب فيه، إذ إنه بمجرد فتح إمكانيات الإصلاح البيولوجي، سيكون الأمر مغريا للآباء والأمهات الذين يرغبون فعلا في تحسين نسلهم حتى لا يتعرضوا للتهميش مقارنة بالآخرين. لكن حسبه هذا لا يعني تجاهل الجانب الأخلاقي لمثل هذه الممارسات، إذ لابد من مناقشة الأمر من عدة جوانب<sup>2</sup>.

توازيا مع تقنيات التعديل الجيني، تطورت كذلك تقنيات جينية تسمح بالتحريير الجيني للأجنة البشرية والقصد من ذلك إنجاب أطفال معدلين وراثيا وبمواصفات مرغوبة ومحددة مسبقا. ففي عام 2019، أعلن الباحث الصيني هيجيانكوي H. Jianku (1984-) عن ازدياد توائم إناث "لولو" و"تاتا"، معدلتين وراثيا، حيث تم قص "الجين" المسؤول عن مرض نقص المناعة المكتسب HIV بمساعدة تقنية المقص Crisper Cas<sup>9</sup>. وعليه، فبعد نجاح تطبيق التعديلات الجينية على النباتات والبذور الزراعية، وكذا على الحيوانات الأليفة، اتجهت نحو تطوير تقنية جينية تتيح إعادة هندسة الجنس البشري من خلال تصميم أطفال وفق

<sup>1</sup>Ibid, p 43.

<sup>2</sup>Ibid, p 43.

<sup>3</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 229.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الطلب بشكل يختلف عن التوالد الطبيعي، وذلك بتحديد صفات وخصائص وراثية مسبقا. ويتم ذلك بواسطة تغيير بعض جينات الأجنة البشرية في الأسابيع الأولى من التلقيح، مثل لون البشرة والعيون، وشكل الجسد، والمؤهلات العقلية، وحتى إمكانية مقاومة الأمراض والفيروسات الخطيرة. وهناك طريقة يعتمد عليها الكثير من البيولوجيين اليوم، تتمثل في تخصيب عدة بويضات ومن ثم اختيار البويضة التي تحمل أفضل الجينات وإجراء تعديلات جينية عليها<sup>1</sup>. ولقد تم التوصل إلى تقنية التشخيص الجيني قبل الزرع (PGD)، التي تمكن من تحديد جنس الجنين ومدى استعداده الوراثي للأمراض. هذه التقنية تدعمها العديد من الدول، مثل بريطانيا وأستراليا، إذ تسمح تشريعاتها للأزواج الذين لديهم تاريخ عائلي للإصابة بمرض وراثي بانتقاء الأجنة المزروعة الخالية من جين المرض<sup>2</sup>. ويتفاءل خبراء التحول الإنساني بأن يصبح في المستقبل استخدام هذه التقنية لاختيار أجنة ليست فقط خالية من الأمراض الوراثية، ولكن أيضا تمتلك جينات تؤدي إلى الإعلاء من القدرات العقلية كالذكاء والانتباه والذاكرة وحل المشكلات، وجسدية مثل الطول، ولون العينين، ولون البشرة.

لقد جرى استخدام تقنيات مختلفة لتشجيع الخلايا الجذعية الجنينية البشرية، والتي يمكن أن تصبح نوعا من الخلايا وأن تتجمع ذاتيا من دون الحاجة إلى حيوانات منوية أو إخصاب. ويهدف ضبط هذه الأعمال، باشرت "جامعة كمبريدج" إلى إطلاق مشروع لتطوير أول إطار حوكمة لنماذج الأجنة البشرية القائمة على الخلايا الجذعية<sup>3</sup>. خاصة وأن أهمية الخلايا الجذعية تأتي من نقطتين أساسيتين:

- فهي تتميز بالتجديد آليا، أي أنها تتكاثر باستمرار.

- قدرة على إنتاج العديد من الخلايا المختلفة، خلايا عصبية، كبدية أو جلدية، أو رئوية...

وتساهم أيضا في علاج العديد من الأمراض المستعصية وتعويض الأعضاء المتضررة، أو التالفة، وحتى في تجديد الشباب. كما يتطلب العلاج بالخلايا الجذعية الجنينية أبحاث جديده ومعقده حول هذه الخلايا، خاصة وأنه قد يتم اللجوء إلى تعديل الأجنة البشرية، ما يطرح تحديات أخلاقية فيما يخص مصير الأجنة الفاسدة أو الأجنة التي تم استخلاص الخلايا الجذعية منها. في أوت 2004، سمحت هيئة الخصوبة والأجنة

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 199.

<sup>2</sup> نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: العقول الرقمية والأخطار العالمية، ص 222، 223.

<sup>3</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 226، 227.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

البشرية ببريطانيا لعدد من البيولوجيين "بجامعة نيوكاستل" بتكوين أجنة بشرية للقيام بأبحاث علاجية عليها، قصد معرفة مدى قدرة الخلايا الجذعية -من خلال حثها- على التمايز إلى خلايا تنتج "الأنسولين"، ودامت هذه التجارب مدة عام<sup>1</sup>.

إن التقدم في مواصفات الإنسان الفائق قد يحمل معه تقدماً على صعيد مقاومة الشيخوخة والمرض، وصولاً إلى تحقيق الخلود وتحدي الموت. سيقابله تهديد للتوازن الطبيعي للكوكب، ما خلق معه تهديدات أكثر تعقيداً وخطورة. لذا، لابد من التساؤل: ماذا سيحدث إذا تمكن الإنسان بنفسه من استبدال خوارزميات لها هندسة الانتقاء الطبيعي التي يعتقد أنها ساهمت في تطور الطبيعة والكائنات والمحكومة بالقدرة والإرادة الإلهية، بعمليات وخوارزميات ترسيم وتصميم مسبق جديدة، محكومة بإرادة الإنسان نفسه، وتسمح بترسيم الحياة من النطاق الطبيعي إلى النطاق الاصطناعي، وبلوغ مرحلة إعادة تكوين المادة والحياة؟ فعلى الرغم من الانزلاقات الأخلاقية والدينية والاجتماعية للتعديل الجيني وتحرير الأجنة وراثياً، التي حذر منها العديد من الفلاسفة ورجال الدين والقانون باعتباره تدخلاً في الإرادة الإلهية وتغييراً للطبيعة البشرية، إلا أنه دافع عنه الكثير من العلماء والبيولوجيون. فمن حق الآباء الذين يحصلون على أطفال بواسطة الإنجاب الاصطناعي أن يحصلوا على جنين معدل وراثياً، تجنباً للأمراض الخطيرة مثل أمراض القلب والسرطان والسكري. أما مع أنصار الإنسانية المتحولة، فقد توسعت الأهداف نحو صناعة بشر بقدرات فائقة.

ما هو مؤكد بالنسبة لفيري هو أن هناك طريقاً مفتوحاً أمام هذا المشروع التحسيني سيكون من الصعب إغلاقه. وبطبيعة الحال، تثير مثل هذه الاحتمالات ردود فعل سلبية كثيرة أولاً، من الأديان واللاهوت التقليدي اللذان قد يفقدان جزءاً كبيراً من وجودهما؛ وثانياً من قبل النولاديت Neo-laddits وهي الحركات المناهضة للتقنية، وثالثاً من قبل الفلسفات الروحية التي تعتبر أن الإنسان ليس بأي حال من الأحوال كائناً خارقاً للطبيعة، بل على العكس تماماً، يتم تحديده بالكامل من خلال بنيته البيولوجية، ناهيك عن الجوانب الأخرى: الديمغرافية، والاقتصادية، والبيئية، والميتافيزيقية، والأخلاقية، والسياسية، من هذا المنطلق نجد أن الفلاسفة واللاهوتيون التقليديون -كما يصفهم فيري- يبذلون قصارى جهدهم لإفشال هذا المشروع الثوري عن طريق استدعاء المقدسات التي ستحدثها تلك الخطوة الجريئة في الطبيعة الإنسانية المقدسة. وهنا نلمس أن فيري ينظر بإيجابية إلى ما يمكن أن ينتجه هذا المجال من البحوث، فالتحسين

<sup>1</sup>أوديل روبير، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثياً، ص 100-108، 109.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

البشري بواسطة التعديل الجيني أمر طبيعي، لأنه فلسفياً الإنسان ذو طبيعة مادية. لهذا، فإن أي محاولة لإضفاء صبغة معنوية أو أخلاقية أو روحية متعالية فهي دون جدوى. وبناءً على ذلك، فالجينوم البشري حسبه ليس مقاماً مقدساً، وما دامت التعديلات التي يمكن أن تقوم بها تسير في الاتجاه الصحيح، وهو اتجاه حرية وسعادة الإنسان، فليس هناك سبباً لرفضها، بل يجب تشجيعها<sup>1</sup>.

لا بد من التساؤل في هذا الصدد: ماذا سيحدث فيما لو تمكن الإنسان بنفسه من استبدال خوارزميات هندسة الانتقاء الطبيعي، التي يعتقد أنها قد ساهمت في تطور الطبيعة والكائنات، والمحكومة بالقدرة والإرادة الإلهية بعمليات وخوارزميات ترسيم وتصميم مسبق جديدة ومحكومة بإرادة الإنسان نفسه، وتسمح بترسيم الحياة من النطاق العضوي إلى النطاق اللاعضوي وبلوغ مرحلة إعادة تكوين المادة الحية؟

### 2- التصور الآلي للإنسان:

إن الحالة الراهنة للأبحاث العلمية تنقلنا بالفعل إلى ما بعد الإنسانية، لقد مضى أكثر من خمسون عاماً على ظهور "السيبورغ"، المخلوق نصف إنسان ونصف روبوت، في عالم الخيال العلمي. منذ ذلك الحين أنجبت العقول الخصب للكتاب والمخرجين العديد من الشخصيات الخارقة، التي تمثل الإنسانية المتحولة: الرجل الذي يساوي ثلاث مليارات، روبوكوب... وغيرهم. ولكن لم يعد كل هذا مجرد خيال علمي بالنظر إلى التقدم المحرز في مجالات البيولوجيا، الكيمياء، علم الأعصاب، الروبوتات والمعلوماتية، بحيث أصبح بالإمكان الحديث عن "أذوتة" أو "أتمة" Automatisation الإنسان بالمعنى التقني للكلمة<sup>2</sup>.

تميزت الستينيات من القرن الماضي بشكل خاص بظهور خيال هندسي من الو.م.أ، وتحديدًا في عام 1962 نشرت مجلة الخيال العلمي Planète مقالا عن السايبورغ اختصاراً ل: Cybernetic Organism وهي كلمة ابتكرها مانفرد كلاينز Manfred E.Clynes (1925-2020) وناثان كلاين Nathan S.Kline للإشارة إلى الإنسان المعزز بالأجهزة الميكانيكية والإلكترونية، ويرى ألكسندر مواتي Alexandre Moatti (1959-) لاني هذه الخطابات حول الإنسان الآلي علامة على الانزلاق من البيولوجيا التطورية إلى الإلكترونيات فيما يتعلق بتصور الإنسان المعزز في المستقبل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 40,50.

<sup>2</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p 7.

<sup>3</sup>Alexandre Moatti, *Aux racines du transhumanisme : France 1930-1980*, Odile Jacob, paris, coll, "Histoire", 2020, p 184.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في نفس الحقبة، فكر المهندسون- في خضم سباق غزو الفضاء- في ربط البشر بآلات قادرة على التنظيم الذاتي لتمكينهم من الحفاظ على توازن علاقاتهم مع بيئة معادية وغير معروفة، وهكذا نشأ مفهوم "السيبورغ". في البداية، كان المصطلح يشير إلى مجرد ربط الإنسان بأجهزة ارتجاعية أي قادرة على تعديل سلوكها بناء على البيئة، وقد تم ابتكار هذا المصطلح للإشارة إلى التفاعل بين رائد الفضاء والتكنولوجيا داخل الصاروخ، وأصبح يستخدم لاحقاً لوصف الكائن المهجين، والآن يشير إلى الاقتتان بين الإنسان والآلات<sup>1</sup>.

بدأت الروبوتات تحل تدريجياً محل الإنسان، والإنسان نفسه يصبح أكثر فأكثر مثل الآلة، وتصبح علاقاته مع الآلات الذكية أكثر اندماجاً، فنحن نتجه نحو مجتمع وظيفي يتحول فيه الفرد إلى جزء تقني ويصبح بعبارة أخرى "قطع غيار" ضمن لغز تكنولوجيا هائل. فحقائق هذا المجتمع الجديد أصبحت تماماً هندسية، مخططة، رقمية وخارجية، إذ لم تعد المعرفة العلمية وحدها التي أصبحت مؤتمتة، حتى طريقة عيشنا ووجودنا أصبحت كذلك<sup>2</sup>.

لقد كانت بداية انطلاق التقدم في صناعة الإنسان الآلي، أو ما يصطلح على تسميته بالروبوت Robot عام 1977 مع إطلاق مركبتي الفضاء التابعتين لوكالة "ناسا" "فوياجر الأولى والثانية" voyager 1,2، حيث تمكننا بقدرة عالية على التجوال بين كواكب المنظومة الشمسية ومواجهة الصعوبات والتحديات، ما لفت الانتباه إلى إمكانية تفوق الآلة على البشر<sup>3</sup>.

يتجه أغلب العلماء إلى أن تطور الحياة العضوية منذ تكوين الأرض كان خاضعاً لهندسة بيولوجية محكمة بعمليات الانتقاء الطبيعي التي رسمت ملامح تطور الكائنات الحية من "الأميبا Amibes" إلى الزواحف والثدييات إلى الكائنات الحية العاقلة، وحتى اليوم شهدت عدة تغييرات جينية وهرمونية ارتقى معها الكائن البشري من الإنسان الأول Homo-eractus بمختلف فروعهِ إلى الإنسان العاقل Homo-sapien الذي أخرج لنا الإنسان الآلي والتخصيب والاستنساخ والهندسة الجينية وإعادة التركيب والتجديد وإلى أبعد من ذلك<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-couturier, **Le transhumanisme**, p 13.

<sup>2</sup>Ibid, p 5.

<sup>3</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 64.

<sup>5</sup>المرجع نفسه، ص 179.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وإذا كانت البشرية قد اعتمدت على الهندسة الحيوية لتعديل جينات البشر وتحسين مستويات الوعي والتفكير وكذا الإعلاء من القدرات الجسدية، فإن الهندسة العضوية-السيبرانية اتجهت صوب دمج الأجساد البشرية مع أدوات وتجهيزات غير عضوية<sup>1</sup>، كاستخدام أطراف اصطناعية Bionique مساعدة أو عدسات مساعدة للعين أو زرع جهاز منظم لضربات القلب أو نانو روبوت يتجول داخل الشرايين لإصلاح الأضرار المحتملة، ولقد اخترع علماء بريطانيون من "جامعة غلاكسو" بشرة إلكترونية قادرة على الشعور بالألم لتغليف يد آلية.

وبناء على رغبة الإنسان في تعزيز قدراته والقضاء على الضعف والعجز، اتجه صوب الاستفادة من التقدم الحاصل على صعيد تقنيات الذكاء الاصطناعي والهندسة السيبرانية العضوية والإلكترو-حيوية، لتصنيع أدوات مساعدة على ترميم الأعضاء البشرية أو استبدال التالفة منها. فالهندسة السيبرانية العضوية يلتحم فيها العضوي باللاعضوي، وينتج عنها في حال توسع استخدامها صناعة إنسان نصف آلي أو هجين "بيولوجي-آلي" أو "عضوي-لاعضوي" بقدرات قد تفوق قدرات الإنسان الطبيعي أو قد تمنح الإنسان البيولوجي قدرات إضافية تضعه في مرتبة أعلى من مرتبته الطبيعية، ما يفرز مجتمعا "بشري-آلي" بقدرات ومواصفات عالية<sup>2</sup>.

يهدف خبراء التحول الإنساني إلى تجاوز القيود البيولوجية والروحية للإنسان، الأمر الذي قد يفضي إلى تجاوز الإنسانية نحو ما بعدها من خلال الإنسان المعزز تقنيا ومنه دخول عصر السايبورغ الذي يعبر عن اندماج الآلة مع الإنسان نتيجة تخطي الجسد وتغييره بطرق عديدة، حيث تمنح هذه الإمكانيات الناتجة عن التحام الجسد مع التكنولوجيا إمكانيات جديدة ومتطورة للجسد البشري لم يعرفها من قبل. لهذا يوصف السايبورغ بأنه تجميع مركب بين الجسم الحي والآلة، فهو الإنسان ذو الجسد المعدل تكنولوجيا، ولقد عرفت **دونا هاراواي** السايبورغ في بيانها: "كائن حي سيبراني هجين من الآلة والكائن الحي، مخلوق من الواقع الاجتماعي ومخلوق متخيل"<sup>3</sup>.

وتذهب **هاراواي** إلى أن السايبورغ لا يعبر فقط عن تجاوز الحدود الجسدية والإعلاء من إمكانياته تكنولوجيا، بل هو رمز للقضاء على التعصب العرقي والطائفي والجنسي والاجتماعي الذي نادى به المركزية

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 183.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 177.

<sup>3</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 97، 98.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأوروبية الأنثروبولوجية، حيث لم يعد أي معنى هنا لاعتبار الجسد مكانا لما هو نفسي واجتماعي، فهو بالأحرى بنية للتحكم والتعديل، ويعني التدخل في هندسة الجسد لتوسيع وعيه في العالم، وتدخل البيو-تكنولوجيات في الجسد بحيث لم تعد تضاف إليه بل تشكل هويته، فهي تتحول من وعاء إلى مكون، وعلى هذا النحو فهي لديها القدرة على تقسيم النوع الإنساني، فلم يعد يميز الإنسان تطوره النوعي، بل أن التطور أصبح مرهونا بتدخل التكنولوجيا بالجسد.

نجاح هذا الأمر ارتبط بوجود تقنية جديدة لفك شيفرة العالم، وهي السيرانية التي نشأت من "مؤتمرات ماسي" التي جمعت عدة باحثين متعددي التخصصات في أربعينيات القرن الماضي تحت إشراف عالم الرياضيات نوربرت وينر، الذي اعتبر أن البشرية كانت تشهد ولوج عصر الاتصالات بعد العصر الصناعي خاصة مع إنشاء أول آلة لمعالجة البيانات الضخمة وهي: الحاسوب، وقد شاع مفهوم السيرانية أكثر بعد إنشاء شبكة الإنترنت وتوسعها<sup>1</sup>.

نقوم أحيانا باستبدال أعضاء معينة بأجهزة تكنولوجية أكثر مقاومة وكفاءة منها بغية علاج مرض ما، وبالتالي فإن الحدود بين الشفاء والتحسين هي حدود يسهل اختراقها، فالأطراف الاصطناعية يمكن أن تمنح قدرات جسدية متفوقة، ومن المحتمل أن يفتح هذا التحسن الطريق أمام التحولات إذ لم يعد شكل الأطراف الاصطناعية يتبع الأشكال الفيزيولوجية فقط بل قد يرتبط بأجهزة أخرى غير موجودة بشكل طبيعي في جسم الإنسان، ومن الأمثلة النموذجية عن التعزيز الآلي للإنسان: الهيكل الخارجي الآلي، إنه نظام يرتديه الشخص على جسده، ويتم التحكم فيه بواسطة كمبيوتر متصل ببعض مراكز الدماغ، يرسل هذا الأخير إشارات إلى الكمبيوتر الذي يتحكم بدوره في حركات الهيكل الخارجي، ويحتوي هذا الأخير على العديد من المستشعرات التي تجمع المعلومات الأساسية للحفاظ على التوازن وتنفيذ الحركات، ويتم إرسال هذه المعلومات إلى الكمبيوتر الذي بدوره يعيد إرسالها إلى الدماغ، يسمح مثل هذا النظام لشخص معاق بالمشي أو مساعدة العمال في نقل الأشياء الثقيلة، ويمكن حتى استبدال بعض أعضاء الإنسان الطبيعي بأعضاء اصطناعية مقترنة بالدماغ، ليتم تشكيلها حسب الرغبة، ولقد اكتسبت التجارب المتعلقة بالاقتزان وواجهات الدماغ والآلة أهمية كبيرة اليوم، فقد قام بعض الأشخاص مؤخرا مثل نيل هاريسون بزرع أجهزة استشعار بالأشعة تحت

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 99، 100.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الحمراء للحصول على أحاسيس جديدة<sup>1</sup>، وهنا يمكننا فهم الفرق تماما بين الجراحة الترميمية التي تحترم وحدة الجسم والتقنيات التي تهدف فقط إلى زيادة الإنسان ثم تحويله إلى سايبورغ.

يعتبر نجاح حالة المريض ميشال روكاتي Michel Roccati (1991-) الذي أصيب بشلل نصفي بسبب انقطاع حبله الشوكي، لكنه تمكن من المشي بفضل عمليات زرع النخاع الشوكي من خلال استخدام شريحة إلكترونية ترسل نبضات كهربائية إلى عضلات المريض تقلد عمل الدماغ، هذا ما يؤكد إمكانية الحصول على قدرات عالية هجينة من خلال التهام القدرات البشرية مع القدرات الآلية. كما جرت أول عملية زرع قلب اصطناعي عام 1982 للمريض بارني كلارك Barney Clarke (1921-1983) من مدينة "سياتل"، الذي كان يعاني من قصور في عضلة القلب، حيث تم زرع قلبه الطبيعي ووضع آخر اصطناعي محله، وقد عاش المريض 112 يوما، وقد شكلت هذه العملية اختراقا علميا بارزا لتعقيدها، وفتحت المجال أمام دمج الأعضاء الاصطناعية بالجسم البشري<sup>2</sup>. كما قدم السيراني كيفن وارويك Kevin Warwich (1954-) نفسه كأول سايبورغ حقيقي، من خلال قيامه بزراعة شريحة معدنية صغيرة تحت جلد ذراعه لإمداده بإحساسات جديدة<sup>3</sup>، ولطالما صور الخيال العلمي التقنية تفكيكا قاتلا للجسد في علاقة اغتصاب وعنف خلافا للسيبرانية التي تنظر للتقنية كامتداد للجسد العضوي للإنسان.

فإذا كان من الشائع اليوم استخدام التقنيات الحيوية-السيبرانية لتحسين القدرات البشرية الطبيعية وتجديد أعضاء من الجسم البشري، هل سيتوقف الإنسان أمام ذلك؟ هل سيكون بمقدور الإنسان نفخ روح آلية في هيكل أو جسد إنسان آلي تكون موازية للروح البشرية، ومنحه وعيا بشريا كاملا أو شبه كامل مع كل ما يرافق ذلك من وعي بالأحاسيس والعواطف والإدراك والحس السليم؟ هذا هو التحدي المستقبلي لعلماء الذكاء الاصطناعي الذين وإن نجحوا في صناعة روبوتات بقدرات تفوق البشر في مجالات محددة ولكنها تفتقر إلى الإبداع البشري.

لقد مكنت التكنولوجيات المعاصرة المأخوذة من بعض مفاهيم ووظائف الدماغ البشري مثل تقنيات الشبكات العصبونية Neural Net Works وتقنية التعلم العميق Deep Learning من تحسين قدرة الآلات

<sup>1</sup> Dominique Lambert, **Enjeux scientifique du transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : Le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015, p10.

<sup>2</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 184، 185.

<sup>3</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 207، 208.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

على التعرف على الأشياء من خلال ابتكار أدوات لاقطة للأحاسيس ومعالجة الإشارات الصادرة عنها، كما يسعى العلماء إلى إدخال محفزات بشرية كالتربية والرغبة لتصبح الآلات قريبة للبشر<sup>1</sup>، وهنا نتساءل: هل يمكن محو الحدود القائمة بين الإنسان الطبيعي والإنسان الآلي؟ وهل يمكن التوصل إلى هندسة إنسان آلي يتمتع بوعي ذاتي أي مدرك؟

تمكن باحثون يابانيون في عام 2021 من صنع روبوت طفل آلي مصمم ليتصرف كطفل بعمر 10 سنوات باسم إيبوكي Ibuki مدعم بالذكاء الاصطناعي الذي يمكنه من استخدام عضلات وجهه المطاطية لتغيير تعابير كمنوع من تقليد البشر، لكن وبخلاف الإنسان الطبيعي الذي يستجيب تلقائياً لأي نوع من المشاعر بواسطة وعيه الذاتي، فإن السلوك العاطفي للإنسان الآلي يتم بواسطة برمجة وتسجيل معظم الاستجابات العاطفية الممكنة وفي أكثر الحالات<sup>2</sup>. وفي المؤتمر الصحفي للإعلان عن مشروع المستقبل الجديد "نيوم" Neom في المملكة العربية السعودية عام 2018، أطلقت الصببة الآلية "صوفيا" تجيب على أسئلة الحاضرين بذكاء ومنطق مقرونا بتعابير جسدية متقنة وموزعة للابتسامات، ولقد شكلت الآلية صوفيا صورة عن ملامح صناعة إنسان آلي قادر على اتخاذ قرارات ومواقف استناداً إلى قدرات تحليلية تجعل منه إنساناً لعضوياً مزوداً بعقل اصطناعي ويتمتع بذكاء اصطناعي، لو قدر له الحصول على الروح والمشاعر لانطلقت عملية صناعة كائنات ذكية منافسة للمخلوقات العضوية وتكوين مجتمع آلي في مقابل المجتمع الإنساني الذي يسود الكوكب بذكائه وقدراته وفكره ووعيه وإرادته، التي لا تتوقف عند هدف واحد، بل تطال الكون وما فيه وما خلفه<sup>3</sup>. وتماشياً مع ذلك، سمح التقدم العلمي الحاصل، خصوصاً في مجال البيو-تكنولوجيا والنانو-تكنولوجيا وفي غيرها من العلوم من ابتكار أدوات وتجهيزات ذكية وناووية مساعدة، يمكن زرعها في أجساد البشر لتمنحهم قدرات مفقودة أو لتعزز من قدراتهم الموجودة، ما جعل الباحثين يسعون إلى أنسنة الإنسان الآلي وذكائه الاصطناعي مع الإبقاء على مركزية البشر من خلال تطوير تقنيات جديدة موجهة نحو دعم قدرات البشر في فهم التنبؤ بسلوكيات الإنسان الآلي لتجنب انفلاته.

بالتوازي مع هذا التيار البحثي الذي يتجه نحو إنسان متحول بواسطة أجهزة تكنولوجياية، من المهم الإشارة أيضاً إلى وجود تيار مماثل الذي ينطلق من الآلات، ويحاول جعلها تقترب أكثر فأكثر من الخصائص المنسوبة إلى الإنسان "أنسنة الآلة"، حيث تتردد أصداً الأبحاث حول الإنسان الآلي مع تلك التي تسعى إلى إنتاج روبوتات بشرية، هذا وتستمر العلوم والتكنولوجيا اليوم بشكل كبير في هذا النوع من الأبحاث بسبب

<sup>1</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 114.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 159، 160.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 163.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الضروريات الاقتصادية التي تدعوا إلى استبدال البشر بالآلات التي يفترض أنها تتصرف مثلهم<sup>1</sup>. وتبدو هذه الظاهرة مثيرة للاهتمام لأنها تظهر أن المرجع الإنساني لم يختف، بل على العكس، إنه نوع من مفارقة عصرنا الذي يحلم بتجاوز الإنسان إلى حالة يصبح فيها الإنسان آلة، ولا يمكنه التخلي عن رغبته في أن تصبح آلاته في المستقبل على صورة ما هو عليه الآن تحاول التكنولوجيا على سبيل المثال تزويد الروبوتات البشرية بسلوكات تحاكي التعبير عن المشاعر الإنسانية، وتزويد الروبوتات المستقلة بأدوات الذكاء الاصطناعي التي تسمح بتقليد القرار القانوني أو الأخلاقي، هذا ما شكل رهان الأبحاث المبهرة والمتسارعة للذكاء الاصطناعي والروبوتات، اللذان اقتحما ميدان البيو-طب خاصة فيما يتعلق بمحاكاة الدماغ البشري أو تحميل الدماغ الاصطناعي بمستوى من الوعي البشري في محاولة لإضفاء نوع من الأنسنة على الإنسان الآلي وتقريبه من الإنسان الطبيعي كمؤشر للانطلاق نحو صناعة بشر آليين أو أشباه آليين أو حتى شبه طبيعيين.

يسعى هذا التيار إذن إلى حياة وذكاء اصطناعيين بحيث يميزان إنسانا آليا أو آلة بشرية منحوتة على مقياس أحلام وأوهام الإنسان الحالي، وترتبط الأبحاث العلمية التي تغذي هذه الأفكار بالتقدم الأخير والمهم الذي تم إحرازه في مجال التخصصات المشار إليها بالحروف الأولى NBIC والتفاعل والتقارب الكبير فيما بينها، حيث توفر هذه الأبحاث معلومات مفيدة للعلم الأساسي وللتطبيقات التكنولوجية، إذ تسمح الروبوتات بحماية حياة البشر وتخليصهم من المهام الخطيرة للغاية كالبيئات الملوثة أو استكشاف الفضاء أو المهن الشاقة والسريعة أو المعقدة بالنسبة لهم، لكن يمكن أن يؤدي الروبوت إلى نوع من الإعجاب الذي يقود الإنسان إلى التخلي عن عدد معين من صلاحيات اتخاذ القرار<sup>2</sup>.

حاول مختصون أوروبيون وأمريكيون في هذا الصدد القيام بزرع رقاقات إلكترونية مباشرة في الأدمغة البشرية لتحقيق نوع من التواصل الفكري بين الإنسان والآلة، وهذا ما حدث بالفعل عندما تمكنوا من تركيب ذراع آلية لفتى عمره 15 وحدث هذا سنة 1960 في المؤتمر العالمي للإلكترونيات الحيوية في موسكو، وقد تمكن بالفعل هذا الفتى من استخدام ذراعه الآلية، ما فتح آفاق تطبيق برامج كهرو-حيوية في جسد الإنسان، وتطوير العلوم الإلكتروني-حية التي تبحث في بيولوجيا الطبيعة الحية وإمكانية تقليدها من قبل الآلة<sup>3</sup>. ولكن المثير هو إمكانية خروج الآلة العاملة بالذكاء الاصطناعي عن برنامج العمل المحدد لها بواسطة الإنسان، واتخاذها لقرارات ذكية تحاكي فيها عقله ما يعني تفوقها على صانعها.

وبفضل التطور التقني تحسنت القدرات الحاسوبية للآلة وصاحبها تطور الذكاء الاصطناعي للإنسان الآلي، حتى أصبح مؤهلا لأداء وظائف ومهام صعبة على الإنسان، حيث تم تأسيس أول صيدلية تحت

<sup>1</sup>Dominique Lambert, *Enjeux scientifique du transhumanisme*, p p 10, 11.

<sup>2</sup>ibid, p 11.

<sup>3</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 81.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إشراف روبات سنة 2011، في مدينة سان فرنسيسكو، إذ تمكن ببراعة من توفير احتياجات المرضى من الأدوية وتسجيل بياناتهم دون أخطاء<sup>1</sup>، ولم تقتصر وظائف الروبوت المدعم بالذكاء الاصطناعي على تنفيذ ما يطلب منه ببراعة فقط، بل تجاوز ذلك إلى القيام بوظائف إبداعية مثل تلحين موسيقى كلاسيكية بواسطة برنامج معلوماتي ذكي.

في اعتقاد فيري إن فكرة الوصول إلى الخلود خارج البيولوجيا من خلال استبدال البشر بآلات ذكية من قبل ما بعد البشر، مع تخزين الذاكرة والشخصية على ما يشبه مفتاح USB مخفية، خاصة إذا اعتبرنا أن أول القرارات التي ستتخذها الآلات الذكية ستهدف بلا شك إلى القضاء على ما تبقى من البشرية القديمة. تستند هذه الفرضية الأخيرة التي تحرك تيار التفرد التكنولوجي، والتي تقول بأنه من الممكن يوما ما تخزين ذكائنا وذاكرتنا ومشاعرنا على الآلات المتطورة للغاية، كما تم اقتراحه من عقيدة فلسفية تسمى "المادية التجسيمية" أي فكرة أنه لا يوجد في النهاية أي فرق لا يمكن التغلب عليه بين الدماغ البشري وجهاز كمبيوتر مجهز بذكاء اصطناعي قوي، الأول سيكون ببساطة أكثر تعقيدا من الثاني، وعليه فهذه الفكرة بالنسبة لفيري فرضية ساذجة لا تستقيم فلسفيا<sup>2</sup>.

يتخذ فيري موقفا ناقدا وسلبيا اتجاه فكرة الإنسان الآلي أو السايبورغ التي ترجع إلى اختزال ديكارت للحيوان إلى آلة متطورة في عصره، هذا ويعتقد فيري أن الأطروحة المادية تعتمد بالكامل على نهج سلوكي بحث لمشكلة الذكاء البشري، حيث تتمثل فرضيته الأولى أنه بمجرد أن تصبح الآلات المجهزة أخيرا بالذكاء الاصطناعي القوي قادرة على اجتياز اختبار تيورينغ<sup>3</sup> بنجاح لن يكون هناك أي سبب لإجراء فرق جوهرية بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، إذ يجب أن تتمتع الآلات المجهزة بهذه الطريقة بالوعي الذاتي وقادرة على تجربة المشاعر، بنفس الحقوق والواجبات القانونية مثلنا، نظرا لأنها ستتمكن من اظهار جميع سمات الحياة وكل الوعي وكذلك جميع المشاعر والعواطف التي تستطيع البشرية القيام بها ستكون مستقلة تماما مثل البشر، ولكنها أكثر ذكاء منهم بآلاف المرات، كما يشير إليه بالفعل حقيقة أن الكمبيوتر قادر على التغلب بسهولة على أبطال الشطرنج أو لعبة الذكاء الاصطناعي<sup>4</sup>. علاوة على ذلك يمكن للآلات العمل ليلا ونهارا والتطور باستمرار دون توقف والتعلم من أخطائها وتغيير نفسها بمرور الوقت والتكاثر وإظهار الفكاهة أو الشعور بالتعاطف، باختصار لإظهار جميع السلوكيات والمواقف البشرية للعالم.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 76.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 88.

<sup>3</sup> الاختبار الذي يشير إلى أن الشخص الذي يتحدث دون علم مع جهاز كمبيوتر لن يكون قادرا على تحديد ما إذا كان آلة أو إنسانا.

<sup>4</sup> Ibid, p 89.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

لنفترض مع "الواحديين الجدد"<sup>1</sup> أننا نجحنا في ذلك، ففي ظل هذه الظروف، على الأقل إذا كان المرء ماديا حقيقيا، فماهي الاختلافات بين الإنسان والآلة التي ستظل ذات صلة، خاصة من الناحية الأخلاقية؟ وهل يجب وضع إعلان لحقوق الروبوتات على غرار إعلان حقوق الإنسان؟ يجب ممثلي الإنسانية المتحولة الذين ينتمون إلى تيار "التفرد التكنولوجي" بالإيجاب على هذه الأسئلة، ومع ذلك وباستخدام الفطرة السليمة البسيطة حسب فيري، التي تفرض علينا إجابة أخرى: حتى لو قلدنا الآلات بشكل مثالي أو حتى بشكل أكثر من مثالي لأنها تفوق قدراتنا الحالية، فإن الآلة ستظل غير قادرة على تجربة المتعة والألم والحب والكراهية، وكذلك امتلاك وعي حقيقي، بالتأكيد يمكن أن نتصرف كما لو كانت كذلك، لكنها لا تشعر بأي شيء، والسبب وفقا له لتجربة المشاعر يلزم وجود جسم أي كيان بيولوجي فيزيقي، وهذا ما جعل المعيار الخارجي السلوكي فقط غير كاف إن لم يكن ساذجا ومحيرا. صحيح أنه يجب أن نكون قادرين على وضع أنفسنا مكان الآلة لمعرفة ما تشعر به أو لا تشعر به للحكم على إنسانيتها، وهو أمر مستحيل بوضوح، والذي يسمح للإنسانية المتحولة التفردية باللعب على هذه الاستحالة هو المطالبة بأن الاختلاف لن يوجد بعد الآن، سيقول الروحي أنه حتى لو كان لديه هامش كبير من الاستقلالية، ستظل الآلة محصورة في برنامج مبرمج لكن ماديا متماسك، وهذا ما يمكن أن ينطبق على الإنسان الذي ينظر إلى دماغه على أنه ليس سوى آلة معقدة وأن مشاعره مبرمجة من قبل بنيته العصبية، وأن إرادته الحرة المزعومة ليست سوى خيال، لأن أفكارنا وقيمنا وخياراتنا المفترضة ليست سوى تأثيرات محددة تماما لتاريخنا وبيولوجيتنا<sup>2</sup>. وهنا بالضبط تكمن المشكلة، وهي أن الحتمية المادية مجرد فرضية ولكن فرضية حسب فيري لها ثغرات كبيرة إلى حد كونها غير علمية ومتناقضة، فكما أقر كارل بوبر Karl Popper (1902-1994) فإن الحتمية ليست موقفا علميا على الإطلاق، بل هي مجرد تحيز ميتافيزيقي لا يمكن التحقق منه بتاتا، لأنها لا تحدد طبيعة العلاقة بين السبب والظاهرة بالضبط، فهي تفترض أن جميع أفعالنا محددة بأسباب كقوة تخرج بعض الأحيان عن إرادتنا الواعية أو بدوافع معروفة أو غير معروفة لا واعية، هذا ما يجعلها غير قابلة للتكذيب، لأنها غير تجريبية، فهي تظل غامضة تماما وخارج نطاق العقل، ولكن لا شيء يمكن أن يدحضها لأننا نتحدث عن مستوى خارج نطاق العلم وخارج التجربة، أي ميتافيزيقي. وحسب منظور فيري ينطبق نفس الشيء على أطروحة الآلات المفترض أن تصبح ذكية وواعية بذاتها وقادرة على الشعور وعلى تخزين ذكائنا وذاكرتنا وعواطفنا، كما ينطبق على الحتمية المادية التي تدعمها، فهي غير قابلة للدحض بطبيعتها، لأنها تكتفي بالاحتفاظ بمعايير خارجية للمقارنة بين الإنسان والآلة، وهنا يمكن المراهنة على أنه في اليوم الذي سيتم صياغتها فيه بطريقة قابلة

<sup>1</sup>واحديين لأنهم لا يرون في الوعي سوى نتاج للمادة، أي أنهما شيء واحد، والواحدية monism مبدأ فلسفي يرى أن الموجودات كلها واحدة في أساسها، وأن لها أصلا واحدا.

<sup>2</sup>Ibid, p89, 90.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

للتكذيب، سيتم دحضها في غضون ذلك، ولن يبقى لها وضع آخر سوى وضع اليوتوبيا المادية كما كانت موجودة في الماضي.

هناك شكل آخر ممكن من أشكال التحول الإنساني وهو الإنسان المقترن ميكانيكيا أو إلكترونيا بروبات أو أكثر، ليوسع مجالات عمله وإدراكه ومعالجته المعلومات، ويسمح لنفسه بالتوجيه من قبل الآلات، وبالتالي يجب على العلماء أن يكونوا على دراية بمخاطر أنه يمكن توجيه أعمالهم نحو استبدال صانع القرار البشري بشكل جذري بالآلة<sup>1</sup>، هذا ما يمثل أحد التحديات الرئيسية للباحثين اليوم، لهذا لا بد من معرفة كيفية تطوير تقنيات تساهم بالفعل في مساعدة وتطوير الإنسان والمجتمعات دون الانزلاق نحو نكران الإنسان أو في الخضوع لأوهام القوة المطلقة.

يتجه تيار التفرد التكنولوجي بالعلاقة إنسان-تقنية إلى أقصى حد على منوال النموذج النيتشوي للإنسان الأعلى في خضم إنسانية عابرة تعلي وترتقي بقدرات الإنسان، بل قد دعا هانس مورافيك إلى تحميل دماغه في جهاز كمبيوتر.

### 3- التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان:

يميز فيري - كما تطرقنا سابقا- بين حركة الإنسانية المتحولة التي تدعو إلى تحسين وتعديل الإنسان والإعلاء من قدراته الجسدية والعقلية والنفسية، والتي ترجع جذورها إلى إنسانية كوندورسييه وبيك دولا ميراندول، فهي تسعى إلى خلق إنسان متطور وفائق، لكنها لا تدعو إلى تغيير طبيعته جذريا، وبين حركة ما بعد الإنسانية التقنية التي تدعو إلى الخروج عن الطبيعة البشرية تماما من خلال خلق نوع جديد قد يكون روبوتات أو أجهزة كمبيوتر، وهي ترجع في أصلها إلى الحركة التفكيكية التي أسسها الفكر الفرنسي سنة 1968، وانتقلت هذه الأيديولوجية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومثلتها عدة فئات من ما بعد الحداثيين، وعلماء البيئة والمنادين بالمساواة والنسوية ومؤيدي حقوق الحيوان، وقد أضفت شرعيتها الفكرية على الصواب السياسي في الجامعات الأمريكية بسبب انتقاداتها للإنسانية الكلاسيكية في جميع أشكالها.

تمثل حركة ما بعد الإنسانية التقنية شخصيات مثل عالم الرياضيات وكاتب الخيال العلمي فيرنور فينج Vernor Vinge (1944-2024)، وهانز مورافيك، وراي كيرزويل، وإذا كانت الإنسانية المتحولة تدعو إلى تعديل جيني مع الحفاظ على إنسانية الإنسان ومثلها الإكسترويين، فإن حركة ما بعد الإنسانية التقنية يمثلها أنصار التفرد التكنولوجي بزعامة كيرزويل، فهي تدعو إلى الخروج من الجانب البيولوجي والإنساني، وهذا ما يريد توضيحه مفهوم التفرد المستوحى من الفيزياء الرياضية والذي يشير إلى أنه ابتداءً من نقطة معينة في تطور الروبوتات والذكاء الاصطناعي سيتم تجاوز البشر تماما واستبدالهم بآلات مستقلة أو بالأحرى بظهور

<sup>1</sup>Dominique Lambert, *Enjeux scientifique du transhumanisme*, p 11.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وعى وذكاء أفضل بآلاف المرات من الإنسان الحالي، ذكاء تمثله بالفعل الشبكات التي أنشأتها جوجل و غافا<sup>1</sup> (GAFA (Google, Apple, Facebook, Amazon).

تنظم ما بعد الإنسانية التفردية بذلك إلى بعض تيارات البيئة المعاصرة، وخاصة مع الفكرة التي طورها **جيمس لوفلوك** James Lovelock (1919-2022) في كتابه الشهير بعنوان "الأرض والكائن الحي: فرضية "جايا" سنة 1979، التي يقر فيها بأن الكوكب ليس فقط داعم للكائنات الحية، بل هو بحد ذاته كائن حي حقيقي يشبه الشخص الذي يفكر، يفكر في نفسه ويدرك نفسه من خلالنا، من خلال البشر الذين يكونون مثل عقله الفكري، فمفهوم الأم الأرض أو "جايا" كما سماها الإغريق في السابق هو واحد من أهم المفاهيم التي صاغها الإنسان على مر التاريخ، ومع تراكم المعلومات المتعلقة بالبيئة وتطور علم البيئة توصلنا إلى فرضيات تقول أن الكائنات الحية قد تكون أكثر من مجرد مجموعة من الكائنات تعيش في بيئتها الطبيعية (الأرض، الماء، الهواء)<sup>2</sup>. فإذا كنا جزءاً من "جايا" يصبح من المهم أن نسأل: إلى أي مدى يكون ذكاؤنا الجماعي جزءاً من "جايا"؟ هل نحن كنوع بشري نشكل جهاز عصبي جاياني ودماغ قادر على إدراك تغيرات البيئة بوعي؟

بالرجوع إلى "ملحمة هوزيود"، يجسد كوكب الأرض معطى الحياة كإلهة مقدسة بذكاء وإسم خاص، نحن كبشر جزء لا يتجزأ من الطبيعة، نحن فقط شظايا متناثرة، لكن على الرغم من الترابط المتزايد لاسيما من خلال الشبكات الاجتماعية، لا ينبغي تصور العلوم والتقنيات التي نطورها على أنها قطعة أثرية معارضة للطبيعة، بل على أنها أعلى مستوى من الوعي باعتبارها ذكاءً عالمياً تكتسبه بنفسها، وبذلك تكون "جايا" كيانا، وفي هذه الحالة ستقوم البشرية من خلال أحد مكوناتها بتطوير المعرفة التي تمكنها من الحماية والتكيف والبقاء، حيث أدى تطور الإنسان العاقل بابتكاره التقني وشبكة الاتصالات الدقيقة بشكل متزايد إلى شحذ مجال إدراك "جايا" بشكل كبير، بفضلنا هي الآن مستيقظة ومدركة لنفسها، "رأت انعكاس وجهها الجميل من خلال عيون رواد الفضاء وكاميرات التلفزيون لمركبة فضائية تدور في مدارها، لم يكن هناك شك في أنها تشارك شعورنا بالدهشة والمتعة، وقدرتنا على التفكير والتكهن بوعي، وفضولنا الذي لا يشبع"<sup>3</sup>، إن هذه العلاقة الجيدة بين الإنسان و "جايا" لم تكتمل بعد، نحن لسنا بعد نوعاً جماعياً حقاً، مغلقاً ومروّضاً، جزء لا يتجزأ من المحيط الحيوي لأننا كائنات فردية، لكن قد يكون مصير البشرية هو أن يتم ترويضه حتى تندمج أيديولوجية القوميات والعرقيات في حاجة ملحة للانتماء إلى مجتمع جميع المبدعين الذين يشكلون "جايا"، إذن فهذه الأسطورة تستوحي منها نزعة ما بعد الإنسانية أفكارها في نبذ التمرکز البشري ورفض الحدود الجسدية المادية للإنسان وبالتالي لا بد من تحقيق التفرد.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 37.

<sup>2</sup>Ibid, p 37, 38.

<sup>3</sup>Ibid, p 38.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بفضل الشبكات الذكية التي أنشأتها شركة جوجل بالفعل، ليس فقط الذكاء الجماعي للعدد الكبير ليصبح مركزياً، ولكن سيناريوهات الخيال العلمي التي كان إسحاق أسيموف يعمل عليها لفترة طويلة ستصبح معقولة، لأن الآلات الذكية ستستولي حتماً على البشرية الحالية. وهنا تشير ما بعد الإنسانية ليس فقط إلى تحسين البشرية ولكن إلى تجاوزها الجذري على المستويين الفكري والبيولوجي، بحيث لن يكون لما بعد الإنسانية أي شيء بشري عملياً، لأنه لن يكون متجذراً في الحياة، ومنطق التكنولوجيا الجديدة هو في الأساس منطق التجريد من المادية، لذلك يفترض كيرزويل وتلاميذه أن الوعي سيكون خارج أي ركيزة بيولوجية جسدية، والتي سيكون من الممكن تخزين الذكاء والذاكرة والعواطف على وسائط الكمبيوتر من نوع لم يتم تخيله بعد<sup>1</sup>.

علينا أولاً أن نفهم أن الشكل البشري، بما في ذلك الرغبة البشرية وكل تمثيلاتها الخارجية، قد يكون في طريقه للتغيير الجذري، وبالتالي يجب إعادة النظر فيه انطلاقاً من فكرة أن حدود الذات البشرية تبنى بدلاً من أن تكون معطاة، من خلال تصور التحكم والتواصل والمعلومات كنظام متواصل، وهذا ما جعل علم السيبرنتيقا يغير جذرياً كيفية تصورنا للحدود الجسدية. كما علينا أن ندرك أن خمسمائة عام من الإنسانية قد تكون في طريقها إلى النهاية، حيث تتحول إلى شيء لا مفر من تسميته بإنسانية ما بعد الإنسانية.

ما هو ما بعد الإنسان؟ يتم التفكير فيه كوجهة نظر تتميز بالافتراضات التالية:

أولاً، يفضل منظور ما بعد الإنسان النمط المعلوماتي على التجسد المادي، بحيث يُنظر إلى التجسد في ركيزة بيولوجية على أنه حادث تاريخي وليس حتمية للحياة.

ثانياً، يعتبر منظور ما بعد الإنسان أن الوعي، الذي يُعتبر مقعد الهوية البشرية في التقاليد الغربية منذ زمن بعيد قبل أن يعتقد ديكارت أنه عقل يفكر، مجرد عرض جانبي ثانوي، وهو طارئ تطوري يحاول الادعاء بأنه يمثل العرض الكامل في حين أنه في الحقيقة ليس سوى عرض جانبي صغير.

ثالثاً، يرى منظور ما بعد الإنسان أن الجسد هو الطرف الاصطناعي الأصلي الذي نتعلم جميعاً التلاعب به، بحيث يصبح تمديد أو استبدال الجسد بأطراف اصطناعية أخرى استمراراً لعملية بدأت قبل أن نولد.

رابعاً، والأهم من ذلك، بفضل هذه الوسائل وغيرها، يشكل منظور ما بعد الإنسان الكائن البشري بحيث يمكن دمجته بسلسلة مع الآلات الذكية. في منظور ما بعد الإنسان، لا توجد فروق جوهرية أو حدود

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 38.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مطلقة بين الوجود الجسدي والمحاكاة الحاسوبية، أو الآلية السيبرانية والكائن البيولوجي، أو أهداف الروبوت وأهداف الإنسان<sup>1</sup>.

يفكر كيرزويل بعد الإنسان 2.0 بالفعل في الإنسان 3.0 بجسم مجهز بحواسيب غير مرئية تلتقط إشارات من بيئات افتراضية، تكون واقعية بالنسبة لها تماماً كما لو كانت قادمة من العالم المادي، حيث يقول: "مع جسم الإصدار 3.0 قادر على التحول إلى أشكال مختلفة حسب الرغبة وعقل غالباً غير بيولوجي (...). فإن مسألة ما يعنيه أن تكون إنساناً ستخضع لإعادة نظر جذرية"<sup>2</sup>. أما في كتابه Humanity 2.0 يلخص المأزق الذي نواجهه بخصوص التكهّنات ما بعد الإنسانية، فبعض البشر يوافقون على استبدال أعضائهم، ولكن بالنسبة لهؤلاء إذا تم المساس بالدماغ فهذا يعد لا إنسانياً. ومع ذلك ألا تكمن جوهرية الإنسان في قدرته على تجاوز حدوده؟ فقد خرج من كوكبه، والآن يستعد لتجاوز حدود بيولوجيته<sup>3</sup>.

إن السياقات الثقافية والتاريخية التكنولوجية التي يتم تضمين نظريات ما بعد الإنسانية التفردية فيها تشجع على خيال مماثل، لأننا أساساً معلومات فيمكننا التخلص من الجسم. والمركزية في هذه الحجة هي تصور يرى المعلومات والمادية ككيانات متميزة. هذه الفجوة تسمح ببناء تسلسل هرمي يُعطى فيه للمعلومات الوضع المهيمن، بينما تأتي المادية في المرتبة الثانية. كما لو أننا لم نتعلم شيئاً من دريدا حول "الإضافية"، ويستمر النقاش حول التجسيد كما لو كان ملحقاً يجب التخلص منه من المصطلح المهيمن للمعلومات، أو حادثة تطويرية نحن الآن في وضع يمكننا تصحيحها.

تؤكد الرؤية ما بعد الإنسانية أننا نتاج تطور عشوائي، وتدعو إلى تعديل الجسم البشري بحرية، لتعويض "نهاية" الانتقاء الطبيعي الدارويني. لم يعد هذا الانتقاء موجوداً لدى الإنسان منذ أن بدأ في حماية نفسه من بيئته، خاصة من خلال ضمان بقاء الأفراد الذين كانوا في السابق سيتم القضاء عليهم بواسطة الانتقاء الطبيعي. ثم إن تراجعته يثير القلق بشكل خاص بشأن دماغنا، لأن التفكير والوعي، وهما خاصيتان للإنسان يعتمدان على تنظيم نظامه العصبي المركزي، الذي يتسم تنظيمه الجيني بالتعقيد الشديد. بدون الانتقاء، لم يعد هناك سبب للحفاظ على قدراتنا الفكرية، فمن الممكن أن نفقد خلال 1000 عام قدرة رئيسية مثل البصر لدى الحيوانات التي تعيش في الظلام. يتم بناء الدماغ من خلال حتمية جينية، واستجابات للبيئة، وجرعة معينة من الصدفة. يأتي الذكاء بشكل كبير من القدرة الجينية لدماغنا على البناء وفقاً للمحفزات التي

<sup>1</sup>Katherine Hayles, **How We became posthuman : Virtual Bodies in cybernetics, literature and informatics**, Library of congress cataloging in publication Data, Chicago, 1999, pp 2, 3.

<sup>2</sup>راي كيرزويل، عصر الآلات الروحية: عندما تتخطى الكمبيوترات الذكاء البشري، ترجمة: عزت عامر، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ط2، 2010، ص 97.

<sup>3</sup>Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, pp 6, 7.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يتعرض لها. يجب على كل عصبون جيد أن يقيم ألف اتصال. لهذا السبب، فإن بيولوجيا الوعي ليست مبنية حصريًا وفقًا لتعليمات جيناتنا. دماغنا لا يُبنى من برنامج جيني صارم وثابت، بل من خلال اختيار الروابط العصبية المناسبة في بيئة معينة؛ لهذا السبب كل فرد فريد، وليس مجرد نتاج حتمي لجيناته. في هذه البيولوجيا للوعي والذكاء، يلعب الحمض النووي دور المنظم، فجيناتنا لا تحدد الوظيفة الفردية لعصبوناتنا، بل تعطىها التعليمات العامة. يمتلك جينومنا قوة تفوق بكثير حجم المعلومات التي يحتويها، مثل برنامج حاسوبي مضغوط. وهذا بالضبط لأن جيناتنا تنظم فقط مخططًا توجيهيًا يجعل دماغنا حساسًا جدًا للطفرات الجينية. يمتلك كل شخص قدرات يمكن أن تتطور في بيئة معينة، أو قد لا تُعبر أبدًا. لكن ما هو مؤكد هو أنه لا يوجد جين للذكاء؛ ولهذا السبب لن نتمكن أبدًا من زيادته جينيًا<sup>1</sup>.

يؤكد جان-لويس مانديل Jean Louis Mandel (1946-) أنه حتى بالنسبة لخبراء الإنسانية المتحولة، فإن زيادة الذكاء ستعتمد على الآلة والجسم، كما توضح جميع هذه الآليات، فإن الوعي ليس نتيجة لمخطط منطقي. تسلسلات جينومنا التي تنظم دماغنا ليست مرتبة منطقيًا، بل هي عشوائية في الغالب وأحيانًا متناقضة. كما يسعى جافميشيل ترونغ Jean Michel Tronge حتى لإثبات أن الحياة التي بدأت مع مركبات الكربون يمكن أن تستمر تمامًا مع وسائط أخرى، وأنها ليست مقيدة بالحمض النووي؛ مما يعني أن الذكاء ليس بحاجة إلى الإنسان لوجوده، وأنه يمكن أن يجد نظامًا مثاليًا في عالم الصناعات. ومن هنا اعتبر إنشاء الذكاء الاصطناعي بداية جيدة.

جاءت توضيحات غريغوري بيتسون Gregory Bateson (1904-1980) عندما أربك طلابه بدرس بسيط يشبه المعضلة، حيث سألهم ما إذا كان عصا الرجل الأعمى جزءًا من الرجل. كان السؤال يهدف إلى تحفيز التغيير في التفكير. اعتقد معظم طلابه أن الحدود البشرية تُحدد بشكل طبيعي بواسطة الأسطح الجلدية. ولكن من المنظور السيبرنتيكي الذي تبلور خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، تُكوّن الأنظمة السيبرنتيكية من تدفقات المعلومات. من هذه الزاوية، تنضم العصا والرجل إلى نظام واحد، حيث تقوم العصا بنقل معلومات أساسية عن البيئة المحيطة بالرجل. وينطبق الشيء نفسه على جهاز السمع للشخص الأصم، أو جهاز التحدث لشخص يعاني من مشاكل في النطق، أو خوزة مزودة بنظام تحكم بالتصويت لطائر مقاتل. هذه التعديلات التي تهدف إلى تعويض النواقص إلى التدخلات المصممة لتعزيز الوظائف الطبيعية. بمجرد تجاوز هذه الفجوة، يصبح من الصعب تحديد الحدود المفاهيمية للعملية. في بيائها السايبورغ، كتبت دوناهارواي عن إمكانية السايبورغ في زعزعة الفئات التقليدية بدمج الجهاز

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *le transhumanisme*, p p 45, 47.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

السيبرنتيكي والعضوية البيولوجية، حيث ينتهك السايبورغ التمييز بين الإنسان والآلة وبين الإنسان والحيوان<sup>1</sup>.

أعلن هانز مورافيك في كتابه "أطفال العقل: مستقبل الروبوت والذكاء البشري"، بأن تنزيل الوعي البشري إلى جهاز كمبيوتر سيكون قريباً ممكناً. ولتوضيح فكرته، يبتدع سيناريو خيالياً يتم فيه تفتيت دماغ الإنسان بواسطة روبوت جراح في نوع من شفت الدهون القحفي، حيث يتم قراءة المعلومات في كل طبقة جزيئية أثناء تجريدتها ونقلها إلى جهاز الكمبيوتر. في نهاية العملية، يكون التجويف القحفي فارغاً، ويستيقظ المريض الذي يسكن الآن في الجسم المعدني للكمبيوتر ليجد وعيه كما كان تماماً من قبل. فإذا افترضنا أن مثل هذا الانفصال ممكن، كيف يمكن لأي شخص أن يعتقد أن الوعي في وسط مختلف تماماً سيظل كما هو، وكأنه لا علاقة له بالتجسيد؟

اقترح نوربرت وينر- في وقت مبكر من الخمسينيات - أنه من الممكن نظرياً إرسال إنسان عن طريق "التليغراف"، وهو اقتراح يقوم على نفس الافتراضات التي يستند إليها سيناريو مورافيك. ثم إن مبدعو "ستار تريك" يعملون من منطلقات مشابهة عندما يتخيلون أن الجسد يمكن أن يُفكك إلى نمط معلوماتي ويعاد تجميعه دون تغيير في موقع بعيد. كما أن جزءاً كبيراً من الخطاب حول علم الأحياء الجزيئي يعامل المعلومات كرمز أساسي يعبر عنه الجسد، وهو نهج له بعض التقاربات مع أفكار مورافيك. في الواقع، من السمات المميزة للحظة الثقافية الحالية هو الاعتقاد بأن المعلومات يمكن أن تنتقل دون تغيير بين ركائز مادية مختلفة<sup>2</sup>.

يقوم الباحث ديفيد دالريمبل حالياً بتطوير ذكاء اصطناعي يعتمد على دماغ الإنسان لالتقاط كل التجارب والذكريات الفردية ونقلها إلى وسيط رقمي، وقد عمل على دراسة دودة الأرض *Caenorhabditis Elegans*، ويقدر أن الأمر يستغرق حوالي ثلاث سنوات لنقل خريطة عقلها إلى كمبيوتر، بعد ذلك سيقوم بنمذجة دماغ سمكة الزرد، ثم الذبابة، والفأر والقطة والقرود، ليصل الإنسان خلال 20 أو 25 عاماً، وأعماله على هذه الدودة بالتعاون مع شركة Open Worm متقدمة جداً، إذا استمر سلوك هذه الدودة المحاكي في التوافق مع سلوك الحيوان الحقيقي، ففي أي وقت يمكن اعتبارها كائنات حية بسيطة؟<sup>3</sup> سيكون الأمر قريباً إذا تم الاعتماد على التعريف السائد للكائن الحي الذي يستند إلى السلوك فإنها ستكرر نفس السلوكيات مع ردود فعل واقعية اتجاه بيئتها.

<sup>1</sup>Katherine Hayles, *How We became posthuman*, p 84.

<sup>2</sup>Katherine Hayles, *How We became posthuman*, p 1.

<sup>3</sup> Béatrice Jousset-Couturier, *le transhumanisme*, p173.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يقترح في كتابه "الإنسان واستخدام الإنسان للإنسان"، يقترح وينر نوربرت أن البشر ليسوا في الأساس عظاماً ودماءً وأعصاباً ومرسلات عصبية، بل هم أنماط من التنظيم. كما يشير إلى أنه على مدار الحياة، تتغير الخلايا التي تشكل الإنسان عدة مرات. لذلك لا يمكن أن تتكون الهوية من الاستمرارية المادية. إذ "تتغير أنسجتنا أثناء حياتنا: الطعام الذي نأكله والهواء الذي نتنفسه يصبحان لحمنا وعظمتنا، والعناصر اللحظية من لحمنا وعظمتنا تخرج من جسمنا كل يوم مع مخلفاتنا. نحن مجرد دوامات في نهر من الماء المتدفق باستمرار. نحن لسنا مواد تدوم، بل أنماط تواصل ذاتها"<sup>1</sup>. بالتالي، لفهم البشر، يجب فهم كيف يتم إنشاء وتنظيم وتخزين واسترجاع أنماط المعلومات التي يجسدونها. بمجرد فهم هذه الآليات، يمكن استخدامها لإنشاء آلات سيرانية. إذا كانت الذاكرة في البشر هي نقل أنماط المعلومات من البيئة إلى الدماغ، فيمكن بناء آلات لتنفيذ نفس نوع النقل. حتى المشاعر قد تكون ممكنة للآلات إذا اعتبرت بأنها ليست مجرد ظاهرة جانبية عديمة الفائدة للأفعال العصبية، ولكن كآليات تحكم التعلم. باعتبارها أنماط معلوماتية، يمكن للآلات السيرانية والبشر أن يتعاونوا ضد القوى المزعزعة للضوضاء والإنتروبيا.

يخزم الكثير من العلماء باستحالة تحقيق الخلود البيولوجي، وهذا خلافاً للخلود الرقمي أو الآلي فهو أمر ممكن نظرياً، ويحدث هذا من خلال نقل وعي الإنسان إلى العقل الاصطناعي، أي تكوين نسخة إلكترونية تتضمن وعي اصطناعي مائل للوعي البشري بعد الإحاطة والامام بجميع بياناته الإلكترونية وحساباته وتغريداته ورسائله وملفاته، وعلامات الإعجاب والإعجاب وكلماته المفضلة وأغانيه وأفلامه ويوميته وما يحب وما يكره وصولاً إلى كل ما يتعلق به. لكن تكمن الخطورة في هذا المشروع في انتقال الإنسان من حالة كان يدرك فيها وعيه التراكمي من خلال الماضي والحاضر إلى مرحلة ينقل فيها وعيه إلى عقل اصطناعي في جسد إنسان اصطناعي يمكن التحكم به من قبل إنسان آخر، أو يزاوّل نشاطه بتحكم ذاتي من خلال وعيه المنقول له وليس من خلال وعيه الخاص<sup>2</sup>. مع العلم أنه لا يمكن معرفة ما إذا كان الشخص الذي تم تخليده بهذه الطريقة سيتصرف وكأنه استمرار للشخص ما قبل الوفاة أو سيتصرف وفق وعي هجين بشري-آلي، ورغم صعوبة تحقيق هذه الفكرة إلا أن مشروع جميع معلومات الإنسان وذاكراته ويوميته في صندوق يسمى صندوق الموت، قصد استخدامه فيما بعد لإعادة إحيائه بالاستنساخ الآلي أو البيولوجي، هو مشروع يعمل عليه ويدرس من كافة جوانبه، بالرغم من النقد الساخر الذي يتعرض له.

لقد عبر **مارفن مينسكي** Marvin Minsky (1927-2016) عن هذا الحلم بدقة عندما اقترح في إحدى محاضراته أنه سيكون من الممكن قريباً استخراج الذكريات البشرية من الدماغ واستيرادها، كاملة وغير

<sup>1</sup>Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p p 99, 100.

<sup>2</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص ص 273، 275.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

متغيرة، إلى أقراص الكمبيوتر، الدلالة الواضحة هي أنه إذا كان بإمكاننا أن نصبح المعلومات التي بنيناها، يمكننا تحقيق الخلود الفعّال<sup>1</sup>.

أطلق **ديميتري إتيكوف** مشروع "أفاتار 2045" الذي يهدف إلى خلق الخلود السيبراني من خلال إنشاء صورة ثلاثية الأبعاد، فالخلود حسبه هو مجرد أثر جانبي، إنه مجرد وسيلة لتحويل وتحسين الوعي البشري، كما خلص إلى أن الإنسان المزود بجسم اصطناعي لن يؤثر على بيئته بنفس القدر، فبعد التخلص من أجسادنا لن نحتاج إلى مأوى أو مسكن، ولن نحتاج أيضاً إلى استهلاك الموارد كما نفعل حالياً<sup>2</sup>. هذا ما يمكن اعتباره دعوة بيئية جديدة.

يبدو أن التقنيات المتقاربة قادرة على تحقيق طموحات ما بعد الإنسانية في إطالة العمر وزيادة الأداء البشري، ولا تنقص المشاريع المتعلقة بالإنسان في إطار النانو تكنولوجيا: فطب النانو، من خلال اقتراح علاجات تقوم بها الروبوتات النانوية أو من خلال تطوير أدوية يتم تسليمها بواسطة نانوكبسولات، يسمح بتصور زيادة كبيرة في متوسط العمر المتوقع. وبالتوازي مع ذلك، فإن التصميم المستقبلي للزراعات النانوية يوفر تحسين القدرات الحركية للجسم والقدرات المعرفية والإدراكية للدماغ. إن الرغبة في تعديل الإنسان وتحويله وتحسينه، كما تطمح تقارير NBIC، تفترض أن العلماء قد طوروا بالفعل تمثيلاً للجسم يتوافق مع مثل هذه الأبحاث، فكل العلوم، كما تشرح **ماري هيلين باريزو**، مصحوبة بأيدولوجيا كامنة<sup>3</sup>. يتم تحقيق الإمكانية النظرية لتحويل الإنسان من خلال نقل نظريات المعلومات المستمدة من علم السبرنة، وهو علم التحكم في الأنظمة والاتصالات، إلى الكائنات الحية بأكملها، ما يؤدي إلى تكوين معلوماتي للإنسان. وهكذا لا يمكننا السعي لإعادة برمجة إنسان ما لم يتم تصوره مسبقاً من حيث المعلومات مما يسمح بإعادة برمجته. وقد أدى علم السبرنة، الذي بدأ في التطور منذ الأربعينيات من القرن الماضي، إلى تأثير كبير على تصورات الجسم من خلال دعم فكرة الاستمرارية بين الإنسان والآليات ذاتية التنظيم. ووفقاً لـ **نوبرت وينر**، مؤسس علم السبرنة، فإن الإنسان ليس سوى نظام معلومات: فالعقل، الذي يُعتبر مكافئاً للدماغ، يصبح آلة تقتصر قدرتها على معالجة المعلومات. وبناءً على العبارة الشهيرة للفيزيائي **جون أرشيبالد ويلر John Archibald Wheeler** (1911-2008) "it from bit"، التي تنص على أن جميع القوانين الفيزيائية يمكن ترجمتها إلى معلومات، فإن الكون بأكمله يصبح معلوماتياً، بدءاً من الجسم وصولاً إلى الخلايا والحمض النووي. وفي هذا الصدد، فإن تطوير الحاسوب ليس سوى نتيجة لهذا التصور للدماغ الذي يُنظر إليه على أنه

<sup>1</sup>Katherine Hayles, **How We became posthuman**, p 13.

<sup>2</sup>Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, p172, 173.

<sup>3</sup>Marie-Hélène Parizou, **Biotechnologies, nanotechnologies, écologie, entre science et idéologie**, Versailles, Quae édition, 2010, p p 20, 22.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

"آلة" ذكية، مما يلغي التمييز بين الإنسان والحاسوب. وكما يؤكد ديفيد لو بريتون David Le Breton قد تم رفع الحاسوب إلى مرتبة "الدماغ" ويتم تشبيه الدماغ بآلة تفكر<sup>1</sup>.

يتوافق التقارب NBIC مع برنامج ميتافيزيقي نشأ عن علم السبرنة، أين تتجذر فكرة اصطناع الإنسان والحياة بشكل عام، والتي تعتبر ما بعد الإنسانية النتيجة الأيديولوجية لها. تساهم النانو تكنولوجيا، من خلال تصور الجسم كمجموعة من الآلات المبرمجة، في إعادة تعريف جديدة للكائن البشري من خلال اقتراح علاقة جديدة بين الطبيعة والصناعة وإدخال الجسم في تمثيل معلوماتي يستعيره مشروع ما بعد الإنسانية.ل

تكتسب النانو روبوتات، التي بنيت على نموذج مستوحى من البيولوجيا، من خلال التقليد الحيوي، صفة "الطبيعية": فهي تتكون من قطع بيوكيميائية أو جزيئية، وتكمل أو تستعيد وظائف مخصصة لكائنات حية موجودة مسبقاً. يستند راي كيرزويل في مقاله "الجسم البشري الإصدار 2.0" إلى أعمال طبيب النانو روبرت فريتاس الابن ليقترح استبدال خلايا الدم الحمراء بالروبوتات النانوية وبالتالي تحسين الأداء الخلوي<sup>2</sup>. ستندمج النانو روبوتات بعمق داخل الجسم البشري، وبالتالي فإن الأشخاص الذين يخضعون لمثل هذه العلاجات النانوية لن يكونوا قادرين على إدراك عمل هذه الآلات المصغرة نظراً لصغر حجمها الذي يجعلها غير قابلة للاكتشاف. وهكذا يظهر الجسم البشري، عند ملاحظته على مقياس النانومتر، للعلماء على أنه مجموعة مكونة من آلات نانوية جزيئية، إما طبيعية أو اصطناعية أو كليهما. وبالتالي، فإن برنامج NBIC، من خلال نقل النموذج المعلوماتي، يعتبر الإنسان كمجموعة من الأنظمة القابلة لإعادة البرمجة على غرار الآلة.

يفتح هذا التمثيل المعلوماتي للجسم الطريق لإعادة برمجته المحتملة. يستغل ما بعد الإنسانون هذا الأمر، الذين يرون أن الجسم، بكونه ناقصاً، وعليه فهو بحاجة إلى أن يتكيف مع بيئته، وهذه الرغبة في التحول تجد صدًى لها في الثقافة المعاصرة لأنها تستند إلى افتراض امتلاك الجسم وليس عيشه ويجب تجاوزه. إن هذه الفكرة لامتلاك الجسم هي أساس العصر الحديث وظهرت في القرن السادس عشر مع أعمال فيزالي الواردة في كتابه "تركيب الجسم البشري"، وهي معاهدة في التشريح، حيث خلق تمييزاً ضمناً بين الإنسان وجسده فالإنسان يمتلك جسداً أكثر مما هو جسد، تؤكد هذا التمثيل الحديث في القرن السابع عشر حيث أصبح الجسم -الذي تم فصله عن الذات التي تجسده- يُنظر إليه على أنه آلية أو ساعة. يعتبر ديكارت الجسم إلى حد ما آلة زائدة عن الحاجة بينما تتجسد العقلانية في الروح. وتتجذر هذه الازدواجية التي أسست العصر الحديث بعمق في مجتمعاتنا المعاصرة وبصاحبها رفض حدود جسد يتم الاحتفاء به من قبل

<sup>1</sup>David Le Breton, *L'adieu au corps*, Métaillé, coll, 1999, p 84.

<sup>2</sup>Ray Kurzweil, *Human Body Version 2.0*, in kurzweilai.net, Février 2003, en ligne, <http://www.kurzweilai.net/meme/frame.html?main=/articles/art0551.html>

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مجتمع الاستهلاك ولكنه في الواقع يتم التقليل من شأنه ويشعر بأنه محدود<sup>1</sup>. يوضح ديفيد لو بريتون، في كتابه "وداعاً للجسد"، كيف تشهد بعض الممارسات المعاصرة، مثل الجراحة التجميلية والوشم وبناء الأجسام، على تصور للجسد كشكل يمكن تحويله، وكشكل مؤقت أو حتى عتيق يجب تحسينه<sup>2</sup>. يندرج هذا الاتجاه نحو التحسين في ما يسميه آلان إهرنبرغ (Alain Ehrenberg) (1950-) "عبادة الأداء". تنشأ هذه الإلزامية الجديدة في مجتمع تهيمن فيه المنافسة، وتشكل علاقاتنا الاجتماعية وتجعل الأفراد مسؤولين عن تحقيقهم الشخصي، مما يدفعهم إلى تجاوز أنفسهم باستمرار. وفي مواجهة حدود جسد لا نختاره، تصبح التكنولوجيا هي الوسيلة لتحقيق أداء أعلى.

بناءً على تحويل الازدواجية الديكارتية إلى اعتبار كل من الجسد والروح آلات قابلة للملكية وإعادة البرمجة، يرسخ ما بعد الإنسان الرغبة في التحسين التقني من خلال نموذجين يعتمدان على فكرة "الكل قابل للتلاعب" من ناحية، من خلال الخطاب حول الذكاء الاصطناعي حيث يتجسد الجسد في الشبكات المعلوماتية أو في جهاز الكمبيوتر، ومن ناحية أخرى من خلال صورة السيورغ حيث يتم التلاعب بالجسد تقنياً من خلال التكنولوجيات والتعديلات الجينية. وبالتالي، يدرج ما بعد الإنسان الإنسان في اصطلاح الحياة حيث تختفي الفروق بين الطبيعة والصناعة.

يندرج مشروع ما بعد الإنسانية ضمن الرغبة في تكييف الإنسان مع عالم معاصر حولته التقنية من خلال تحريره من القيود البيولوجية التي تمنعه من التوافق مع التطورات التكنولوجية العلمية. إذ يوضح مفهوم التفرد التكنولوجي الذي سبق ذكره إلى أي مدى تشترك فكرة ما بعد الإنسانية في الاعتقاد بأن منحى التقدم التكنولوجي خطي وأسي، وبالتالي، فإن التطور البيولوجي للإنسان يصبح بطيئاً بشكل خطير مقارنة بالتطور الأسي للقوة الحاسوبية<sup>3</sup>. يؤكد راي كيرزويل على ضرورة تكييف الإنسان بأسرع وقت. ففي مواجهة تحول جذري للعالم ينشأ عنه شكل جديد من الذكاء الاصطناعي يتجاوز القدرات البشرية بكثير، وعليه يجب على الإنسان أن يتكيف ويتطور إذا أراد أن يبقى<sup>4</sup>. وهي وجهة نظر يتبناها الفيلسوف والمفكر في مجال الذكاء الاصطناعي هانس مورافيك، والذي يرى أن البشر هم في الأساس آلات سيتفوق عليها في يوم من الأيام آلات أكثر كمالاً. وهكذا، وفقاً للباحث، فإن فرص بقاء الإنسان ضعيفة أمام الكائنات الاصطناعية التي تتميز بذكاء أعلى. فالجسم البشري، مقارنة بالآلة، أقل سرعة وأقل قوة، وعند النظر إليه من خلال منظور النموذج المعلوماتي، فإنه لا يصبح سوى آلة غير ماهرة وزائدة عن الحاجة، مهمتها حمل

<sup>1</sup>Jean Boudrillard, *La société de consommation*, Gallimard, paris, coll "folio", 1990, p14.

<sup>2</sup>David Le Breton, *L'adieu au corps*, p 86.

<sup>3</sup>Nick Bostrom, *Transhumanism values*, 2001, en ligne, [http : //www.nickbostrom.com](http://www.nickbostrom.com)

<sup>4</sup>Ray Kurzweil, *The singularity is near : when humans transcend biology*, viking press, New York, 2005, p 67.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

العقل<sup>1</sup>. لذلك، فإن الجسم البشري، بالنسبة لما بعد الإنسانين، ناقص بشكل عميق، والتطورات في العلم والتكنولوجيا تميل إلى تعزيز هذا الشعور بعدم الرضا، بل وحتى الازدراء اتجاه جسده الخاص، حيث أن هناك العديد من الاحتمالات لتجاوز القيود المفروضة عليه. كما يعبر العديد من الباحثين في علوم النانو والتكنولوجيا الحيوية عن الرؤية نفسها في هذا الصدد.

نشرت الإيطالية **دونا هاراواي** في عام 1985 بيانها السايبرني، وهو استعارة لتطور الإنسان التكنولوجي في مجتمع يتزايد فيه تأثير العلم والتكنولوجيا على بيئتنا، أين أصبحت الآلة أيقونة ثقافية لرؤية متغيرة للجسد. يؤكد الفنانون وكتاب الخيال العلمي على اندماج الكائنات لمواجهة تقادم الجسد في بيئة تتزايد فيها التكنولوجيا. إن مجال الفن، وهو مكان لتصادم تحولات العالم والرؤى التي نمتلكها، يكشف عن هذا التصور الجديد لجسد ناقص وقابل للكمال. من خلال اقتراح مراجعة قيم الإنسان والجسد، يعبر فنانون مثل **أورلان وستيلارك**، مع تأكيدهم على أن الجسد أصبح عتيقًا، عن هذه الرغبة في تجاوز الجسد بمساعدة التدخلات التكنولوجية، ودفعه إلى ما هو أبعد من إمكاناته الطبيعية لتكييفه مع بيئة جديدة تتميز الآن بالتقنية والمعلوماتية.

الشخصية المحورية في ما بعد الإنسانية، هو الإنسان ما بعد الإنساني الذي يمثل تنويع البرنامج ما بعد الإنساني، ويدل هذا المصطلح على كائن مستقبلي مُتحرر من جميع القيود والضوابط المتأصلة في الحالة الإنسانية، وهو نتاج اندماج الإنسان مع الوعود التي يحملها تقدم العلوم والتقنيات، ونتيجة لسلسلة من التحسينات التي تقدمها التقنيات الجديدة على الكائن الحي، وهي تعايش بين الذكاء الاصطناعي والوعي المحمل<sup>2</sup>. لم يعد يُنظر إليه بعد ذلك على أنه إنسان بمعنى الكلمة، بل ككائن مستقبلي تتجاوز قدراته الأساسية قدرات البشر الحاليين لدرجة أنه لم يعد إنسانًا وفقًا لمعاييرنا الحالية<sup>3</sup>. وهكذا، سيكون هذا الكائن الجديد مزودًا بمجموعة من الأفكار والمشاعر والخبرات والأنشطة التي لا يمكن الوصول إليها بالنسبة للبشر العاديين.

يعتبر ما بعد الإنسان -بالنسبة لما بعد الإنسانين- مرحلة جديدة من التطور، كما يضعون التكنولوجيا كضرورة أنثروبولوجية رغبة منهم في تكييف الإنسان مع بيئته التكنولوجية. واستنادًا إلى نموذج **داروين** للتطور، يدرجه ما بعد الإنسانين في نهج أنثروبولوجي تقني كما حدده **بيتر سلوترديك**، حيث يكون الإنسان هو نتاج أساليب تدخله الخاصة ويتجه نحو شكل جديد من الإنسانية بفضل التقنية<sup>4</sup>. وبالنظر إلى أن نشر كتاب "أصل الأنواع" عام 1859 أدخل فكرة أن الإنسان بصورته الحالية ليس ذروة

<sup>1</sup>David Le Breton, *L'adieu au corps*, p 85.

<sup>2</sup>Transhumaniste FAQ, en ligne, [humanity.plus.org/learn/transhumanist.faq](http://humanity.plus.org/learn/transhumanist.faq).

<sup>3</sup>Ibid

<sup>4</sup>Peter Sloterdijk, *Ladomestication de l'être*, Mille et une nuits, paris, 2000, p 22.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التطور، يستعيد ما بعد الإنسان نظرية تشارلز داروين ليضيفوا إليها مرحلة جديدة، وهي مرحلة تطور الإنسان بيده حيث يتم استخدام التكنولوجيا لتحسين الكائن البشري. وهكذا يتم تفسير التطور في ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى، يكون هناك ضغط بيئي يدفع الكائنات الحية إلى التطور من خلال الانتقاء الطبيعي، ثم في المرحلة الثانية، يتم وضع البيئة في خدمة الإنسان، ويتغلب الإنسان على الصعوبات من خلال تحسين بيئته تقنياً، وأخيراً، في المرحلة النهائية، يعود الإنسان إلى التطور، ليس تحت ضغط الطبيعة، بل بمحض إرادته، من خلال دمج التقنية، حتى يصل إلى مرحلة ما بعد الإنسان. وهكذا، وفقاً لميشيل سيرس Michel Serres (1930-2019)، تعمل التقنية هنا كدروينية خارجية حيث تؤدي الأدوات إلى تحويل الجسم. وبالتالي، فإن التقنية تسمح للإنسان بالتححرر من ضغط الطبيعة وآليات الانتقاء الطبيعي من خلال استئناف تطوره بيده<sup>1</sup>.

بناءً على فكرة أن العالم بأكمله - بما في ذلك الإنسان - معلوماتي وقابل للبرمجة بشكل عميق، يدعو ما بعد الإنسان إلى تحول ذاتي للإنسان بهدف إيجاد كائن جديد ليس لديه في النهاية الكثير من القواسم المشتركة مع الإنسان الحالي ولكنه أكثر تكيفاً مع بيئة متحولة بفعل التقنيات الجديدة.

يتوقع خبراء التكنولوجيا الفائقة أننا نتجه نحو عالم جديد ذو طبيعة افتراضية تسيطر فيه التطبيقات والبرامج، وقد طرحت فايسبوك في الأسواق عام 2021 قناع الواقع الافتراضي الجديد الذي تتجاوز فيه تطبيقاته مجالات الألعاب نحو مجالات جديدة كالتدريب والتأهيل، مثل: تلقي دروس في الرياضة أو الموسيقى أو الرقص في بيئة افتراضية كالمسرح الافتراضي والمتحف الافتراضي ... وغيرها، وفي هذا السياق تحدث مالك شركة فايسبوك مارك زوكربيرغ Mark Zuckerberg (1984-) عن الكون الفوقي Meta Univers، وهو واقع افتراضي يسمح بالتعاملات التجارية للسلع واستخدامها افتراضياً<sup>2</sup>.

إن التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات قد ألغت الحدود، وقد ضاعفت الإمكانيات الإبداعية لعقولنا، وهي تغزو فضاءنا من خلال "تفعله". لقد قلب توسع الإنترنت ليس فقط تنظيم تبادلاتنا على نطاق العالم، ولكن أيضاً طرق تفكيرنا وتصرفاتنا تجاه بعضنا البعض، حيث قمنا بتغيير بيئتنا بشكل عميق للغاية، كما أقر نوربرت وينر بأنه سنصل إلى درجة أننا يجب أن نغير أنفسنا<sup>3</sup>.

إن المجتمع الذي يفتح علينا، مع الثقافة الرقمية التي نغرق فيها، يجلب كل الاحتمالات: ظهور ديانات جديدة، وتفتت المعتقدات، وتحولات بيولوجية وإلكترونية في الدماغ، والواقع الافتراضي، وصنع هويات جديدة، والتلاعب بالصور والذكريات، وما إلى ذلك. لكن هذا المجتمع الجديد يتجه أيضاً نحو

<sup>1</sup>Michel Serres, **Hominscence**, le livre de poche, paris, coll, "littérature et documents", 2003, p 18.

<sup>2</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 50، 52.

<sup>3</sup>Béatrice Jousset-Couturier, **le transhumanisme**, p 164.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

اندماج البشرية. يعتقد ديفيد دالريمبل أن تجاوز الإنسانية يعني دمج أنفسنا داخل الشبكة، وعدم الاكتفاء بالاتصال بالإنترنت عبر لوحة المفاتيح فقط، بل أن نصبح جزءاً لا يتجزأ من الشبكة من خلال أن نصبح جزءاً من عالم الآلة. ألا يشعر رواد الإنترنت، بفضل سحق المسافة والزمان، بالتضامن على نطاق كوكبي، من خلال تحقيق تقارب يجعل الاندماج العالمي أمراً ممكناً<sup>1</sup>؟ لقد افتتح اليابانيون في طوكيو "مطعم الروبوت"، حيث يكون العرض من صنع الروبوتات والبشر على حد سواء.

تماشياً مع هذا الطرح فقد تغير مفهوم الأمن والدفاع واتجه النقاش حول المعارك الرقمية Digital Battles والحروب الإلكترونية والإرهاب الإلكتروني والأمن السيبراني، ما جعل الدول تنفق ميزانيات ضخمة لتطوير هذه التقنيات ولاختراع تقنيات مضادة لها<sup>2</sup>. كما تعتبر الفيروسات الإلكترونية من أذكى الكائنات الاصطناعية، وهي تمثل كائناً حياً اصطناعياً مزوداً بذكاء اصطناعي وبإمكانه القيام بمناورات بارعة وخرق أشد التحصينات الإلكترونية. وحسب كيرزويل لتحقيق ذلك، لابد من تعميق الأبحاث حول الدماغ الإنساني لفهم وظائفه ومحاولة محاكاته بغية هندسة عقل اصطناعي واعي بعد الاعلاء من قدراته لمواجهة أمراض مستعصية مثل: ألزهايمر والخرف.

لقد أثارت نظريات كيرزويل -على الرغم من تعقيدها المفرط- انتقادات واسعة من قبل العلماء إلى درجة أنه على عكس الإنسانية المتحولة التي لا تحتوي على أي شيء من الخيال الوهمي حسب فيري، فإن فكر ما بعد الإنسانية حول التفرد التكنولوجي أقرب إلى المدينة الفاضلة من العقلانية العلمية<sup>3</sup>، علاوة على ذلك تستند أيديولوجية التفرد إلى حد كبير على المادية الفلسفية التي هي مثل كل مادية تقلل بسذاجة من الوعي البشري إلى إعادة تشكيل ميكانيكية بسيطة للآلية الدماغية.

ينطوي المفهوم العامي الشائع لكلمة المادية على سمعة سيئة فهي، تشير عموماً إلى رؤية للعالم تفتقر إلى النظرة المتعالية والمثل الأعلى، فهي مذهب يهتم فقط بالمال والمتعة الرديئة، لكن من الناحية الفلسفية فإن المادية ليس لها علاقة بكل ذلك، إنها تعرف كموقف فكري يفترض أن حياة العقل تنتج وتحدد في نفس الوقت بواسطة واقع أعمق منها، أكثر مادية بالضبط، ببساطة تدافع المادية عن الرأي الذي يقول بأن جميع أفكارنا مثل معتقداتنا السياسية أو الدينية، وكذلك قيمنا الأخلاقية وحكمنا الجمالي واختياراتنا الثقافية ليست موضوعة ومسؤولة بحرية من قبلنا، فهي في الحقيقة مجرد منتجات غير مدركة لواقع أعمق يحددنا دون علمنا، ببساطة يعتقد المادي أنه لا توجد استقلالية حقيقية للفكر، ولا شيء يشبه تجاوز أفكارنا فيما يتعلق ببيئتنا البيولوجية والتاريخية، بل مجرد وهم للاستقلالية، وتتميز المادية بصفتين أساسيتين: التقليص والتحديد،

<sup>1</sup>Ibid, p167.

<sup>2</sup>عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 51.

<sup>3</sup>Luc Ferry, La révolution transhumaniste, pp 38, 39.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أين يتم تقليص الأفكار حتى العظيمة منها إلى الواقع المادي، الذي أنشأها مهما كانت تافهة<sup>1</sup>، فمثلا يسعى البيولوجي المادي للبحث عن الأسس الطبيعية للأخلاق أي الغريزة، وبهذا يتم التقليص من العظيم إلى التافه، ومن الواعي إلى اللاواعي، ومن الروحاني إلى المادي، ومن المطلق إلى النسبي.

بالنسبة إلى المادي، فإن الأفكار الروحية والمطلقة مجرد كذبة، فالكمال غير موجود، هناك فقط النسبية، فمن الناحية الأصولية يشير الكمال إلى ما هو منفصل عن كل شيء، ما هو متفوق عن كل مادة، لكن المادية تقر بأن كل شيء نسبي مرتبط بالواقع المادي، فجميع أفكارنا وقيمنا تأتي من مصادر أخرى غير تفكيرنا الحر والمستقل، إنها تأتي من محيطنا الاجتماعي ومن تاريخنا وجسدنا كما أشار إلى ذلك أفضل الفلاسفة الماديين في الوقت الحالي أندريه كونت سبونفيل Andri comte Sponville (1952-) لهذا ترفض المادية آلية الإرادة الحرة أو حرية الاختيار والمسؤولية، إذ نحن محدودون بخصائصنا: اجتماعية وبيولوجية، هذه الأخيرة والتي تسمى في التقاليد الفلسفية بالمادية الطبيعية أو الحتمية الطبيعية البيولوجية، وتعتقد بأن الوراثة هي من تحدد جوهر ما نحن عليه، ومن هذا المعتقد المادي تعتقد ما بعد الإنسانية أن الدماغ هو آلة مثل أي آلة أخرى، فقط أكثر تعقيدا وسيتمكن الكمبيوتر في يوم ما من التفكير مثلنا وتقليدنا وربما حتى الشعور بمشاعرنا وعواطفنا، بالإضافة إلى قوة حسابية تفوق بآلاف المرات قوتنا الفكرية<sup>2</sup>.

لا يخفي فيري رفضه لأفكار ما بعد الإنسانية في رقمنة الكيان البشري، ووصفه بالأمر السخيف من الناحية الفلسفية، وقد أعلن رفضه لما بعد الإنسانية بناء على رفضه للنزعة المادية التي تلغي الجانب الروحي (الوعي-النفس) في الإنسان، لأنها مثلها لا ترى فرقا بين الآلة والدماغ وبين الروح والمادة إلا في الدرجة وليس في الطبيعة وكلاهما يتنقضان مع الإنسانية الروحانية لاسيما تلك التي تتجسد في التقاليد الدينية. ولتوضيح ذلك قدم مثالا عن الفيلسوف المسيحي جون ستون Jean Staune الذي قام في كتابه (مفاتيح المستقبل) بتلخيص الأطروحات التي دافع عنها كيرزويل وأصدقائه بنزاهة فكرية كبيرة، حيث يبدأ ستون بالاعتراف بأن فرضية تقليد الروح البشرية بشكل مثالي من قبل الآلات هي الأكثر شيوعا بين الباحثين في علوم الإدراك وغيرها من الخبراء في الذكاء الاصطناعي، حيث أن الروحية الإنسانية -المستلهمة من المعتقدات الدينية والنزعات الضدية باسم الخصوصية الإنسانية والتي عرفت دائما هزائم علمية ومجتمعية في القرون السابقة- التي تقوم على الثنائية بين الروح والمادة تمثل الأقلية بشكل كبير، ومنطق ما بعد الإنسانية الفردية في ذلك أنه في يوم ما، ومن خلال دراسة متقدمة للدماغ ستمكن من فهم كيفية عمل الوعي، وبالتالي ستمكن من وضع جهاز قادر على التوصل إلى نفس مستوى الوعي، وبالتالي التطور الذي يصل إليه الجنس البشري. وإذا كان من الممكن إنشاء آلة تعادل الإنسان في كل شيء، فإن العواقب ستكون

<sup>1</sup>ibid, p 52, 53.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 53, 54.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

مذهلة ومرعبة وفقاً لـ **لوك فيري**، لأن هذه الآلة لمدة أربعة وعشرون ساعة في اليوم تتعلم من تلقاء نفسها وإعادة إنتاج وتصنيع آلات أخرى وتحيينها باستمرار، وقبل كل شيء ومثل كل كائن دارويني سيكون همهم الأول هو القضاء على الكائنات التي من المحتمل أن تنهي وجودها وفي طليعتها نحن البشر، والأمر حسب **فيري** ليس مزحة البتة، فعند قراءة العريضة الموقعة في جوبلية من قبل **بيل جيتس** (Bill Gates) (1955-) و**ستيفن هوكينج** (Stephen Hawking) (1942-2018) و**إيلون ماسك** (Elon Musk) (1971-) برفقة ما يقارب ألف عالم بارز لهذه المناسبة حول المخاطر المتزايدة للتدخل الاصطناعي الذي سيصبح قويا، على سبيل المثال تلك الروبوتات القاتلة الشهيرة المبرمجة، كما هو الحال بالفعل مع بعض الطائرات بدون طيار لتقرر بنفسها دون الرجوع إلى أي سلطة بشرية، من يجب القضاء عليه ومن يجب أن يعيش أو يموت. وما يلفت الانتباه في هذه العريضة حسبه هو أنها لا تأتي على أقل تقدير من شخصيات معادية للعلم أو التكنولوجيا، بل على العكس من ذلك من أنصار أو المولعين بالتكنولوجيا، ولعل هذا ما جعل **إيلون ماسك** يقر بأن الذكاء الاصطناعي أكبر تهديد وجودي تم اختراعه للبشرية على الإطلاق<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>ibid, pp 39, 40.

### ثانياً: الإنسانية المتحوّلة والاقتصاد

قد يبدو للبعض -حسب فيري- نوعاً من الغرابة في وجود اتصال بين سؤالين مختلفين تماماً: سؤال المستقبل البيولوجي والروحي للهوية الإنسانية من ناحية، وسؤال الوضع الاقتصادي الجديد المرتبط بالإنسانية المتحوّلة من ناحية أخرى، خاصة بالنسبة إلى المجتمع الفرنسي، الذي هو متأخر في هذا المجال مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت سبّاقة ورائدة في مجال تكنولوجيات الإنسانية الفائقة. ولكن ما إن أطلع صناع القرار والسلطات العامة على هذه التقنيات الفائقة، ومآلاتها الاقتصادية، فبالغوا في الاهتمام بها حدّ وصفها بالحل السحري لجميع المشكلات.

#### 1- من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني):

إنّ ثورة الإنسانية الفائقة التي قامت في المجال البيو-طبي في الأساس، صاحبها ثورة في المجال الاقتصادي كذلك، والتي أطلق عليها فيري "ثورة الاقتصاد التشاركي". وقد أكّد على وجود روابط لها عميقة وسريّة مع أيديولوجية الإنسانية المتحوّلة، ويظهر هذا الارتباط بينهما في أربع نقاط أساسية:

-لهما خلفية (بنية) تحتية تكنولوجية مشتركة إلى حدّ كبير، فالاقتصاد التعاوني لا يعتمد على الجراحة الحيوية فقط، بل يعتمد كذلك على البيانات الضخمة، وإنترنت الأشياء المتصلة، والذكاء الاصطناعي، والطابعات الثلاثية الأبعاد، والروبوتات مثل مشروع الإنسانية المتحوّلة؛ فهذه التقنيات تجعل عملهما ممكناً، وبدونها لم يكن من الممكن أن يرى التحسين البشري ولا الاقتصاد التعاوني النور.

-هناك ما هو أكثر من ذلك على مستوى فلسفي بحث في كلا المجالين، ويتمثل في مدى الحصول على الحرية والمساواة والتحكم في مصير الفرد من قبل الإنسان في حد ذاته. فأما من ناحية التعديل البشري، فإننا نجد أنها تتحقق من خلال الانتقال من الصدفة أو الحظ الطبيعي إلى الاختيار -كما ذكرنا سابقاً-، ونفس الشيء بمعنى ما على جانب الاقتصاد التشاركي، فبفضل الشبكات الاجتماعية، تمكن الفرد من

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الحصول على حرية أكبر<sup>1</sup>؛ إذ أن ما يأتي به الاقتصاد التشاركي من أفكار جديدة ليس المشاركة في حد ذاتها، بل الرجوع إلى التقنيات الرقمية في مجال الشبكات والاتصالات لبناء علاقات اقتصادية يشارك فيها المستهلكون في استغلال ما هو ملك للغير، فهو يشرح الفرص للحصول على الأشياء والاستفادة منها دون الحاجة إلى شرائها<sup>2</sup>. مثلاً، في مقابل دفع مبلغ ضخم لحجز غرفة في فندق، بإمكاننا أن نجد شريكاً في نفس الوضع ونشارك في سكن معين، أو في مقابل شراء سيارة باهظة الثمن، بإمكاننا مشاركة السيارات عبر تطبيق "أوبر". وما يُفهم هنا أنّ الأمر يتعلق بتحرير أنفسنا من القيود بجميع أنواعها بيولوجية كانت أو اقتصادية.

- في ظل هذه الظروف يكون المجالان المعنيان، أي التحول البشري ومجال الاقتصاد التشاركي، مدعومين على نطاق واسع، ليس فقط من خلال بنية تكنولوجية وفلسفية مشتركة، ولكن أيضاً من خلال بنية سياسية، وفي كلتا الحالتين فهي الليبرالية، مشوبة بالديمقراطية الاجتماعية إلى حد ما، أو حتى ليبرالية متطرفة خالصة ومتشددة تعمل سراً على تحريك إرادة أولئك الذين يريدون وضع حد لنقل التقاليد المفروضة على الأفراد، ويوضح ذلك فيري بمثال عن حركة "الصانعين" الذين يريدون تحرير أنفسهم بشكل نهائي من الأعباء الاجتماعية، وأحياناً أيضاً من التشريعات الوطنية، بصنع الأشياء بأنفسهم. لهذا، فهم يستخدمون كل الإمكانيات المتاحة من طابعات خماسية الأبعاد، والبرمجيات مفتوحة المصدر في الشبكات الاجتماعية، والمجتمعات الصغيرة المختارة بحرية، الكهرباء، والأثاث، والأجهزة المنزلية، وما إلى ذلك، وباختصار، كل ما هو ضروري وكافٍ لرفاهيتهم وعيشهم<sup>3</sup>.

- إن الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني يتناسبان تماماً مع الحركة الأساسية للديمقراطيات الغربية، وهو تطور بطيء ولكن لا مفر منه وسريع بشكل متزايد منذ نهاية القرن الماضي<sup>4</sup>.

هناك علاقة عميقة ودائمة بين البنية التحتية للعالم، أي الاقتصاد والإنترنت أفضت إلى ظهور اقتصاد جديد والذي يسمى الاقتصاد التعاوني، الذي يرمز له بالرمز الشهير GAFA (جوجل-G - أبل-A - فيسبوك-F - أمازون-A). بالإضافة إلى التطبيقات الجديدة عبر الويب والتي تربط بين الأفراد بطريقة لم تكن معروفة من قبل، على غرار شركات مثل Airbnb أو Uber أو Bla Bla Car. لاسيما أن هناك الآلاف منها تنشأ

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 22, 23.

<sup>2</sup> فضل عبد الكريم البشير، دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، عدد 9، قطر، أكتوبر 2018، ص 27.

<sup>3</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 23.

<sup>4</sup> Ibid, p 24.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

سنواتاً في جميع أنحاء العالم. ووفقاً للفيلسوف والباحث الأمريكي جيرمي ريفكين (Jermy Rifkin) (1945-) -والذي يستشهد بأعماله كثيراً لوك فيري حيث يوافق في بعضها ويرفض بعضها الآخر- يرتبط هذا الشكل الجديد من الروابط الاجتماعية مباشرة بظهور تنظيم اقتصادي جديد، والذي أصبح ممكناً بدوره بفضل الثورة الاصطناعية الثالثة التي كان من غير المعقول التفكير فيها قبل انتشار الإنترنت. ووفقاً لتنبؤاته، يجب أن تسمح هذه المعطيات الجديدة قريباً بتنظيم الحياة البشرية خارج نظام رأس المال، أي خارج الهيكلين المترابطين معها منذ القرن السادس عشر: الدولة والسوق، أو حكومات الدول الوطنية من جهة، ومن جهة أخرى، مجتمع مدني اقتصادي تجاري مكرس تماماً للربح<sup>1</sup>. فبنية "الويب" ستؤدي إلى ظهور تنظيم اجتماعي وسياسي من نوع جديد، تتجمع فيه الأمم بأكملها في شبكات دولية ومجتمعية حيث سيستحفظ بعضها بغايتها الربحية، بينما ستصبح معظمها ميزانية وغير مادية على غرار ويكيبيديا.

بدا ريفكين متفائلاً في عرضه لما ستؤول إليه حياة البشر نتيجة إضفاء الصبغة الافتراضية على عدد كبير من أنماط التفاعل الإنساني، لكن حسب فيري، إن الحياة الافتراضية التي تنبأ بها ريفكين لم تكن بهذه المثالية. فمن الأمثلة الكارثية التي تناقض الرؤية التفاؤلية التي طرحها الكاتب هنا والمتعلقة بالاقتصاد الافتراضي، حيث أنتجت الحياة الافتراضية اقتصاداً هشاً سريع النمو سريع الانهيار. لقد أقر فيري بأن الكم الهائل من المعلومات الذي أصبح متاحاً على الشبكة العنكبوتية وسيمهد الطريق نحو حالة من الامتثالية والعبودية الإرادية، وأن الثورة الرقمية التي تقدم إسهامات عظيمة النفع في مجالات متعددة كالطب مثلاً، غير أن لهذه الثورة وجهاً قبيحاً مقابلاً، وأن عالم البيانات الهائلة Big Data سينتج نموذجاً للدكتاتورية والمراقبة الصارمة شبيهاً بما حكى عنه جورج أورويل في روايته "1984"، إلا أنه غير محسوب ولا متباعد<sup>2</sup>.

إن انعكاسات الثورة الرقمية ليست إلا في بداياتها، وستنتهي بنا إلى حالة يكون فيها الإنسان مفصولاً عن نفسه ويمسي كائناً قابلاً للمراقبة المطلقة. وأنه رغم هذا التطور التقني الذي وصلت إليه البشرية، إلا أن مشاعر انعدام الأمن والقلق الدائم التي كانت تصيب الإنسان البدائي ستعود من جديد. ففي عصر الثورة الرقمية سيعود هذا الشعور، وستدعم عمليات المراقبة الدقيقة تشريعات الدولة القومية والشركات صاحبة

<sup>1</sup>Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution : How lateral power is transforming energy, the economy and the world*, Plagrave macmillan, London, 2011, pp 10,15.

<sup>2</sup>تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية: العوالم الافتراضية وأثرها على الإنسان، آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، (دط)، 2022، ص 105، 106.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

النفوذ اللامحدود مثل جوجل وأمازون وغيرهما. بل إن الجنس البشري نفسه سيتعرض لتهديد وجودي في مقابل الآلة التي قد تحل محله وتتفوق عليه<sup>1</sup>.

يعتقد ريفكين أن تكنولوجيات الثورة الرقمية، وفي مقدمتها الإنترنت ومصادر الطاقة المتجددة، يمكنها أن تقود البشر نحو مستقبل أفضل، وأن تقدم الكثير من الحلول للمآزق الكبرى التي تواجهها البشرية اليوم، ويرى أنها يمكن أن تخلق آلاف المشاريع والمؤسسات، ما سيسمح بتشغيل العاطلين عن العمل عبر توفير ملايين الفرص. كما أنها ستفتح آفاقاً جديدة لعلاقات إنسانية أكثر انفتاحاً على الآخر، بدلاً من العلاقات التي أنتجها اقتصاد السوق والليبرالية العشوائية<sup>2</sup>.

يستند ريفكين في موقفه هذا -حسب فيري- إلى فكرة أن العالم الغربي عرف في العصر الحديث ثلاث ثورات صناعية كبرى، حيث ترتبط كل واحدة منها بثلاث ركائز أساسية: مصدر طاقة جديد يضاعف الإنتاج، وشكل جديد من التواصل بين البشر، وتنظيم اجتماعي جديد للإنتاج. هذه الثورات الثلاث من المفترض أن تؤدي إلى نهاية الرأسمالية<sup>3</sup>، ويمكن أن نوجزها في:

**الثورة الصناعية الأولى**، وهي ثورة الطباعة والبخار، حيث في نهاية القرن الخامس عشر اخترع غوتنبرغ Gutenberg آله الشهيرة للطباعة. ولكن مع ظهور طاقة جديدة في ثمانينيات، القرن 18، بدأت تتطور آلة الطباعة، حيث سمحت الطابعات الدوارة والطابعات الأخرى التي تعمل بالبخار لأول مرة في تاريخ العالم بإنتاج الصحف والكتب والملصقات بطريقة صناعية. وهكذا تطورت أشكال جديدة من التواصل بدءاً من السكك الحديدية، في حين يصبح التعليم العام والصحافة ممكنين بفضل الكتب والصحف ذات التكلفة المنخفضة، وفي هذا السياق يتراجع العالم الريفي في مقابل انتشار التحضر والتمدن<sup>4</sup>.

-**الثورة الصناعية الثانية**، التي تأتي بعد الأولى بمئة عام بفضل مصدريين جديدين للطاقة: محرك الاحتراق الداخلي (الاشتغال) والكهرباء. وهنا يفتح القرن التاسع عشر تطور رأسمالية متسارع، صاحبها أشكال جديدة من التواصل مع الهاتف، والبرقية، ثم الراديو والتلفاز، وبالطبع السيارة والشاحنة

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص 106.

<sup>2</sup>Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution*, p 5.

<sup>3</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 96.

<sup>4</sup>نادية جاسم كاظم الشمري، *التطورات الصناعية في أوروبا 1870-1914 وانعكاساتها على دول العالم*، مجلد 10، عدد 1، جامعة بابل للدراسات الإنسانية، 2020، ص 5.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والطائرة التي تقوم بثورة اللوجيستيات ووسائل النقل، بينما يستمر التمدن والتحضر في التزايد على حساب الريف والمناطق النائية، وتتحول الشركات إلى شركات متعددة الجنسيات<sup>1</sup>.

-**الثورة الصناعية الثالثة**، التي نعيشها اليوم، تجمع مثل الأخرى مصادر طاقة جديدة وتحديدًا طاقات خضراء أو متجددة (الطاقة الشمسية، الجيوحرارية، الهيدروجينية...) مع شكل جديد من وسائل الاتصال وهو الإنترنت بمختلف أنواعها. وهنا يظهر تنظيمًا للحياة الاقتصادية جانبي وموزع، وهو تنظيم يجمع بين البعد العابر للحدود والتدرجي واللامركزي للحياة الاقتصادية والسياسية المرتبطة بظهور شبكات اجتماعية عالمية، بالإضافة إلى أدوات جمع وتحليل البيانات الضخمة التي تمكن من توسيع الاقتصاد التشاركي<sup>2</sup>. وفي هذا السياق، يبدو أن انحسار الرأسمالية يظهر في الأفق.

يقوم الاقتصاد التشاركي كبنية تحتية على "الويب"، وبهذا يولد أوضاعاً جديدة للعلاقات الإنسانية تبدأ بشبكات التواصل الاجتماعي التي يتبادل عليها مئات الملايين من الأفراد يومياً وسائل وصور وموسيقى وآراء من جميع الأنواع. نظام يبدو مجانياً، لكن كما أنه يسمح باستمرار بجمع البيانات الخاصة التي تُباع لشركات أخرى وتحقق أرباحاً هائلة.

يقف العالم على بداية عصر جديد في الصناعة والتصنيع، لا تقوده الآلة أو التقنيات الحديثة، فالثورة الصناعية الرابعة تقوم على الثورة الرقمية الثالثة التي حدثت منذ منتصف القرن الماضي، وتتميز بدمج التقنيات التي تعمل على طمس الخطوط الفاصلة بين المجالات المادية والرقمية والبيولوجية. هذا ويشير مفهوم الثورة الصناعية الرابعة إلى الموجة الجديدة من الاستخدام للتطبيقات التي تستند إلى الصناعة في طورها الرابع من حيث استخدامها للتقنية، لاسيما في المجالات الحديثة مثل: الروبوتات، والذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وإنترنت الأشياء، وتكنولوجيا النانو، و"البلوك تشين" Blockchain، والحوسبة الكمومية، والمركبات المستقلة وغيرها، واستخدام هذه التكنولوجيا في الحياة اليومية. ويعني ذلك أن الثورة الصناعية الرابعة تستند إلى الثورة الرقمية التي تمثل اتجاهاً جديداً تصبح فيه التكنولوجيا جزءاً لا يتجزأ من المجتمعات، وأنها ستخلف عالماً تتعاون فيه أنظمة التصنيع الافتراضية والمادية مع بعضها البعض بطريقة مرنة على المستوى العالمي. وبذلك، فإن هذه الثورة ذات نطاق أوسع كثيراً من الآلات والأنظمة الذكية؛ حيث ستسبب وعلى التوازي في موجات من الاختراقات الإضافية لمجالات تتراوح من تسلسل الجينات إلى تكنولوجيا النانو، من

<sup>1</sup>Jerimi Rifkin, *The third industrial revolution*, p 43.

<sup>2</sup>جيريمي ريفكين، الثورة الصناعية الثالثة: كيف تغير القوة الموازية الطاقة والاقتصاد والعالم، ترجمة: سعيد الحسينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، (دط)، (دت)، ص 35-69.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الطاقات المتجددة إلى الحوسبة الكمومية، إن اندماج هذه التقنيات وتفاعلها عبر المجالات المادية والرقمية والبيولوجية هو الذي يجعل الثورة الصناعية الرابعة مختلفة اختلافاً جوهرياً عن الثورات السابقة. وعليه، يرتبط مفهوم الثورة الصناعية الرابعة بأتمة الصناعة واقتصار الدور البشري فيها على المراقبة والتدقيق، الأمر الذي يضمن تحقيق الكثير من الإيجابيات لصالح البشر، مثل القدرة على رفع مستويات الدخل العالمي وتحسين نوعية الحياة للجميع<sup>1</sup>.

يتفق فيري مع ريفكين في أن ولادة الإنترنت الرباعي ساهمت في بناء الاقتصاد التعاوني، إذ أنه توجد الآن ثلاث شبكات إنترنت مختلفة وجميعها متصلة ببعضها البعض ضمن شبكة رابعة، وهي شبكة الأشياء المتصلة، أين تجتمع إنترنت الاتصالات، وإنترنت الطاقة، وإنترنت اللوجستيات في إنترنت الأشياء المتكاملة، حيث تعمل معاً في نظام واحد. فبدون الاتصال، من غير الممكن إدارة النشاط الاقتصادي، وبدون الطاقة، من غير الممكن خلق المعلومات أو تغذية النقل، وبدون اللوجستيات، من غير الممكن تقديم النشاط الاقتصادي على طول سلسلة القيمة. إذن فمع تشكل الأنظمة الثلاثة العاملة على تشريح للكائن الاقتصادي الجديد، ومن المتوقع حسب ريفكن -خلافاً لما يراه فيري- ستؤدي هذه الفيزيولوجيا الجديدة ابتداءً من النصف الثاني من القرن الحالي إلى إما موت الرأسمالية بشكل كامل أو إلى انحسارها نهائياً، حيث ستكون مهيمنة عليها الشبكات المشتركة المتعاونة والاقتصاد التشاركي غير الربحي<sup>2</sup>. فإذا نظرنا إلى الإنترنت الأكثر شهرة والذي نستخدمه يومياً، أي إنترنت الاتصال، نجد أنه يتم تسييره بشكل كبير من قبل الشركات GAFA، ويمكن إضافة إليها مجموعة واسعة من وسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر ولينكدان، بالإضافة إلى جميع التطبيقات التي تدعم الاقتصاد التعاوني على غرار أوبر وإيربنب Airbnb و BlaBLA و Car وويكيبديا... وغيرها الكثير، التي دورها جمع وإدارة مئات الملايين من ملفات الأفراد لأغراض تجارية أو غير تجارية مختلفة، وهم مجتمعون في شبكات مترابطة<sup>3</sup>. وتظهر هذه الإنترنت استخدامات مدفوعة مثل السلع التي نشترها على أمازون أو الشقق المستأجرة على Airbnb، والبعض الآخر مجاني، مثل خدمات غوغل، فيسبوك، أو منصة X، حيث يمكن تصفح الشبكة مجاناً للمستخدم أين نقوم بالبحث على الويب أو النشر فيه دون دفع أي مال.

<sup>1</sup> تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية، ص ص 15، 20.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 99, 100.

<sup>3</sup> Kristin Bremser and Maria de Mar Alonso-Almeide, *Sharing economy and tourism : lights and shadows*, mic 2017, venis, italy, mai 2017, p 96.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في المقابل يرفض فيري هذه الفكرة. ففي الحقيقة، هذه الخدمات المجانية يكون من ورائها أرباح هائلة، حيث تقوم هذه الشركات المزدهرة -التي تبدو غير مدفوعة بشكل زائف فقط- بجمع تدريجي لا حصر له من البيانات المتنوعة حول أساليب حياتنا، وتطلعاتنا، وصحتنا، وعبوبنا، ومخاوفنا، أو عاداتنا الاستهلاكية (هذا ما يسمى بالبيانات الضخمة Big Data) التي يتم بيعها بأسعار خيالية لشركات أخرى، مما يمكن هذه الشركات من تحسين استراتيجياتها في التواصل، والابتكار، والبيع، وتوجيه الإعلانات نحو عملائها وتخصيصها، لتوجيه الردود على أسئلة المستخدمين على الإنترنت بشكل متزايد بناء على السياق<sup>1</sup>.

يمكن القول بأن "الويب" الذي تم اختراعه بعد الإنترنت في بداية التسعينات من القرن العشرين من قبل تيم بيرنرز-لي Tim Berners-Lee وروبرت كايو Robert Cailliau، هو تطبيق للشبكة العنكبوتية الذي سمح بالتواصل بين جميع المعلومات التي يمكن العثور عليها على الشبكة بينما كانت تكون منفصلة بسبب عدم وجود واجهة مشتركة، فالويب يستحق اسمه "الشبكة العنكبوتية العالمية"، وهذا بالطبع يعني أنه سيكون بمثابة بنية تحتية للاقتصاد الجديد (التعاوني أو التشاركي) عن طريق ربط جميع الأفراد الذين يرغبون في ذلك أينما كانوا في العالم وفي أي وقت من النهار أو الليل. وبعد ذلك يأتي "إنترنت الطاقة" المعروف بالشبكات الذكية. ربما تكون هذه النقطة التي أبحرت فيها أعمال ريفكين السياسيين المسؤولين عن هذه القضايا بشكل كبير، وتعتمد على فكرة أن المجتمعات، سواء كانت على مستوى مبنى، شركة، قرية، أو منطقة، في النهاية يجب أن تنضم هذه المجتمعات الطاقوية لتغطية العالم بأسره، ويمكنها تنظيم شبكات على غرار الويب لإنتاج الكهرباء بأنفسها باستخدام الطاقة الخضراء والمتجددة (طاقة الرياح والألواح الشمسية...) التي في العقود القادمة ستنافس من حيث السعر والكفاءة الهياكل المركزية التقليدية من نوع EDF. وكل مجتمع إذن يمكن أن ينتج ليس فقط كميات كافية من الطاقة لاستهلاكه الخاص، ولكن أيضاً التبادل مع الآخرين عن طريق تشبيهه بالإنترنت الأول، تلك التي تتعلق بالاتصالات، حيث يتم تخزين الفائض الذي تم توليده ثم مشاركته<sup>2</sup>. ووفق فيري نحن لم نصل بعد إلى هذه المرحلة، إذ لم تحل مشاكل تخزين الطاقة، بالإضافة إلى تلك المتعلقة بتكلفة الاستثمارات الأولية الضرورية لتشغيل هذه الشبكات باستخدام الطاقات الخضراء. ومع ذلك، بمجرد إتمام هذه الاستثمارات ووضع البنية التحتية، تتجه التكلفة الهامشية لهذه الطاقات المتجددة

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 100.

<sup>2</sup>جيريمي ريفكين، الثورة الصناعية الثالثة، ص 58، 59.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بشكل لا محدود نحو الصفر، (حيث أن الرياح والشمس، حتى لو لم تكن دائمًا موجودة، تعود بانتظام ولا تكلف شيئًا).

أما فيما يخص الإنترنت الثالث، وهو إنترنت اللوجيستيات، الذي يتعلق بشكل خاص بقضايا النقل التي في الوقت الحالي لا تزال تُعامل بطريقة غير منطقية؛ فمثلًا، نستخدم سياراتنا في المتوسط فقط 6% من الوقت، و94% المتبقية تكون متوقفة في مواقف السيارات، ونفس الشيء بالنسبة للشاحنات المخصصة لنقل البضائع، فغالبًا ما تسير نصف مليئة. وهناك في اللوجيستيات الحالية عيوب أخرى كثيرة ستختفي إذا نظمنا النقل البري بواسطة الإنترنت الأول والثاني: اتصال زائد طاقة<sup>1</sup>.

إن الفرضية الرئيسية لفيري -تماشياً مع موقف ريفكين- هي أن أنواع هذه الإنترنت الثلاثة تجتمع في واحدة، الرابعة وهي إنترنت الأشياء المتصلة؛ فمن المتوقع أن يكون هناك في عام 2030 ما يصل إلى 200 ربما 300 مليار جهاز متصل في العالم، فهي أجهزة ستجمع بشكل مستمر مليارات من "البيانات الضخمة" حول جميع المواضيع الممكنة والمتخيلة.

يؤكد فيري كذلك على أن الإنترنت الرابعي أو البيانات الضخمة Big Data لها إمكانيات هائلة وضرورية، بدءًا من الصحة أو الوقاية من جميع أنواع الحوادث حتى مكافحة الجريمة. والحقيقة أن مليارات الأجهزة المتصلة بالفعل موجودة في قطاعات مهمة قد تُزرع في المساكن، في المكاتب، في السيارات، في أسس المنازل، في جدرانها، في أساور ساعاتنا، في صناديق الفاكهة، في البراكين، في الطائرات، في الحيوانات، في البحيرات والمحيطات، في جسم الإنسان، في الطيور المهاجرة، في أنظمة الأمان، في كاميرات المراقبة، في المتاجر والأماكن العمومية، وغيرها... لأغراض متنوعة تتراوح بين توقع الجرائم والزلازل والانحيارات الثلجية، ومكافحة السرطان، ومتابعة الأشخاص المسنين والمعاقين، ومواجهة الكوارث الإنسانية، والازدحام على الطرق. فإنترنت الأشياء يدمج البيئة المبنية والبيئة الطبيعية ضمن شبكة وظيفية متماسكة، فهو يسمح لجميع البشر وجميع الأشياء بالتواصل مع بعضهم البعض للبحث عن التآزر، ويسهل هذه التفاعلات من أجل تحسين كفاءة المجتمع مع ضمان الرفاهية العامة للكوكب. وهنا نجد آثار هؤلاء الناشطين في مجال التعزيز والتحسين البشري والشركات التي تقوم بهذه الأبحاث<sup>2</sup>. على الرغم من أن المستفيدين من تلك التطبيقات حتى الآن انحصروا في قلة من المستهلكين القادرين على تحمل تكاليف العالم الرقمي والوصول إليه، إلا أنه

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص ص 69، 70.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 102, 103.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يوماً بعد آخر تتسع دائرة المستفيدين من تلك الخدمات والمنتجات التكنولوجية الجديدة لتشمل فئات أقل دخلاً وأكثر تهميشاً، الأمر الذي يؤكد الإيجابيات الكبيرة التي يمكن أن تحققها هذه الثورة لصالح البشرية. ورغم هذه الإيجابيات، إلا أن هناك الكثير من التخوفات حول النتائج السلبية لتلك الثورة، لا سيما في الأثر السلبي على التوظيف وفرص العمل؛ يُتوقع أن تُسفر الثورة الصناعية الرابعة عن قدر أكبر من عدم المساواة، لا سيما في قدرتها على تعطيل أسواق العمل، نظراً لأن الأتمتة تحل محل العمالة عبر الاقتصاد بأكمله، ما يجعل القوى العاملة في العالم بحاجة إلى رفع كفاءة وتعزيز مهارات. وأن العاملين في الجهات الرسمية والعامة هم الأكثر حاجة إلى بناء القدرات، أي إلى رفع مستوى أدائهم الوظيفي وتعزيز كفاءاتهم ومهاراتهم العملية.

رغم الآثار السلبية المتوقعة للثورة الصناعية الرابعة على الوظائف والعمالة في العالم، إلا أنه توجد العديد من الإيجابيات الناجمة عن تطبيقاتها الواسعة؛ حيث توفر فرصاً كبيرة للمجتمعات البشرية كي تحقق معدلات عالية من التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وتجدد الإشارة إلى أن الثورة الصناعية الرابعة تدور حول أكثر من مجرد تغيير مدفوع بالتكنولوجيا؛ حيث إنها فرصة لمساعدة الجميع، بما في ذلك القادة وصناع السياسات والأشخاص من جميع فئات الدخل والدول، لتسخير التقنيات المتقاربة من أجل خلق مستقبل شامل محوره الإنسان. وبصفة عامة، يمكن القول إنه في المستقبل القريب ستؤدي تطبيقات الثورة الصناعية الرابعة إلى معجزة في جانب العرض مع مكاسب طويلة الأجل في الكفاءة والإنتاجية، وستنخفض تكاليف النقل والاتصالات<sup>1</sup>.

بخلاف المزايا السابقة على الاقتصاد العالمي، يشير الخبراء إلى أن الثورة الصناعية الرابعة من شأنها أن تكون أكثر إنصافاً لفئة المهمشين اقتصادياً الذين صار بمقدورهم الوصول إلى مختلف المعلومات والخدمات بسهولة عبر شبكات رقمية. من شأن تلك الثورة أيضاً أن ترفع من كفاءة المؤسسات وتُعجل من تطوير الخدمات الصحية، وربما أمكنها من معالجة أزمة تغير المناخ.

يوافق فيري على فكرة ريفكين في أن الإنترنت الرباعي أدى إلى ظهور الاقتصاد التشاركي أو التعاوني، والذي يتحقق حسبه من خلال ربط ثلاث عناصر أساسية معاً: الذيل الطويل، منطق التكلفة، والحدية الصفريّة، أو تكلفة الحد الأدنى، مع ظهور شكل جديد من المجانية التي يصفها فيري -خلافاً لريفكين- بالوهمية. هذا، وينبّه أيضاً إلى أن هذه الصيغ قد لا يستصغها غير المتخصص، لكنه بالرغم من ذلك عمل

<sup>1</sup> تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية، ص ص 223، 227.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

على تبسيطها بأمثلة واقعية؛ فبالنسبة إلى مفهوم "الذيل الطويل Long Tail"، الذي صاغه الفيزيائي والصحفي الأمريكي كريس أندرسون Chris Anderson (1957-) لأول مرة في مقال له سنة 2004 - كنوع من الدمج بين الرياضيات الإحصائية والاقتصاد بفضل التكنولوجيا الجديدة - والأمر يتعلق بأنه منذ اللحظة التي يكون فيها تخزين وتوزيع المنتج الرقمي لا يكلف شيئاً تقريباً، يصبح من الممكن تقديم شيء مختلف للجمهور؛ فبدلاً من الكتب الأكثر مبيعاً، يمكن تقديم مجموعة شبه لا نهائية من المنتجات المتوسطة أو حتى الهامشية التي لا تغطي بنفس الانتشار والشهرة التي تغطي بها المنتجات الرائدة، ولكنها ما زالت تُباع بشكل دائم بصمت. ولتوضيح الفكرة أكثر وجعلها ملموسة، يقدم لنا فيري مثال عن بائع أقراص مدمجة أو كتباً قديمة، حيث يبيع أشياء فيزيائية نسبياً وضخمة والتي تحتل مكاناً حقيقياً في رفوف متجره، فيكون تخزين وتوزيع هذه الأشياء الملموسة يترتب عليه تكلفة عالية، خاصة عندما يكون المتجر موجوداً في مدينة كبيرة حيث تكلفة الإيجار باهظة، مثل تكلفة التوصيل، وعمال المخازن، والبائعين، وأمناء الصناديق وغيرهم من الضروريين لسير العمل بشكل سليم للشركة. وعلى النقيض، نجد نماذج مثل iTunes أو أمازون Amazon أو بشكل أفضل نموذج مواقع البث المباشر؛ فالملفات الموسيقية والأفلام أو الكتب الرقمية التي يقدمونها للبيع أو الإيجار لا تحتاج إلى أي تخزين فيزيائي؛ لأنه يكون كله افتراضي تماماً أو رقمي. أما للتوزيع، يتم بشكل تقريبي دون وجود موظفين، ببعض النقرات، وبمجرد إنشاء الاستثمارات اللازمة للخدمات اللوجستية، فإنه لا يكلف تقريباً شيئاً، وهذا هو بالضبط ما يسمى "تكلفة الحد الأدنى"، حيث تصبح تكلفة المنتج صفر بمجرد استرداد التكاليف الأولية المرتبطة بالاستثمارات الأولية. تضع التكنولوجيا الجديدة للإنترنت الشركات التقليدية مثل متاجر الكتب في وضع مختلف عن ذلك في iTunes أو مواقع الأفلام والموسيقى عبر الإنترنت؛ ففي التجارة التقليدية يحتل كتاب يباع بعشر نسخ خلال العام مساحة متساوية في المتجر مع الكتاب الأكثر مبيعاً الذي يصل إلى 100,000 نسخة، ومن هنا تأتي ضرورة تفضيل الثاني على الأول بوضوح<sup>1</sup>. وعلى النقيض من ذلك، فإن الشركات المتحوّلة حول الرقمنة لا يهتم ذلك على الإطلاق، حيث تتجه تكاليف التخزين والتوزيع نحو الصفر.

نجد أن برنامج iTunes يمكنه تقديم ملايين العناوين، بما في ذلك تلك التي تكون قليلة الشهرة وقليلة المبيعات، بدون تكلفة إضافية، وما يلاحظه أندرسون حسب ما يعتقده فيري، طبعاً، هو أن العناوين القديمة التي لم تكن من الأكثر مبيعاً تستمر تقريباً إلى الأبد في البيع؛ بالطبع تباع بكميات قليلة، بمعنى أقل

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 105, 106.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

من الأكثر مبيعًا، ولكن على الرغم من ذلك، فإنها ليست أبدًا أو تقريبًا صفر. ومنذ اللحظة التي تكون فيها التكلفة هامشية للتخزين والتوزيع تساوي الصفر، فبيع الكتاب الأكثر مبيعًا بمليون نسخة أو بيع مليون منتج غير مرغوب فيه بنسخة واحدة يعود إلى نفس النتيجة. فمثلاً، عندما يتم شراء من Amazon، أو بشكل عام عندما يتم التسوق عبر مواقع التجارة الإلكترونية، يتم توجيهها فور الانتهاء من عملية الشراء إلى روابط تقدم لنا العملاء الذين اشتروا هذا المنتج وقاموا أيضاً بشراء منتجات أخرى، مما يتيح الفرصة للبضائع التي تباع بكميات قليلة ولكن مع ذلك بانتظام، والتي في النهاية، نظرًا لكم الهائل من العروض من هذا النوع، تنتهي ببيع كميات أكبر بكثير مما كانت عليه الكلاسيكيات التي كانت تحقق مبيعات كبيرة، حيث كان يُحجز لها محلات ورفوف. هذا ما يعنيه أندرسون ب "الذيل الطويل"؛ فالسلسلة الطويلة من هذه المنتجات التي لم تعد تُعرض، ولكن من خلال استمرار مبيعها بتكلفة هامشية صفرية، تنتهي بتحقيق أرباح أكبر من الأفضل مبيعًا. ومن الواضح أنه قبل العصر الرقمي، الذي يسمح فقط بالتخزين والتوزيع بتكلفة هامشية صفرية، كان من الصعب تصور هذا النوع من التجارة. هناك تعقيب لفيري حول هذه الفكرة، وهو أنه إذا كان يتعين تخزين جميع الأشياء التي يمكن شراؤها على أمازون، مثلاً، في متجر حقيقي، فإنه من الواضح سيكون أكبر مساحة مغطاة في العالم بحجم مدينة كاملة، مما يجعل النموذج الاقتصادي غير قابل للتطبيق<sup>1</sup>.

لكن السؤال الذي يمكن طرحه هنا: كيف يمكن تحقيق أرباح هائلة - كما تفعل الشركات الكبرى في مجال التكنولوجيا- على الرغم من أن عالم المنافسة الرأسمالية يدفع إلى ابتكار تقنيات تؤدي إلى تكلفة هامشية صفرية؟

في الواقع، هناك طريقتان لتحقيق ذلك: إحداها تقليدية، والأخرى جديدة تمامًا. فالأولى معروفة جدًا لدى علماء الاقتصاد ويمكن توضيحها بمثال شفرات الحلاقة "جيليت Gillette"؛ ففي أوائل القرن الماضي، أطلق King Camp Gillette شفرة حلاقة الأمان الشهيرة التي من المفترض أن تحل محل شفرات الحلاقة القديمة لحلاقي ذلك الوقت. في البداية، لاقت فشلاً ذريعاً، حيث لم يتمكن من بيع سوى 51 شفرة حلاقة، ثم توصل إلى فكرة عدم التخلي عن منتجاته مجاناً، ولكن بيعها مقابل لا شيء تقريباً وبخسارة لموزعين خواص، بما في ذلك البنوك والشركات، لجعلها هدايا ترويجية. ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي الملحقات، لأنه لاستخدام شفرة الحلاقة من الضروري شراء شفرات الحلاقة القابلة للتخلص منها، وعلى هذه الشفرات

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 106, 108.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يحسب "جيليت" هوامش مربحة. وبالتالي، تولد شفرة الحلاقة المجانية أرباحاً كبيرة من خلال كونها منتجاً جذاباً لمنتج آخر ضروري لعمله<sup>1</sup>. نجد نفس المنطق اليوم عندما يتم تقديم هاتف محمول مجاناً بشرط أن تأخذ هاتفاً مع اشتراك هاتف لعدة سنوات، ونفس الشيء لوحدة تحكم ألعاب الفيديو أو آلة القهوة بأسعار مخفضة حتى نشترى الألعاب أو الكبسولات اللازمة لاستخدامها. في هذه الحالة، فإن المجاني ليس في الواقع سوى مجاني زائف.

يختلف الأمر مع النموذج الذي أنشأته Google وفيسبوك، كذلك حتى لو كانت النتيجة هي نفسها، كسب المال من المجاني؛ لأن هناك، كما رأينا في تحليل "الذيل الطويل" أو "التكلفة الهامشية الصفرية"، أصبح المجاني، على الأقل بعد الاستثمار، مجانياً حقاً. لكن كيف لشركات مثل جوجل أو فيسبوك تزف مئات المليارات من الدولارات وتحقق أرباحاً مذهلة كل عام دون جعل المستخدمين يدفعون أي شيء؟ في الواقع، كما يقول شعار شهير الآن: "إذا كنت لا تدفع شيئاً ظاهرياً، فهذا يعني أنك المنتج"، وهي صفة تُنسب إلى الرئيس التنفيذي لشركة Apple تيم كوك (Tim Cook) (1960-)، الذي قصد من خلالها انتقاد أرباح فيسبوك وجوجل الخبيثة على وجه التحديد. فإذا لم يجعلونا ندفع أي شيء عند استخدام خدماتهم، فذلك لأنهم يجمعون من خلال تصفحنا المتنوع معلومات لا حصر لها عنا، يتم بيعها بأسعار باهظة الثمن للشركات التي تستخلص منها دروساً قيمة لاستهداف عملائها. لذلك، نواجه ما يسميه خبراء الاقتصاد "أسواق ثنائية الجوانب"، جانب مجاني للأفراد، والجانب الآخر مدفوع للشركات. فما هو القاسم المشترك بين جوجل والصحف المجانية وملفات pdf؟ هذه هي الأنشطة التي يتميز فيها أحد جانبي السوق -جانب المستهلكين- بالمجان؛ إذ لا يتم الدفع عند استخدام محرك البحث جوجل، أو عند قراءة صحيفة مجانية، أو عرض ملف pdf. لكن هذه الخدمات تستهدف أيضاً عملاء آخرين كالشركات التي ستضطر إلى دفع مبالغ باهظة مقابل وضع إعلان أو إنشاء ملف pdf. إذن جانب واحد من السوق مجاني، والجانب الآخر مدفوع. هذه هي السمة المميزة للأسواق ثنائية الجوانب<sup>2</sup>. هذا هو أحد المصادر الرئيسية لقيمة "البيانات الضخمة" التي يتم بيعها للشركات، وتثري باستمرار بفضل مليارات الأجهزة المتصلة التي تنتشر باستمرار على الإنترنت. لذلك، فإن المجاني الوهمي مربح للغاية لأولئك الذين يتقنون فن استخدامه؛ حيث يتم إدارة الشبكات الاجتماعية المجانية ظاهرياً كشركات خاصة ذات غرض ربحي بحت، إذ نرى مدى ما إنتاج اقتصاد الشبكة الذي يتطور بشكل كبير من خلال التقنيات الجديدة والأجهزة المتصلة، عالماً يتميز بكل ما نريد باستثناء

<sup>1</sup> Ibid, p 109.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 109, 110.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

نهاية الرأسمالية. فما نعيشه في الاقتصاد الجديد هو، في نفس الوقت، موجة قوية من إلغاء القيود ومعادية لدولة (Uber poss مثلاً)، وظهور أرباح مجانية سريعة وضخمة كما يتضح من الأرباح الاستثنائية التي حققتها شركات مثل Airbnb وUber وBla Bla Car وVente-Privee.com والعديد من الشركات الأخرى التي تربط الأفراد بالمهنيين التقليديين (في هذه الحالة الفنادق، والسيارات الأجرة، وشركات تأجير سيارات، والمتاجر الكبرى، وما إلى ذلك) متجاوزين الوسطاء -على عكس ما يزعم البعض عن نهاية الرأسمالية- فإن ما نشهده هو انفجارها المتشدد والتجاري تحت ستار مجانية لطيفة ومخادعة، سواء كانت شبكات اجتماعية كبيرة أو شركات ناشئة مبنية على نموذج Uber، فإن الهدف النهائي يظل هو نفسه، كسب أكبر قدر ممكن من المال في أسرع وقت ممكن.

يمكن طرح سؤالين رئيسيين في ظل هذه الممارسات الجديدة: أولاً: من هو المالك الشرعي لهذه البيانات؟ هل هي كما يقول القانونيون "res-nullius"، "شيء لا يملكه أحد"، مثل الهواء في السماء أو مياه الأمطار التي تنتمي للجميع؟ ألا ينبغي أن تظل بدلاً من ذلك ملكية الأفراد الذين ينشئونها؟ وثانياً: هل البيانات التي يتم جمعها من تصفحنا المتنوع هي بيانات عامة أو خاصة؟ يمكن الوصول إليها للجميع، أم محمية بنظام وصول محدد؟

الحقيقة هي أن الغالبية العظمى من البيانات الشخصية مفتوحة اليوم أمام الشركات الكبرى لتكنولوجيا المعلومات، بدءاً من GAFA، ولكن أيضاً أمام الشركات الخاصة مثل Traget، Griteo، Axicon، التي تستحوذ على البيانات الضخمة لاستخلاص جميع أنواع المعلومات منها من خلال تحليلات خوارزمية، وتتاجر بها، أي تصبح حياتنا الخاصة عبارة عن بضائع، وهذا ما تعنيه عبارة: "إذا كان الأمر مجانياً فأنت المنتج"، وبعبارة أخرى "إن لم تدفع شيئاً فأنت البضاعة"، والمقصود بـ "أنت" أي بياناتك الشخصية التي تصبح "النفط الجديد" الذي يُباع بأسعار باهظة. لهذا يُعتقد أننا جد بعيدون عن عالم الشبكات الاجتماعية غير الربحية والمعادية للرأسمالية<sup>1</sup>.

لنفترض أن شركة التأمين الخاصة بنا تستطيع النظر إلى الآثار التي نتركها نحن أو أحبائنا على شبكة اجتماعية معينة، أو حتى البيانات التي باعناها لهم شركة متخصصة في هذه التجارة الجديدة، وبالتالي يمكن اكتشاف أننا مصابون بمرض خطير أو أن لدينا التزاماً سياسياً معيناً، أو عادات معينة، أو تفضيلات لا تناسبهم. وهنا سوف نجد أنفسنا محاصرين بالطبع تنفي الشركات الكبرى التي تتاجر بالبيانات الضخمة؛

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p p 112, 113.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بأنها "تخفي هوية" البيانات التي يتم جمعها، لكن الحقيقة هي أنه لا يوجد شيء على الإطلاق يسمح لنا بالتأكد من ذلك. ففيسبوك، مثلاً، تم اتهامه سابقاً بتزويد وكالة الأمن القومي الأمريكية. علاوة على ذلك، فإن فعل "تخفي الهوية" يحد ذاته مقلق، لأنه يعني أن البيانات ليست مجهولة الهوية بطبيعتها. وهكذا تم التنصت على جميع رؤساء الدول والحكومات الأوروبية على نطاق واسع، حتى في أكثر رسائلهم خصوصية، من قبل أجهزة الاستخبارات الأمريكية الكبيرة، خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2011، حيث أقرت الحكومة "قانون باتريوت" الذي يمنح السلطات الأمريكية الحق في الوصول المباشر إلى البيانات السحابية المخزنة على خوادم الشركات الأمريكية<sup>1</sup>. وهنا يخلص فيري إلى أن المجاني مربح للغاية لأولئك الذين يتقنون فنون استخدامه، إذ تتم إدارة الشبكات الاجتماعية المجانية كشركات رأسمالية خاصة ذات أهداف ربحية بحتة. ولمواجهة صعود هذه التقنيات الجديدة حسبه، سيكون علينا التفكير في قواعد جديدة إذا كنا نريد على الأقل إدخال الحد الأدنى من التنظيم الأخلاقي في هذه الأمور.

نجد كذلك هذه التطبيقات الكبرى على الويب مثل جوجل، فيسبوك، وتويتر، تستغل قواعد المشاركة التي حققت لهم نجاحاً كبيراً؛ لأنهم يبيعون بعد ذلك - إلى أعلى مزارد - البيانات الضخمة للمعاملات التي تمر عبرهم. والمشترون هم الشركات التجارية التي تستخدمها للإعلان المستهدف، وحملات التسويق، وجهود البحث، وتطوير منتجات وخدمات جديدة، والعديد من المشاريع التجارية الأخرى. هذا، وتستغل هذه التطبيقات الموارد المشتركة لأغراض تجارية؛ بمجرد أن يتصل المستخدم بموقع "الويب" لشبكة اجتماعية، يتم على الفور التقاط إحداثيات المستخدم الحيوية دون علمه، على الأقل حتى الآونة الأخيرة، ويتم امتصاصها في الصوامع، وحبسها، وتسويقها<sup>2</sup>؛ خاصة وأن هذه الشبكات عبارة عن شركات تجارية لديها مصلحة في زيادة أرباحها عن طريق بيع معلومات عن مستخدميها إلى جهات خارجية، بينما يتطلع المستخدمون إلى تحسين اتصالاتهم الاجتماعية. وبعبارة أخرى، تدير هذه الشركات "موارد اجتماعية مشتركة" كشركة تجارية.

ينتهي فيري بعد هذا التحليل للاقتصاد التشاركي وأسسهِ إلى أن نبوءة ريفكين حول مجانية النت والمواقع الاجتماعية ستؤدي إلى نهاية الرأسمالية غير واقعية؛ بل ما نشهده هو انفجارها الليبرالي المتطرف، أو التحرير التجاري، والذي ينتشر أمامنا تحت ستار المجانية. وحسبه، فإن خطأ ريفكين الأساسي هو الخلط بين القاعدة والاستثناء؛ فبالنسبة له يجب أن تكون القاعدة هي المجانية في اقتصاد تعاوني غير ربحي. صحيح يمكن استحضار حالة ويكيبيديا كمثال، والتي تقدم خدماتها بدون ملفات تعريف الارتباط أو الإعلانات؛

<sup>1</sup>Ibid, p 113.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 114.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بهذه الطريقة تبدو غير مهتمة حقاً، كما تفعل العديد من التطبيقات الأخرى مثل شبكات المرضى الذين يتعاونون بحرية لمشاركة تجاربهم وآمالهم واكتشافاتهم<sup>1</sup>. لكن لا يمكن الخلط بين هذه الاستثناءات والقاعدة العامة التي تنص على أن المجاني لا يستخدم إلا لتوليد الأرباح، سواء كان الأمر يتعلق بشبكات التواصل الاجتماعي الكبرى أو الشركات الناشئة المبنية على نموذج Uber، فإن الهدف النهائي كما هو الحال بالنسبة لأي شركة رأسمالية، يظل دائماً القيمة المضافة.

من المتوقع أن يؤدي التقدم التكنولوجي إلى إعادة تكوين المجتمعات وفقاً لشروط ومواصفات جديدة، من أهمها حدوث تغييرات في طبيعة وأنواع السوق وفرص العمل، واختفاء وظائف ومهن ونشوء أخرى، والاستغناء عن مواقع العمل الثابتة لصالح مواقع عمل متحركة لا تحتاج إلى مكاتب وأبنية وتجهيزات مشتركة كبيرة، وضمور التجمعات السكنية الضخمة القريبة من مواقع العمل لصالح تجمعات سكنية أصغر، وانتقال للعيش في مناطق بعيدة عن المدن، ما يخفف الأعباء عنها والاكتظاظ فيها. كما ستزدهر الوظائف المرتبطة بالتكنولوجيا المتقدمة والمجتمع المعرفي، وأهمها الوظائف الافتراضية، مثل مدير متجر افتراضي أو مصرف افتراضي، والوظائف المتعلقة بالذكاء الاصطناعي والروبوتات على أنواعها وصيانتها وبرمجتها وتطوير بنية الأعمال الخاصة بها. كما ستزدهر الوظائف المتعلقة بالنقل الذاتي من سيارات وطائرات وقطارات وهندستها وبرمجتها، وسيكون المهندسون المبتكرون والمصممون الأعلى أجراً، ومن بينهم مهندسو التكنولوجيا المتقدمة "بلوك تشاين"، ومهندسو الصناعات الثلاثية الأبعاد<sup>2</sup>. وسيجري توظيف طاقات كبرى في مجال تطوير الحواسيب الكمومية والقادرة على التعامل مع الصوت والصورة ومع الأحاسيس والإحساسات، وتقنيات تكنولوجيا "إنترنت الأشياء"، والصناعات الدقيقة والنانوية، وأنظمة الاستشعار عن بعد، ومصممي ومطوري المهن الذكية، والأبنية الذكية، ووسائل النقل الذكية، وفي مجال الطاقة الذكية.

في موازاة تطور الإنترنت والذكاء الاصطناعي، ستزداد الحاجة إلى مطوري صناعة الأمن الإلكتروني والأمن السيبراني، وصناعة أسلحة دفاع وهجوم إلكترونية وسيبرانية وافتراضية، وبرمجيات حماية الممتلكات الاقتصادية والعسكرية وقواعد البيانات على أنواعها، بالإضافة إلى برامج مكافحة أعمال الغش والتزوير والتحليل وكشف حقيقتها وأصولها. وهذا ما سيتطلب إعادة تكوين مهارات الشباب الجدد القادمين إلى سوق العمل وتزويدهم بمهارات إضافية لتلبية الحاجة إليهم. ونتيجة استخدام تقنيات متقدمة في الكشف عن

<sup>1</sup> Ibid, pp 114,115.

<sup>2</sup> عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية، ص 57، 58.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأمراض وعلاجها وتطوير أجهزة دقيقة ومعقدة في التصوير والكشف والجراحة والعلاج، كالروبوتات الدقيقة الذكية وغيرها...، سيحتاج القطاع الصحي إلى عمالة ذكية مزودة بشهادات ومهارات جديدة غير رابحة حالياً، ما يستدعي إعادة تعديل البرامج التعليمية الصحية وإنشاء مختبرات جديدة، وغير ذلك لتخريج الكوادر المؤهلة للعمل في القطاع الصحي المتقدم<sup>1</sup>. ومع ازدهار العملات الرقمية والافتراضية، واختفاء العملات الورقية لصالح تبادل تجاري رقمي يخفف من وطأة التفاعلات المصرفية المباشرة وتعقيدها ومشاكلها لصالح المصارف الافتراضية، سيحتاج العالم إلى وظائف وأصحاب مهارات جديدة تسمح بالتعامل مع البنوك الافتراضية والعملات الرقمية.

ساهم -فيما بعد- التقدم العلمي في مجال الفيزياء والكيمياء، وفي حقول الإلكترونيات والكهرو-مغناطيسيات في إدهاش العالم، ونشر المعلوماتية وأدواتها في كل منزل، وسيادة الذكاء الاصطناعي والروبوتات على الصناعة والزراعة، ودخولهما بقوة إلى سوق العمل، هذا ما يؤدي إلى نهاية الرأسمالية.

### 2-نهاية الرأسمالية أو الليبرالية المتطرفة:

يتساءل فيري: هل سنعيش، وكما يدعي ريفكين "المرحلة الأخيرة من الرأسمالية"؟ هل سيتزامن انهيارها مع نهاية العمل الذي سيحل محله الروبوتات والعالم الافتراضي؟ هل سنشهد ولادة الـ "Couchsurfing" أي تبادل الشغف بين الأفراد، على غرار Airbnb؟ والـ "CrowdSourcing" أي الاستهلاك التشاركي من قبل الأفراد الذين يتجاوزون Bla Bla Car؟ والـ Crowd Funding أي التمويل التشاركي من قبل الأفراد الذين يتجاوزون البنوك التقليدية؟ وربما حتى Love Surfing أي الحب التشاركي، غير الحصري وغير التملكي؟

يصف فيري هذه الأفكار التي يدعو إليها ريفكين بالمثالية، حيث انطلق من فكرة أساسية، وهي أن المنطق التنافسي للرأسمالية نفسها يجعل المنافسة تجبر الشركات الأخرى على فعل كل ما يلزم لخفض تكاليف الإنتاج وبالتالي تقليل الأرباح. ومع ذلك، يسمح لنا ظهور البيانات الضخمة والأشياء المتصلة بالتبادل بين الأفراد بتكلفة تكاد تكون معدومة لذلك سنقوم وفقاً لـ ريفكين بدخول مجتمع جديد قريباً جداً، الذي سيكون قائماً في جميع جوانبه على قيم معاكسة لقيم الإنسان الاقتصادي الرأسمالي القديم. إذن في هذا العالم الرائع، المليء باللطف والإنسانية: سيحل التعاون محل الفردانية، سيحل الاستخدام المشترك محل الملكية الخاصة، الخدمات محل السلع، غير المادي محل المادي، الذكاء الجماعي محل الفردي، المجانية محل التجارة،

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 59.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الدائم محل التخطيط، التعاون محل المنافسة، الاهتمام محل الأنانية، المشاركة محل التملك، مراعاة الأجيال القادمة محل المدى القصير، التجارة العادلة محل استغلال العالم الثالث<sup>1</sup>.

كل هذا سيحقق سعادة الإنسانية لأنها ستبدأ في التخلي عن مكانها للشبكات، وستصبح الملكية أقل أهمية، وسيتم تحقيق السعي وراء المصلحة الشخصية من خلال جاذبية المصالح التعاونية، وسيتم استبدال الحلم التقليدي بالثراء الشخصي بالعمل من أجل تحسين نوعية الحياة المستدامة، وستصبح مشاركة المعلومات والقدرة على التنقل أكثر سهولة. وسيتم تلبية احتياجاتنا من خلال شبكات مفتوحة بدلاً من الشركات المركزية، وستطور أشكال جديدة من التعاون، وستصبح منصات الإنترنت أدوات قوية للتغيير الاجتماعي، وسيتم استخدام البيانات لجعل حياتنا أكثر كفاءة واستدامة. لأن الإنترنت يجمع بين الاتصالات والطاقة واللوجستيات في نظام واحد، ما يوفر لنا المعرفة والإدراك والأدوات المادية اللازمة لدمج البشرية جمعاء في شبكات عالمية مترابطة تغطي جميع جوانب المجتمع، من خلال ربط جميع الأنشطة البشرية بشبكة عالمية ذكية تخلق كياناً اقتصادياً جديداً -الاقتصاد التعاوني-. حيث اعتمد الكيان القديم للثورة الصناعية الأولى والثانية على مصفوفة الطاقة والاتصالات والشبكة اللوجيستية التي تتطلب رأسمال ضخماً، لذلك كان من الضروري تنظيمه في شركات مركزية ذات تكامل عمودي لتحقيق وفرة الكمية.

لقد أثبت النظام الرأسمالي وآلية السوق أنهما أفضل الأدوات المؤسسية لتعزيز هذا النموذج. ولكن، الكيان الاقتصادي الجديد للثورة الصناعية الثالثة، أي الثورة التي تعتمد على الإنترنت الرابعي، كما ذكرنا سابقاً، فهي تتطلب رأس مال أقل ورأس مال اجتماعي أكبر، إنها تدمج أفقياً وليس عمودياً، حيث تعمل بشكل أفضل عندما يتم إدارتها من خلال الموارد المشتركة وليس من خلال آلية السوق الرأسمالية البحتة. بينما كان النظام القديم يعزز المصلحة الشخصية المستقلة في السوق الرأسمالية، فإن النظام الجديد يعزز التعاون العميق على الشركات المشتركة.

تعتمد هذه الفرضية بأكملها على فكرة أن رقمنة العالم ستؤدي حتماً إلى تكلفة هامشية صفرية ومعها إلى ربح أقل، حيث تكون الاستثمارات الأولية في الثورة الصناعية الثالثة أقل من الثورتين الأولى. والمثال الذي يقدمه فيري هنا هو خدمة iTunes كما رأينا، بعد تعويض الاستثمارات، فإن تكلفة تخزين وتوزيع فيلم أو قطعة موسيقية تساوي صفرًا. بعبارة أخرى، إذا كان الأمر يتطلب 1000 بيع لأغنية لسداد تكاليف شراء الحقوق والتخزين وتوزيعها، فإن 1001 لا تكلف شيئاً. وفقاً لمنطق معروف لعلماء الاقتصاد

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 116.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الكلاسيكيين، فإن الأرباح تميل أيضاً إلى الصفر -على الأقل باستثناء هذا- وينسى ريفكين على الفور أن المنطق الصحيح فقط إذا كان بإمكان الجميع القيام بذلك، أي إذا ظهرت أعداد هائلة من المنافسين الذين يمكنهم أيضاً الإنتاج بتكلفة هامشية صفرية. لكن هذا هو الاستثناء وليس القاعدة على الإطلاق. فقد يكون هذا صحيحاً يوماً ما في مجال بعض مصادر الطاقة، كما هو الحال بالفعل في مجال البث المباشر الذي ينافس البرامج مثل iTunes والذي على وجه التحديد، لهذا السبب قام بإنشاء موقعه الخاص للبث المباشر بعد أن لاحظ أن عدداً كبيراً من المستخدمين لم يعودوا يشتررون الأفلام والموسيقى على منصة أبل Apple، لكنهم يشاهدونها ويستمعون إليها مجاناً من خلال البث المباشر، وهو أمر قانوني إذا كانت حقوق النشر مجانية أو إذا تم دفع اشتراك ضئيل<sup>1</sup>.

يؤكد فيري على أن هذا الموقف بعيد كل البعد عن القاعدة، لأن اهتمام كل الشركات الرقمية هو بالضبط إنشاء حواجز مع silos وenclosures لحماية أنفسهم من المنافسة الشرسة ومن أجل إنشاء شبكة احتكارية. ولهذا الغاية أربعة معايير ضرورية: الحجم، وكمية العرض المتاحة للشراء، ولكن أيضاً الابتكار في الجودة والخدمات -مع اللجوء المنتظم إلى براءات الاختراع- وكذلك العلامة التجارية. من الواضح أنه لأخذ هذه الأمثلة لنجح Uber وBLA Bla Car وAirbnb في إنشاء شبه احتكارات في مجالهم، أي سحق جزء كبير من المنافسة، بحيث يكون محاذاة الربح مع الصفر عندما تكون التكلفة الهامشية نفسها صفرًا هي الاستثناء. ومرة أخرى، يجزم فيري بأن أطروحة ريفكين ستكون صحيحة إذا كان بإمكان الجميع الإنتاج بتكلفة هامشية صفرية، لكن ليس الجميع مثل iTunes وAirbnb وBLA Bla Car، فعلى النقيض من الاستثمارات الأولية الضخمة والمحفوفة بالمخاطر وعندما تم فرض العلامة التجارية فقد اكتسبت سمعة عالمية، ومن الصعب جداً منافستها، وهذا بالطبع يتحقق في العالم الحقيقي الذي لا يشبه بأي حال من الأحوال العالم المثالي الذي رسمه ريفكين حول نهاية الرأسمالية، الذي يصفه بالهذيان الأيديولوجي أو مجرد وهم. ففكرة أن الاقتصاد والتكلفة الهامشية الصفرية يعني نهاية الربح مضحكة وساذجة<sup>2</sup>.

إن الواقع حسب فيري أكد عكس ما تنبأ به ريفكين، ويرجع ذلك إلى سبب بسيط للغاية: تؤدي التكلفة الهامشية الصفرية إلى زيادة الابتكار، الذي يسمح على الدوام بإعادة إنشاء احتكارات مؤقتة، منها يتم استخلاص الربح، حيث يتم التحكم في كل سوق في الاقتصاد الرقمي لفترة من الوقت من قبل عدد قليل جداً من الجهات الفاعلة، أو حتى من قبل جهة فاعلة واحدة مهيمنة. على العموم، ويكفي مقابلة

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 117, 118.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 118.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بعض رواد الأعمال المؤسسين للشركات الناشئة في حياتنا للتأكد من أن عدم الاهتمام ليس فضيلتهم أو شغلهم الشاغل الأول. أما بالنسبة لمستخدمي خدمات منصات Uber وBla Bla Car وAirbnb، فإن دافعهم الرئيسي -وهو مشروع تماماً- هو المصلحة والرغبة في توفير المال من خلال الوصول إلى خدمات عالية الجودة دون المرور عبر الوسطاء باهضي الثمن، في أي ما يتعارض مع روح التجارة للرأسمالية مع منطق الإنسان الاقتصادي<sup>1</sup>.

في الحقيقة، يقودنا الاقتصاد التعاوني وفق رؤية فيري، هي أن الاقتصاد التعاوني يقودنا إلى عصر الرأسمالية الذي أصبح أكثر تنافسية من أي وقت مضى، وسيكون الليبرالي الحقيقي قادراً على أن يتهج، وهذا حقه، ولن يمنعه شيء في هذا العالم غير الجديد في نهاية المطاف من النضال بشجاعة ضد الاحتكارات، لكن لا ينبغي الإقرار بأن هذه هي الرأسمالية، بل على النقيض تماماً، هذا يعتبر ظهوراً للرأسمالية المفرطة الذي لا يبطل منطقته الأساسي بأي حال من الأحوال، المتمثل في تدمير الأخلاق.

هناك حجة أخرى قدمها ريفكين لدعم أطروحته حول نهاية الرأسمالية -والتي انتقدها فيري كذلك- وهي أن شباب اليوم، على عكس أجدادنا، سيكونون مختلفين تماماً؛ سيفضلون الاستخدام على الملكية، والمشاركة على التملك، والدائم على العابر، والاهتمام بالعالم على الأنانية، والبيئة على استنزاف الكوكب. وباختصار، سيعيشون على الحب والماء العذب، وسينصرفون تماماً عن عالم المال والربح، والإيثار سيتغلب على الفردانية. إذ إن شباب اليوم، ومن خلال ربطهم ببعضهم البعض في الفضاء الافتراضي والمادي، يزيلون الحواجز التجارية التي ظلت لفترة طويلة تفصل آخر الحدود الأيديولوجية والثقافية وتفصل بين الخاص والعام في نظام رأسمالي يعمل من خلال علاقات الملكية الخاصة. فانفتاحهم الجديد ينسف الجدران التي ظلت تقسم البشر لفترة طويلة، وشبكاتهم العالمية تربط جميع سكان الأرض وتنشر التعاطف<sup>2</sup>. هذا، ويواصل ريفكين التأكيد وكأنها علامة على نهاية الملكية الخاصة، وبالتالي الرأسمالية، فالشباب مثلاً يتخلون بشكل متزايد عن شراء سيارة خاصة مقابل الاتجاه نحو مشاركة الركوب أو Autolib<sup>3</sup>. لكن حسب فيري، هذا التخلي المزعوم ليس بالطبع له أي علاقة على الإطلاق بأي تخلي عن الملكية الخاصة، ولكن كل شيء يتعلق بحقيقة أن امتلاك مركبة أصبح ببساطة لعنة بسبب التحضر الهائل للمجتمعات الغربية. فالتأمين ومواقف السيارات

<sup>1</sup>Ibid, pp 119, 120.

<sup>2</sup> Ibid, p122.

<sup>3</sup>جيرمي ريفكين، الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة، ترجمة: صباح صديق الدمولوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (دط)، 2009، ص

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والصيانة أصبحت الآن باهظة الثمن بل وربما يتعذر الوصول إليها بالنسبة للشباب، خاصة في المدن الكبرى. وعليه، فإن المثل الأعلى للتنقل السلس الذي كانت تجسده السيارة في الخمسينيات من القرن الماضي قد انقلب إلى عكسه، وفقاً لعملية يمكن لشخص هيجلي أن يصفها بـ "الجدلية"؛ فازدحام المرور، والمحظورات المتنوعة، والقيود المفروضة على السرعة، قد حلت محل السيولة والحرية التي وعدتنا بها السيارة. وليس الهدف هو الاهتمام بالآخر.

إن العديد من الباحثين في دراساتهم حول مواقع التواصل الاجتماعي أكدوا في النتائج بأنها قد نشرت الميل إلى الأنانية والانغلاق على الذات ومن الواضح أنه إذا كانت الأجيال الشابة تشجع Autolib أو BLA Bla Car أو Hitch أو Uber Pop في الماضي؛ فليس ذلك على الإطلاق بدافع حب المشاركة أو الاهتمام بالآخرين أو رفض الرأسمالية الوحشية وغيرها من السذاجة التي يتساق لنا من طرف أفكار ريفكين. فسائق Uber zed مثلاً هو مجرد مدرس في الثانوية يتحول إلى سائق بعد ساعات الدوام، لهذا يقدم تكلفة أجر أقل<sup>1</sup>.

كما يذهب فيري بعد ذلك إلى مظهر آخر من مظاهر نهاية الرأسمالية حسب ريفكين - ألا وهو نهاية العمل - في البداية، يضع فيري تحذيراً لفكرتين موجودتين في كل مكان: أولاً، أن الأوبر AuUber ورقمنة العالم مفهومان متطابقان عملياً؛ ثانياً، تلك التي تدعي أن جميع المهن قابلة للترقية أو قابلة للرقمنة. لفهم الأمور بشكل صحيح، يمكن القول إن هناك العديد من المهام المتكررة في مهن معينة هي التي يمكن رقمنتها، في حين أن أغلب المهن بعيدة كل البعد عن أن تكون قابلة للتغيير. ولنكون أكثر دقة، يمكن القول إن AuUber ليست رقمنة، ومثال ذلك أن Airbnb التي تمكن شخصاً ما من مشاركة شقته مع شخص آخر مقابل رسوم بفضل تطبيق رقمي. ولكن هذه العملية التجارية، التي تتكون من تجاوز المهنيين التقليديين، لا تخضع للرقمنة بالمعنى الدقيق. ومن ناحية أخرى، تتضمن العملية تلقين بعض المهام البسيطة، مثل فرز ملف العناوين مهمة كانت تقوم بها السكرتيرة يدوياً قبل عشر أو خمس عشرة سنة، والتي يقوم أي كمبيوتر اليوم بتنفيذها في أقل من ثانية واحدة بدلا منها. ومع ذلك، هذا لا يعني بأي حال من الأحوال اختفاء السكرتيرة، بل سيتم تلقين المهام الميكانيكية المملة للكمبيوتر، ولكن ستظل مهنة السكرتيرات قائمة<sup>2</sup>.

ثانٍ منطق الرأسمالية هو "الإبداع المدمر"، بمعنى أن الابتكارات التكنولوجية تمكن من زيادة الإنتاجية وتوفير منتجات وخدمات جديدة باستمرار. تدمر الوظائف كذلك باستمرار، ولكن يبقى التحدي هو أن

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 122, 124.

<sup>2</sup>ibid, p 125.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذه الوظائف القديمة سيتم استبدالها بشكل دائم بوظائف أخرى يتم إنشاؤها على وجه التحديد من خلال الابتكارات. وبالتالي، فإن الرأسمالية هي عالم من الاقتلاع الدائم، ولكن من الخلق الدائم أيضاً، هذا ما يسميه فيري بالإبداع المدمر<sup>1</sup>. فالأشياء الجديدة المستهلكة، وأساليب الإنتاج والنقل الجديدة، والأنواع الجديدة من التنظيم الصناعي، كلها من صنع المبادرة الرأسمالية.

إن فتح أسواق وطنية أو أجنبية جديدة، وتطوير منظمات إنتاجية من الصناعات الحرفية والتحويلية إلى الشركات المدججة، هي أمثلة واضحة على عملية التغيير الصناعي الذي يحدث ثورة مستمرة في الهيكل الاقتصادي من الداخل، ويدمر باستمرار وظائفه العتيقة، ويخلق باستمرار وظائف جديدة. ما يلفت النظر في هذه الفكرة، في رأي فيري، هو أن للابتكار جوانب إيجابية تلك المتعلقة بالتقدم. ومع ذلك، هناك العديد من الجوانب السلبية لا تزال مرتبطة بشكل جوهري بمنطقها اللازم<sup>2</sup>. فمن جهة ندرك، كم غيرت وسهلت الإنترنت حياتنا إلى حد أنه لا يفكر أحد الآن في الاستغناء عنها. ولكن بالنسبة للرأي العام، الذي ينظر إلى المدى القصير، ومنه لا يدرك مسبقاً الجوانب التقنية للابتكار على المدى البعيد، وبالأحرى طبيعة تأثيراته المحتملة على الصحة، ومستوى المعيشة، والعمل، وحتى الحرية؛ إذ يلحظ جوانبه السلبية كالتفكك الدائم للهيكل الاجتماعي، ومرونة مقلقة، وزيادة في البطالة، وصعوبة إعادة التأهيل، مما يجعل الابتكار يبدو أكثر تدميراً وليس إبداعاً.

من هنا أتت الانتفاضات التي رافقت دائماً حركة الإبداع المدمر الجوهري للرأسمالية؛ مثلاً انتفاضات اللوديت (مناهضي التقنية) الإنجليز عام 1811، أو العمال النساجين الليونيين في عام 1831، الذين هاجموا آلات النسيج ودمروها لأنها، من وجهة نظرهم، لا تفعل سوى تدمير وظائفهم التي تعتبر في حد ذاتها تقدماً، لأنها تحرر البشر من المهام المتكررة والمملة، لكن بالنسبة لهم صورة للعدو نفسه، لهذا الخصم المخوف الذي هو البطالة. وفي ظل الأحداث الحالية، هناك حوالي 3000 مكتبة في فرنسا - مثلاً حدث مع متاجر الأقراص - ستعرض لهجوم مباشر من قبل أمازون. قد تخلق "أمازون" وظائف أخرى بالتأكيد، ولكنها ليست نفس الوظائف وتكون قليلة. كما أن إرسال رسائل البريد الإلكتروني في ثوانٍ إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة تكون صفيرية من حيث العمالة قد وجه ضربة قوية لخدمات البريد في جميع البلدان. فالرقمنة حلت محل العمل البشري في قطاع الخدمات اللوجستية بأكمله. ثم إن الروبوتات والذكاء الاصطناعي قد يقضي على العمل البشري بسرعة في الخدمات، في السكرتيريات، وموظفو الوثائق والاستقبال، ووكلاء السفر،

<sup>1</sup>Luc Ferry, *L'innovation destructrice*, Flammarion, Paris, 2014, pp 13,14.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *L'innovation destructrice*, pp 17, 20.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وموظفو البنوك، وأمناء الصناديق، والعديد من الموظفين الآخرين في الخدمات، قد اختفوا تقريباً خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، لأن الرقمنة قللت تكلفة العمل إلى الصفر تقريباً<sup>1</sup>. كما تمثل المظاهرات العنيفة ضد النانو تكنولوجيا، وتخريب الأجهزة البيومترية في مدرسة جيف سور إيفيت، وتدمير حقول الذرة المعدلة وراثياً... كلها أعمالاً متطرفة مدفوعة بنفس المخاوف بشأن تأثيرات التقنيات الجديدة على الصحة والبيئة والحريات العامة، وتعكس هذه الأعمال وجود حركة احتجاج واسعة النطاق ضد المخاطر التكنولوجية، حيث تستعيد هذه الحركات المعارضة مصطلح العلوم والتكنولوجيا الذي حدده جيلبرت هوتوا في السبعينيات في تأمل حول الأخلاق العملية، وتدين التحالف المتزايد بين العلم والتكنولوجيا ومنطق السوق، ويمثل هذا التحالف بالنسبة لهم شكلاً من أشكال التدهور في البحث الأساسي، الذي يتم التخلي عنه لصالح السعي وراء الربح فقط، والعلم الذي يخضع الآن لقيود التنافسية الدولية. وكما يلاحظ بيير بنوا جولي، فإن الخطاب العلمي الذي يهيمن عليه اليوم الخطاب التكنولوجي، ينطوي على مفارقة غريبة: فإذا كان العلم يدعي الحياد، فإن السياسات العلمية تندرج ضمن تصور نيوليبرالي يتميز بخصخصة براءات الاختراع، وإنشاء الشركات الناشئة، وخضوع نظام الابتكار بأكمله لمنطق التنافسية الاقتصادية. وبتنديدتها برؤية قصيرة الأجل للعلم تهدف إلى أغراض اقتصادية بحتة، كما تنتقد حركة الاحتجاج هذه القادة السياسيين لعدم جعلهم الأولوية لاحتياجات الصناعة فحسب، والتخلي عن القطاعات غير المربحة اقتصادياً على الرغم من فائدتها للمجتمع، والتغاضي عن المخاطر المحتملة والأبعاد الأخلاقية الكامنة وراء التطوير التكنولوجي، وإهمال النقاش المدني<sup>2</sup>. يمكن القول بأن انعدام الثقة في التطورات التكنولوجية، الذي عبرت عنه منظمات مختلفة خلال النقاش حول النانو تكنولوجيا، ينضم هنا إلى عدم الثقة لدى الحركات البديلة في العلم الذي ينظر إليه الآن على أنه ميل نحو النيوليبرالية.

دافع بعض خبراء الاقتصاد عن الافتراض الذي يقول بأننا قد نشهد الآن نمواً بدون وظائف، وصعود شركات من نوع Auber و Airbnb التي حققت أرباحاً هائلة دون خلق وظائف مأجورة، حيث تعمل هذه التطبيقات في الأساس على الإنترنت بواسطة خوارزميات قوية، مما يسمح بتعميم كامل للعمل حيث تقلص حصة الإنسان، الذي يكلف كثيراً وغالباً ما يكون صعباً اجتماعياً هذا هو السيناريو الذي طورته العديد من مراكز الأفكار اليوم، التي تؤكد على أن الوظائف المهددة ليست فقط الوظائف اليدوية، بل جميع المهام، بما

<sup>1</sup> Ibid, p 37.

<sup>2</sup> Pierre Tambourin, *Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies*, le journal de l'école de paris du management, n°47, mars 2004, p32.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في ذلك الفكرية، طالما أنها متكررة بما يكفي لتنفيذها بواسطة الذكاء الاصطناعي، لروبوت أو كمبيوتر. بالإضافة إلى ذلك، إذا كانت هذه الأنظمة قادرة على هزيمة بطل العالم في لعبة "الشطرنج"، فمن الصعب أن نجد ما سيمنعها من تنفيذ عدد معين من المهام بنجاح، كموظف البنك أو أمين صندوق وغيرها<sup>1</sup>.

يرى فيري أن هناك بعض العراقيل أمام هذه التنبؤات، فمن الواضح أن الوظائف التي تتطلب عبقرية ستبقى محصنة لفترة أطول. نفس الأمر ينطبق على المجال الطبي؛ يمكن أن تتم عملية تحليل العينات في المختبر، بالإضافة إلى عدد من الخدمات بشكل تلقائي ورقمي، مثل توزيع الأدوية، ولكن سيظل دور الطبيب حاسماً من حيث التحكم واستراتيجية التشخيص والعلاج، وكذلك العلاقة الإنسانية مع المرضى.

عندما نعود إلى مسألة الإبداع المدمر، نجد أنها تقاوم بشكل جيد تشاؤم نهاية العمل. وهذا لا يمنع بالطبع من العودة إلى المشكلة الاجتماعية والإنسانية التي تطرحها، فماذا نقول للكتاب الذين يغلقون محلاتهم بسبب منافسة أمازون، التي يعتبرونها غير عادلة؟ إنهم لم يديروا أمورهم بشكل سيء؟ إنهم يمارسون مهنتهم بشغف وموهبة، ومع ذلك يتعين عليهم إغلاق أبواب محلاتهم. أليس هذا غير عادل ولا يُجتمَل؟ خاصة أن الوظائف الجديدة التي قد تنشأ بواسطة أمازون لن تكون مناسبة لهم من حيث الذوق أو حتى المهارات. أو أن نخبرهم بأننا سنغلق أمازون كما أغلقنا Auber Bop بطريقة ديماغوجية كمحاولة لتهديتهم، فهذا أمر سخيف. أولاً، لأنه غير ممكن، وثانياً، لأن مثل هذا الإجراء لن يحل شيئاً على الإطلاق. لكن حسب فيري، لا يمكن إيقاف التقدم، فمثل هذا الإجراء هو محاولة لإيقاف نهر الأمازون باستخدام مصفاة شاي. وعليه، فالحل في اعتقاده ليس حماية الوظائف المفقودة، بل في حماية الأفراد، خاصة من خلال التدريب المستمر على هذه التقنيات المعاصرة<sup>2</sup>. فالاستدلال الشهير الذي يقول أن الآلات الحديثة تدمر الوظائف، حيث يؤدي تقدم التقنية إلى البطالة، يتم نفيه من خلال إظهار أن الدمار كان دائماً معوضاً بإبداعات جديدة. ولا شك أن التكنولوجيات الجديدة تعمل على تحسين حياتنا، لكنها تدمر أيضاً الوظائف دون تعويض كافٍ عن الخسائر.

إن الانتقال الذي نعيشه اليوم مختلف، لقد هاجر معظم العمال بالفعل من الصناعة إلى الخدمات، أو يتم ذلك داخل الخدمات حيث يحدث التحول الجديد. والسؤال هو: ماذا يحدث للعمال المهاجرين إذا توقفت إنتاجيتهم الجديدة؟ إن النتيجة واضحة، يتم تقليص إمكانية النمو بشكل كبير. من هنا تأتي ضرورة لتعلم كيفية العيش بدون نمو. ومع ذلك، يقدم بعض خبراء الاقتصاد تحليلاً آخر؛ ليس فقط ستخلق

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 128, 129.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *L'innovation destructrice*, p 53.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكنولوجيا الجديدة نمواً ووظائفها كما لم يحدث في الماضي، بل يكفي التعامل بشكل عقلائي مع مشكلة سوق العمل لحل مشكلة البطالة المؤلمة، كما فعلت سويسرا وألمانيا وهولندا والنمسا، فالحلول بسيطة: تعويض متناقض بشدة يشجع على العودة إلى النشاط، تشريعات جديدة للعمل المستقل الذي سيزيد تدريجياً - مقارنة بالعمل - الراتب، إعادة هيكلة عقود العمل، مرونة وتسهيل التوظيف، تقليص حاد في عدد القطاعات، نهاية العمل 35 ساعة وبعضها إلى 43 ساعة، وأخيراً تحسين التعليم الأولي وتوجيه التدريب المهني بشكل أساسي نحو العاطلين عن العمل<sup>1</sup>. إذن لن تُدمر التكنولوجيا الجديدة النمو أو تزيد من البطالة، بل على العكس ستخلق الثروة والوظائف كما لم يحدث من قبل.

### 3- الإنسان الفائق هو الرأسمال:

إذا كان التطور في ظل الأتمتة والآلية هو نحو اقتصاد الخدمات، فذلك لأن أهم ما يميز الخدمات هو أنها تعتمد بصفة أساسية على العنصر الإنساني، وهكذا نرى أن الحضارة الآلية تنتهي لتصبح حضارة إنسانية، أي أن الأتمتة تتضمن تصعيداً للإنسان، ومن مظاهر هذا التصعيد في الحياة الاقتصادية الاهتمام بما يسمى باقتصاديات الموارد البشرية: التعليم، الصحة وإنقاذ البيئة<sup>2</sup>.

إن الاهتمام بقيمة الإنسان قديم، حيث نجد فكرة **ماركس** حول أن الإنسان هو الثروة الحقيقية، كما نجد تصور مماثل عند **جون ستيوارت ميل** John Stuart Mill (1806-1873)، ولكن الاهتمام الحقيقي بهذا الأمر لم يظهر إلا حديثاً جداً، حيث بين عالم الاقتصاد الأمريكي **ثيودور شولتز** Schultz Theodore (1902-1998) إلى أهمية الاستثمار في رأس المال الإنساني، وعلى وجه التحديد في ميدان الصحة والبيولوجيا، وقد أثارت أفكاره هذه ردود فعل كبيرة حتى أن البعض يعتبرها بمثابة مولد فرع جديد من العلوم الاقتصادية هو اقتصاديات الصحة. ومع الإنسانية المتحولة التي تأثرت بهذه الأفكار في جانبها المتعلق بالصحة والجمال، فإذا كان الاقتصاديون التقليديون قد اهتموا بمخصص الأجور باعتباره المورد الذي يحمي وجود العمال، فإن النظرة المستحدثة لم تعد تقتصر على مجرد حماية هذا الوجود وإنما تتطلب أن تتوافر له كل أسباب الصحة، فالصحة الجيدة شرط أساسي لتحقيق قدرة الإنسان على المساهمة الجادة في الإنتاج<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 132.

<sup>2</sup> حازم البيلاوي، *الأوتوميشن والاقتصاد*، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، عدد 4، الكويت، 1972، ص 95.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 95، 98.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن الإنسان الجديد الذي بشرت به حركة الإنسانية المتحولة يعيد اكتشاف حقيقته وحقيقة العالم عبر مجاوزة محدودياته البيولوجية والعقلية، والاقتصاد المعاصر يراهن عليه، فالإنسان الفائق هو الإنسان الأعلى إنتاجية، بفضل ما قام به من فتوحات إنتاجية جديدة في ميادين البيو تكنولوجيا والعلوم المعرفية والمعلوماتية. لقد أطلقت شركة Affymetrix شريحة DNA تستطيع الكشف تلقائيًا عن علامات السرطان وأمراض أخرى في عينة DNA. ستصل قوة أجهزتنا الحاسوبية إلى الإكسافلوبي (مليار مليار عملية في الثانية)، ثم الزيتافلوبي (ألف مليار مليار عملية في الثانية)، ثم، وبشكل يدعو إلى الدهشة، اليوتافلوبي (مليون مليار مليار عملية في الثانية) خلال سنوات قليلة. أما في عام 2013، طالب الأستاذ المحاضر في "جامعة ستانفورد" بالاجي إس. سرينيفاسان Balaji S. Srinivasan (1980-)، باستقلال "وادي السيليكون" بالطريقة الوحيدة لتحقيق إمكاناته الكاملة هي الانفصال. ودعا لاري بيج Larry Page (1973-)، بعد فترة وجيزة، إلى وضع جزء من العالم جانباً، من أجل التحرر من القوانين التي تعيق الابتكار واختبار تقنيات جديدة مثيرة للجدل، وفي هذا السياق، يستثمر الليبرالي بيتر ثيل Thiel-المؤسس المشارك لـ PayPal- منذ عدة سنوات في مشروع مدينة عائمة مستقلة قبالة ساحل كاليفورنيا<sup>1</sup>.

وكنموذج عن الاستثمار في الإنسان الفائق نجد شخصية نيل هاربيسون، الذي زرع في دماغه جهازًا ثابتًا يسمح له ليس برؤية الألوان بل بسماعها، من خلال عملية تحويل أطوال موجية للألوان إلى أصوات، وهو أول إنسان يذكر في جواز سفره بأنه "سايبورغ". وبنفس الطريقة تقريبًا، وبعد نجاح ثورة الطباعة ثلاثية الأبعاد في الجراحة التجميلية، ووافقت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية على أدوية تم الحصول عليها باستخدام هذه التقنية. أعلنت مجموعة مستحضرات التجميل "لوريال" عن شراكة مع شركة Organovo، وهي شركة ناشئة متخصصة في تقنيات الطباعة الحيوية ثلاثية الأبعاد. ويهدف هذا التعاون إلى تسريع إنتاج عينات الجلد لاختبار منتجاتها الجديدة خلال خمس سنوات. وتصبح لوريال بذلك أول لاعب في عالم الجمال يتحول إلى هذه التكنولوجيا. وهي أخبار جيدة جدًا للحيوانات المخبرية، وهي حيوانات تجارب حية تستخدم في الاختبارات الجلدية، والتي من المتوقع أن ينخفض عددها بشكل كبير<sup>2</sup>.

لقد تحولت النانو تكنولوجيا كمبادرة أمريكية من رؤية ثورية إلى واقع صناعي يحظى باهتمام متزايد، وأوشكت على أن تشكل الثورة الصناعية القادمة. حيث تؤكد النانو-تكنولوجيا، من خلال السماح بالتدخل في قلب المادة، مكانتها كعنصر أساسي للمشروع. في الواقع، إن دمج العلوم الأربعة في NBIC

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p174.

<sup>2</sup>Ibid, p175.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

يصبح ممكناً من خلال الانتقال من النشاط البشري إلى المستوى النانوي مما يسمح بالتلاعب بالذرات والخلايا العصبية والجينات، وبالتالي، من خلال فهم الشفرة المعلوماتية للمادة، أي التحكم في الكل<sup>1</sup>.

تتمتع النانو-تكنولوجيا والتكنولوجيا الحيوية بإمكانات هائلة لتغيير المجتمع. ويقدر البحث العلمي والاستثمارات في التطوير النانو-تكنولوجي حالياً بحوالي تسع مليارات دولار سنوياً لتطبيقات في العديد من المجالات: العلاجات والأدوات الطبية، وتحسين إنتاج الطاقة وتخزينها ونقلها، وتحسين الوصول إلى المياه الصالحة للشرب، والوقاية من التلوث والحد منه، وتطوير مواد أقوى وأخف وزناً، وغيرها. وتمثل التطورات في مجال البحث والتطوير في هذا المجال مصدر قوة كبير للعديد من الدول التي تدخل السباق، فضلاً عن كونها ميزة اقتصادية كبيرة. وفي الولايات المتحدة، لا تتوقف التمويلات المخصصة للمبادرة الوطنية للنانو-تكنولوجيا للبحث والتطوير في مجال النانو-تكنولوجيا عن النمو كل عام، حيث وصلت سنة 2012، إلى مبلغ 2.129 مليار دولار<sup>2</sup>. وإذا كانت بعض تطبيقات النانو-تكنولوجيا متوقعة على المدى الطويل، فإن البعض الآخر متاح بالفعل ويمثل مصدراً للاستثمار غير مسبوق. وبالتالي، فإن البرامج النانو-تكنولوجية تدرج بوضوح ضمن هدف التنافسية الاقتصادية حيث أن وعود تطوير الأسواق عديدة والإمكانات التي تتيحها علوم النانو شبه لانهائية. وقد أثارت هذه الإمكانيات اهتماماً اقتصادياً تدافع عنه، على سبيل المثال، تحالف الأعمال النانوية الذي تأسس في عام 2001، لدى الإدارة الفيدرالية والمبادرة الوطنية للنانو-تكنولوجيا.

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحرز تقدماً كبيراً في مجال التقنيات الناشئة، فإن أوروبا، وخاصة فرنسا، قد تأخرت في الثمانينيات، حيث أدركت السلطات العامة متأخرة الأبعاد الاقتصادية التي تحملها التقنيات النانوية الحيوية. تشتهر فرنسا بأنها واحدة من الدول الرائدة في البحث العلمي، لا سيما في المجال الطبي الحيوي حيث لا يزال هناك تقليد من التميز يتضح من دور لويس باستور Louis Pasteur (1822-1895) في نشأة علم الأحياء الدقيقة، ودور الفرق الفرنسية في تحديد فيروس الإيدز وكذلك الاكتشافات في علم الأحياء الجزيئي. ومع ذلك، يعاني البلد من تأخر معين فيما يتعلق بالتقنيات الناشئة<sup>3</sup>. وهو وضع يعكس ليس فقط تأخر أوروبا في هذا المجال، بل يعكس أيضاً التفوق التكنولوجي الأمريكي.

تلعب الدولة في فرنسا دوراً محورياً في دعم البحث العلمي بينما تكون الروابط ضعيفة بين المجتمع العلمي والعالم الاقتصادي. وفي حين أن الأبحاث والاستثمارات العلمية والتكنولوجية تشهد انفجاراً في

<sup>1</sup>Marina Maestrutti, *imaginaire des nanotechnologies*, Vuibert, 2008, pp 129-131.

<sup>2</sup>Gilles le Marois, *pour des nanotechnologies responsables*, Revue Industrie, n°101, Janvier 2005, pp 14,15.

<sup>3</sup>Pierre Tambourim, *Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies*, p 33.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الولايات المتحدة، فإن البحث العلمي الفرنسي، في مواجهة تراجع دور الدولة وتقليد غير مستعد لربط البحث بالشركات، يفتقر إلى الموارد المالية والسياسات العامة للبحث على المدى الطويل. ونظام البحث الفرنسي، المتناثر في مختلف الهيئات العامة، يفتقر إلى هذا التعددية التخصصية الأساسية للبحث في العلوم الجديدة التي يتكون منها التقارب التكنولوجي<sup>1</sup>.

إن توجه العالم الغربي اليوم خاصة الو.م.أ والصين نحو التقنيات الفائقة والرهان على الإنسان الفائق والمعزز تقنيا لتحقيق الازدهار الاقتصادي، دفع بفرنسا مؤخرًا إلى تكثيف جهودها صوب هذا النمط من التقنيات، وفي إطار ضرورة تعزيز القدرة التنافسية الاقتصادية على الصعيد الدولي، تكسر فرنسا اليوم تقاليدها وتنضم بدورها إلى سباق النانو تكنولوجيا حيث تحتل مختبرات المفوضية الفرنسية للطاقة الذرية والطاقات البديلة مكانة مركزية، ولا سيما مع "مركزي البحوث ميناتيك وكليناستيك" في غرونوبل عام 2002. وقد تم تمويل العديد من برامج البحوث، منذ عام 2008، من قبل الحكومة الفرنسية التي أعلنت في عام 2009 إطلاق خطة بحثية متعددة السنوات في مجال النانو تكنولوجيا، وهي خطة **نانو إينوف**، بتمويل قدره 70 مليون يورو. وفي عام 2010، خصص القرض الكبير الذي أطلقه **نيكولا ساركوزي** Nicolas Sarkozy (1955-) جزءًا منه للبحث في النانو تكنولوجيا. وقد أكد ذلك على فكرة أن فرنسا، للحفاظ على مكانتها، يجب أن تدخل سباق الابتكار وأننا، حسب قول **آلان جوبيه** Alain Juppé (1945-)، "محكومون بالهروب إلى الأمام التكنولوجي"<sup>2</sup>.

تماشيا مع هذا السباق نحو التطور المتسارع للنانو-تكنولوجيا، تظهر النظرة شاملة على مختلف الوثائق أن موضوع الصحة هو الأكثر استثمارًا في مجال هذا النوع من الأبحاث. ففي عام 2010، أظهر تقرير صادر عن وكالة السلامة الصحية الفرنسية مدى الاستثمار في موضوع "الصحة والرفاهية" مقارنة بجميع المنتجات التجارية التي تحتوي على جسيمات نانوية. في فرنسا، بدعم من البحث والتطوير في مجال النانو-تكنولوجيا والعلاج الخلوي، تتجه توجهات النظام الصحي نحو طب "مستقبلي" جديد يتطور فيه نهج علاجي وتكنولوجي يعتمد على إمكانات التقنيات الجديدة، وهو ما يقترب من آفاق التقارب التكنولوجي التي طرحها التقرير الأمريكي NBIC<sup>3</sup>. أصبح مجال علوم الحياة والصحة أحد المجالات الرئيسية للاستثمار

<sup>1</sup>Ibid, p31.

<sup>2</sup>Philippe Rouvillois, Guy le Fur, **la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?** la documentation Française, juillet 1999, pp 11, 14.

<sup>3</sup>Sarah Dubernet, **les besoins des industries de santé**, Appel des appels, comité locale Marseille, janvier 2011, en ligne : <http://Marseille.appeldesappels.org/les-besoins-des-industries-de-sante-635.html#-ftm8>

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

ويركز عليه جزء كبير من البحث العام الفرنسي. وهكذا، في 26 أكتوبر 2009، أسفر اجتماع للمجلس الاستراتيجي لصناعات الصحة دعا إليه رئيس الجمهورية عن إعلان نوايا يفيد بأن "الدولة تلتزم بمواصلة جهودها في مجال تخصيص وتبسيط وتوحيد أنشطة الاستثمار ونقل التكنولوجيا، ومواصلة دعمها للتحالف من أجل علوم الحياة والصحة، والوكالة الوطنية للبحث والأقطاب التنافسية، ومواصلة جهود إعادة تنظيم البحث العام" بينما يلتزم الصناعيون بالمساهمة في الهدف العام المتمثل في مضاعفة الميزانية المخصصة للبحث المشترك مع القطاع الأكاديمي في المجال الطبي الحيوي خلال ثلاث سنوات، أي مبلغ سنوي يبلغ 62.5 مليون يورو بحلول عام 2012 مخصص للبحث المشترك في علوم الحياة والصحة. أصبح تطوير التكنولوجيا الحيوية أولوية وطنية في فرنسا، حيث تتطور صناعة الرفاهية، ويتم تعريف الصحة الآن على أنها حالة من الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، ولا تقتصر على مجرد عدم وجود مرض أو عجز<sup>1</sup>. هذا البحث عن الرفاهية من خلال الطب الحيوي، وهو أمر طبيعي في المجتمعات الغنية وتكنولوجيا متقدمة، يذكرنا بالمشروع ما بعد الإنساني أين تتحدد السعادة باعتبارها الهدف النهائي لكل فرد. أصبح هذا الجانب الجديد من الصحة الآن أحد القطاعات الرئيسية للبحث والابتكار الوطني ويستخدم تقنيات جديدة، مثل النانو-تكنولوجيا والتكنولوجيا الحيوية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لإثراء مختلف مجالات الطب. هذه المجالات هي حاليًا في قلب ميزانيات الوكالة الوطنية للبحث، بينما تسهل العديد من المنصات انتقالها إلى التصنيع. في عام 2005، أعد اتحاد الصناعات الدوائية الفرنسية تقريرًا حول شكل الطب في فرنسا<sup>2</sup> في عام 2025. وتشمل توقعاتهم حبوبًا ذكية وأجهزة استشعار نانوية واستنساخًا بشريًا وطبًا تجديديًا وبيولوجيا تركيبية وغيرها الكثير. وفي الوقت نفسه، تهتم المفوضية الفرنسية للطاقة الذرية والطاقات البديلة بالمعلوماتية الحيوية والروبوتات الحيوية والهندسة العصبية في إطار صناعة واجهات بين الإنسان والآلة والدماغ والحاسوب للتغلب على الشيخوخة والإعاقة. وهكذا، تنضم فرنسا إلى الآفاق الأمريكية للعيش لفترة أطول وبصحة جيدة والتي يحملها مشروع التقارب NBIC، وتندرج ضمن ما تعتبره سارة دوبرنيه Sarah Dubernet "سياسة ما بعد إنسانية"<sup>3</sup>.

لقد حظي برنامج NBIC باهتمام مالي كبير من القطاعين العام والخاص، مما أدى إلى تطوير هذا البحث العلمي الفرنسي على صعيد صناعات الصحة، كما تثبت الاتفاقيات المبرمة بين صناعات الصحة

<sup>1</sup>Philippe Rouvillois, Guy le Fur, **la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?** pp 14,16.

<sup>2</sup>أتى ذكر فرنسا وتأخرها مقارنة بالوم.أ.أ. تماشيا مع طرح لوك فيري الذي يقترح التنظيم كحل لتجاوز مخاوف فرنسا وحتى أوروبا في هذا المجال.

<sup>3</sup>Sarah Dubernet, **les besoins des industries de santé**,

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والأقطاب البحثية الأكاديمية، وكذلك الجيش، والأهم من ذلك، المستثمرون الكبار من القطاع الخاص. ومع ذلك، كما يؤكد عالم الوراثة فرانسوا تاديي Francois Taddei (1967-)، فإن فرنسا، وأوروبا ككل، تتسم بحذر أكبر تجاه الكائنات الحية، وبدلاً من الرغبة في تحسين الإنسان، تسعى بشكل أكبر إلى علاج الأمراض. وهكذا، نشرت المفوضية الأوروبية في عام 2004 تقريراً يهدف معالجة البرامج المتعلقة بالنانو-تكنولوجيا في سياق أوروبي، بينما حاول برلمان الاتحاد الأوروبي في عام 2009 وضع نهج أوروبي لمسألة تعزيز الإنسان من خلال التقنيات الجديدة المتقاربة. يتسم النهج الأوروبي بشكل أكبر بالاحتياط والتضامن والتنمية المستدامة، ويتم تصوره كاستجابة للبرنامج الأمريكي المستوحى من دعاة ما بعد الإنسانية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>Brice Laurent, **Les politiques des nanotechnologies : pour un traitement démocratique d'une science émergente**, édition Charles Léopold Mayer, Paris, 2010, pp 105, 110.

### ثالثاً: الإنسانية المتحولة والسياسة

إن الإنسانية المتحولة لا تنضم إلى أي تيار أو حزب سياسي موجود، حيث تتنوع الاتجاهات والأفراد الذين ينطبق عليهم هذا المصطلح الذي يشمل ميولاً تتراوح من الاشتراكية إلى الليبرالية، وما يجمع بين هذه التنوعات هو الفكرة المشتركة للسعي غير المحدود عبر الوسائل التكنولوجية لتحسين الإنسان مع احترام الاستقلال الشخصي. تحت قيادة بوستروم وزملائه، حاولت هذه الحركة إدخال التماسك والترابط في هذا التنوع. لكن يجب فهمها أكثر كأيديولوجيا من كونها حزباً. كما أن هذه الحركة لا تعارض أي سياسة شمولية تتجاهل الاستقلال الفردي والأسري.

#### 1- الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟

تسعى الإنسانية المتحولة لأن تكون حساسة تجاه المشاكل الاجتماعية الكبرى مثل الفقر، والظلم، وعدم المساواة، والبيئة. لكنها تعتبر أن التقدم التكنولوجي وتطبيقاته المصريح بها بحرية في تحسين الجوانب البدنية والمعرفية والأخلاقية تشكل عاملاً أساسياً لمعالجة وحل هذه المشكلات. يجب ألا نتجنب تحسين الإنسان تحت ذريعة وجود مشاكل اقتصادية واجتماعية أكثر إلحاحاً. في الواقع، يجب خوض المعركة على الجبهتين: التقليدية التنويرية والترانسهيومانية.

لا ينكر مناصري الإنسانية المتحولة أنه في البداية قد تؤدي تقنيات التحسين إلى زيادة عدم المساواة، لأنها ستكون متاحة فقط للأثرياء. ولكن هذا كان دائماً هو الحال مع الابتكارات التكنولوجية: متاحة أولاً لعدد محدود من الأفراد، ثم انتشرت وتعممت، وأصبحت أقل تكلفة وأكثر أماناً. بالطبع، يتطلب ذلك أن يدعم الاقتصاد (السوق) والسياسة (الديمقراطية) التقدم في هذا الاتجاه. كما أنهم يشددون على أنه لا توجد هنا مشاكل جديدة من وجهة نظر اجتماعية وسياسية: كما في الماضي، يمكن زيادة الضرائب ومحاولة تقليص عدم المساواة أو ترك السوق يتصرف. فالإنسانية المتحولة لا تشجع على جميع أنواع التحسين



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بشكل غير مبالٍ. إنها تدعم التحسينات "الجوهرية"، مثل الصحة الأفضل، وطول العمر المحسن، على حساب التحسينات المتعلقة بالوضع الاجتماعي التي يكون تأثيرها مقارنةً ومحلياً غالباً، مرتبطاً بعدم استفادة الآخرين منها: مثل الطول الأكبر، واللياقة البدنية، ومعظم التعديلات التي تعتمد على الموضة، والتلاعب التجاري، أو حتى المنافسات الرياضية<sup>1</sup>.

إن التحولات ذات الهدف التحسيني التي يقترحها خبراء التحول الإنساني هي تحولات جذرية وبعواقب غير قابلة للتنبؤ إلى حد كبير، مما يجعل التوقع لمستقبل المجتمع والبشرية محدوداً وغير مؤكد. لذلك، فإن المطلب الأول هو المتابعة اليقظة والتقييم المستمر. ثم إن إحدى التعبيرات القوية لحدود توقعات الإنسانية المتحولة هي فكرة "ما بعد الإنسانية": وهي تحول مفاجئ أو تدريجي لدرجة أن منتجات التحسين ستكون بعيدة للغاية عن حالتنا البشرية بحيث لن نكون مرتبطين بها بشكل كبير. من ما بعد الإنسان - الذي يمكن رؤيته ككائن وسيط عابر - إلى ما بعد البشري، الحدود غير واضحة وغير متوقعة<sup>2</sup>.

### 2- السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان:

اعتمد تحسين ظروف الحياة في القرن التاسع عشر أكثر على الأفعال العلمية منها على الاجتماعية. ومع التطور المتزايد للتكنولوجيا، وخاصة في مجال الروبوتات والمعلوماتية التي تحدد جميع جوانب الاقتصاد، أصبحت هذه الظاهرة أكثر وضوحاً، حيث أضحت البيولوجي سياسياً وأخذ سلطة حقيقية. لهذا السبب، تؤثر حركة الإنسانية المتحولة على كل من الساحتين السياسية والاقتصادية العالمية والساحة العلمية. يسعى مؤيدو هذه الحركة إلى استخدام جميع الوسائل للتأثير، سواء على الأشخاص في السلطة أو على كيفية عمل بعض المؤسسات أو على توجيه البحث العلمي.

إن الخوف من التكنولوجيا يفوق قدراتنا، هذا ما اعترف به خبير الاقتصاد جان دو كيرفاسدو، فإذا استمرنا في تجاهل الواقع، سنفقد ازدهارنا المستقبلي دون أن نحقق أي شيء من الناحية الاقتصادية والسياسية. نحن نعيش من جديد غياب الاستراتيجية التي شهدناها مع علم الوراثة، نتيجة للتشريع المفرط، ورغبتنا المستمرة في عدم إغضاب أي شخص، بسبب مبدأ الاحتراز. هذا المبدأ الاحترازي، الذي يحظى بتقدير سياسي أوروباً، أصبح رد فعل مضاد للتكنولوجيا. ففي الوقت الذي تتراكم فيه المعرفة والعلوم في

<sup>1</sup>Gelbert Hottois, **Humanisme, transhumanisme, postumanisme**, Revista Colombiana de bioética, vol 8, N°2, université El Bosque, Colombia, 2013, p 153.

<sup>2</sup>Ibid, p 154.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

المختبرات بسرعة أكبر من القرارات المتخذة بشأن استخدامها، فإن الأساليب الحالية للحكم غير ملائمة لهذه الإدارة، ويجب وجود "برمجة سياسية" جديدة لكي يستعيد المجتمع الأوروبي خاصة السيطرة على هذا المستقبل. في كتابه "السيادة الرقمية" الذي صدر عام 2014، كان بيير بلانجر قلقاً من فقدان السيادة الفرنسية تحديداً أمام العمالة الأمريكية. إن عدم معرفة القادة بالتكنولوجيا الجديدة يجبرهم على إقامة سياسات دفاعية بسبب نقص التوقع، ومنح الأولوية للدفاع عن الماضي بدلاً من التنبؤ بنماذج اقتصادية وسياسية جديدة. يبدو أن همهم الوحيد هو الانتخابات القادمة، في حين يجب التفكير في الجيل القادم بدلاً من الانتخابات القادمة. قد تكون نتيجة السياسة المتمثلة في الحيلة والحذر المتبناة من قبل الدول الكبرى كفرنسا هي خضوعها للقوى الضعيفة، فقد يصبح أسياد أمس عبدة الغد، وستكون تقنيات NBIC هي الارتفاعات الجديدة للسلطة<sup>1</sup>.

حظيت حركة الإنسانية المتحولة حتى الآن باهتمام النخب الفكرية في الولايات المتحدة بشكل خاص. يرى الكثيرون فيها وسيلة لإبراز تميزهم وحققهم في الهيمنة على بقية البشرية، خاصة إذا اعتبرنا السياسة بمثابة فن إدارة الشعوب قبل استخدامها. هناك ما يثير القلق، خاصة مع الزيادة المتوقعة في الصراعات بين الأغنياء والفقراء التي ستتزايد في وقت قريب. سيثبت ممثلي الإنسانية المتحولة في أمريكا الشمالية وجزء صغير من أوروبا أنهم هم الذين يحملون، بفضل تقنياتهم، قيم المستقبل للبشرية. لأن التلاقي الكبير للتقنيات NBIC يعد بعود استثنائية، ولكنه يخفي أيضاً بعض المخاطر مثل السيطرة الشمولية، وشكل من أشكال العبودية لفئة من البشرية (التي ستفرض "التحول")، أو حتى نهاية عالمنا. من الواضح أن معظم سكان الكوكب لم يبدأوا بعد في إدراك هذه الإمكانية، وأن الغالبية العظمى ممن بدأوا في إدراكها يستجيبون أولاً برفض تحمل هذه المسؤولية والمخاطر المرتبطة بها، فهذا مفهوم تماماً<sup>2</sup>. ولكن، باسم ماذا بالضبط يمكن أن تبرر هذه الأغلبية منعها عن أولئك الذين يرغبون في المضي قدماً في إحدى طرق الإنسانية الفائقة، طالما أن تجاربهم لا تتعارض بالطبع مع حرية أو سلامة الآخرين؟

ظهرت مسألة ما بعد الإنسان في فرنسا بعد "قضية سلوترديك" ولم تخلُ من ردود فعل قوية. تعود أصول القضية إلى محاضرة ألقاها بيتر سلوترديك عام 1999 بعنوان "قواعد للحديقة البشرية"، حيث أشار الفيلسوف الألماني، منتقداً الإنسانية الحديثة، إلى شخصية "الإنسان الفائق" عند نيتشه لاستحضار منظور

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-couturier, *Le transhumanisme*, p p 132, 134.

<sup>2</sup> Ibid, p 135.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

ما بعد الإنسان المستقبلي<sup>1</sup>. أشعلت المحاضرة حوارًا عامًا على المستوى الوطني وصل إلى فرنسا. وتجسدت هذه المعارضة في الصراع بين بيتر سلوترديك ويورغن هابرماس (Jurgen Habermas 1929-)، حيث رأى الأخير في خطاب مواطنه مشروعًا نخبويًا وأيضًا مشروعًا يهدف إلى تحسين النسل وافتتانًا بتدريب البشر. ووفقًا لجان كريستوف ميرل (Jean Christophe Mirl)، فإن هذا الخلاف يندرج ضمن تقليد فرنسي عريق يواجه فيه الحديث القديم. والحقيقة أنه إذا كان هناك خلاف، فذلك لأن تيارين فكريين يتعارضان: من ناحية، ما بعد الإنسانية التي دعا إليها بيتر سلوترديك، ومن ناحية أخرى، إنسانية عصر النهضة وخاصة عصر التنوير. وحيث أن سلوترديك يشجع على اللجوء إلى التقنيات الجديدة كوسيلة جديدة لتدجين الإنسان على يد الإنسان، فإنه يُعتبر، وفقًا لتعريف سيرج تروتين (Serge Trottein) "مُدانًا بجريمة ما بعد الإنسانية"<sup>2</sup>، ويعارض إدانة هابرماس لتحسين النسل الليبرالي الذي يعني نهاية الفرد الحديث القائم على الاستقلال والمساواة والكرامة.

يتصدى النقاش الذي أثير حول إمكانية تحسين الإنسان للمجتمع بالسياسات المستقبلية التي يجب اتباعها في عالم يضطلع فيه العلم والتكنولوجيا بدور بارز. وفي هذا النقاش، تقف فرنسا إلى جانب هابرماس والقداامي (الاتجاه البيومحافظ والتقاليد الأنوارية). وتؤكد فرنسا، بدعوتها إلى ضرورة الحفاظ على المساواة والكرامة الإنسانية بالإشارة إلى تاريخها وماضيها، على أنها خصم لما بعد الإنسانية. وتأخذ فكرة البيوسياسية التي صاغها ميشيل فوكو في السبعينيات بعدًا جديدًا في التفكير السياسي: فمسألة الحياة أصبحت أكثر من أي وقت مضى مسألة سياسية، وإمكانية تعديل الإنسان بيولوجيًا تندرج ضمن سياق القيم، وكذلك الحقوق من خلال قضائية الأخلاق الحيوية. وهذا الأمر يهم ما بعد الإنسانين بشكل كبير: فهو يحدد لهم إطارًا للعمل مقيّدًا بفرض حدود على البحث الطبي الحيوي. علاوة على ذلك، من خلال التفكير في الأخلاق الحيوية، يصل مفهوم ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة تدريجيًا إلى مسامع البرلمانين الفرنسيين، لا سيما خلال نقاش مكتب التقييم التكنولوجي (OPECST) في إطار مراجعة القانون الفرنسي للأخلاق الحيوية<sup>3</sup>. إذا كانت الولايات المتحدة قد بدأت، منذ الستينيات، بحركة للتفكير في التحديات الأخلاقية الناجمة عن التجارب الطبية الحيوية على الإنسان، فإن فرنسا كانت أول من جسّد هذا التفكير على المستوى الوطني.

<sup>1</sup>Peter Sloterdijk, **Règles pour le parc humain : une lettre en réponse à la lettre sur l'humanisme de Heidegger**, trad : Olivier Mannoni, Mille et une nuits, paris, 2000, p

<sup>2</sup>Serge Trottein, **Le posthumanisme de Nietzsche : réflexions sur un trait d'union, Nietzsche et l'humanisme**, revue Noesis, N°10, 2006, p 290.

<sup>3</sup> Ibid, p 291 .

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

وإذا كانت الدول الأنجلو-سكسونية تتبنى تقاليدًا براغماتية ومنفتحة تجاه تطور المجتمع، فإن فرنسا، باسم المبادئ الأخلاقية الكبرى المتأصلة في ثقافتها اللاتينية، تضع أخلاقها الحيوية في إطار توجه حازم نحو الحظر. تهدف "قوانين الأخلاق الحيوية" التي تم تبنيها عام 1994، والتي تمت مراجعتها عام 2004 في إطار قانون واحد، إلى ضمان احترام كرامة الإنسان ضد أي انحراف طبي. وتشمل القيود المفروضة العديد من المجالات، سواء في مسألة الوصول إلى تقنيات الإنجاب أو القواعد المتعلقة بالتبرع بالأعضاء، مروراً بالمعلومات الوراثية. علاوة على ذلك، يُحظر البحث على الأجنة والخلايا الجنينية، إلا في حالات استثنائية، وكذلك الاستنساخ، سواء كان تناسلياً أو علاجياً، خوفاً من ظهور شكل جديد من أشكال تحسين النسل. والأكثر من ذلك، أدخل قانون عام 2004 المتعلق بالأخلاق الحيوية مفهوم "الجريمة ضد النوع البشري" إلّا القانون. وبإعلان حظر الممارسات التوليدية والاستنساخ التناسلي بهدف الحفاظ على الخصائص الوراثية للإنسان وما يميزه بيولوجياً، يصاحب ذلك عقوبات جنائية رادعة بشكل خاص، حيث تعتبر

"الجرائم ضد النوع البشري"، إلى جانب جرائم ضد الإنسانية، واحدة من أخطر الجرائم في فرنسا.

لا يخلو إدراج مفهوم "النوع البشري" في القانون الفرنسي، منذ قوانين الأخلاق الحيوية لعام 1994، من جدل كبير. وبالاعتماد على فكرة أن النوع البشري يقتصر على انتمائه الجيني والبيولوجي، فإن هذا القرار التشريعي يثبت في القانون تصوراً معيناً للإنسان. وبالإضافة إلى الضعف العلمي في الحديث عن الأنواع والتنوع في الأصول الجينية والطفرة التي تميز الشعوب والتي تؤكد أن النوع لا يمكن أن يكون شيئاً ثابتاً، فإن طبيعة مفهوم النوع البشري، وفقاً لـ **كزافييه بيوي** Xavier Bioy، تنبع من هيمنة الحتمية الجينية حيث يتم تحقيق الطبيعة من خلال التكاثر الجنسي وطبيعة الثقافة<sup>1</sup>. واعتباراً لأن الجينات تفسر الحالة الإنسانية وأن أي اعتداء عليها يصبح جريمة، يمكن انتقادها، على غرار **رافائيل ليوجيه** Raphael Liogier، باعتبارها شكلاً من أشكال "استبداد التمرکز الجيني"<sup>2</sup>. إن حظر أي تلاعب من شأنه أن يغير شكل الإنسان يندرج ضمن سياسة حيوية متزايدة للكائنات الحية، حيث أصبحت مسألة تحديد ماهية النوع البشري تخضع لإرادة الدولة التعسفية وتكشف عن رغبة المشرع في إدامة صورة الإنسان في شكله الحالي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Xavier Bioy, *Les crimes contre l'espèce humaine, ou la réintroduction en droit d'une espèce de référent naturel, bioéthique, biodroit, biopolitique, réflexions à l'occasion de vote de la loi du 4 août 2004*, Droit et société, Vol 43, 1982, pp 111, 120.

<sup>2</sup>Raphael Liogier, *La construction sociale de la morale bioéthique*, les cahiers du droit et de la santé du sud-est, N°3, « La loi bioéthique », 2004, p 133.

<sup>3</sup>Ibid, p 134.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن الأخلاق الحيوية الفرنسية وباسم الإنسانية الكونية، تنقل تمثيلاً عن الإنسان يتعارض مع المشروع ما بعد الإنساني الذي يهدف إلى تجاوز الحالة الإنسانية وقيادة الإنسان إلى شكل جديد. يمكن اعتبار التشريع الفرنسي المتعلق بالأخلاق الحيوية واحداً من أكثر التشريعات محافظةً، إذ يتبع المشرع في فرنسا مبدأ المسؤولية لدى هانس يوناس، حيث يدرج مبدأ الاحتياط في صلب القانون الداخلي من خلال إدخاله في القانون الوضعي منذ عام 1995، في إطار "قانون بارنيه"<sup>1</sup>، ويشير اليوم إلى المادة الخامسة من ميثاق البيئة، والتي أصبحت جزءاً من الكتلة الدستورية منذ عام 2004. وبالتالي، يبدو أن السياسة الفرنسية تتجه نحو اتباع حذر معين تجاه التقنيات العلمية، وتشير المنظمات التي تحت السلطات العامة على تطبيق مبدأ الاحتياط مباشرة إلى أعلى مستوى في التسلسل الهرمي للقواعد القانونية. وبالتالي، فإنها تطالب بفرض حظر على النانو تكنولوجيا، بما في ذلك إلغاء تطبيقاتها التجارية، أو حتى وقف الأبحاث في هذا المجال مؤقتاً. ومع ذلك، على الرغم من أن السياسة التكنولوجية الفرنسية تندرج تحت تحذير هانس يوناس، فإن العديد من المنظمات تندد برغبة الحكومة في تجاوز هذا المبدأ الشهير للاحتياط، مما يعني بطلان عملها. ويدين آخرون، مثل جمعية SEPANSO، تحريف "قانون بارنيه" في مواجهة بحث وتسويق بدأ بالفعل، دون الاهتمام بالآثار الصحية والبيئية. يمثل هذا المبدأ الذي ينتشر بسرعة ويؤثر على العقول وفقاً لحركة "الإنسانية المتحولة"<sup>2</sup>، والذي تطالب به بشدة المنظمات التي تعارض ظهور النانو تكنولوجيا، عقبة أمام الأفكار ما بعد الإنسانية لأنه يشير - كما يشرح ماكس مور - إلى معارضة غالبية الأفراد للتقدم التكنولوجي<sup>3</sup>. ويشعر البعض من المفكرين المحافظين بالقلق إزاء تزايد هذا الاحتجاج حول تطوير النانو تكنولوجيا، خوفاً من أن يسلك نفس المسار الذي سلكته المعركة ضد الكائنات المعدلة وراثياً، وينتهي الأمر بتسجيل الابتكار التكنولوجي في مجال النانو تكنولوجيا في جو من الرفض العام. وتندرج منظمات معارضة النانو تكنولوجيا في حركة أوسع نطاقاً تندد بالتطورات العلمية والتقنية، بدءاً من زراعة الكائنات المعدلة وراثياً والطاقة النانوية وصولاً إلى تقنيات إطالة العمر وتعديل الإنسان.

### 3- التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة:

<sup>1</sup>Loi N° 95-101 du 2 février 1995 relative au renforcement de la protection de l'environnement.

<sup>2</sup><http://www.lesmutants.com>

<sup>3</sup>Entretien avec Max More, propose recueillis par Laurent Courau, Laspire.org, août 2010, en ligne : <http://www.laspire.org/texte.php?id=305>

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أصبحت المخاطر التكنولوجية والصناعية واضحة سواء على المدى القصير أو الطويل حتى مع جميع التدابير المتخذة من أجل تطوير آمن لتقنيات النانو والبيانات والمعلومات. جميع الأبحاث تبدأ في الأساس «من نية حسنة» وتؤدي إلى "منفعة عامة". ولكن يجب ألا نغفل أبداً الوجه المظلم، المنحرف، والعدائي الذي قد تعطيه بعض العقول لهذه الأبحاث. الأمثلة في التاريخ عديدة. والأسئلة الحقيقية تبقى: كيف يمكن تقنين المخاطر؟ ومن الذي سيفعل ذلك؟ وكيف نتجنب الانحرافات المحتملة؟ لنأخذ مثال الفيروسات: إذا كانت إنشاء أمراض جديدة في المختبر دائماً ممكنة، فإن أكبر المخاطر الاقتصادية أو السياسية ستأتي من استخدامها بشكل منحرف. لكن، بالإضافة إلى الفيروسات المصنعة في أنابيب الاختبار لدينا، فقد أنشأت المعلوماتية أيضاً فيروساتها، وهذه قد تكون عنيفة أيضاً، بل وأكثر فتكاً من تلك الموجودة في أنابيب الاختبار. سنمتلك قريباً نانو-روبوتات في أجسامنا، لكن هل نحن متأكدون من أن الأمان المعلوماتي سيكون مؤمناً بشكل جيد؟ السيناريو الأكثر كارثية هو أن فقدان السيطرة على الآلات القابلة للتكرار الذاتي قد يؤدي أيضاً إلى الدمار التام في غضون بضعة أيام من الكتلة الحيوية على كوكب الأرض. لا أحد يريد تدمير الكوكب أو انقلاباً رقمياً، لكن تبقى المخاطر حقيقية للغاية<sup>1</sup>.

يمكننا أيضاً أن نخشى على ديمقراطيتنا، كما تم تشكيلها حتى اليوم. في هذا الصدد أكد فرانسوا ميتران Francois Mitterand (1916-1996) بأن السلطة لا تتقاسم، وهذا بالضبط هو المنظور الذي يفكر فيه الفلاسفة في مجال الذكاء الاصطناعي (IA). بالنسبة لهم، لا يمكن أن يوجد سوى نوع واحد مهيم في منطقة معينة من الكون: وهذه هي نظرية "السنغلتن" الأنجلو-ساكسونية. يعرف نيك بوستروم هذه النظرية بأنها نظام عالمي توجد فيه وكالة قرار وحيدة على أعلى مستوى، قادرة على منع أي تهديد داخلي أو خارجي، وتتمتع بوجودها الخاص، وتمارس سيطرة فعالة على الخصائص الرئيسية لمجالها<sup>2</sup>. ولكن من سيقود هذا النظام العالمي؟ الإنسان، أم الآلة، أم هجين بينهما؟ وماذا لو قررت آلاتنا تولي السلطة باسم قواها المذهلة؟ بعد أن استولت على قوة صناعاتنا، ستحاول روبوتاتنا البحث في شؤون العالم. أليس "جوجل"، الذي لا يظهر بشكل إنساني، ذكاءً اصطناعياً يمتلك قوة غير مادية وعالمية، يصعب تحديدها، والأهم من ذلك، تتزايد يوماً بعد يوم؟ ألا تخلق هذا «القارة السابعة» التي وصفها شارل-إدوارد بوي، والتي تتعلق

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-couturier, *Le transhumanisme*, p 141.

<sup>2</sup>Ibid, p 142.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

بالدول، الافتراضية، بلا حدود جغرافية أو فيزيائية، حيث تتدفق البيانات بحرية والتي تهرب حاليًا تمامًا من سيطرة الدول؟

هذا النمط من الحكم الكامن هو حلم لبعض الليبراليين الأمريكيين الذين يريدون بناء مدن بلا دولة. لكن، هل يدرك هؤلاء المرشحون للحرية المطلقة أنهم قد يكونون خاضعين لأبشع أنواع العبودية؟ ليس من خلال قسوة متعمدة، ولكن من أجل تجنب أي سلطة أو ديكتاتورية بارزة، فالجنة التي تمثل الحرية ستكون جحيم الأفراد، يتنبأ غاسبار كوينغ Kasper Konig (1943-)، إذا كان من المفترض أن يرى مثل هذا الهيكل النور. في الواقع، إن الاستقلالية وحرماننا مرتبطة حاليًا بشكل أساسي بسلطة يجب أن تضمن لنا هذه الحريات، لذا فإن التخلي عن السلطة المركزية يعني قبول هيمنة الجماعة على أي طموح أو مبادرة شخصية.

يعتقد فيري أن ديمقراطيتنا المتزعزعة أفرزت تفاوتات اجتماعية من المحتمل تزايدها. حيث ظهر ما يسمى بـ "العقول التكنولوجية"، و"المليارديرات المتخصصون في التكنولوجيا"، ومن جهة أخرى بعض "العمالة اليدوية" في أسواق متخصصة، وبين الجانبين، توجد أغلبية من السكان، غير متعلمين، وغير مؤهلين، تتأرجح بين البطالة والوظائف الصغيرة، تعيش يوماً بيوم في حالة من الكسل النسبي المدعوم بالوصول السهل إلى الترفيه، والألعاب، والاستهلاك الجماهيري، ويدفع لهم من قبل "الطبقة الحاكمة" براتب عالمي<sup>1</sup>.

لقد حان الوقت لطرح سؤال كيفية تجنب أو كيفية السيطرة على هذه المخاطر. يأمل لوران ألكسندر Laurent Alexandre (1960-) أن تظهر قوى مضادة بناءة، وسلمية، وليست نكوصية، لأن أكبر المخاطر ستأتي من الدول غير الديمقراطية حيث تكون هذه القوى المضادة غير موجودة. بين المخاوف الشخصية والمخاطر الحقيقية، سيكون من الضروري اعتماد سياسة إرادية لتجنب المبالغة. من وجهة نظر اقتصادية وسياسية، فإن حظر الابتكارات التكنولوجية سيخدم أولئك الذين يرفضونها، مما يدفع إلى تأجيل الترخيص للتحسن تحت ذريعة عدم المساواة الاجتماعية<sup>2</sup>. لن يحل التقدم التكنولوجي المشاكل السياسية القديمة مثل درجة إعادة التوزيع المرغوبة، لكنه يمكن أن يزيد بشكل كبير من الكمية الإجمالية لما يتم مشاركته. في مجتمع غني بتفاوتاته، سيكون العثور على طريق للعدالة مهمة صعبة. كيف يمكن أن نعرف ما إذا كانت الفوائد المتأتبة ستفوق التفاوتات التي ستخلقها؟

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-couturier, *Le transhumanisme*, p p 142, 143.

<sup>2</sup>Ibid, p 144.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن من واجب السياسة أن تتصرف لحل المشاكل الجديدة، والسعي نحو تحقيق توازن في الفرص حيث يكون لكل فرد خيار تحقيق ذاته كما يشاء، وتحسين نفسه أو عدم تحسينها، وبالتالي توفير الوسائل المناسبة. لأن الاختيار بدون الوسائل ليس سوى نفاق واسع. هناك تحدٍ آخر سيواجهه قادتنا هو قضية التوزيع غير المتساوي لهذه التحسينات الناتجة عن التقدم على المستوى العالمي. ومع ذلك، فإن محاولة حظر الابتكارات التكنولوجية لهذا السبب وحده ستكون فكرة سيئة. لذا لابد من أن ندافع بدلاً من ذلك عن نوع من الليبرالية التي تفتح الأسواق للجميع ونعزز ليس "صراع القوي ضد الضعيف"، بل العكس: منح الفرصة للضعيف ليأتي ويتحدى القوي.

يذهب فيري إلى إن النقاشات والقضايا الأخلاقية والاجتماعية البيولوجية التي تثيرها الإنسانية المتحولة وكذلك الاقتصاد التعاوني تحتاج إلى ضبط وتنظيم سياسي، هذا الأمر الذي يعتبره البعض ليس حلاً جذرياً بما فيه الكفاية، فبالنسبة لليبراليين المتطرفين يعتبرون الضبط السياسي للممارسات الحيوية عودة إلى نظام اشتراكية الدولة، أما بالنسبة لرجال الدين ولمن يسعون لوقف حركة الإنسانية المتحولة حفاظاً على المكاسب الاجتماعية واستعادة للعصر الذهبي المفقود، ينظرون إلى مثل هذا النوع من التنظيم أنه متساهلاً جداً أمام هذه الأسئلة التي تطرحها التكنولوجيات الجديدة والتي هي سيئة للغاية، سواء من الناحية الاقتصادية: إذ سيتعين علينا معرفة ما إذا كانت أنظمتنا الاجتماعية ووظائفنا التقليدية ستقاوم التنافس، الذي يكون في بعض الأحيان مشروعاً وفي أغلب الأحيان غير عادل، والذي يفرضه منطق الشبكات الجديدة. أو من الناحية البيوطبية: أين ستكون الأسئلة التي تطرحها التكنولوجيا الجديدة أكثر إثارة للقلق، حيث تمس بالدرجة الأولى هوية جنسنا وحتى إنسانية الإنسان نفسه، التي تكون مهددة بالتشويش بشكل لا رجعة فيه من خلال تقدم الهندسة الوراثية<sup>1</sup>.

بالرغم من هذه الاعتراضات لفكرة التنظيم السياسي لمشروع الإنسانية المتحولة وتبعاته المتمثلة في الاقتصاد التعاوني، إلا أن فيري يعتبره السبيل المعقول والمخرج الوحيد، خاصة في ظل الديمقراطيات التي أصبح فيها فرض القيود حاسماً بقدر ما هو إشكالي بفعل العولمة، إذ أن الديمقراطية المعولمة لها خاصيتان أساسيتان في هذا الصدد:

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 135.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

**الأولى:** أنها تعمل على الانتقال من التقاليد المسيطرة على مصير البشرية إلى الحرية في جميع مجالات الوجود البشري، في الحياة السياسية أو الجمالية أو الشخصية، ذلك أن الديمقراطيات المعولة تطمح إلى الاستقلال الذاتي من حيث إعطاء المرء لنفسه قانونه الخاص، من منظور أن الحرية الحقيقية لا تتعدى كونها طاعة للقانون الذي حدده المرء لنفسه، هذا ما مكن المجتمعات من الانتقال سياسيا من الاستبداد إلى البرلمانية، ودينيا من الثيوقراطيات الدولية إلى الإيمان الشخصي، وثقافيا من الأعمال المقدسة إلى الإبداعات الدنيوية، وفي الحياة الخاصة من الزواج المفروض من طرف الآباء إلى الزواج الذي يختاره الأفراد<sup>1</sup>. على هذا الأساس يعتبر فيري أن نزعة الإنسانية المتحولة ومعها الاقتصاد التعاوني هما في الواقع مجرد استمرار لهذه العملية المتأصلة في جوهر الإنسانية الديمقراطية، وفي كلتا الحالتين إنها مسألة محاربة النظرية التقليدية للتطور أو التطور الدارويني، أي تلك الخاصة باليانصب الطبيعي للتطور.

**الثانية:** في ظل هذه الظروف الخاصة بالتقدم البيوتقني والرقمي من غير المجدي محاولة إيقاف كل شيء باسم الحفاظ على الماضي، لهذا لابد من الكفاح ضد المنطق الديمقراطي، فمن الضروري وجود التنظيم لمنع البشرية من الوقوع فيما أسماه الإغريق القدماء بالخطر والإفراط، أي وضع حدود للإنسان الإغريقي البروميثي، هذا ويتجه فيري إلى أنه من أجل فرض قواعد على المجتمع المدني وتنظيمه ووضع حدود لمنطق الفردية، من الضروري ليس فقط أن تكون هناك دولة مستنيرة، وطبقة سياسية تفهم تطورات المجتمع وتطلعاته الجديدة، ولكن أيضا دولة قوية يحترمها هذا المجال الخاص أي مشروع الإنسانية المتحولة، وهنا تكمن المشكلة بالتحديد، حيث تطرح العولة التي تشكل عالمية التكنولوجيا التي تعبر جميع الحدود مشكلة العجز العام في سياق أصبح فيه السوق عالميا بينما ظلت السياسات محلية، وهنا يقترح فيري فكرة "التفكيك الديمقراطي"<sup>2</sup>.

لقد وعدت الديمقراطية في مبادئها الحديثة الأولى منذ عصر التنوير بأننا سنتمكن من الخروج من ظلمة العصور السلطوية والأنظمة التقليدية، ومنه صنع تاريخنا معا والسيطرة بشكل جماعي على مصيرنا، وباختصار الوصول إلى مرحلة الاستقلالية على الصعيد السياسي كما في الحياة الخاصة، حتى ولو بالاعتراع العام والتعددية وتوسيع الحقوق الفردية، لكن هذا الوعد بالتحديد هو ما تميل العولة إلى خيانتها. ومن الواضح أن هذا الواقع يلعب دورا كاملا في مسألة التنظيم، سواء كان اقتصاديا أو بيئيا أو أخلاقيا أو ماليا،

<sup>1</sup>Ibid, pp 135, 136.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 136, 137.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

هذا هو السبب في أن من الضروري في ظل هذا السياق الجديد فهم الطبيعة الدقيقة لعملية "التفكيك الديمقراطي" بشكل صحيح<sup>1</sup>. يمكن توضيح ذلك بالمثال المتمثل في تغير الأشياء المستمر من حولنا، حيث تتطور الهواتف وأجهزة الكمبيوتر، تتضاعف الوظائف وتكبر الشاشات وتتلون وتحسن اتصالات الإنترنت وتزداد السرعات، وتتقدم أنظمة الأمان... وما إلى ذلك، هذه الحركة ناتجة بشكل مباشر عن منطق المنافسة العالمية الذي يفرض نفسه على أي علامة تجارية، فهو ليس مجرد مسألة ذوق أو خيار، بل هو أمر حتمي وضرورة لا جدال فيها إذا أرادت أي مؤسسة البقاء على قيد الحياة. وفي هذه العوامة التي تدفع باستمرار إلى الابتكار لأنها تضع جميع الأنشطة البشرية في حالة من المنافسة المستمرة، فإن نجد التاريخ عكس ما وعد به المثل الديمقراطي ويتجاوز إرادة الشعب. لكن هذا لا ينفي تداعياته الإيجابية على الصحة والأمل ومستوى المعيشة.

تتضمن العوامة جزءاً كبيراً من المثل الأعلى للاستقلالية والحرية الذي جاءت به الديمقراطية، ويمكننا فهم ذلك بسهولة إذا أردنا أن نأخذ في الاعتبار الفرق الهائل بين الفترات الأولى للعوامة وما نعيشه اليوم، إذ أنه في الواقع العوامة لم تبدأ فعلياً إلا مع الثورة العلمية في القرنين 17 و18، لماذا هذه النقطة المرجعية؟ ببساطة لأن خطاب العلم الحديث هو بلا شك أول من يمتلك دعوة عالمية حقيقية وذات مصداقية في تاريخ البشرية، وهو أول من يمكنه الادعاء بشكل مشروع بأنه صالح لجميع البشر في جميع الأوقات وأي مكان، للأغنياء كما للفقراء، للأقوياء كما للضعفاء، للأرستقراطيين كما للعامة، فقانون الجاذبية بهذا المعنى ديمقراطي بقدر ما هو عالمي. وبينما كان مشروع العقلنة والسيطرة العلمية على الكون في القرنين 17 و18 يحمل معنى وهدفاً تحريراً، إلا أن هذا الوضع لم يعد كذلك في الوقت الحالي، إذ في ذلك الوقت كان هذا المشروع مازال يخضع لتحقيق بعض الأهداف العليا المفيدة للإنسانية، فلم يكن الاهتمام فقط بالوسائل التي ستسمح لنا بالسيطرة على العالم، ولكن أيضاً بالأهداف التي ستسمح لنا هذه السيطرة نفسها بتحقيقها، حيث لم يكن هذا الاهتمام له بعد تقني عملي بحت، فبالنسبة لكانط أو فولتير أو ديكارت إذا كان الأمر يتعلق بالسيطرة على الكون نظرياً وعملياً من خلال المعرفة العلمية وإرادة البشر، فلم يكن ذلك مجرد متعة السيطرة أو من خلال الاعجاب النرجسي الخالص بقوتنا الخاصة، بمعنى لم يكن الهدف هو السيطرة من أجل السيطرة، بل كان الهدف هو فهم العالم حقاً واستخدام ذكائنا لتحقيق بعض الأهداف العليا التي اختصرت في حدي الحرية والسعادة، وعليه بالنسبة لمثلي عصر التنوير العظماء، فإن الهدف من تقدم العلوم والفنون

<sup>1</sup>Ibid, p 138.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

كان في المقام الأول وقبل كل شيء تحرير البشرية من قيود العصور المظلمة الوسطى، وأيضا من الطغيان الذي تمارسه الطبيعة الوحشية علينا<sup>1</sup>، وبعبارة أخرى، لم تكن السيطرة العلمية على العالم هدفا في حد ذاتها، بل كانت وسيلة لتحقيق الحرية والسعادة والديمقراطية التي أصبحت أخيرا متاحة للجميع، ووراء التقدم وتبادل المعرفة كان هناك أمل واضح وأفكار راسخة في تحسين الحضارة بشكل عام.

أما مع العولمة الثانية التي نعيشها اليوم، عولمة المنافسة العالمية، يتغير مسار التاريخ بشكل جذري أو لنقل أنه يفقد معناه، فبدلا من الاستلها من المثل العليا المتسامية، يصبح التقدم أو بالأحرى حركة المجتمعات مجرد نتيجة ميكانيكية للمنافسة الحرة، بين مكوناتها المختلفة، لم يعد التاريخ مدفوعا بأسباب نهائية أو بتصور عالم أفضل أو بغاية عليا، بل هو مجبر أو مدفوع بالأسباب الكفوة، ولفهم هذا الانقطاع الجذري مع الأشكال الأولى للعولمة مع عصر التنوير نقدم المثل الآتي: داخل الشركات أصبحت ضرورة المقارنة المستمرة مع الآخرين وزيادة الإنتاجية والابتكار وتطوير المعرفة وخاصة تطبيقاتها في الصناعة والاقتصاد وفي الاستهلاك أمرا حيويا، ببساطة يعمل الاقتصاد الحديث مثل الانتقاء الطبيعي الدارويني، ففي منطق المنافسة العالمية، فإن الشركة التي لا تتكيف ولا تبتكر كل يوم تقريبا هي شركة محكوم عليها بالزوال، ومن هنا فالتطور الهائل المستمر للتكنولوجيا أصبح عملية آلية لا يمكن التحكم فيها، وعمياء لأنها تتجاوز من جميع النواحي ليس فقط الإرادة الفردية الواعية، ولكن أيضا إرادات الدول القومية بشكل منفصل، فلم يعد الأمر سوى نتيجة ضرورية وميكانيكية للمنافسة<sup>2</sup>.

لم يعد الأمر في العالم التقني الراهن -أين أضحت التكنولوجيا ظاهرة كوكبية- متعلقا بالسيطرة على الطبيعة أو المجتمع ليكون أكثر حرية وسعادة، بل يتعلق بالسيطرة من أجل السيطرة، والهيمنة من أجل الهيمنة، وفيما يتناقض مع المثل الحضاري الموروث عن عصر التنوير، فإن العولمة التقنية هي في الواقع عملية لا يمكن التحكم فيها في الحالة الراهنة للعالم، كما أنها غير نهائية وخالية من أي نوع من الأهداف المعروفة. فمثلا لو افترضنا أنه يمكن حظر جانب من الاقتصاد التشاركي أو من مشروع الإنسانية المتحولة أو خطر التلاعب الجيني أو تطبيقات مثل Uber Pop في فرنسا، فلن يتم التمكن من حظرها في بلدان أخرى، فهي عمليات مرتبطة بالعولمة.

من هذا التحليل يمكننا استخلاص نتيجتين:

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 139, 140.

<sup>2</sup>Ibid, pp 141, 142.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

-الأولى: أن التفكير الديمقراطي يمكن فهمه بمعنيين: التفكير من الديمقراطية، بمعنى أن العولمة تولد مسارا للعالم يخرج عن سيطرتنا، والتفكير بالديمقراطية، بمعنى أن الديمقراطية نفسها من خلال حركتها الخاصة تفقد جوهرها.

-الثانية: إن هذه العملية هي عملية جدلية بوضوح، بالمعنى الفلسفي للمصطلح، بمعنى أن مصطلحا ما لديه مصير لإنتاج عكسه أو ضده دون قصد، فلم تعد الديمقراطية مهددة من الخارج، بل هي من خلال حركتها الخاصة تنتج عكس الوعود بالاستقلالية والحرية التي قدمتها لنا في الأصل، وهذا ما يساهم في إثارة قلق المواطنين بشكل كبير ويبحث على التشاؤم حسب فيري.

تهتم الأخلاق الحيوية، وهي شكل جديد من الأخلاق التطبيقية، بمسائل مثل الإنجاب بمساعدة طبية والهندسة الوراثية واستنساخ الأجنة البشرية. وهي تمثل تأملاً قيمياً وإيتيقياً في الممارسات الطبية، وتهدف إلى تحديد حدود للتدخل في الكائنات الحية والإنسان على وجه الخصوص. ومن الضروري هنا ألا يتخلى السياسي عن مسؤولية معالجة هذه القضايا لصالح أي لجنة أخلاقيات قائمة بالفعل مع ما نعرفه عن شرعيتها وفعاليتها، على سبيل المثال ممثلة رمزيا بوزارة الابتكار ولكن أيضا في البرلمان، داخل لجنة دائمة مخصصة صراحة لهذه القضايا، يجب إظهار الإرادة لعدم الاستسلام، وعدم ترك عالم التكنولوجيا يتفوق علينا. فكيف يمكننا اتخاذ قرار في مكان آخر بشأن ما يجب السماح به أو حظره في مجال الهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الاجتماعية؟ وكيف نحدد المعايير للاختيار بين حظر التعديلات الوراثية أو استخدامها للعلاج فقط أو تسخيرها لخدمة تعزيز الإنسان؟ وفي هذه الحالة ما هي التحسينات التي يمكن أن تكون ضرورية؟ في أي شروط؟ ولمن؟ ولأي غرض؟ وبأي ثمن؟

في النهاية يمكن لدولة واعية أن تقرر ذلك بشكل قانوني بمجرد أن تكون الجماعة وليس الفرد فقط موضع تساؤل، أين يمكننا اتخاذ قرار بشأن ما قد يجردنا من إنسانيتنا أو ما قد يجعلنا أكثر إنسانية، وهنا يأتي دور المناقشات التي يمكن للخبراء والمتقنين من جميع التخصصات أن يلعبوا فيها دورا واضحا وأن يستندوا إلى مبدأ أساسي وهو أنه في كل موضوع يجب معالجته فإن الشيء الأساسي ليس إبداء رأيهم ولا حتى الحصول على قناعة شخصية، بل لابد من أخذ الآخرين في الاعتبار والسعي للوصول إلى التفكير الواسع من وجهة نظر الآخرين. لأن الشيء الأساسي في مثل هذه الأمور هو تجاوز الآراء الذاتية والعواطف، فشكل القانون

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

نفسه وعالميته يلزم بذلك<sup>1</sup>. وهنا يقترح الانتقال من القناعة الشخصية إلى القانون، والانتقال من الحدس الذاتي إلى الالتزام للآخرين، فلكي نجبر الآخر على القيام بشيء ما يجب أن يكون لدينا أسباب لذلك تتجاوز الذاتية وتأخذ في الاعتبار الجماعة والمصلحة العامة، وحتى القيم العالمية، وهنا تكمن المشكلة التي يمكن توضيحها بمثالين يرتبطان بالقضايا المطروحة من قبل منطق الإنسانية المتحولة: تقنيات الإنجاب المساعد بالتلقيح الاصطناعي للنساء بعد سن اليأس، والتشخيص الوراثي قبل الزرع الذي أثير لفترة طويلة في الأخلاقيات الحيوية.

بالنسبة إلى المثال الأول، فعلى الرغم من التحفظات التي يثيرها البعض، فقد فرضت تقنيات الإنجاب المساعدة بالتلقيح الاصطناعي نفسها على أرض الواقع، حيث عاجلت بشكل جيد عقم بعض الأزواج لدرجة أن ملايين الأطفال قد ولدوا اليوم بشكل جيد، وهم مصدر سعادة لآبائهم. بالتأكيد لا نزال نسمع أن هذه التقنيات الجديدة تفتح عهد "الطفل-الشيء" المطلوب مثل لعبة عادية في متجر الطب الحديث - كما ذهب إلى ذلك هابرماس - لكن هذه الحجة الخادعة لم تعد صالحة، إذ أضحي الجميع يفهم جيداً أن الطفل المطلوب لديه فرصة أكبر للترحيب به في بيئة مواتية لتطوره نتيجة رغبة والديه به أكثر من الطفل غير المرغوب فيه. في المقابل يبدو أن غالبية الفرنسيين رافضون للسماح بتقنيات الإنجاب المساعد بالتلقيح الاصطناعي للنساء اللواتي تجاوزن سن الإنجاب، وفي هذه الحالة يقترح فيري تطبيق المبدأ الأساسي الذي تمت الإشارة إليه سابقاً المتمثل في تحويل الشعور الشخصي إلى قانون يحظر شيء ما، يجب رفعه إلى مستوى التفكير المنطقي المدروس، بحيث يكون اتخاذ القرار صالحاً للجميع<sup>2</sup>، وفي هذا المثال المتعلق بالمساعدة الإنجابية للنساء في سن اليأس تبدو الحجج حسب فيري غير كافية.

أما في المثال الآخر الذي يخص التشخيص قبل الزرع DPI الذي اعتبره الكثير شكل من أشكال تحسين النسل، ففي الحالات الوراثية الخطيرة كالتليف الكيسي مثلاً، يمكن تقديم للأزواج الذين يرغبون في إنجاب طفل خالٍ من الأمراض احتماليين للتشخيص المبكر، الأول يتمثل في التشخيص الكلاسيكي قبل الولادة ويتجسد في اكتشاف وجود اضطراب وراثي في الجنين ونتيجته المنطقية هي الإجهاض، والثاني هو التشخيص قبل الزرع الذي يجعل من الممكن تجنب هذه النتيجة، أين يتم اللجوء إلى إخصاب العديد من الأجنة ثم يتم استخدام الاختبارات الجينية لتحديد تلك التي تحمل خلافاً وراثياً جينياً، ويتم بعد ذلك زرع

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 159.

<sup>2</sup>Ibid, pp 160, 161.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الأجنة الخالية من العيوب فقط، وقد سمحت هذه التقنية بالفعل بولادة آلاف الأطفال الأصحاء خاصة في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا<sup>1</sup>. ومع ذلك تثير هذه القضية اعتراضين رئيسيين من قبل معارضيهما، فمن جهة يتم اتهام مثل هذه التجارب بأنها يوجينيا، ومن جهة ثانية يضيفون بأنها تضعنا على منحدر زلق بحيث يصعب التوقف عن مثل هذه الممارسات.

تبدو هذه الحجج التي تخاطب الجمهور وتمتّع بمظهر الفطرة السليمة والفضيلة غير صارمة وفقا لفيري، هذا لأنها تتجاوز السؤال الحقيقي المتمثل بالضبط في مسألة التنظيم والحدود الدقيقة التي يجب فرضها في مثل هذه القضايا بدلا من السماح بكل شيء أو منع كل شيء، وهنا لا يُخفي فيري إعجابه بالجهاز الذي تم اعتماده بشكل أساسي في فرنسا يتم تقويض ممارسة التشخيص قبل الزرع لبعض المستشفيات من خلال تكوين فرقا طبية مسؤولة عن تحديد الحد الذي لا ينبغي تخطيه، بحيث يسمح به لأغراض علاجية للأمراض الوراثية الخطيرة وليس على جميع الحالات التي تتعلق بالراحة البسيطة<sup>2</sup>. وما نستشفه هنا أن فيري يشجع على وضع أخلاقيات لمثل هذه الممارسات واخضاعها لرقابة وتنظيم سياسي (الدولة) لتسير بطريقة شفافة وفق مبدأ أعلى صارم يحكم الحوار بين المعتقدات الدينية وغير الدينية في مجتمع علماني، لكن هذه الفكرة قد سبقه إليها الطبيب والفيلسوف الفرنسي فرانسوا داغوني Francois Dagogni (1924-2015).

يؤكد فيري على أن التنظيم حتى ولو حدث في ظل ظروف نقاش مثالية، سيواجه صعوبتين -سبقت الإشارة لهما- الأولى تتعلق بما يمكن تسميته بالجيوسياسية للتنظيم، فمن الواضح أن في مواجهة إمكانية تعزيز الإنسان، حتى ولو كان ذلك لأغراض علاجية فقط، فإن بعض البلدان ستكون أقل تحفظا من غيرها إن لم تكن أكثر استعدادا أو أقل دقة بشأن الحدود التي ستعبرها تقليدا جمهوريا وإنسانيا موجه نحو حقوق الإنسان لا ينبغي تجاوزها. الثانية أنها تصطدم بالأيديولوجية الليبرالية الجديدة التي تقتضي بأن كل فرد يجب أن يكون حرا في اتخاذ القرار لنفسه ولعائلته والتي ستتعارض بوضوح مع الواقع. وهنا نلمس أهمية موقف فيري ودعوته لعدم التخلي عن لجان من المجتمع المدني، فلا بد للسياسة أن تبذل جهدا كبيرا في سياق لجنة

<sup>1</sup>Ibid, pp 162, 163.

<sup>2</sup>Ibid, p 163.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

برلمانية دائمة، وبالتعاون مع وزارة متخصصة لتثقيف أعضائها واستثمار الوقت في فهم العالم القادم بدلا من الاكتفاء - كما هو الحال اليوم- بالنقاشات القديمة للقرن 19 بين الاشتراكيين والليبراليين<sup>1</sup>.

يتعمق فيري أكثر في توضيح آليات التنظيم حتى يتخطى التحديات التي تواجهه، وهي أن يتم في الفضاء العام وليس في مجتمع مدني الذي هو في الأساس مكان للتعبير عن المصالح الخاصة، وبالتالي التعبير عن المصلحة العامة، وعلى أعلى مستوى يجب استعادة السيطرة على مسار العالم الذي يفلت منا أكثر فأكثر، بحيث لا يتوقف الأمر إلا على إرادتنا، فتنظيم هذه المجالات أي مشروع الإنساني المتحولة والاقتصاد التشاركي أمر ضروري لا محالة، لكنه يعتمد على شرط أساسي، ألا وهو قدرتنا على إنشاء هيئات شرعية أي سياسية قادرة على القيام بذلك، لكن هذا الشرط مرهون بشرط آخر هو أن يكون السياسيون والمتقنون مستعدون لجذب انتباه الرأي العام إلى الواقع الحاضر والمستقبل الذي يجب على أطفالنا مواجهته بطريقة مختلفة عن الحنين للماضي.

---

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 164, 165.

### رابعاً: الإنسانية المتحولة والدين

تولدت حركة الإنسانية المتحولة من العقل والعلم والتكنولوجيا، وقد تبدو في الوهلة الأولى حركة إحادية. ومع ذلك، فإنها تحمل في عمقها أيديولوجيا مستوحاة بشدة من المسيحية. غالباً ما يتم تجاهل الجانب الديني في هذه الحركة في النقاشات الفكرية، لكنه ليس جانباً يجب إغفاله. من خلال أصولها وأيديولوجياتها ووعودها، يمكن أن نجد تشابهاً مع الميتافيزيقا أو الأديان في السعي إلى الهروب من الحالة الإنسانية. فالمشروع ما بعد الإنساني التقني لا يعدو كونه إعلاناً عن تحقيق قريب بفضل التكنولوجيا، لتحرر سيؤدي إلى ما لم يُرَ أو يُتصور من قبل.

### 1- الجذور الدينية للإنسانية المتحولة:

تشير فكرة التجاوز أو العبور التي ينطوي عليها مصطلح التعالي بالنسبة للأديان إلى ما هو أبعد من المدرك وإمكانيات الفهم، ويبقى التعالي والتجاوز سمة من سمات الإله، لأنه يظل غير مرئي في العالم الذي خلقه، فالمفهوم تجريدي بشكل خاص، ولكن كما تصفها قواميسنا الفلسفية بشكل جيد، تعود دائماً إلى فكرة الخارج والعلو. إن الإله في التوحيد هو كائن متعالٍ، لأنه خارج العالم، إنه ليس في مكان ما في الخلق، بل هو خارج الخلق. إنه موجود فوقه، لكن الخارج لا يكفي. إن العنصر متعالٍ عندما ينتمي إلى نظام مختلف وأعلى من آخر، إن الإله متعالٍ على العالم، لكن العالم ليس متعالياً على الإله. فالعالم هو خلق، وهو أدنى من خالقه، لذا يستخدم مصطلح التعالي بشكل أساسي لمناقشة علاقات البشر مع الإله، أو علاقة الإله بالعالم، ويأخذ بعداً روحياً، بالمعنى الذي يحتوي على روح أي وعي. على العكس، يؤكد دعاة الإنسانية المتحولة وبعض الفلاسفة مثل سبينوزا أن الإله يتجلى في كل مكان في العالم، وأن التعالي يشير إلى جميع مستويات الواقع (الخلق، الفن، الثقافة، التكنولوجيا...). بالنسبة إليهم يعني التجاوز: الذهاب إلى ما وراء القدرات العادية للعالم المادي، ويؤكدون أنه بالضبط في عالم المادة والطاقة نجد التعالي، فصدمة الفرشة على القماش لا تعني سوى الطلاء ولكن عندما تنظم معاً، فإنها تتجاوز المادة وتصبح فناً<sup>1</sup>.

من هذين المفهومين اللذين يبدوان متعارضين، لا تظهر الإنسانية المتحولة كدعامة للدين، بالمعنى التقليدي للكلمة، ولكن تعدنا بالتجاوز، مع الاختلاف أن تجاوزها يكتسب من خلال الوسائل

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, pp 119, 120.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكنولوجية، وليس من خلال الإله، ويبقى فقط معرفة ما إذا كان التعالي الذي نأمله بوسائلنا وتقنياتنا سيكون بنفس الرفق والعناية والطف الذي وعدنا به الإله.

إن فكرة تحويل الإنسان في الأساس - كما يحلم بها الإنسانون الجدد - ليست معادية للمسيحية، على العكس من ذلك، فإن الرسالة الكتابية تدعو الإنسان أن يكون أفضل مما كان عليه في البداية، من منطلق أن الإنسان غير مكتمل لا يزال قيد التطور، لذا وجب غزو إنسانيته الكاملة ولكن بمساعدة الإله من خلال تحديد حدوده، مما يستدعي العثور على معايير التمييز، من المحتمل أن تكون على جانب وحدة العائلة البشرية والوحدة الشخصية بين الجسد والروح وتطوير الحرية العميقة ونمو الحياة الروحية<sup>1</sup>. وفي هذه النقطة تلتقي مع الإنسانية المتحولة أي في فكرة الإنسان المعزز، مع فارق أن التعزيز عند هذه الأخيرة يقوم به الإنسان بنفسه ومن خلال اعتماده على التقنيات الفائقة.

كان اللاهوتي بيير تيلار دي شاردان من الأوائل الذين أخذوا مستقبل التطور البشري بجدية، حيث تركزت أبحاثه على الهندسة الوراثية، وظهور شبكة عالمية للاتصالات (التي يعتبرها البعض مقدمة للإنترنت)، وتسارع التقدم التكنولوجي نحو ذكاء أعلى من الذكاء البشري<sup>2</sup>. جميع هذه المواضيع يتم تناولها اليوم من قبل دعاة الإنسانية المتحولة، الذين يستندون بشكل متكرر إلى كتاباته.

يتحدث كتاب آخرون مثل يان مينغ عن ما بعد الإنسانية التقنية كـ "نبوءة ميتافيزيقية جديدة". بالنسبة لهم، إذا نجح المشروع ما بعد الإنساني، فقد يتحول الإنسان إلى نوع جديد "ما بعد الإنسان"، أينسل من الهومو سايننس، تتجاوز قدراته قدرات الإنسان العادي بحيث لم يعد ينتمي إلى نفس النوع<sup>3</sup>.

على الرغم من أن التطرف الديني، والخرافة، والتعصب لا تُقبل عند دعاة الإنسانية المتحولة، إلا أن الأب الروحي لهذه الحركة راي كورزويل لا يخفي رأيه ويُعرّف مفهوم "التفرد" الخاص به على أنه دين جديد سيحل محل الأديان التي فشلت حتى الآن، بالنسبة له نحن نخاطر مع حركة ما بعد الإنسانية التقنية بالوصول إلى المعركة النهائية بين التصور الروحي والديني للإنسان وبين تصوره العلمي<sup>4</sup>. فهل يمكننا عندها أن نتصور الإنسان، كائن الإله، جنبًا إلى جنب مع هذا الإنسان الجديد؟

<sup>1</sup>Jean-Guilhem Xerri, Qu'est-ce que le transhumanisme ? p9.

<sup>2</sup> Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 19.

<sup>3</sup>Béatrice Jousset-Courtier, Le transhumanisme, p 100.

<sup>4</sup>Ray Kurzweil, The singularity is near, p10.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

تسعى أيديولوجية الإنسانية المتحولة إلى تقديم إجابة خلاصية للإنسان، ولهذا فهي مهووسة بفكرة تحويل الإنسان إلى كائن "فوق بشري"، خالد بيولوجيًا، بيو-تقنيًا، أو افتراضيًا. وهنا، كما هو الحال في المسيحية، العدو الذي يجب محاربته هو الموت. بالنسبة للبعض، الموت هو الفشل، وبالنسبة للآخرين، يمثل مصدر معنى الإنسان، فالجميع يتفقون على شيء واحد: الموت هو التعبير عن محدوديتنا. تعد الإنسانية المتحولة شكلاً من أشكال الرد على هذا القلق، فالخلاص الذي تعد به يأتي في شكل تحسين، استعادة، علاج، وربما حتى تأليه لما كان ميتاً. حيث تكمن الخلافات مع المؤمنين، في أن الخلاص عند دعاة الإنسانية المتحولة يتحقق من خلال التحول التكنولوجي، في حين أن المسيحيين يعتقدون أنه يأتي من خلال المسيح<sup>1</sup>. ما يعني أن فكرة الإنسان يحتاج إلى الخلاص حاضرة بالفعل في هذه الحركة التجاوزية، ولكن مع فارق واحد أنه تم استبدال النعمة الإلهية بالمعرفة البشرية.

هذا ما يحيلنا إلى التساؤل: هل يمكن أن تخدم الإنسانية المتحولة في حالة الوصول إلى إنسان أرقى من حالته الحالية بعض الوظائف التي تسعى إليها الأديان؟ بالطبع لا، ينفي المؤمنون ذلك لأن أحلام دعاة التحول الإنساني يجب أن تتحقق في هذا العالم، على أساس تطوير شخصي قائم على التقنية والعلم، وليس كما ينبغي في عالم آخر بالاعتماد على القوى الإلهية.

تحدث جاك إلول في عام 1950 عن "الاندفاع الذاتي" للتقنية، وكان يقصد بذلك أنها بدأت في تغيير وضعها: من مجموعة واسعة من الوسائل المخصصة لكل غاية، أصبحت ظاهرة مستقلة تحدث بشكل مستقل عن احتياجات المجتمع، متحررة بشكل متزايد من سيطرة الإنسان وتفرض عليه العديد من القيود. الإنسان، الذي لا يستطيع إلا أن يقدس بيئته، استبدل الطبيعة بالتقنية مع رفضه الاعتراف بذلك رسميًا<sup>2</sup>.

هذا الانتقال أدى إلى فرض سلوك يعتمد على التقنية، تمامًا مثل الإدمان، فعندما يقبل الإنسان القيود التي تفرضها التقنية عليه دون وعي، يصبح مغتربًا بسبب الأدوات التي صنعها بمرور الوقت، هذه الأدوات لم تعد وسائل بل أصبحت مقدسة، وأضحت غايات وضرورات، وبالتالي خالقة للقيم. لم يعد الإله هو الذي يقرر قيمة الإنسان، بل الإنسان نفسه.

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, pp 100, 101.

<sup>2</sup>Ibid, p 101.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في مواجهة التطور التقني الذي يستمر في غزو مساحتنا، وتقديم معجزات للإنسان، وفي مواجهة مجتمع فاقد للمعايير، مضطرب روحياً بسبب علم يثير الشكوك حول كل شيء، فإن الحجج التي يطرحها رجال الدين في جميع الأديان لا تقدم بدائل فكرية كافية. يضطر الفرد إلى الاستثمار بشكل متزايد في العالم المادي، وتقليل استثماره في الروحانيات، إذ أن الإيمان أصبح مجرد أسطورة، وكلماته لم تعد مقنعة خاصة في الغرب، وتبقى على أي حال بلا تأثير على غير المؤمنين. هنا يجب الاعتراف بأن العلم لا يقدم أسساً للإيمان، والإيمان لا يجيب بدوره على متطلبات العلم. لقد حاول **دي شاردان** تحقيق مصالحة من خلال تعريفه لنقطة "أوميغا" بأنها نهج نحو مطلب للوحدة يسمح للإنسان بدمج العلم والإيمان، قد تكون "أوميغا"، من خلال فعل التوليف العقلي، هي نقطة تقاطع الصعود الحتمي للتطور ونزول الوحي. فالتطور يفسر الوحي، في حين أن الوحي يتلاقى مع التطور. ويمكن القول أن مفهوم التفرد عند **راي كيبورزويل** مستوحى من هذا المبدأ، حيث أكد على أن العديد من دعاة ما بعد الإنسانية يعملون ضمن الهندسة المفاهيمية لنظرية نقطة **أوميغا** لـ **دي شاردان** دون أن يدركوا جميعاً ذلك<sup>1</sup>. وعموماً يبقى التناقض قائماً بين التقنية والدين فهي عوالم موازية تحاول دائماً السير معاً، رغم أنها تعرف أنه أمر مستحيل.

يُحاول اللاهوت المسيحي إيجاد وساطة لتجنب التطرفات، ففي حين أنها لا تسمح للإنسان بأن يضع نفسه مكان الإله، فإنها ترفض أيضاً أن يبقى غير مسؤول وبقبل بالمعطيات الطبيعية كقدر لا يستطيع التحكم فيه. حيث تدين وجهة النظر هذه كلاً من إغراء اللعب بدور الإله ورفض جميع أشكال التطور أو الخلاص. لا تجد الكنيسة في الأساس سبباً واضحاً لاستبعاد التقنيات أو اعتبارها غير متوافقة مع تعاليم الروح، إذ لا يوجد نص في الكتاب المقدس يشير إلى أن الإله لا يستطيع أن يكشف نفسه لروحنا إذا قمنا بتجميد أجسادنا على سبيل المثال، كما لا توجد كلمة واحدة في الكتابات المسيحية أو اليهودية أو القرآنية أو في الديانات الوضعية تحرم التجميد البارد<sup>2</sup>.

لا توجد معتقدات تقليدية بالنسبة لشخص يؤمن بالتقمص تقول إن التقمص يتعطل عندما يموت شخص بسبب البرد أو عندما يُجمد جسده بعد الموت السريري. فإذا كانت هناك روح تدخل الجسد عند

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, **Le transhumanisme**, pp 102, 103.

<sup>2</sup>P. Nathanael Garric, **La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : le transhumanisme, Achidiocèse de Malimes, Bruxells, mai 2015, p 16.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

التكوين، فإن التجميد لا يدمرها، فبعد كل شيء، تم تجميد وحفظ أجنة بشرية لفترات طويلة ثم تم إعادة زرعها، مما أدى إلى ولادة أطفال في صحة جيدة ويفترض أنهم يحملون روحًا<sup>1</sup>.

على الرغم من أن بعض دعاة الإنسانية المتحولة يتبعون أشكالًا ليبرالية تقليدية من الفلسفة الشرقية مثل البوذية والغنوصية واليوغا، إذ تؤمن الغنوصية بإمكانية بلوغ الحالة الإلهية من خلال التخلص من الطبيعة البشرية المعطاة له كهبة إلهية، وهكذا يتنازل عن القداسة الإلهية ليحل الإنسان محل الإله. أو يدمجون أفكارهم مع ديانات غربية قائمة مثل المسيحية الليبرالية، إلا أنهم لا يزالون أقلية هامشية جدًا، أما الغالبية العظمى منهم هم ماديون ملحدون لا يؤمنون بوجود روح بشرية متسامية. كثير منهم يؤمنون بالتوافق بين العقول البشرية والمعدات الحاسوبية، مع الفكرة النظرية بأن الوعي البشري سيتم نقله يومًا ما إلى وسائط بديلة<sup>2</sup>.

ألا يخفي تحميل الروح والوعي البشري على وسائل غير بيولوجية إمكانية ملموسة للغاية للقضاء على الموت البيولوجي؟ كعادته الرؤيوية، تناول **دي شاردان** هذا الموضوع إذا ما لم نفترض أن العالم عبثي، فمن الضروري أن يهرب الوعي بطريقة أو بأخرى من التحلل. لكن من منظور محافظ مسيحي، فإن فكرة تحميل الروح تُعد استخفافًا بالجسد البشري وهي سمة مميزة للاعتقاد الغنوصي. إن عدم انفصال المادة الحية عن الوعي يظل أمرًا أساسيًا، لأنه إذا كانت الحياة مجرد مادة، والوعي مجرد نتاج كيميائي، فسيكون من الممكن التلاعب بالوعي والحياة كما نفعل مع المادة<sup>3</sup>.

يدعم دعاة الإنسانية المتحولة ظهور وتلاقي تقنيات ال NBIC، بحيث يجعلنا استخدام هذه التقنيات نصبح أكثر من بشر، وقد عارض الفاتيكان بشدة ذلك من خلال اللجنة اللاهوتية العالمية في بيان صدر عام 2002 بعنوان "الشركة والخدمة، الأشخاص البشر المخلوقون على صورة الإله"، جاء في البيان أن تغيير الهوية الجينية للإنسان، باعتباره شخصًا بشريًا، من خلال إنتاج كائن أقل من الإنسان هو أمر غير أخلاقي تمامًا، مضيئًا أن "خلق سوبرمان أو كائن روحي أعلى" هو "أمر غير قابل للتصور" لأن التحسين الحقيقي لا يمكن أن يأتي إلا من التجربة الدينية والتأله<sup>4</sup>. بعبارة أخرى، بينما يجد دعاة الإنسانية المتحولة في الموارد البشرية

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, p104.

<sup>2</sup>أولغا تشيفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين، ص 30.

<sup>3</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, p 105.

<sup>4</sup> P. Nathanael Garric, *La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme*, p17.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

والعلمية والتقنية وحدها الوسائل للوصول إلى نوع من الكمال والتجاوز، يرى المؤمنون أن النمو الروحي للإنسان هو السبيل الوحيد لبلوغه التحسين والكمال.

يُعتبر الجسد بالنسبة للكنيسة مقراً للروح والعقل، وقد عرّفه الفاتيكان الثاني في علاقته بالآخرين ودعا المسيحيين إلى التبرع بأجسادهم بشرط أن يكون ذلك خارج نطاق التجارة، تاركاً لكل فرد حرية اتخاذ القرار. ولهذا السبب، حتى وإن كان التحكم في الأجساد لدى الكاثوليك يأتي في سياق تحرير الأرواح، فإن التفكير في أن تحويل الجسد قد يؤدي إلى تغيير الروح يُعتبر فكرة عبثية. يحتفظ التيار الإنساني للبشر بسمات الفناء التي تكشف عنها ثنائية الروح والجسد، بينما تقلل حركة الإنسانية المتحولة من قيمة الجسد ليصبح مجرد ظاهرة ثانوية تعبر عن الفناء وتشكل عائقاً أمام الرغبة في الخلود. إن الاعتراف بمبدأ أن الإنسان هو إنسان لأنه استطاع أن ينفصل عن الجمود الطبيعي هو اعترافٌ بمنحه عدم تحديد أولي أي نفي أن تكون ماهيته محددة مسبقاً قبل وجوده، فهو يولد أولاً ثم يعمل على تشكيل ماهيته، وبالتالي قابلية غير محدودة للتشكيل، ومرونة تجعل من الممكن إعادة تشكيله، فغيباب الجوهر يفتح له كل الاحتمالات. مع ديكارت، لم يكن الإنسان سوى بفضل روحه قادراً على الهروب من الحيوان؛ ومع الأزمنة الحديثة، أصبح جسده غير جوهري؛ ومع دعاة الإنسانية المتحولة، يكتسب الإنسان الاستقلالية والحق في تجاوز جسده. حيث نجد الكاتب والصحفي **جان كلود غيلوبو** يصل إلى حد فك شفرة المشروع ما بعد الإنساني باعتباره كراهية للجسد، ويصفها كشكل جديد من الاحتشام، إذ أن في كل مكان، يُقدّم الجسد على أنه عبء قديم، رمز للفناء والهشاشة والموت.<sup>1</sup> وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل يمكن التوفيق بين الجسد والروح؟ هل نتجه نحو نهاية التاريخ، موت الإنسان، بعده لن يبقى سوى أجساد ذات شكل بشري لكنها خالية من الروح، أو روح في شكل واقع غير عضوي وغير حي؟

لقد أنجب الكون الإنسان، هذا الأخير الذي يتداخل تاريخه مع تاريخ الكون أعطى معنى للكون، فمن غبار النجوم تعقدت المادة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت في النهاية روحاً، ومن كونها حية أصبحت مفكرة. ولكن هل يمكن التأمل في عصر، كما يتنبأ به ممثلي الإنسانية المتحولة، حيث يتم وضع المادة في خدمة الروح؟ هل سنشهد ظهور جزيء ما بعد الإنسان؟ وهل ستمكن الإنسانية من أن تحقق المحبة بين الجميع عندما لا تتعرف على نفسها كعناصر لشيء واحد؟<sup>2</sup>

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, pp 106, 107.

<sup>2</sup>Ibid, pp 107, 108.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

في النقاش الواسع حول من الذي خلق الآخر، المادة أم الروح، قد يكشف المستقبل كيف ستكيف هذه الأخيرة نفسها مع الدعائم الجديدة، مثل هذا الأساس الاصطناعي الذي سمي شبكة الإنترنت، للتعبير عن نفسه في عالم ما بعد الإنسان.

إذا عدنا إلى الأصول، إلى لحظة الخلق، عندما تلقى الإنسان الأمر بإخضاع الأرض وزراعة جنته، يمكننا تمامًا أن نفهم أن الثقافة بشكل عام، والتقنية بشكل خاص، هما تحقيق ملموس للدعوة الإنسانية وبالتالي يمكن تطبيقهما على الإنسان نفسه. في الواقع، لماذا يُسمح له بالتدخل في كل شيء، إلا في جسده؟ يمكن أن يُضاف إلى هذا التأمل تقليد فلسفي كامل، تحت تأثير اللاهوت المسيحي، يمنح الإنسان هذه القوة وهذا الواجب ليصنع نفسه، ليبتر نفسه، كما تم ذكره سابقًا.

يحق لنا التساؤل في هذا الموضع: من أين يأتي هذا الشعور بأن الرغبة في تجاوز الحالة الطبيعية يجعلنا نقع في الخطيئة ضد الطبيعة البشرية؟ لأن البعض ينسب إلى الطبيعة طابعًا مقدسًا إلى حد اعتبارها تجسيدًا لنظام إلهي لا يتغير.<sup>1</sup> لذلك فأني محاولة لتغييرها يعتبر تعد واضح على النظام الإلهي.

تعتبر الخطيئة الأصلية عن قانون الخطأ الذي هو في الإنسانية بحكم وضعها ككائن في طور التطور، حيث يعيد الفعل الخلاق الكائن إلى الإله من حدود العدم، وكل خلق يحمل معه كمخاطرة بعض الخطأ، ويتوافق حتمًا ببعض الخلاص. بالنسبة إلى **دي شاردان**، فإن الإنسانية المتطورة تجرب الحرية التي منحها الإله، ومن هنا تأتي الإخفاقات والأخطاء المتفاوتة التي لا مفر منها بشكل أو بآخر. وكما ذكرنا سابقًا، يجب أن تُقدّم الطبيعة بمعنى شبه ديني حتى يمكن تصور مفهوم الخطيئة. أما إذا لم يعد ينظر إليها كأثامًا مكتفياً ذاتيًا مكملاً، بل أفقًا مفتوحًا على كل الاحتمالات، فلا توجد بعد ذلك أي انتهاكات، ولا أي وحشية. كانت الأنوار تدعم أنه لا يوجد معرفة بدون تحرر، وأن الانتهاك هو من طبيعة الإنسانية، فلا عجب أن يعرف الإنسان نفسه بقدرته على انتهاك الطبيعة، تلك التي حرمت الإنسان من الكثير، مقدمةً له الحد الأدنى فقط مقارنةً بما تمتلكه الحيوانات.<sup>2</sup> من خلال انفصاله نهائيًا عن العالم الحيواني، يظهر الإنسان إنسانيته، من خلال إنشاء عالم من الرموز، والمعتقدات، والديانات من جهة، ومن جهة أخرى، بفضل "الأداة" التي تعزز خارجيته، يتجه نحو "المنفصل"، و"المختلف"، و"الاستثنائي".

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 29, 30.

<sup>2</sup>Ibid, p 64.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الإنسانية اليوم تقوم بالانتهاك باستمرار، ترتكب الخطيئة، وتتطور في ثقافة تتسم بـ "موت الإله" في عالم لم يعد يعترف كثيرًا بالمقدس كشيء إيجابي. لقد ابتعدت المعرفة عن المقدس، ومع التيار ما بعد الإنساني، تتملك المبادرة لمصيرها. حيث أن العلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي تتجه نحو إلغاء محدودية الأجساد.

### 2- الفردية أو البحث عن دين جديد:

هل يمكن حقًا التحدث عن الدين أو الوعي الجديد كالفردية التي يؤمن بها راي كرزويل حتى لو كانت هناك بعض القواسم المشتركة بينها وبين الأديان التقليدية؟

يمكن القول إن التفكير في الاتجاهات العلمية الناتجة عن النانو-تكنولوجيات يثير نفس التساؤلات التي تحاول الأديان أيضًا الإجابة عليها: طبيعة الموت، معنى الحياة، وغرض الكون. لكن أن تكون "مؤمنًا بالفردية" لا يعني الإيمان كما تفهمه الأديان. أول شيء يجب تجنبه بشكل أساسي بالنسبة لدعاة الإنسانية المتحولة هو إنشاء عقيدة جديدة، أو عبادة أخرى، لأن التفرد ليس نظامًا من المعتقدات أو وجهات النظر الموحدة. إنها أساسًا فهم للتوجهات الأساسية للتكنولوجيا، وفي نفس الوقت رؤية تدفعك إلى إعادة التفكير في كل شيء، من الطبيعة، والصحة، والثروة، وطبيعة الموت والوجود، وفقًا لراي كرزويل الذي يرى أن معنى الحياة هو خلق وتقدير معرفة أكبر دائمًا، والسعي نحو نظام أعلى جديد يحمل معه إمكانية وجود إله جديد، وذلك بعد أن يتشبع الكون بوعي وذكاء عالي، فائق وذاتي<sup>1</sup>. لكن هذا الوعي ليس كما نعرفه اليوم، بل يجب تخيل شكل آخر من الوعي، غير معروف بعد. على سبيل المثال، ذلك الذي سيترتب على اندماج الحواسيب مع بعضها.

يشير **دو شاردان** إلى أن ثورة الكائنات الحية الأكثر تعقيدًا على الكوكب كانت تسير جنبًا إلى جنب مع تطورها وزيادة قواها العقلية، واستنتج أن درجات التعقيد منذ بداية الحياة على الأرض تتوافق مع درجات الوعي، وأكد على أن الوقت الوحيد الذي يهم هو المستقبل، فنحن نسير بسرعة متسارعة نحو نقطة، لحظة نهائية أسمها "أوميغا". في مستقبل غير متوقع، سينتلاشى "يسوع" التاريخ تدريجيًا أمام "يسوع" المستقبل، أي المسيح في هذه الإعادة النهائية يمثل نقطة "أوميغا". بالطبع، فإن نظرية نقطة "أوميغا" مسيحية بعمق، حيث

<sup>1</sup>Roberto Paura, Singularity believers and the new utopia of transhumanism, imago, N°7, june 2016, pp 30, 31.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

إن مرحلتها النهائية هي المسيح، ويشير بها إلى مرحلة تسارع التقدم التكنولوجي نحو "أوميغا"، حيث ستصبح الذكاء البشري ذكاءً فائقًا<sup>1</sup>.

وقد تم تبني عمله حول انتشار الذكاء البشري في الكون وتكبيره في ذكاء كوني من قبل فرانك تيبيلر Frank Tipler (1947-) وراي كيرزويل. كشاهد على تسارع وتيرة التقدم التكنولوجي، أكد دو شاردان أن هذا التسارع سيقود إلى ظهور آلة فائقة عالمية، فكل الآلات على الأرض مجتمعة، تميل إلى تشكيل آلية كبيرة واحدة منظمة وبالتالي فإن تسريع وتكثير نموها سيشكل شبكة فريدة عملاقة، ستلتف حول الأرض، ويبدو أن ظهور آلة فائقة تدير تطورها الخاص يتماشى بشكل وثيق مع فكرة التفرد التي طورها راي كيرزويل، حيث يعرفها بأنها فترة مستقبلية ستكون فيها وتيرة التغيير التكنولوجي سريعة جدًا، وتأثيرها عميقًا لدرجة أن الحياة البشرية ستتحول بشكل لا رجعة فيه وستحول البشر إلى فوق البشر<sup>2</sup>.

أفردو شاردان بأنه ستسمح لنا التفردية بتجاوز حدود أجسادنا البيولوجية وأدمغتنا. سنكون قادرين على العيش طالما أردنا ذلك. وسيشكل التفرد تحقيق دمج تفكيرنا البيولوجي مع تقنيتنا، مما سيدفعنا إلى عالم لا يزال إنسانيًا، ولكنه سيتجاوز جذورنا البيولوجية. لن يكون هناك أي تمييز بين الإنسان والآلة أو بين الواقع المادي والافتراضي. من خلال هذا التفكير الرؤيوي، يؤكد أنه سيكون هناك فترة من التغيرات التكنولوجية السريعة خلالها سنشهد دمج الإنسانية مع التكنولوجيا<sup>3</sup>. وهنا نفهم لماذا تم انتقاده بشدة وهجومه في وقته من قبل الكاثوليك المحافظين، ولماذا يشعر دعاة الإنسانية المتحولة بأنهم قريبون منه. ولكن هؤلاء الآخرين قد يضطرون إلى خوض نفس المعارك، بشأن مسائل مشابهة، نظرًا لالتزاماتهم.

من الصعب شرح أو وصف الوعي لأنه لا يوجد اختبار موضوعي يمكنه حقًا إثبات وجوده، كما لا يمكن التوغل في التجربة الذاتية لشخص ما باستخدام قياسات موضوعية مباشرة. ولهذا السبب، سيبقى البعض دائمًا رافضًا الاعتقاد بأن روبوتاتنا يمكن أن تمتلك أي شكل من أشكال الروحانية إلا إذا كانت بالطبع تحتوي على خلايا عصبية، أو نواقل عصبية، أو تركيبة بروتينات موجهة بواسطة الحمض النووي.

يتكون الفرد من خلال تراثه الجيني كما ذكر سابقًا وكذلك من خلال مساهمات بيئته، فنحن نتفاعل وفقًا لما نتعلمه، تمامًا مثل الروبوتات. مما يفضي للاعتراف يوما ما بأن هذه الآلات المستقبلية، التي ستكون

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, pp 111, 112.

<sup>2</sup>Roberto Paura, *Singularity believers and the new utopia of transhumanism*, pp 01, 32.

<sup>3</sup>Ray kurzweil, *The singularity is near*, p79.



## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

أكثر ذكاءً بكثير من الإنسان العادي، ستظهر ربما أكثر كثيرًا مما يفعله من تلك الدقة في التفكير البشري التي يُزعم أنها تميزه. إن اليابانيون على وشك إنتاج إنسان آلي من نوع HRP-2 Promet، وقد تكون "الإيموروبوتات" من البرنامج الأوروبي Feelix Growing نشطة في المستقبل القريب. وبالتالي، عندما يتم التعرف بشكل تفصيلي للغاية على كل ما يحدث في الجسم البشري، وخاصة الدماغ، وتُنقل هذه "البيانات" إلى ركيزة أخرى، لماذا لا يتم التحدث، في سياقها، عن الوعي؟ قد تقول الآلات يومًا ما إنها تمتلك أيضًا مشاعر، وأحاسيس، وتجارب روحية، وأفكار تجعل المسافة بين الذكاء البيولوجي وغير البيولوجي متقاربة جدًا<sup>1</sup>.

يمكن التنبؤ أنه قريبًا لن تكون هناك اختلافات طبيعية بين الإنسان والحيوان والآلة، بل ستكون هناك اختلافات بسيطة في الدرجة، بين كائنات أكثر أو أقل تعقيدًا، بذكاء يمكن أن يتواجد في كل مستوى من هذه الكائنات. كلما اجتاحت تقنيات المعلومات والاتصالات فضائنا، كلما زادت حيويته، مما يلغي بالفعل أي حدود؛ فتختفي الحدود والمطالبات الهوياتية. فبفضل الإنترنت تم سحق المكان والزمان، وتحقق اقتراب يجعل هذا الاندماج ممكنًا<sup>2</sup>. لقد أصبحنا مجرد خلايا عصبية على كوكب الأرض. وهذه هي الفضائل الثلاث من التعاليم البوذية التي يشعر بعض دعاة الإنسانية المتحولة بالقرب منها: الاعتماد المتبادل الذي يتجلى في الفضاء السيرياني؛ عدم الدوام بسبب عابرية تبادُلنا؛ فراغ الذات لأنه بتقليص أنفسنا إلى مجرد خلايا عصبية نصبح قابلين للتبادل وقابلين للاستبدال دائمًا.

نحن نتجه نحو اندماج النظام البيئي الطبيعي والصناعي، ولكن لتحقيق ذلك، يجب أن يفتح الإنسان لنفسه باب تجاوز قدراته، وإلا كيف يمكن قبول هذا الوعي الجديد الذي سيزعم أنه يمتلك الروح غير البيولوجية؟

### 3- الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة:

إن جميع التقنيات بطبيعتها محايدة، وما نفعله بها هو الذي يجعلها ضارة. إن الابتعاد عن المشكلة التي يطرحها فكر الإنسانية المتحولة لن يمنع عواقبها السلبية المحتملة، ولا يجعلها تختفي، بل على العكس سيجعلنا عرضة للخطر، ويأخذ من الإنسان أي إمكانية للتحكم. تستند الانتقادات الموجهة إلى البيوتكنولوجيا إلى

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Courtier, *Le transhumanisme*, p 115.

<sup>2</sup> Ibid, p 116.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

حد كبير على القيم المرتبطة بالفردية وتحقيق الذات التي تتسم بها الثقافة الغربية. إن امتلاك الفرد لحقوق غير قابلة للتصرف، وجعل حريته الشخصية تتفوق على أي اعتبارات تتعلق بالانتماء الجماعي هو بالكامل ثنائي؛ إنه ثمرة فلسفة الأنوار وإعلان حقوق الإنسان. على عكس ذلك، في قارات أخرى مثل إفريقيا وآسيا، يعد الفرد أقل أهمية في حد ذاته، وهو عنصر من عناصر جماعة يجب عليه الخضوع لها. ولهذا السبب، فإن المعارضة للبيو-تكنولوجيا لا توجد إلا في إطار الحدود الثقافية، وفي هذا الإطار تبقى أقلية على المستوى العالمي. من المحتمل ألا يستمر البيو محافظون طويلًا، وأن أي معارضة من قبلها ستتجسد في حملة رمزية، ليس لها أي هدف سوى تبرير وتعزيز مصالح أولئك الذين يقودونها. وتعاني الأديان التقليدية واللاهوتيات الثابتة من صعوبة متابعة التطور التكنولوجي لأن العديد من السيناريوهات لم تعد تتماشى مع عقائدها، من خلال الاستمرار في جهلها ستقطع تلك الأديان صلتها بالمجتمع الناشئ وستحدد مستوى العلم الذي ترغب في الالتزام به، وسيتمتع عليها حقًا أن تتطور لتستمر في العالم الجديد الذي يلوح في الأفق<sup>1</sup>.

لا يمكن إنكار أن أحد الجوانب الإيجابية التي أطلقها تحدي الإنسانية المتحولة، من خلال الاتجاه نحو التساؤل عن أساس معتقداتنا وآمالنا وقيمنا في إطار مجتمع بصدد التشكل. وبالتالي هل ستم الإجابة عن الأسئلة التالية: إذا كانت كل التحسينات التي تؤخذ بشكل فردي قد تبدو شيئًا جيدًا، فهل سيؤدي تراكمها إلى الدخول في مجتمع حيث ستتقلص متعة الحياة إلى أشياء قليلة جدًا؟ قد تكون الحياة الأبدية فرضية جدية، لكن هل الموت مرغوب فيه؟ هل يمكن أن تكون الحياة بلا نهاية كابوسًا؟ إذا لم تكن إطالة الحياة مشكلة في حد ذاتها، أليست إطالة الوجود السيء الذي يعاني منه هو المشكلة؟ ما هي الأهداف التي يمكن أن توجد في الحياة في مجتمع خالٍ من الروحانية؟ هل يمكن العثور عليها خارج وعد إلهي؟ هل الحياة بلا وعد روحي ممكنة؟ هل سيزل للأديان التقليدية مكان في زمن NBIC ومشروع التحول الإنسانية؟

**وكقراءة نقدية لهذا الفصل** يتبين لنا أننا أمام أزمة إنسانية أنطولوجية، ترهن مستقبل الوجود الإنساني، وذلك بفعل البيوتكنولوجيا التي أتاحت إمكانية التعديل في الطبيعة البشرية، وهذا ما يمثل مسعا لحركة الإنسانية المتحولة غير مكترثة بالإنزلاقات التي ستعجز من وراء ذلك، ونحن نتحدث هنا عن زعزعة كيان الإنسان، ودمار للهوية البشرية، هذا ما يقود حتما إلى مرحلة تسيطر فيها التقنية على الإنسان من مختلف جوانب حياته، كما أنها المرحلة التي تنعدم فيها القيم الإنسانية، هذا ما ينبئ بنهاية الإنسان. وعلى

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 117.

## الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة عند لوك فيري

الرغم من هذه المخاوف إلا أن الجهود العالمية لتطوير السياسات واللوائح الأخلاقي التي من شأنها أن تضع ضوابط لهذه التقنيات بهدف حماية الإنسان يمكن وصفها بالشبه المنعدمة أو غير المفعلة.

إن الوعود المقدمة من طرف الإنسانية المتحولة يمكن وصفها بالخداع الأيديولوجي، حيث يصبح الإنسان أكثر عرضة للتوجيه والخضوع للمشاريع البيوتكنولوجية ولأنظمة الحكومات الرقمية، ويصبح أيضا عبدا للسوق، ذلك أن معظم المستثمرين في أهداف هذه الحركة هم من رواد الأعمال والمهندسين الذين يروجون لفكرة تجسيد الكائن وفرض السيطرة على الحياة، في حين أنهم ليسوا على صلة بالمجال البيوطبي، بل تكمن غايتهم في احتلال السوق وتوجيهه، وجعل جسم الإنسان مثل بضاعة يتم تطويعها وفقا لمعايير تنظيم المشاريع المثمرة لفكرة الإنسان الناجح والمتطور وصاحب الكفاءة العالية.

يضع هذا التحول - من ناحية أخرى - الإنسان المعاصر أمام أزمة جديدة، تتمثل في مشاركته الآلهة في فعل الخلق، من خلال تمكينه من هندسة حياته بنفسه، هذا ما ينقلب عليه لأنه يسير عكس طبيعة الخلق الإلهي، هذا ما يضع هذه الحركة أمام مساءلة أنطولوجية ذلك أنه لن يتمكن فقط من خلق إنسان جديد بل يمتلك قدرات فائقة تسمح له بالخلود.

ضف إلى ذلك، أن هذه الحركة تضع معتقداتنا الإيمانية التي كنا نراها إلى زمن قريب يقينا لا يتزعزع أمام تحديات جديدة تتطلب فتح أبواب الإجتهد فهما وتفسيرا واستنباطا، فالتبشير بميلاد إنسان جديد فائق ينزع الإرتياح الذي نشعر به أمام يقين المعتقدات الإيمانية ويجعلنا نشك في حاجتنا إليها.

### خلاصة:

بناء على ما تم ذكره في مباحث هذا الفصل نصل إلى النتائج التالية:

- يؤيد فيري التعزيز الجيني في مقابل رفضه للتغيير الجذري في الطبيعة البشرية من خلال دمجها مع الآلة أو نقل وعيه إلى حوامل غير بشرية.

- إن الثورة الجينية صاحبها ثورة إقتصادية، حيث أحدثت تغييرات في نماذجنا الإقتصادية، والتي كان من إفرازاتها الإقتصاد التعاوني أو التشاركي.

- لا تعتبر حركة الإنسانية المتحولة حركة سياسية، ولكن القضايا الأخلاقية والاجتماعية التي تثيرها تحتاج إلى برمجة سياسية من قبل أهل العلم وصانعي القرار.

- إن حركة الإنسانية المتحولة نابعة من العلم والعقل، ولهذا يصنفها فيري كحركة علمانية.



## الفصل الثالث: الإنسانية المتحولة في الخطاب البيوإتقي



أولاً: مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية

1. الطبيعة الأصلية كمعيار أخلاقي لدى البيومحافظين
2. البيوتقدميون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة
3. لوك فيري والتوفيق بين البيومحافظين والبيوتقدميين

ثانياً: معضلة الحقوق الإنسانية

1. البيومحافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية
2. حقوق الإنسان الفائق من منظور بيوتقدمي
3. حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري

ثالثاً: قضية الكرامة الإنسانية

1. البيومحافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية
2. المقاربة البيوتقدمية والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان
3. مسألة الكرامة عند لوك فيري

رابعاً: الإنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوك فيري

1. أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته
2. تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث
3. مشروع لوك فيري الإنساني: مقارنة نقدية

## تمهيد:

يشير النقاش المكثف حول أخلاقيات التعزيز الجيني في الأدبيات البيو-أخلاقية إلى أن الموضوع يُعتبر جديراً بالاهتمام والنقاش العقلاني. وفي هذا السياق، بينما لا يزال يُنظر إلى السعي لتعزيز البشر على أنه أمر إشكالي للغاية، فإن هناك اعترافاً واضحاً بأن العديد من أشكال التعزيز الجيني أصبحت موجودة بالفعل أو هي ممكنة على الأقل؛ وبالتالي، هناك حاجة ملحة للتعامل الواضح والعملي مع المخاوف الأخلاقية المتعلقة بالتعزيز بشكل عام. بسبب هذا الاعتراف، فإن الحجج ضد التعزيز الجيني متنوعة من حيث تركيزها، وتعامل مع قضايا ومخاوف حقيقية بدلاً من اتخاذ نهج الرفض السطحي.

إن الطموح لما بعد الإنساني لتعزيز القدرات البشرية بشكل جذري، بما في ذلك تمديد الحياة إلى أجل غير مسمى، وأخيراً تحويل البشر إلى كيانات بيو-ميكانيكية أو ربما افتراضية رقمية، يثير ردود فعل شديدة المعارضة. عادةً ما تستند هذه المعارضة إلى ما يُفترض أنه خطأ جوهري في العبث بمن نحن وماذا نكون. بشكل أكثر تحديداً، تركز ردود الفعل ضد ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة على التغييرات التي من شأنها أن تؤدي إلى خروج البشر عن صنف الكائنات البيولوجية البشرية، من حيث العضوية في نوع الكائن العاقل. علاوة على ذلك، فإن العديد من الانتقادات لكلا الحركتين، والتي يوجهها أولئك الذين لا يصفون أنفسهم بأنهم يدعمون أجندة بيولوجية محافظة أو دينية، تلجأ إلى مفاهيم ميتافيزيقية أو دينية. وهذا يتضح من ميل هذه الحجج للدفاع عن الحفاظ على الشكل البشري في حالته الحالية، بسبب وضعه المزعوم كشيء مقدس، لا يُنتهك، أو أساسي للإنسان، دون تقديم أسباب كافية لهذه الادعاءات. ترتبط هذه "الحدوس" بشكل متزايد بمفاهيم تحظى باهتمام ونقاش كبيرين، وهي: الطبيعة البشرية، الحقوق الإنسانية، الكرامة الإنسانية. هذا ما دفع بـ **لوك فيري** إلى الخوض في مثل هذه المسائل وتقييم مواقف ممثليها والذي خرج من هذا النقاش برسم معالم إنسانية جديدة أو إنسانية الحب كما أطلق عليها؟

### أولاً: مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية

تضعنا مخرجات التقنو علمي -الذي تعول عليه نزعة الإنسانية المتحولة- في مواجهة مفارقات أنطولوجية وأخلاقية خاصة فيما يتعلق بمستقبل الطبيعة البشرية وأولها فقدان الإنسانية لمسوغها الطبيعي، ومن ثم تحاويلها نحو الصناعي، على أن التمهيد بين الطبيعي والصناعي هو في حد ذاته سؤال عن الكينونة البشرية، فالتحول نحو الصناعي يهدد مفهوم الكائن الإنساني بما أنه حي.

#### 1- الطبيعة الأصلية كمعيار أخلاقي لدى البيومحافظين:

يدل معنى الطبيعة على مجموعة من الأشياء التي توجد من دون تدخل بشري، وكل ما يأتي إلى الوجود من نفسه، ويحافظ على نفسه بنفسه، هناك دلالات وصفية متعددة لمصطلح الطبيعة إلا أنه عموماً يشير إلى كل ما هو ثابت وجوهري. في هذا السياق تبرز الطبيعة البشرية كونها جملة من المميزات والخصائص الشاملة لجميع البشر الخاصة بهم وحدهم والمانعة لدخول غيرهم من الموجودات فيها، هذا ما يجعل طبيعة الكائن البشري مرسومة بحدود معينة مثل العقل، الوعي، الحرية، الكرامة، الفناء... الخ<sup>1</sup>.

إن الطبيعة الإنسانية وخصائصها الثابتة هي ما يمنح الإنسان الهوية والحقوق، وعلى أساسها تُقام الأخلاق الكونية باعتبارها احتراماً للسمات الطبيعية المشتركة بين البشر، وأن أي محاولة للتدخل فيها مثل تعديلها، تغييرها، أو الإضافة عليها هو هدم لمقومات الكائن الإنساني ككل أي الأخلاق المشتركة والحقوق والأهم الهوية، على أن الهوية المتجانسة تشير حسبهم إلى مجموع خصائص ممنوحة ومعطاة مسبقاً، فهي بمثابة هبة بيولوجية كما أنها تتمتع بالثبات والكونية... هذا ما دفع بالكثير من الفلاسفة والبيو محافظون أمثال فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyama (1952-) إلى رفض منطوق الإنسانية المتحولة جملة وتفصيلاً معتبراً إياها أخطر فكرة على الإطلاق.

يؤمن فلاسفة الإنسانية المتحولة بأن التطور الحتمي يطال بصفة جوهرية الطبيعة البشرية، مما يجعلهم في مواجهة دائمة مع البيولوجيون المحافظون (البيو المحافظين) الذين يسلمون بضرورة عدم المساس بها، والحفاظ عليها كما رسمتها الإرادة الإلهية. إذ أن الطبيعة البيولوجية للبشر تسير وفق منطق غائي نحو غاية محددة

<sup>1</sup> محمد جديدي، الأفق البيوإتيقي، ج2، ص ص 267، 268.



مسبقاً، وأي محاولة للانزياح عن هذا المنطق أو هذه الغاية، كالتدخل تكنولوجيا في تشكيلها وتعديلها يعتبر بداية لموتها أو أفولها<sup>1</sup>.

إن التحديات التي يطرحها مشروع الإنسانية المتحولة ووعوده في التعزيز البشري، مثلت الأرضية التي اعتمد عليها البيومحافظين أمثال فوكوياما وهابرماس وليون كاس Leon Kass (1939-) ومايكل ساندل Michael Sandel (1953-) في نقدهم الأخلاقي والعقلائي للتقنية.

إن البيوتكنولوجيا وآلياتها الإجرائية والتدخلية تعني سلطة على الكائن وافتقار لاستقلاليته والتصرف فيه قبلياً، وبالتالي فهي تحدث تغيراً في مفهوم الذات الإنسانية وصورتها النهائية، إذ تعبر مجمل التقنيات الحيوية، مثل زرع الأعضاء والاستنساخ عن نمط من الوجود، ما يعني أن الجسد البشري هو تجميع لقطع غيار تتبدل و تتغير ويمكن التحكم بها<sup>2</sup>، إذ لم نعد أمام مقارنة الوجود العاقل وإنما أنطولوجيا التحول والعبور والإعلاء، مما قد يؤدي إلى الخروج عن المعايير المفروضة أن تكون إنسانية، مثل تغيير الجنس وعمليات التجميل، وتبدل الهوية التي تجري تغييراً لمعايير الطبيعة وبالتالي الوجود الإنساني، إنه بحث في الماهية والكينونة والعلاقة بين الوضع الجسدي البيولوجي والوضع الإنساني جملة.

إن مشروع تغيير وتعزيز وتعديل الطبيعة البشرية الذي نادت به الإنسانية المتحولة قد تمحور في الأساس حول: القضاء على الشيخوخة وتأخير الموت ومحاربه، لكن قوبلت هذه الأفكار باعتراضات كثيرة من طرف البيومحافظين على وجه التحديد، وتدور هذه الاعتراضات إجمالاً - كما سردها لوك فيري- في النقاط التالية:

- على المستوى الديمغرافي: فإذا لم يعد أحد يموت أو على الأقل إذا كان بإمكان أي شخص أن يتوقع بشكل معقول العيش حتى سن 150 أو 200 عاماً، فكيف نتجنب الاكتظاظ السكاني؟ ما يستدعي استعمال كوكب آخر أو نوقف جميع المواليد ماعدا التي ستعوض الوفاة، وهنا يتبين أنه من الصعب رؤية حلول معقولة، فافتراض فكرة الخلود تخلق لنا مشكلة مزدوجة، من جهة عدم وفاة أي شخص ستكون الأرض مكتظة بالسكان ومن المحتمل أن تموت البشرية جوعاً، ومن جهة أخرى من أجل عدم ازدحام

<sup>1</sup> هشام معافة، الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، ص 62، 67.

<sup>2</sup> نورة بوحناش، البيوإتيقا والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017، ص 259.

الأرض قد تتوقف عن إنجاب الأطفال، وعليه فلن تجدد البشرية نفسها، وهذا يجعلنا نعترف بأن الموت يقدم العديد من الخدمات إلى الأحياء، وهنا نتساءل: هل نريد حقاً العيش في عالم بدون أطفال؟ وفي عالم مكتظ بالسكان حيث يفكر كل شخص فقط في إنقاذ حياته من أجل البقاء لأطول مدة ممكنة؟

- **على المستوى النفسي:** ما الذي سنفعله بكل هذا الوقت الحر؟ ألا يدفعنا إحساسنا بالحدودية - وأنه لا مفر من الموت - إلى العمل، ويخرجنا من كسلنا الطبيعي ويدفعنا إلى بناء الأعمال وبناء الحضارات؟

- **على المستوى الميتافيزيقي:** ستطرح من جديد مسألة معنى الحياة نفسها بشكل أكبر وأكثر اختلافاً عن الماضي، فماذا يعني حياة بلا نهاية؟ وماذا يعني إنسان محروم من علاقته بالموت؟ أليس الموت هو ما يعطي الحياة كل معناها وطعمها؟ هل ستظل الموسيقى أو الكتاب الذي لا نهاية له ذا معنى؟

- **على المستوى الاجتماعي:** ستطرح خلافات سياسية حول التقاعد، بالتأكيد في شروط مختلفة تماماً إذا لم يتمكن أي شخص من التفكير في التوقف عن العمل ما لم تعمل الروبوتات نيابة عنا أو لم نغرق في بطالة لا نهاية لها.

- **على المستوى الأخلاقي:** ففي مواجهة هذه القوى الجديدة للإنسان على الإنسان، لن تكون العائلات متساوية بأي حال من الأحوال، كما ذكرنا سابقاً، سيكون طول العمر باهظ الثمن، وستصبح الاختلافات في الثروة في هذه الظروف لا تحتل أكثر لأنها تصير مسألة حياة أو موت<sup>1</sup>. هنا نجد أنفسنا أمام التساؤل التالي: ألا نخاطر بالدخول إلى عالم تصبح فيه الفوارق التي لا نتحملها بالفعل اليوم غير مقبولة؟ في الواقع إذا أضحي طول العمر متاحاً فقط للأثرياء فكيف نتجنب ظهور نوع جديد من النبلاء الخالدين الذين يمتلكون كل القوة وكل الثروة بينما يصبح بقية السكان محكوم عليهم بوجود بائس وقصير الأجل؟

يشاع أن هذه الفوارق موجودة بالفعل وأن الفجوة بين الثروة حالياً من 1 إلى 1000، لكن في الفرضية التي نفترضها هنا لن يكون الأمر مجرد معرفة ما إذا كان لدينا سيارة أو منزل أجمل من جيراننا، بل سيكون مسألة حياة أو موت، وهي مسألة ستطرح بشكل مختلف اعتماداً على ما إذا كنا أغنياء أو بائسين نظراً لتكلفة طول العمر. ما الذي سيمنح الحق في العيش أو الالتزام بالموت؟ هل سيكون الأمر مجرد مسألة مال؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف نمول المساواة التي ستطالب بها الشعوب بالتأكيد؟ فكلما زاد عدد الأغنياء زادت تكلفة الرعاية الصحية التي ستصبح باهظة الثمن، وكما يوضح **لوران ألكسندر** قد تنفجر

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution Transhumaniste*, pp 83, 84.

تكاليف الرعاية الصحية من خلال التحول من الشيخوخة إلى الطفولة، ومن المرضى إلى الأصحاء، ثم إنه من الصعب في العقود القادمة تجنب شكل من أشكال "التقنين الجيني والتكنولوجي الحيوي"، ولن تتمكن أنظمة الرعاية الصحية من تحمل عبء جميع السكان الأصحاء، هذه الفئة الجديدة من النفقات التي ستفجر على الأجنة والأطفال الشبان، إذ سنحتاج إلى إنفاق الكثير من المال مبكراً جداً في حياة الفرد، لأن استعدادات المرض ستكون معروفة منذ الولادة أو حتى قبل ذلك من خلال تحليل الجينوم للجنين<sup>1</sup>. وبعبارة أخرى ستحتاج أنظمة الرعاية الصحية إلى رعاية ليس فقط المرضى ولكن أيضاً الأصحاء الذين يطالبون بعدم مرضهم.

يوضح **لوك فيري** أن الأرض ستكون مأهولة بشكل لا مفر منه بعدة أنواع بشر مختلفين، بحيث أن أولئك الذين سيقبلون التقنيات الجديدة للتهجين وبشكل عام جميع أشكال التعزيز المتاحة، سيشيخون ببطء أقل بكثير من أولئك الذين سيظلون بشراً بالمعنى القديم للمصطلح، وهذا هو الرهان العبر إنساني، أن تكون البشرية المعدلة والمعززة أقوى بكثير وأكثر مقاومة للأمراض، ربما أكثر ذكاءً بكثير من البشرية القديمة<sup>2</sup>.

ابتعد مؤيدو الإنسانية المتحولة في السنوات الأخيرة عن تعريف أنفسهم كمواطنين ثوريين يسعون لتغيير العالم بشكل جذري، واتجهوا نحو تعريف أنفسهم كإنسانيين يسعون لتحقيق أفضل ما في الإنسانية، إذ يمكن اعتبار مؤيدي الإنسانية المتحولة إنسانيين إذا استغلوا التطورات التكنولوجية التي أنتجت الإنسانية الحديثة لتحسين حياة الإنسان. لكن لكي يتمكنوا من تعريف أنفسهم كإنسانيين حقيقيين يجب عليهم أولاً أن يكون لديهم فهم صحيح لما يجعل الإنسان إنساناً، ومع ذلك هناك ثلاث أخطاء يرتكبها مناصرو الإنسانية المتحولة حول مفهوم الإنسان:

**-الأول:** يرى مؤيدو الإنسانية المتحولة الإنسان على أنه منتج ثمره تصنيع طبيعية من جهة وتكنولوجية من جهة أخرى، لا تختلف كثيراً عن الحيوانات التي نربها في المزارع الصناعية. تسعى الإنسانية المتحولة إلى توسيع نطاق عمليات الجودة الصناعية لتشمل الإنسان، حيث يأملون في تحسين جودة الفرد، كما يتم ضمان جودة الإنتاج من خلال العمليات التكنولوجية: التحكم الجيني، واستبدال أعضائنا الحيوية بالبدلات الاصطناعية، وتطوير واجهات بين أدمغتنا وأجهزة الكمبيوتر وما إلى ذلك، حيث يهدف هذا النهج إلى إنتاج إنسان خال من العيوب لمنحه علامة الجودة، إذ ينظر إلى الإنسان على أنه مجموع وظائف

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution Transhumaniste*, pp85, 86.

<sup>2</sup>Ibid, p87.

يجب تنظيمها، هذه الرؤية تؤدي حتما إلى توحيد المعايير الخاصة بالأشخاص، وعليه فإن حل المشكلات من خلال التكنولوجيا يميل إلى جعل الإنسان نسخة طبق الأصل، شيئا قابلا للتكرار، باختصار لم يعد ينظر إلى الفرد على أنه شخص، بل كعينة يمكن تنظيمها ووضع علامة عليها<sup>1</sup>.

-**الثاني:** إن محاولة تصنيع الإنسان بالنسبة إلى مؤيدي الإنسانية المتحولة من خلال التحكم بالجسد وإنتاجه يمثل خطأهم الثاني، فالجسد البشري في نظرهم هو مجرد داعم مادي للعقل مثل الأجهزة المادية للبرامج، أما العقل فهو كمجموعة من البيانات الرقمية التي يمكن نقلها من داعم لآخر، وبالتالي عند موت أجسادنا يمكن تنزيل عقولنا على محرك أقراص usb أو كمبيوتر... كما لو أن العقل البشري يتطور خارج السياق، خارج الجسم وخارج البيئة سواء كانت علائقية أو مادية، كما لو أن عقولنا لا تتغذى على جميع تفاعلات أجسادنا مع بيئتها ومع الآخرين.

-**الثالث:** تنبع هذه الرؤية من خطئهم الثالث المتمثل في أن العقل البشري بالنسبة لهم ليس سوى آلة حاسبة أو خوارزمية متطورة، فالعقل آلة والجسد مجرد آلة أخرى، وكلاهما يمكن استبدالهما أو تعزيزهما بآلة أخرى، وبالتالي فالإنسانية المتحولة ليست إنسانية بل هي آلية للإنسان<sup>2</sup>.

إذا نظرنا من وجهة نظر الأديان التقليدية، فإننا نجد أنها تعتبر أي تلاعب بالحياة تدينسا، وذلك لأن الله وحده هو الذي يمتلك السيطرة عليها، ولكن إذا أضفنا إلى ذلك بشكل أوسع الحركات المؤيدة لتقديس الطبيعة البشرية (الجنوم البشري)، سندرك أن محاولة التلاعب في الطبيعة البشرية يمكن أن تؤدي إلى تدمير الأخلاق العالمية، فبالنسبة إلى المحافظين البيولوجيين لا يمكن أن تتأصل هذه الأخلاق إلا في اعتبار السمات الطبيعية المشتركة بين البشرية، وعدم احترامها أو الرغبة في تعديلها يعني ببساطة تدمير الأسس الطبيعية للأخلاق، ولهذا السبب في نظر **فوكوياما** فإن تعديل الجهاز البيولوجي للأفراد يعلن نهاية الإنسان، إذ أنه يمثل تهديدا لا رجعة فيه ومرعبا لسلامة الجنس البشري ككيان أخلاقي يستحق حمايته بحقوق الإنسان<sup>3</sup>.

في هذا السياق يعتقد **فوكوياما** أن المخاطرة بتغيير الطبيعة البشرية تعني تقويض أو حتى القضاء بشكل لا رجعة فيه على أسس أخلاقية إنسانية تستند دائما إلى فكرة حقوق الإنسان الطبيعية، فإذا تم تقويض الطبيعة البشرية، فكيف يمكن أن تظل الأخلاق المستمدة منها كما هي؟ هل لا تزال الأخلاق ممكنة في هذا

<sup>1</sup>Franck Damour, **Le transhumanisme n'est pas un humanisme**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de maline, Bruxelles, mai 2015, p14.

<sup>2</sup>Ibid, p 14,15.

<sup>3</sup>Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, pp 63, 64.

العالم الذي يشهد تطورات وتحولات مستمرة، في حين أن استمراريته تفترض وجود عالم مستقر مع نقاط مرجعية محددة؟

تتطلب الإجابة على هذه الأسئلة مراعاة الحقائق الآتية: من جهة التقدم العلمي والتكنولوجي، ومن جهة أخرى التطور النفسي للإنسان الحديث. لقد أصبحت مسألة أين تبدأ الإنسانية وأين تنتهي في الإنسان أكثر تعقيدا، فعلى الصعيد الجيني: مع ظهور التلاعبات من جميع الأنواع كالحلايا الجذعية والتقنيات النانوية... ثم على الصعيد المعرفي: إذ يعتبر اليوم "الأنا" ليس خاصا بالإنسانية فقط كصفة محددة، بل يتم بناء "الذات" - كما أظهر بول ريكور Paul Ricoeur (1913-2005) -، وأن هناك نشاطا معرفيا موجودا لدى الحيوانات وربما حتى لدى النباتات<sup>1</sup>. ثم إن العلوم المعرفية التي أحدثت اضطرابا كبيرا في امتيازات الإنسان الموروثة من الكوجيتو الديكارتي مرتبطة بالفكر ما بعد الإنساني، ما يدفعنا نحو نمط جديد من التفكير، أخلاق أقل تجريدا وأقل أحادية من الأخلاق التي كانت تسعى لأخذ الظروف بعين الاعتبار، والعناصر المكونة لوجود الإنسان، والتي كانت تفضل قدرته المطلقة على مواجهة بيئته.

حسب فوكوياما مهما كانت التقنيات الوراثية متقدمة في خمسين أو مئة عام فإنها ستكون أهم التطورات المستقبلية في مجال التكنولوجيا الحيوية، والسبب في ذلك هو أن الطبيعة البشرية تعتبر أساسية لتصوراتنا للعدالة والأخلاق والحياة الجيدة، وسوف تتعرض كل هذه التصورات لتغييرات عميقة إذا انتشرت هذه التكنولوجيا بشكل واسع، ثم إن هناك أسباباً مقنعةً للحذر تدفعنا لاحترام التركيب الطبيعي للأمور وعدم التفكير بأن البشر يمكنهم تحسينها بسهولة من خلال التدخل التعسفي. فعلى سبيل المثال بناء السدود أو إدخال زراعة واحدة في منطقة معينة يمكن أن يدمر توازن النظام بطريقة لا يمكن التنبؤ بها. وهذا ينطبق أيضا على الطبيعة البشرية، هناك العديد من الجوانب التي نعتقد أننا نفهمها جيدا أو نرغب في تغييرها إن أمكننا ذلك، ولكن القيام بأفضل من الطبيعة ليس دائما سهلا، فالتطور حسب فوكوياما قد يكون عملية عمياء ولكنه يتبع منطقاً صارما للتكيف يجعل الكائنات تتكيف مع بيئتها، ناهيك عن أن التكنولوجيا الحيوية لا تهدد فقط الطبيعة وأسس الأخلاق، بل إنها تفتح الطريق أيضا إلى الانتقال القسري الذي تمنحه شرعية الدولة الجديدة. حيث يتعلق الأمر بانتقاء قائم على المبادئ الليبرالية، وهو انتقاء يعترف به فوكوياما، إذ أنه سيكون مختلفا في نقطتين رئيسيتين عن النموذج الذي قدمته النازية، فالأخير كان في

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p 158.

نفس الوقت قاتلا وحكوميا، أما الانتقاء الذي تمكنه التكنولوجيا الجديدة، فسيكون غير حكومي مقرر بحرية من قبل الأسر أو الأفراد، وليس قاتلا بل مُحسِنًا، وبالتالي ليس سلبيا بل إيجابيا<sup>1</sup>. ومع ذلك يشير فوكوياما إلى أن الخطر الكبير هو أن يستسلم الآباء للموضات، جيل معين يرغب في أطفال شُقر، وجيل آخر يرغب في أطفال سُمر، وهذا الجيل يرغب في أطفال لطفاء، وذلك الجيل يرغب في أطفال مقاتلين أو عدوانيين، بحيث يمكن للأطفال انتقادهم لاحقا بسبب اختياراتهم.

يتناول فرنسيس فوكوياما في كتابه (مستقبلنا بعد البشري) موضوع تداعيات وانزلاقات الثورة البيوتكنولوجية على الطبيعة البشرية والمجتمع والأخلاق، ويؤسس موقفه على أن أي تغيير يمس الطبيعة البشرية سيؤدي حتما إلى تغيير القيم وبشكل لا رجعة فيه، ثم إنه يذهب إلى أن الاعتماد على التكنولوجيا الحيوية سوف يجعل أخلاقنا تنهار وطبيعتنا البشرية المشتركة التي تؤلف بين الأفراد والجماعات تضعف. ما يفضي إلى تمزق النسيج الاجتماعي خاصة وأن التغيير في الطبيعة البشرية يغير مفهومنا لحقوق الإنسان. وهنا نجد أن البيوتكنولوجيا تقوم بأكثر من تهديد فهمنا الخاص لأنفسنا، كما أنها تمزق التعاملات والعلاقات البينذاتية، والحل الذي يقترحه فوكوياما هنا لمواجهة هذا الخطر الذي يحذر بمستقبلنا هو تسييس النقاش في مثل هكذا قضايا<sup>2</sup>. وما أن البيوتكنولوجيا تهدد بتقويض فهم الطبيعة البشرية التي هي أساس الديمقراطية الليبرالية، فإن هذه الأخيرة لا بد أن تستجيب عن طريق تمرير القوانين وتأسيس المعاهد السياسية لتنظيم التطبيقات البيوتكنولوجية.

ستتمكن البيوتكنولوجيا وفقا لفوكوياما من تغيير ثلاث جوانب أساسية في الإنسان:

- الأولى: تظهر في فهمنا الخاص لما يعنيه أن يكون الإنسان إنسانا، فالبيوتكنولوجيا حسب ستغير طبيعتنا البشرية وتنقلنا إلى مرحلة ما بعد الإنسانية، لأن الطبيعة البشرية هي من تضمن استمرارية وثبات تجربتنا كنوع مميز من خلال صفاتها الجوهرية مثل: العقلانية والوجدان والوعي، وكلها تتجمع معا لتكون إنسانا متكاملًا. ولهذا فالإنسانية بحاجة إلى هذه الطبيعة البشرية المشتركة والخصائص التي تحددهم كبشر،

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 64, 65.

<sup>2</sup>نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والدكاء الاصطناعي، ص ص 19، 20.

حتى يتمكنوا من المشاركة والمساهمة، وإنجاز نصيبهم في التطور. كما ترتبط الأخلاق بهذه الصفات الإنسانية، وأي تغيير للطبيعة لا يؤثر فقط في فهمنا وتصورنا لأنفسنا، بل يهدد قيمنا الأخلاقية كذلك<sup>1</sup>.

- **الثانية:** وتتعلق بالتهديد الذي يمس قيمنا الأخلاقية المشتركة من طرف البيوتكنولوجيا، من منطلق أن الطبيعة البشرية هي ما يمنحنا الحس الأخلاقي وتمدنا بالمهارات الاجتماعية للعيش في المجتمع، وأي تغيير يطرأ عليها يمحى صفة الاشتراكية ويحل محله الاختلاف الذي يؤدي بدوره إلى خلق قيما مختلفة، مما يجعل التفاوض والنقاش الأخلاقي مستحيلا<sup>2</sup>.

- **الثالثة:** وتتضمن التعديلات التي دعت إليها نزعة ما بعد الإنسانية التقنية على طبيعتنا البشرية المشتركة وأخلاقنا كذلك، التي تنتقل إلى المجال السياسي خاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وتصميم المؤسسات والسياسات العامة لحمايتها<sup>3</sup>، وهنا يدعو إلى ضرورة حماية وحدة واستمرارية الطبيعة الإنسانية المشتركة، وبالتالي حقوق الإنسان القائمة عليها.

إلى جانب **فوكوياما** يعتبر الفيلسوف الأمريكي **مايكل ساندل** من أشهر البيومحافظين المعارضين لمشروع الإنسانية المتحولة، والمعروف بانتقاده اللاذع لتحسين البشري خاصة في كتابه: (الكمال في المحاكاة: الأخلاق في عصر الهندسة الوراثية)، حيث يحتوي هذا الكتاب على خمسة فصول رئيسية:

- **الفصل الأول:** مخصص لعرض الاعتراضات على الانتقال من النموذج الطبي العلاجي إلى النموذج الإصلاحي الذي يدعو إليه التحسين البشري، وتحليل قضايا من قبيل زيادة الطول وقوة العضلات واختيار الوالدين لجنس الطفل والخصائص الجسدية.

- **الفصل الثاني:** مخصص للتأثيرات التي قد تحدثها هذه التعزيزات في مجال الرياضة، واستنتاج بوضوح أننا في مثل حالة تعاطي المنشطات، سنتوقف عن الإعجاب بالرياضيين إذا كان أداؤهم يعتمد في يوم من الأيام على التلاعب الجيني.

- **الفصل الثالث:** الذي كان له تأثير خاص على تفكير **هابرماس**، حيث يتناول مسألة حساسة تتعلق بمشروع الأبوة ومتجر الأطفال، إذ يتساءل فيها: هل من المقبول أخلاقيا أن يختار الأب والأم ليس

<sup>1</sup> نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والدكاء الاصطناعي، ص 20، 21.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 22.

فقط جنس طفلهم، ولكن أيضا لون عينيه أو شعره وطوله وقوته البدنية، ولما لا ذكاؤه المستقبلي؟ وما يقلق ساندل بشكل خاص في فتح مثل هذه الفرص هو المخاطرة الجنونية بأن يدخل الآباء في سباق نحو الكمال بهدف عدم إحراج أبنائهم مقارنة بأبناء الجيران.

- **الفصل الرابع:** يتناول مسألة الإصلاح الوراثي أو تحسين النسل، ويحاول تقليل الفارق بين الإصلاح الوراثي الليبرالي أو الإيجابي الذي تدعو إليه الإنسانية المتحولة، والإصلاح الوراثي القاتل أو الحكومي أو النازي في الثلاثينات من القرن الماضي. وسواء كانت الاختيارات مفروضة من قبل دولة مستبدة أو اختارها الأفراد بحرية، فإن ذلك لا يغير شيئا بالنسبة لساندل، في كل الحالات يتحول الإنسان بما في ذلك الجنين المنتظر إلى سلعة ويصبح شيء مشكل بواسطة الآباء.

- **لكن في الفصل الخامس** الذي يحمل عنوان "السيطرة والعطاء" نجد الأسباب الحقيقية لجميع الانتقادات السابقة<sup>1</sup>.

يأتي رفض ساندل لفكرة تغيير الطبيعة البشرية بواسطة التعديل الجيني ذلك أنها تمس بثلاث مبادئ أساسية التي تقوم عليها الحياة الإنسانية الجماعية، وهي: التواضع، البراءة والتضامن، في الواقع إن الفكرة الجوهريّة لساندل هي أننا مع التعديل الجيني ننقل من أخلاقيات الامتنان لما هو معطى إلى أخلاقيات السيطرة المطلقة على العالم الخارجي وعلى الذات من قبل الإنسان البروميثيوسي، مع العلم فإن مفهوم المعطى لا يشير بالضرورة إلى موقف ديني سواء ذلك كان بواسطة الله بالنسبة إلى المؤمنين أو بواسطة الطبيعة بالنسبة لغير المؤمنين، ففي كلا الحالتين يتم منح مكان لتجاوز مبدأ التبرع الخارجي، وفي نفس الوقت يتم التخلي عنها في فكر الإنسانية المتحولة لصالح إرادة شديدة للسيطرة، وهو موقف بروميثيوسي يفجر حقيقة ثلاث قيم أخلاقية أساسية لتنظيم الحياة المشتركة: "التواضع، البراءة، والتضامن"، وتعتبر هذه القيم الثلاث محور الانتقاد الأساسي لدى ساندل للخطورة والتجاوز والغرور المرتبط بمشروع بروميثيوسي لإنتاج البشر المتحولون أو البشر المتجاوزون أو ما بعد البشر<sup>2</sup>.

فيما يخص مبدأ التواضع والتضامن، فإذا كانت الهندسة الوراثية تؤثر على تقديرنا للطبيعة المعطاة للقوى والصفات البشرية، فإنها تحول بالتالي ثلاث سمات أساسية في المنظور الأخلاقي: التواضع، المسؤولية

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 72, 73.

<sup>2</sup>Ibid, p 73.



والتضامن، واقعيا نحن نهتم فعلا بأبنائنا بشكل عميق، ولكننا حتى الآن لا نستطيع اختيار نوع الطفل الذي نريده، لكن يطلب من الآباء أن يكونوا منفتحين لما ليس بالضرورة مرغوب فيه، ومنه قول المفاجآت والعيش مع التناقضات وعالم يتم التحكم فيه في كل شيء، عالم حيث يعتاد الآباء اختيار جنس وصفات أبنائهم. وحسب ساندل عندما نصل إلى هذا الغرور أو الرغبة المفرطة في خلق كل شيء والسيطرة عليه سنفقد تواضعنا ومعه شكرنا لما يعطى لنا، وروح الانفتاح وقدرتنا على قبول ما هو مختلف وغير المرغوب فيه وغير المتوقع. هناك خسارة ثانية مروعة بحسب ساندل تتمثل في فقدان البراءة لصالح مسؤولية متزايدة بشكل هائل مع الحاجة شبه الإلزامية لاختيار الخصائص الجسدية والعقلية لأطفالنا، خاصة لتجنب تأخرهم مقارنة بالآخرين الذين اختار أهلهم تحسين وتعزيز قدراتهم المستقبلية<sup>1</sup>.

يعتبر ساندل أن هناك شيئا شريرا في الرغبة الشديدة في تخليق أشخاص يتمتعون بجودة وراثية معينة، وحسبه فإن الاتجاه نحو إعادة تشكيل طبيعتنا البشرية إشباعا لرغباتنا قد يدمر تقديرنا للحياة والإنجازات البشرية، فالرغبة في إنجاب طفل بجودة وراثية محددة مسبقا لا تتوافق مع نوع الحب الخاص الذي يتمتع به الآباء نحو أطفالهم، ذلك أن التعامل مع الأطفال باعتبارهم هدايا وهبات يساعد على قبولهم عند ولادتهم عكس إذا كانوا مجرد أشياء من تصميمنا أو من منتجات إرادتنا أو أدوات لطموحنا<sup>2</sup>. لكن حسب فيري موقف ساندل ليس مقنعا خاصة وأن الكثير من الآباء يجدون سهولة في محبة أطفالهم الذين يتمتعون بصحة وجمال بفضل التعزيزات.

يعتقد البعض أن التحسين الوراثي يقوض المسؤولية الإنسانية، ولكن العكس تماما هو ما يحدث، ليس التواكل ولكن انفجار المسؤولية في الوقت الذي يتلاشى فيه التواضع تتزايد المسؤولية بنسبة كبيرة. فتعطي الأقل للحظ والأكثر للاختيار، ويصبح الآباء مسؤولين عن اختيار الصفات الجديدة لأطفالهم وأيضا الفشل في ذلك، مثلا يصبح الرياضيون مسؤولين عن اكتساب المواهب التي ستساعد في فوز فريقهم. وهنا يمكن القول أن أحد الفوائد في أن نعتبر أنفسنا مخلوقات سواء كان ذلك من الطبيعة أو الله أو الحظ، هو أننا لسنا مسؤولين عمن نكون، وفي المقابل فكلما أصبحنا سادة مواهبنا الوراثية زاد العبء الذي يقع على مواهبنا أداثنا<sup>3</sup>، فعلى سبيل المثال عند فشل لاعب كرة السلة في تسديدة ما يمكن لمدربه أن يلومه على عدم وضعه

<sup>1</sup>Ibid, p 74.

<sup>2</sup>Michael Sandel, **The case against perfection**, The atlantic monthly, april 2004, pp 5,6.

<sup>3</sup>Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p 74.

الصحيح، لكن غدا ومع إمكانية التعديل الجيني سيلومه على قامته القصيرة. في نفس الوضع ماذا سيقول الأبناء المولودين أصماء أو الفاقدين للبصر لوالديهم الذين كان بإمكانهم اختيار تحسينهم أو على الأقل تجنب عاهاتهم؟ هل سيقومون برفع دعوى قضائية ضدهم لأنهم لم يهتموا بإجراء الاختبارات والتلاعب الوراثي الذي كان من الممكن فعله إذا لم يكونوا مؤمنين أو محافظين؟ ما يفهم من هذه التساؤلات أن ساندل يجد هذا النوع من اللوم وغيره غير عادل، ولا يمكن تحمله، فالمشكلة التي يواجهها مشروع التحول الإنساني في النهاية هي التضامن، وهي مرتبطة مباشرة بالغرور البروميثي ورغبة السيطرة التي تحل محل التواضع والامتنان لما تعطيه لنا الطبيعة أو القدرة الإلهية. ثم إنه يمكن أن يقلل انفجار المسؤولية تجاه مصيرنا الخاص ومصير أطفالنا من إحساسنا بالتضامن مع أولئك الذين لديهم حظ أقل منا، فكلما كنا قريبين لفكرة أن حظنا يعتمد على الصدقة الطبيعية، كلما كان لدينا مزيد من الأسباب للشعور بالتضامن مع مصير الآخرين<sup>1</sup>. بمعنى أن الحظ الطبيعي في الوراثة غير عادل ولكن في المقابل يجعل الناس الطبيعيين متضامنين مع من يعانون من النقص والعاهات.

يقدم ساندل مثال التأمينات ليوضح حججه أكثر، إذ بسبب جهلنا بالمخاطر التي نتعرض لها نحن أنفسنا وكذلك الآخرين في مستقبل حياتنا، نوافق جميعاً على دفع رسوم التأمينات حتى لو استفاد آخرون منها أكثر منا. فنحن نجهل المستقبل، ولكن بما أن المخاطر هي نفسها للجميع، فإننا نوافق على تحمل هذا الخطر الآخر الذي يتمثل في التأمين على الحالة الطارئة دون علم مسبق، ولكن من اللحظة التي نصبح فيها مسؤولين عما يحدث لنا، مسؤولين عن عيوبنا وأمراضنا المستقبلية أو القضاء عليها، فإن التضامن سيتجه نحو المسؤولية الفردية أي كل واحد يهتم بنفسه<sup>2</sup>. فإذا كان سوق التأمينات يحاكي ممارسة التضامن، فإن ذلك يكون فقط في حالة عدم معرفة الناس بعوامل المخاطر الخاصة بهم، لنفترض أن الاختبارات الجينية تتقدم إلى حد يمكنها من توقع مستقبلنا الطبي، ومتوسط عمرنا بشكل موثوق، في هذه الحالة سيغادر الأشخاص الذين لديهم آمال معقولة في الحصول على صحة جيدة وطول العمر، وسيختفي بذلك الجانب التضامني في التأمين لأولئك الذين ليس لديهم ذلك.

إذا كان ساندل حذرًا من المخاطر الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالتحسين - مثل زيادة الفجوات - وإذا كان يدين الفلسفات السياسية التي تدعو إلى التحسين (التفوق الجيني) الليبرالي، بالإضافة إلى الأضرار

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 75.

<sup>2</sup> Ibid, pp 75, 76.

التي تسببها مجتمعاتنا التنافسية، فإن مقارنته ليست سياسية بشكل أساسي. المشكلة الأساسية بالنسبة له ليست في الوصول العادل إلى التحسين، بل في القبول الأخلاقي والميتافيزيقي للطموح نحو التحسين بحد ذاته. هذا الطموح يُعتبر سيئاً في حد ذاته، لأنه مرتبط برفض وتحريف للإنسانية<sup>1</sup>. ما هو على المحك هو "الطبيعة البشرية" وعلاقتنا بها، حيث يجب أن تكون هذه العلاقة قبولاً، وتقديراً، وتواضعاً، وتلقياً للهبة؛ وليس رغبة في التحكم والتحويل، والتي تضيف أيضاً مسؤولية غير متناسبة، فردية وجماعية.

تشير **فرانسيس كام** Frances Kamm خلافاً لساندل إلى أن المشكلات المرتبطة بالتحسين وممارسته هي في الواقع بشكل رئيسي اجتماعية وسياسية. فالرغبة في السيطرة ليست سيئة في حد ذاتها، يمكن أن يرغب الشخص في السيطرة بهدف مفيد؛ ويمكن استخدام نتائج السيطرة بشكل غير أناني. وفي المقابل، القبول والخضوع والتواضع ليست بالضرورة فضيلة أو جيدة في حد ذاتها، والأسئلة التي يثيرها التحسين ليست من طبيعة أخلاقية أو ميتافيزيقية أو عاطفية. إنها من طبيعة اجتماعية وسياسية: الموارد المحدودة، الأمان، العدالة، الإنصاف، وما إلى ذلك. كما يذهب **آرثر كابلان** Arthur Kaplan (1950-) في نفس الاتجاه، فالانتقادات التي تُقال باسم العدالة (الإنصاف) لا توضح لماذا قد يكون التحسين سيئاً في حد ذاته، وهي نقطة لاحظها **ساندل** جيداً، إذ أن الفجوات والظلم موجودان بالفعل، وما يجب الانتباه إليه هو عدم زيادتهما أو إضافة جديدة منهما، وإذا أمكن استخدام التحسين لتحقيق المزيد من العدالة. التطور والتاريخ البشريين لم يتوقفا أبداً عن التلاعب بالطبيعة بشكل عام والطبيعة البشرية بشكل خاص. من وجهة نظر التطور العلماني، ليس لمفهوم الهدية وقبول الطبيعي معنى<sup>2</sup>، هل يجب أن نكون ممتنين لظروف التطور (مثل انقراض الديناصورات) التي ساعدت على ظهور الإنسان؟، إن الاستعارة للهدية ليس لها معنى في السياق العلماني كما يقترح **ساندل**، فالهدايا تتطلب مانحاً ولكن الطبيعة لا تقدم أي مشته بهم محتملين لتولي هذا الدور.

ويؤكد **فيري** على أن **ساندل** عمل على تعزيز انتقاده للتعديل البشري من منظور سياسي أكثر، حيث أن في مواجهة هذه القدرات الجديدة للإنسان على الإنسان، فإن الأسر لن تكون على قدم المساواة، ستكون الهندسة الوراثية مكلفة على الأقل في البداية وستكون الفروق في الثروة أكثر صعوبة في هذه الظروف من أي وقت مضى، حيث ستصبح مسألة بسيطة للحياة أو الموت<sup>3</sup>. والأسوأ من ذلك هو أنه يمكن أن

<sup>1</sup> Gilbert Hottois, **Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme**, p 161.

<sup>2</sup> Ibid, p 162.

<sup>3</sup> Luc Ferry, **La révolution transhumaniste**, p 75.

تعايش العديد من البشرات أو الأجناس البشرية المختلفة في المستقبل كما حدث في الماضي في عصر "النياندرتال" و"كروماجن"، ويبدأ الناس في التفكير أن هذا التعايش لن يكون سلميا على الإطلاق.

إضافة إلى هذا يقرر ساندل أنه من الناحية الجيوسياسية يمكن استخدام التقنيات الفائقة لأغراض غير سلمية، خاصة من قبل الأنظمة الشمولية أو المنظمات الإرهابية، وهو ما حدث بالفعل بشكل كبير مع داعش التي سعت للسيطرة على الطائرات المدنية المليئة بالأجهزة المتطورة، ومثلما يحدث في جراحة التجميل التي تتطور في البلدان التي تكون فيها أكثر إمكانية للوصول إليها مثل البرازيل، فإن خطر ظهور السياحة الجينية يزداد حقيقة، ولكنها أيضا على الصعيد الروحي تطرح مسألة معنى الحياة بشكل أكبر ومختلف عن الماضي: ماذا يعني حياة غير محددة المدى، وإنسان محروم من علاقته بالنهاية؟

يؤكد هابرماس على ضرورة التمييز أخلاقيا بين العلاج والتعزيز، وبالتحديد يمكن القول أن هابرماس ليس معادي لجميع التعديلات الوراثية بما في ذلك التلاعبات الجينية، حيث يرى أنها تكون مقبولة فقط إذا كانت تهدف إلى القضاء على الأمراض في الجنين، وفي هذه الحالة يعكس السؤال عن العلاقة مع الطفل نفسه، إذ ليس فقط أنه لن يلوم والديه على التدخل في برنامج الوراثي، بل في حدوده، فقد يلومهم في وقت لاحق على عدم التدخل، وهنا يجب على حد اعتقاده أن نتخذ الصحة أو تجنب الأمراض كفكرة توجيهية، فلا أحد لديه الحق في أن يقرر بناءً على تفضيلاته الشخصية، بحيث يجب أن يكون للتدخل الوراثي مبدأ موافقة الشخص المحتمل في المستقبل، فعندما يتم إجراء تدخل وراثي لتغيير سمة ما في سياق سريري علاجي تعود بالنفع المحتمل لهذا الشخص، في هذه الحالة يمكن افتراض موافقته، وهذا ينطبق فقط على الأمراض الوراثية التي تحمل مرضا معروفا، لذلك يجب على المشرع الديمقراطي إقرار تدخلات مسموح بها بعناية<sup>1</sup>. وعلى الرغم من هذا الانفتاح فيما يتعلق بالتلاعب الجيني لأغراض علاجية، يظل هابرماس معاديا بشكل صريح للتشخيص ما قبل الزرع، والاستخدام الذريع للأجنة البشرية، الذي يفترض أنه يتعارض مع الضرورة الكانطية المتمثلة في عدم معاملة الآخرين مطلقا كوسيلة حصرية، مع أنه يمكن للمرء أن يعترض على أن الأجنة ليست "آخر" بل هي كتلة بسيطة من الخلايا اللاواعية، وهو ما يسعى هابرماس إلى دحضه، مقتبسا حجته من الفكر الديني الكنسي حول طبيعة "الشخص البشري المحتمل" الخاص بالجنين البشري، وهي الحالة التي هي حسب قوله تسمح لنا بالتعامل مع مجموعة من الخلايا هذه كشيء بسيط.

<sup>1</sup>Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 79.

إن العقل الآداتي الذي تولد عن سيطرة التقنية على مجالات الحياة سيما البيولوجية جعله يطمح إلى تهذيب الطبيعة الإنسانية، محولا إياها من كائن أخلاقي موجود بالطبيعة إلى كيان اصطناعي معدل تقنيا، هذا الانزلاق الذي يفرض -حسب هابرماس- الرجوع إلى العقل التواصللي كغيره من النقاشات البيوإتيقية، يتعين على هذا العقل التواصللي العمل على أخلقة وضبط مثل هذه الممارسات التي تحيد عن مفهوم أن يكون الإنسان إنسانا ومفهوم الكرامة والهوية والشخص... الخ، وعموما فإنها تقضي على المبادئ الأخلاقية الثلاث الملازمة للكينونة البشرية، والتي كرسها الإرث الكانطي وهي: الحرية، المساواة والكرامة، وما يجعلنا نلجأ للحماية القانونية<sup>1</sup>.

## 2- البيوتقدميون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة:

يضع المدافعون عن الإنسانية المتحولة حدا للمفهوم الثابت الذي لدينا عن الطبيعة، فهي ليست حالة من الأشياء، محددة ومعطاة مرة واحدة وإلى الأبد، فهناك في الطبيعة فعل ولادة "Natus est"، فهي أكثر من مجرد هدية ملفوفة، وتتجاوز كونها معطى خام مغلقا على نفسه.

يعارض ممثلي الإنسانية المتحولة التقاليد الفلسفية التي تقول أنه يجب علينا المحافظة على الطبيعة البشرية بدون تغيير كلي لكي تتوافق مع إرادة الله وكل ما يعتبر طبيعيا، بالرغم من ذلك يعترف بوستروم أنهم يهدفون مثل النزعة الإنسانية إلى التقدم المستمر في جميع الاتجاهات، ولكن من خلال تقديم بعض التعديلات على الطبيعة البشرية في سبيل تحقيقه، فهم يشككون في القيود التقليدية البيولوجية والوراثية التي تحد من تقدمنا المحتمل، كما أنه يؤكد على أن تحقيق التعديل الإنساني أمر أخلاقي ومن الخطأ عرقلته<sup>2</sup>، يكفي أن نفكر ماذا سيقول الأطفال لوالديهم إذا حرّموا من فوائد العلم بحجة أنها محظورة بناءً على مبدأ أخلاقي أو ديني غير منطقي بعض الشيء؟

ينكر فلاسفة الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية أمثال كيرزويل ومورافيك وجود شيء مثل الطبيعة البشرية الثابتة، وحسبهم في غياب الطبيعة البشرية لا توجد قيود أو محددات مفروضة على تكوين البشر أنفسهم، فالقيد الوحيد الذي يتعين على البشر التغلب عليه هو الجسم البيولوجي، لهذا فهم يدعون إلى احتضان التكنولوجيا باعتبارها هي من ينقذنا من الطبيعة البشرية الكلاسيكية، وتحرر أنماط فهم ما يعنيه أن

<sup>1</sup>يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبيرالية، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006، ص ص 37،

38.

<sup>2</sup>Luc Ferry, La révolution transhumaniste, p 44.

يكون الإنسان إنسانا، ويسعون للوصول إلى عالم مستقبلي أين يصبح جسد الإنسان متروك وراءنا، ومنه يحصل البشر على حريتهم في إنشاء وتصميم وتعزيز ذواتهم بما يناسبهم<sup>1</sup>.

يفند ممثلي الإنسانية المتحولة التحيزات اللاهوتية والطبيعية غير العقلانية التي أنتجت خطابات لا تقبل المساس بقدسية الطبيعة والإنسان، مناهضين بذلك أي قداسة متعلقة بالطبيعة البشرية، ما دام ذلك في صالح الإنسان فينبغي أخلاقيا العمل على تعديلها وتعزيزها وتجاوز النقص فيها، ثم إن الرغبة في إلغاء الإنسان أو تعديله وتغييره هي حق من حقوقه.

يسلم فلاسفة ومثلي الإنسانية المتحولة أنه منذ وجود كائنات بشرية على هذه الأرض، قامت أعمال الإنسان بتعديل وتشكيل الحياة البشرية باستمرار، وتغيير الجينوم البشري من خلال سلسلة من التحسينات في القدرات والمهارات البشرية، منذ الثورة الزراعية حتى بناء المدن والمؤسسات السياسية وتقنيات النقل المتقدمة، وقد مزجت عمليات الاختيار الطبيعي حزما من الجينات التي كانت عزلت سابقا، وذلك لأن التطور لا يخلق كائنات متناغمة وكاملة على العكس من ذلك ينتج محاولات متغيرة ومؤقتة ومتكتلة لحلول مؤقتة لمشاكل التصميم الزائلة دون أن يهتم برفاهية البشر، فالطبيعة ليست حكيمة. ولتحسين حياة البشر، وربما للحفاظ على رفاهية الأكثر حظا، قد يكون من الضروري القيام بتحسينات في المجال الطبي لحل المشاكل التي خلقناها بأنفسنا مثل التلوث وزيادة السكان والاحتباس الحراري، يجب على البشر زيادة قدراتهم الفكرية وربما الأخلاقية<sup>2</sup>. فالسعي نحو تحسين بعض القدرات البشرية بهدف زيادة رفاهية البشر أو الحفاظ على تلك التي نستمتع بها ليس له علاقة بالرغبة في السيطرة الكاملة، ثم إن الاستمتاع بتقدير عادل لما لدينا بالفعل متوافق تماما مع السعي للتحسين وقد يتطلب تحسينات إذا كانت هذه التحسينات ضرورية للحفاظ على ما هو جيد فيما هو موجود بالفعل.

تتضمن أفكار حركة الإنسانية المتحولة حقيقة عميقة لخصها بيك دو لاميراندول منذ قرون، وهي أن الإنسان هو الكائن الوحيد في الخليقة غير المكتمل، ويجب أن يكمل نفسه، حيث يقول مخاطبا الإنسان في مؤلفه (خطاب عن كرامة الإنسان): "تحتوي الطبيعة على أنواع أخرى التي أنشأها الله تعالى من الحدود، لكن أنت الذي لم يضع الله لك حدودا، تحدد نفسك"<sup>3</sup>، وعليه فماهية الإنسان تكمن في أنه مجرد معطى فوري، وأن لديه القدرة على تجاوز الحيوانية الخالصة أو حقيقة كونه هكذا، فهي رؤية لاهوتية خاطئة أن تفكر في

<sup>1</sup> نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والدكاء الاصطناعي، ص 15.

<sup>2</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 63.

<sup>3</sup> Emmanuel Tourpe, *Vérité du transhumanisme*, postaralia, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de malines, N°5, mai 2015, p p 12, 13.

حالة الخلق كحالة ثبات لا رجعة فيها، وفي مقابل ذلك، فالإنسان كائن متسام، وهو الوحيد القادر على تجريد نفسه من حالته الأولية لتحويلها وفقا لإرادته، باستخدام طرق كالعلم والثقافة وغيرها.

يقرر **جوليان هكسلي** في المقام الأول أن الكون يدرك ذاته من خلال الإنسان. في الواقع، الإنسان هو هذا المخلوق الكوني نتاج التطور، القادر على إدراك ذاته والعالم من حوله، والتفاعل مع أقرانه حول هذا الموضوع، كما يؤكد أنه مع ظهور الجنس البشري على الأرض حدث شيء جديد وثوري تمامًا، فالإنسان هو نتاج عمل الكون الطبيعي، لكنه كائن استثنائي داخل الطبيعة، بسبب وعيه الذاتي. ومع ذلك، فإن هذا الوضع الاستثنائي للإنسان يجلب معه مسؤولية الجنس البشري تجاه الكون، وهذه المسؤولية تتمثل في أن العامل الذي لديه مهمة تحقيق إمكاناته الكامنة على أكمل وجه ممكن. وهكذا، هناك واجب على الإنسان لتحقيق الإمكانات التي قدمتها له الطبيعة، وبالتالي عملية التطور. بالنسبة لـ **جوليان هكسلي**، يجب أن يتم هذا التحقيق على مستوى البشرية جمعاء، السؤال الآن هو: ماذا يعني تحقيق الإمكانات الكامنة؟ وما هي طبيعة ذلك؟ يقترح **جوليان هكسلي** جانبين لهذا التحقيق: جانب مادي وجسدي وجانب نفسي. ثم يتجه **جوليان هكسلي** إلى دراسة الوسائل المتاحة للإنسان لتحقيق إمكاناته، ويخلص إلى أن الوسيلة الأبرز هي العلم بمعناه الواسع. كما يشرح كيف استكشفنا الأرض ودراسة الطبيعة، ولكن هناك مجالًا لم نعمل عليه بما فيه الكفاية، وهو الإنسان نفسه، فيرى أن استكشاف الطبيعة الإنسانية وإمكاناتها لا يزال في بداياته<sup>1</sup>. وبالتالي، فإن الهدف الآن هو الكشف عن جميع هذه الإمكانات الكامنة في الإنسان، فالتمكن من معرفتها هي الخطوة الأولى لتحقيقها

إن ما يثير الاهتمام في إصرار **جوليان هكسلي** على الطبيعة الكامنة للإنسان في هذه الإمكانات هو أنه لا يتعلق بإنشاء إنسان جديد أفضل من الإنسان القديم أو الطبيعي، بل بتحقيق هذه الطبيعة الإنسانية على أكمل وجه. وبالتالي، فإن ما تدعو إليه الإنسانية المتحولة هو استغلال الهبة التي قدمها التطور للإنسان بأفضل شكل ممكن.

يشرح **جوليان هكسلي** كيف أن العلم قد أدى إلى تحسين كبير في الظروف المعيشية للإنسان. وأن القدرة على تحسين الظروف المعيشية والصحة على مستوى العالم هي جزء لا يتجزأ من الإمكانات الكامنة التي يتم تحقيقها. ولكن هذا الجانب المادي ليس كافيًا، إذ يجب أيضًا استكشاف الإمكانات المتاحة للوعي

<sup>1</sup> Christian Byk, *Le transhumanisme dans les écrits de Julian Huxley : une religion sans révélation*, Presses universitaires du septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2023, pp 64,66.



والشخصية كما يؤكد هكسلي، حيث سيسمح ذلك بالكشف عن أن لا أحد يجب أن يحرم من السعادة الحقيقية<sup>1</sup>.

يقترح جوليان هكسلي في نهاية موقفه مصطلح "الإنسانية الفائقة أو المتطورة" لوصف قناعة مفادها أن الجنس البشري يمكن أن يتجاوز ذاته، وأن هذا يمكن أن يتم من خلال تحقيق إمكانات طبيعته وفائدة البشر. لذلك، فإن الهدف الأساسي للإنسانية المتحولة هو أن يتخذ الإنسان قرارات واعية بشأن مختلف جوانب حياته.

لا تسعى حركة الإنسانية المتحولة إلى تغيير الطبيعة الإنسانية، بل إلى تحقيقها بشكل كامل، حيث يرغب فلاسفتها في أن يصبح الإنسان كائنًا يستغل قدراته بشكل كامل، وبالتالي يصبح إنسانًا حقيقيًا، ويتم تحقيق هذا الهدف على مستويين: نفسي وجسدي، وهذان المستويان مترابطان. على الرغم من أن التحسينات العلمية للظروف المادية للحياة لها تأثير نفسي وتساعد على تخفيف المعاناة النفسية، إلا أنها ليست كافية في غياب بيئة اجتماعية تدعم المعرفة وتطوير شخصية كل فرد. لذلك، فإن الإنسانية المتحولة كما يراها هكسلي تقدم أجندة علمية وأجندة سياسية في نفس الوقت. وبالتالي، فإن أطروحته هي أن تطور أنماط الحياة البشرية والمجتمعات البشرية يعكس التحقيق التدريجي للإمكانات البشرية، وأن العلم يمكن أن يساعد اليوم على تسريع هذا التحقيق. ومع ذلك، نكتشف في جزء لاحق من رؤيته أن تحقيق الإمكانات البشرية يتضمن عملية تدمير معينة، لا سيما التخلص من الهياكل الاجتماعية التي تعيق الرفاهية المادية والتطور النفسي السليم لكل فرد. ولهذا السبب، فإن العملية التي ستمكن من تحقيق إمكانات الوعي والشخصية ستبدأ بتدمير الأفكار والمؤسسات التي تحول دون تحقيق إمكاناتنا.

لقد أثار الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك - كما ذكرنا في موضع سابق - سنة 1999 نقاشًا صاخبا بإثارته لقضية التغيير الراديكالي للإنسان، ومعنى أن يكون الإنسان إنسانًا، في محاضرة كانت بمثابة إعادة قراءة لرسالة هيدغر "رسالة في النزعة الإنسانية"، حيث ألهمت النقاش الجاري حول القضايا التي تطرحها البيوتكنولوجيا على الإنسانية المعاصرة. وغير بعيد عن ذلك نشر الصحفي توماس أسهوير Assheuer بطلب من الفيلسوف الألماني هابرماس مقالًا صحفيًا في أسبوعية "دي تسايت" في 2 سبتمبر من نفس السنة، حيث عارض فيه مشروع زرادشت لترويض البشر الذي اقترحه الفيلسوف كارلسوو Karlsruhe، ووصفه بأنه مشروع يوجينيا فاشي، ليأتي سلوتردايك ويصرح بأن أفكار هذا

<sup>1</sup>Ibid, pp 79,80.



الصحفي من توجيه هابرماس، ليخرج هذا الأخير إلى العلن مدافعا عن نفسه ومتهما أفكار سلوتردايك بأنها مثار للصراع وعدم القبول في أوساط فلاسفة الألمان نظرا لكونها مرتبطة بالشمولية والإبادة النازية وتحسين النسل السلبي، خاصة في تعبيراته مثل "الانتقاء قبل الولادة"<sup>1</sup>.

حاول سلوتردايك جلب انتباه المثقفين والفلاسفة للخوض في انعكاسات البيوتكنولوجيا على الإنسان الذي مكنته من التحرر من قدرية الولادة، والحل الوحيد حسبه لاحتواء هذه الانزلاقات المحتملة يكمن في الخروج بنزعة إنسانية جديدة أنثروبوتكنولوجية على أساس القواعد والقوانين قادرة على تأطير الإمكانيات الخارقة التي تقدمها هذه العلوم الفائقة، حيث يتوقع أن تحدث منعرجا يمنح للإنسان إمكانيات غير مسبقة<sup>2</sup>. وبهذا فهو يدافع عن قدرات البيوتكنولوجيا ويدعم مشروع التعديل الوراثي للنوع الإنساني وانتقاء الخصائص البشرية قبل الولادة. فبفضل تقارب التقنيات اليوم أصبح من الممكن تصحيح أخطاء الطبيعة والتدخل في جوهر الجينوم وتغييره وتعديله وتعزيزه، هذا ما يفضي إلى تغيير الطبيعة البشرية وما يتعلق بها من مفاهيم على غرار: الهوية، الحقوق، الحرية، الأخلاق، الثقافة، الفطري، والمكتسب...

يجزم مشروع التحسين الذي تألفت مرجعياته من ثنائية الفلسفة التطورية والنتائج العلمية للهندسة الوراثية بأن المعرفة الدقيقة لخريطة الجينات ستمكن من التحكم في العضوية وتجاوز النقائص المرافقة للطبيعة. فهل يمكن التحول البشري من تغيير فطرة الإنسان المثبتة لماهيته؟ وكيف يستعيد الإنسان أحوال الوعي المرافق لإنسانيته، بعد أن يتم تعديله؟

يلجأ الإنسان اليوم إلى التقنيات الفائقة ليتجاوز وضعه الحالي الموسوم بالضعف والهوان، بناء على ذلك يعتبر فلاسفة الإنسانية المتحولة التجاوز خاصة مرافقة لماهية الوجود البشري الذي يرتكز بالإمكانات المتاحة، وعليه فلا وجود للأطر الثابتة، إذ يكمن مسعى هذا المشروع في التحكم في الأفق الأنطولوجي للكائن البشري، وتمكين تحوله من الضرورة إلى الحرية أي التحرر من الحتمية الطبيعية<sup>3</sup>.

تنادي حركة الإنسانية المتحولة بضرورة دمج التكنولوجيا في الحياة اليومية باعتبارها تعبيرا طبيعيا عن معنى أن يكون الإنسان إنسانا، حيث أن قدرة التكنولوجيا على زيادة القدرات البشرية والأداء وتحرير الناس من رقة التقاليد، وزيادة الحرية، والتعبير الإبداعي، والترفيه، تقدم فرصة أكبر للاختيار تقوم بالمزيد لتعزيز

<sup>1</sup>فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص ص 256، 257.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 258.

<sup>3</sup>نورة بوحناش، البيواتيكا والفلسفة، ص ص 266، 267.

الوجود البشري ومساعدته، وذلك بدلا من الحد منه<sup>1</sup>. لذلك فإن أول خطوة يناقشها مشروع الإنسانية المتحولة هي إعادة النظر في أفكارنا حول الطبيعة البشرية وكل ما يتصل بها، حتى يتم الانتقال من النسخة الأولى 1.0 للكائن الإنساني إلى الإصدار الثاني 2.0 تحت إشراف تقارب التقنيات، وهنا تأتي نظرهم للجسد على أنه متحررا ومتجاوزا للقيود البيولوجية.

يتنبأ كيرزويل بالإصدار 3.0 من الكائن البشري قبل 2050، بفضل تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي والعقل الرقمي، أين يتخلص الإنسان من جسده المادي البيولوجي ويعيش داخل حوامل إلكترونية رقمية، هذا ما اعتبره بحق كمراجعة راديكالية للمشروع الإنساني<sup>2</sup>. ما يفضي إلى بلورة متخيل جديد للإنسانية، ما قد ينتج عنه مراجعة المبادئ الجوهرية التي طالما فصلت الإنسان عن غيره.

لا تتحدد الهوية حسب فلاسفة هذا الاتجاه بالمادة أي الجسد، وعليه فأي تغيير أو تعزيز أو تعديل يطرأ على الجسد البشري لا يلغي الهوية أو يغيرها، ولهذا يمكن نقل الهوية من الحامل الجسدي أو الكيان البيولوجي إلى حامل آلي، إلكتروني أو رقمي، وهنا يظهر ما يمكن الاصطلاح عليه بالهوية المتعددة كنوع من تجاوز وتخطي ورفض الهوية المتجانسة التي أقرت بها التقاليد الفلسفية<sup>3</sup>. ما يجعلنا نتساءل: ماذا سيبقى من الطبيعة الإنسانية بعد أن تعيد الهندسة الوراثية تشكيل الكائن البشري؟ إن هذه القضايا في غاية الجدية، بحيث لا يمكن معالجتها بطريقة عرضية وغامضة، وهنا يشير الفيلسوف دانيال جان بأن فكرة الطبيعة غير واضحة تماما، فمن غير الممكن أن تظل صالحة كأساس لسماء نزعة إنسانية جديدة، بل ويقترح فكرة الاستعاضة عن الإشارة إلى الإنسانية بفكرة مجتمع الأحياء<sup>4</sup>. هذا ما يفرض إعادة تعريف الإنسان في سياق الثورة البيوتقنية التي يشهدها عصرنا.

سيستغل إنسان القرن الحادي والعشرين التطور العلمي العجيب في تعلم تكيف نظامه الغذائي واختيار الحركات الجسدية التي يجب القيام بها وتوقع الفحوصات الطبية اللازمة، كل هذا سيمكنه من تجنب 90% من الأمراض القاتلة التي تهدده، وهكذا سينجح في ضمان حياة أطول وصحة أجود، لطالما صرح بوستروم بأنه عوضا عن تحمل التطور الطبيعي ينبغي السيطرة عليه وتوجيهه بأنفسنا<sup>5</sup>. وبناء على ذلك

<sup>1</sup> نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، ص 25.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية، ص 199، 200.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 273.

<sup>5</sup> حميد زناز، من الإنسان المعالج إلى الإنسان المعدل: رؤى فلسفية، منشورات التوحيد، المغرب، ط1، 2023، ص 7.

أصبحت فكره تحسين الإنسان والتدخل في طبيعته البيولوجية مهيكله وممنهجة ومبرمجة مخبريا بعدما كانت تخميننا وإيماننا في ذهن المفكرين والعلماء.

يعتقد ممثلي الإنسانية المتحولة أنه يجب على الأفراد التصرف وليس الخضوع، وأن يصبحوا سادة تطورهم، وأن يتحرروا من حالتهم الإنسانية، وأن يتجاوزوا حدودهم من أجل حياة أفضل، وأن يؤجلوا نهايتهم، وأن يغيروا عقولهم، وأن يخلقوا مجتمعا جديدا. حيث يشير جيمس مارتين James Martin (1960-) إلى أنه لا ينبغي أن نسأل أنفسنا كيف سيبدو مستقبلنا، بل كيف يمكننا تشكيله. إذ لم تعد الإنسانية المتحولة تطرح هذه الأسئلة، بل حددت لنفسها هدفاً وهو بناء مستقبل مفتوح للجميع، وتحقيق أهداف جديدة، وخلق قيم وخيالات جديدة؛ خلق مستقبل يبدو فيه كل شيء ممكناً، وتجنب الموت على وجه الخصوص، كما كتب الفيلسوف السويسري غابرييل دورثي Gabriel Dorthi. ولكن إذا كان ما بعد البشر هم بالفعل أولئك الذين سيستفيدون من جميع التسهيلات والآفاق التي توفرها العلوم والتكنولوجيات الناشئة، فإن عددهم قليل في الوقت الحالي، فقط بضع مئات الملايين مقارنة بمليارات البشر. من المؤكد أن جزءاً كبيراً من البشرية سيبقى تائهاً أو ضائعاً في الطريق. إما لأن البعض لن يكون مستعداً لقبول مثل هذه التغيرات الجذرية، أو لأنهم سيختفون لأنهم "أقل"، أو ببساطة لأنهم سيرفضون الانضمام إلى هذا العالم الجديد. لا يمكن بناء إمبراطوريات جديدة في يوم واحد، وهي مصحوبة دائماً بخسائر بشرية وفقدان معالم اجتماعية أساسية، والمجتمع ما بعد الإنساني الجديد الذي يلوح في الأفق لن يخرج عن هذه القاعدة<sup>1</sup>. بل ربما يكون أكثر دموية بالنظر إلى السرعة الأسبانية لبناء مراحله المتوسطة، ومع شعار يجب التكيف لتبرير هذه المراحل الانتقالية المدمرة، لن يتمكن الكثيرون من ذلك. ولكن، بينما سيقبل "القدامى" كل هذا بقدر من القضاء والقدر، لأنهم يعلمون أنهم بشر فانون، فماذا عن "الجدد" الذين سيولدون مع وعود بالخلود؟

يدرك ممثلي الإنسانية المتحولة جيداً مشكلة الفروقات بين الأفراد من ناحية التمكن من الحصول على التقنيات الفائقة، حيث يعترفون بضرورة تدخل الدولة على الأقل لتمكين الجميع من الوصول إلى الإنسان الفائق، كما يقر بوستروم أنه سيكون علينا تجنب ظهور طبقة متميزة من المجتمع، بحيث ستكون هناك في النهاية نوعان من البشرية، اللتان لن تكون لديهما الكثير من الأشياء المشتركة ما عدا تاريخهما المشترك، فالأثرياء قد يكونون بعمر طويل وصحة جيدة، وقد يكونون عابرة خارقين بجمال بدني لا عيب فيه، بينما يضل الفقراء على المستوى الحالي، مما قد يؤثر على تقديرهم لأنفسهم ويدفعهم نحو رغبات الغيرة ويمكن أن

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, pp 169, 170.

يصبح التنقل بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا غير ممكن، مما دفع بيستروم إلى الدعوة لتبني إجراءات سياسية للحد من هذا التفاوت<sup>1</sup>.

إن من خصائص القيم مقاومتها للواقع والادعاء بتوجيهه نحو ما هو مرغوب، لكن يجب الحذر من التعلق بقيم يُزعم أنها أبدية، إذ أن التطور غير المتوقع للتقنيات يهدد بظهور واقع جديد تماماً، مما يمنعنا من اللجوء إلى التجريد الذي غالباً ما تفرضه الرؤية الأخلاقية للعالم، كما يعتبر جان ميشيل بيسنييه قد يكون - كما تنبأ نيتشه - أننا مقدر لنا أن نتجاوز حسناً الأخلاقي، وإذا كان يجب أن يكون الأمر كذلك، يجب علينا قبول هذا التخلي عن معايير الخطأ والصواب، والاعتراف بأن ذلك قد يقودنا إلى أراضٍ مجهولة. أليست الحواجز بين العالم السماوي والأرض قد أُزيلت بواسطة غاليليو غاليلي (1564-1642)، وتلك التي بين الإنسان والحيوان بواسطة داروين، وتلك التي بين الوعي العقلاني واللاوعي غير العقلاني بواسطة فرويد؟ هنا يستشهد سلوتردايك بمنظور الإنسانية المتحولة القادر على تقديم مقياس جديد للقيم.

يدرك ممثلي الإنسانية المتحولة على العموم المخاطر العلمية والانزلاقات الأخلاقية الناتجة عن مشروعهم المتمثل في التحول من النموذج العلاجي إلى النموذج التحسيني والإعلائي، كما أنهم على وعي ودراية تامة بالانتقادات الموجهة إليهم من طرف المعارضين لهم، لهذا فهم يسعون لتقديم ردود على هذه الانتقادات، وبناء على اتجاههم الليبرالي والديمقراطي، فهم يدعون دائماً إلى فتح باب النقاش والحوار للتمكن من وضع الحلول الأقل خطورة والأكثر عقلانية إيماناً منهم وقناعةً بأن العقل فقط وليس العنف أو العناد هو الذي يجب أن يحل الخلافات الحتمية، خاصة إذا تعلق الأمر بمواضيع صعبة وحساسة كالتلاعب الجيني.

### 3- لوك فيري والتوفيق بين البيومحافظين والبيوتقدميين:

عند قراءة البيان التأسيسي للإنسانية المتحولة، ندرك أن مروجيه مدفوعون جميعاً بأمل قوي في "عيش أفضل". وفقاً لهم، فإن هذا العيش الأفضل يتمثل بشكل صارم في اللذة، حيث يجب أن تسمح القوة المكتسبة تقنياً بتعظيم "الرفاة" لكل من يشعرون بالمشاعر، سواء كانوا من دماغ حيواني أو إنساني أو ما بعد إنساني أو اصطناعي. ما يجب قراءته بين السطور هو أن التقنية تسعى إلى إزالة حدود "العيش السيء" المرتبطة بطبيعة الإنسان كما نعرفها اليوم. أولاً، تلك المفروضة من قبل الجسم مثل المرض، الألم، الشيخوخة، الموت، ثم تلك التي تحددها الروح (بالمعنى الواسع) مثل البحث عن المعنى، المعرفة، الجمال، العدالة، الحرية،

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 75, 76.

وما إلى ذلك. فإذا كانت حدود الفئة الأولى يمكن إصلاحها بسهولة، فإن حدود الفئة الثانية أقل تحديداً، وبالتالي يصعب تعديلها<sup>1</sup>.

يأتي وصول التقنيات الجديدة التي طورها خبراء التحول للإنساني لتعيد النظر في الأسس نفسها للمعنى الأخلاقي البشري. إن القيم الأساسية للإنسانية تواجه تحديات: هل يجب استبدال السؤال الكانطي "ما هو الإنسان؟" بالسؤال المرتبط بالتقدم العلمي: أي نوع من البشر سنقوم ببنائه في هذا العالم الجديد؟ وما هي القيم التي ستسود في ما بعد الإنسانية؟

لم يعد يحدث الاختيار في بيئة "طبيعية"، نحن في اندماج دائم بين الطبيعي والاصطناعي، مثل إعادة تشكيل قبة الجمجمة بفضل نسخة ثلاثية الأبعاد تم الإعلان عنها في مارس 2014، وعظمة الصدر في 2015، وخميرة نشطة تحتوي في جينومها على كروموسوم تم إنشاؤه اصطناعياً وتم الإعلان عنه في 3 أبريل 2014، وغيرها<sup>2</sup>. لذا، لم يعد الأمر يتعلق بمعرفة ما إذا كنا مع أو ضد تعديل خصائصنا، بل السؤال هو: هل هناك حدود يجب تحديدها، والأهم من ذلك، من الذي يحددها؟، كما يشير إلى ذلك بشكل دقيق لوك فيري.

من الضروري فهم ما يخطط له بعض التقنيين بشكل أفضل وإدراك أن هناك قضايا أنثروبولوجية وروحية رئيسية على المحك، مما يثير أسئلة قانونية وفلسفية وعلمية ولاهوتية، لهذا هناك عقبتان يجب تجنبهما: عبادة التكنولوجيا ورهاب التكنولوجيا، لذلك يمكن مناقشة أسئلة مختلفة بشكل معقول: من سيستفيد من هذه التطورات؟ من سيقدر التطبيق والتنفيذ؟ هل يمكننا التخلي عن الحدود؟ هل لا تزال هناك طبيعة بشرية؟ هل الإنسان قابل للتحسين إلى ما لا نهاية؟ هل يمكن القضاء على كل نقاط الضعف؟ هل الكائن الحي المحول أو المعزز هو دائماً إنسان؟ ما هي إنسانية الإنسان؟ ما الذي يميزه عن الحيوان أو الآلة؟ هل سيجعلنا التحول إلى ما بعد الإنسان أكثر إنسانية؟<sup>3</sup>.

تتأرجح المواقف الفلسفية حول القضايا الأخلاقية التي يثيرها مشروع الإنسانية المتحولة التحسيني بين اتجاهين أساسيين، الأول يدعو إلى إيقاف كل شيء بذريعة التقديس الديني أو العلماني لما يسمى بالطبيعة البشرية غير الملموسة وغير القابلة للتصرف، أما الثاني فيدعو إلى السماح بحدوث كل شيء ومروره باسم نشوة القدرة المطلقة والقوانين المتطرفة الليبرالية والتكنولوجية، والتي بموجبها يجب أن يصبح كل ما هو ممكن

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, pp 151, 152.

<sup>2</sup>Ibid, p 161.

<sup>3</sup>Jean-Guilhem Xerri, *Quest-ce que le transhumanisme ?* p 9.

علميا حقيقة. أما بالنسبة إلى موقف **لوك فيري** من هذه القضية، فهو يحاول التوفيق بين الطرفين مع ترجيح كفة المشجعين للتحسين الوراثي ومشروع الإعلاء الإنساني، ولا يخفي إعجابه وآماله التي ينتظرها من وعود هذا المشروع، إذ يسلم بأنه أمر حتمي ما دامت الأبحاث جارية والتجارب قائمة، حتى ولو لم نصل بعد إلى ذلك حاليا. ويوضح فكرته بمثال أنه لو افترضنا أن الأطباء تمكنوا من استئصال أسوء الأمراض الموجودة في البويضة كالزهايمر أو التليف الكيسي أو نوع من سرطان معين، من خلال الاستعانة بتقنية التحرير الجيني من يستطيع أن يعارض ذلك بجدية؟ خاصة إذا تعلق الأمر بمن نحبهم أو من باب الاهتمام برفاهية أطفالنا في المستقبل، وكذا من منطلق التعاطف مع من يعاني بسبب هذه الأمراض، صحيح أن هناك من يعارض ذلك خاصة من الرؤية الدينية التي هي بالفعل معادية للإنجاب بمساعدة طبية بسيطة، لكنها ستصطدم في نهاية المطاف برغبة الأشخاص الغريزية في التخلص من المعاناة والأمراض وحتى الموت، ودليل ذلك حسبه أن 97% من النساء الحوامل اللاتي يعلمن أن بإمكانهن إنجاب طفل مصاب بمتلازمة داون يقررن الإجهاض، وهو ما يوضح إلى أي مدى لم يعد شكل معين من أشكال تحسين النسل الليبيرالي من المحرمات. لكن في المقابل يحذر من السماح بكل شيء في مجال التعديل الإنساني خاصة فيما يخص المخاطرة بخلق وحوش حقيقية وكائنات هجينة من الإنسان-الآلة-الحيوان، والتي لن يكون لها بعد الآن الكثير لتفعله مع البشرية الحالية، هذا الأمر الذي يمكن وصفه بالأمر المرعب، لهذا يقترح أمام الثورة التحسينية وعموما أمام التقنيات الجديدة التي تجعلها ممكنة أن نخضعها للتنظيم، أي وضع حدود وضوابط دقيقة وصارمة لتجنب منطق "كل شيء أو لا شيء"<sup>1</sup>. وهذا على منوال الأخلاقيات الحيوية الكلاسيكية، لأن التكنولوجيا الجديدة تتمتع بصفتين، فهي **أولا** تتطور بسرعة رهيبية، فتكون بذلك صعبة للغاية في الفهم وأكثر صعوبة في السيطرة عليها: من جهة لأن المعارف النظرية والعلمية التي تستخدمها تتجاوز عموما المعرفة المحددة للسياسيين والرأي العام، ومن جهة أخرى لأن القوى الاقتصادية التي تدعمها ضخمة للغاية. أما **الصفة الثانية** لا تتبع معظم التكنولوجيات الجديدة فقط قانون مور (التسارع)، بل بالإضافة إلى ذلك، سواء كان الأمر يتعلق بتقنيات النانو أو معالجة البيانات الضخمة التي تتداول على شبكة الإنترنت، أو التكنولوجيات الحيوية أو الروبوتات أو الذكاء الاصطناعي، كل هذه التخصصات قد تكفي لتشغيل حياة بأكملها، مما يجعل مسألة التنظيم عموما محفوفة بالعراقيل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 18, 19.

<sup>2</sup>ibid, p 20.

إن الاعتراضات ضد مشروع حركة الإنسانية المتحولة، لا تخص البيومحافظون فقط أو اللاهوتيون أو، بل هي مسألة من الحس السليم، إذ يتبادر إلى الذهن مباشرة عند الاطلاع على وعود الإنسانية المتحولة سؤال: هل نحن متأكدون من أن مشروع تحسين البشرية سوف يسير فعلا نحو الأفضل بدلا من الأسوء؟ يجب ممثلي الإنسانية المتحولة بأنه إذا لم تتعرض البحوث العلمية في هذا المجال إلى عراقيل، وإذا تم تشجيعها وتمويلها في المقابل، فإنها ستنتج حقا ويتم القضاء على المرض والمعاناة ومحاربة الشيخوخة، فبالنظر إلى التقدم الذي تحقق في السنوات الأخيرة في مجال الوراثة والتكنولوجيا الجديدة سيكون من السخيف إغلاق الباب أمام الثورات التي يمكن أن يحققها العلم بشكل محتمل جدا لصالح البشرية في مكافحة الشيخوخة والأمراض الوراثية العلاجية وربما لتحسين الجنس البشري بأكمله. ويربط فيري هذا النقاش بالخطر وليس المنع خاصة وأن تاريخ العلم يبين اقتران التقدم في البحث بالجرأة وتحمل المخاطر بدلا من التطبيق الشديد لمبدأ الحيطة، فالمهم حسبه هو تنظيم التجارب بشكل معقول ومنطقي من الناحية الأخلاقية والطبية وليس منعها. ما وراء هذه الأسئلة الواقعية والمنطقية، وما وراء الإجابات التي يحاول ممثلي الإنسانية المتحولة تقييما، والتي يجب أن نضعها في الاعتبار إذا أردنا التفكير في هذه المواضيع، ليس بصيغة "كل شيء أو لا شيء" ولكن بصيغة التنظيم. كما يذهب فيري إلى أن الموقف الراض للساس بالطبيعة البشرية. لقد تشكل مسبقا في التقاليد اليهودية والمسيحية التي تعتبر الطبيعة كما هي كونا أبديا لا يمكن تغييره لكي تتوافق مع إرادة الله وكل ما يعتبر طبيعيا. بحيث تقتصر وظيفة الطب على علاج الأمراض دون التحسين، كما تنظر للشيخوخة والموت بأنهما أمر طبيعي وليس مرضين، لذا لا ينبغي التعامل معهما بشكل طبي.<sup>1</sup> ولقد امتد هذا الموقف إلى غاية الآن مع البيولوجيون المحافظين. لكن الإنسانية المتحولة تتبنى اعتقادا مناقضا تماما لهذه الأفكار، فبالنسبة لأنصارها الطبيعة الإنسانية ليست مقدسة والجينوم البشري ليس مقام مقدس ولا وجود لأي شيء يمنع تعديلها أو تحسينها أو تعزيزها، بل هو واجب أخلاقي كما أقر بذلك بوستروم ومور ما دامت التعديلات التي يمكن أن نقوم بها تسير في الاتجاه الصحيح وهو اتجاه حرية وسعادة الإنسان، فليس اذن هناك سبب لمنعها، بل يجب أن نشجعها. وهنا تتبنى الإنسانية المتجاوزة وفقا لفيري مفهوم التحسين المستمر الذي نجده في أعمال بيك دي لاميراندول وروسو وكوندورسييه، المتمثل في فكرة أن الإنسان ليس شيئا محددًا من البداية بل يمكن أن يصبح كل شيء، ويجب أن يشكل مصيره. وبهذا يكون التحسين البشري حسب فيري لا يعارض الإنسانية المسيحية أو الدينية عموما فحسب، بل يعارض جميع أشكال تقديس

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 26.



الطبيعة، ويستدل بالإعلان التحسيني لمبادئ "الاكستروبيين" كما وضعه ماكس مور الذي آمن بأن فلسفتهم تذهب أبعد مما يذهب إليه معظم الانسانيين التقليديين وأن الإنسانية لا ينبغي أن تتوقف هنا، بل هي مرحلة فقط على طريق التطور، وليست قمة تطور الطبيعة، إذن فممثلي الإنسانية المتحولة يشككون في القيود التقليدية البيولوجية التي تحد من تقدمنا المحتمل.

إن حجة رفض المساس بالطبيعة البشرية حسب فيري قابلة للعكس، حيث يمكن للأطفال أن يلوموا والديهم على عدم استغلال جميع الفرص للتخلص من مرض محتمل، أو حتى تحسينهم بحجة أن معتقداتهم الدينية أو الأخلاقية تمنعهم من الاستفادة من تقدمات التكنولوجيا والعلوم<sup>1</sup>. ويعقب فيري على موقف فوكوياما حول رفضه القطعي للمساس بالطبيعة البشرية مهما كانت دواعي ذلك، حيث يشير أنه في البداية لا بد من التمييز بين "أن يكون" و "يجب أن يكون"، فالأول يُوجه ويترك حرية الاختيار للشخص، والثاني يُجبر ولا يترك حرية الاختيار للشخص، ويوضح هذه الفكرة بالمثال التالي: أقر العلم بأن التدخين ضار بالصحة، لكنه لا يمكنه ولن يستطيع أبدا أن يؤكد أنه يجب عدم التدخين، إنه واجب أخلاقي، فالتدخين أمر يعتمد على الاختيار الفردي، على الأقل طالما أنه يتحمل مسؤوليته المالية ولا يعرض صحة الآخرين للخطر، هذه الحجة هي نموذج تقليدي للمسؤولية، و مع ذلك يرغب فوكوياما في استعادة الفكرة، وهي محبوبة لدى الفلاسفة اليونانيين، وخاصة أرسطو، والتي تقول أن الغايات الأخلاقية موجودة في طبيعة الأشياء نفسها، في الترتيب الطبيعي للكون، تستند مقولته على الاعتقاد الأول، إنه من الواضح أن الفرق بين "أن يكون" و "يجب أن يكون" يتم عن طريق الإرادة، ثم من الواضح أيضا أنه إذا كانت الممارسة مثل التدخين خطرة، فعدم التدخين يصبح نوعا من الواجب، وفقا لفوكوياما فإن الغايات الأخلاقية لا تزال متجسدة في الطبيعة، أما بالنسبة لفيري هذه الحجة لا تصمد أمام النقد، إن الرغبة في تحذير الأخلاق في الكيان والطبيعة سيبقى مشروعا غير مقنع منطقيا، إذا لم أكن أرغب في الموت فمن المفيد أن أتوقف عن التدخين ولكن في هذا الاقتراح ليس هناك أي اعتبار أخلاقي بوضوح، نحن نبقى ضمن إطار واضح واشتراطي، أي مشروطة بصيغة "إذا ... فإن" والذي ليس له أي صفة تشريعية أو قياسية، صحيح إذا أردنا الحفاظ على صحتنا فعلينا أن نتوقف عن التدخين، ولكن ماذا لو لم نكن نرغب في ذلك؟ ماذا لو كنا لا نهتم؟ وما الذي يمكن أن يعارضنا من الناحية الأخلاقية ما دمنا لا نضر أحدا؟ الحقيقة حسب فيري هي أن فوكوياما ما يزال مأسورا في السياق الفكري الأمريكي الحصري المخالف لوجهة نظر النزعة الإنسانية التي تطورت في أوروبا في

<sup>1</sup>Ibid, p 65.



التقليد الفلسفي الذي يمتد من بيك دي لاميراندول إلى كانط وهوسرل وسارتر، فإن ما يميز الإنسان ككائن أخلاقي مختلف عن الحيوانات ليس طبيعته الثابتة، بل العكس بالضبط أي القدرة على التجاوز والتفوق على الطبيعة، وبالتأكيد هذا هو الفرق الذي يميز الإنسان عن الحيوانات، ويسمح له بالنظر إلى العالم من الخارج من منظور أعلى، وبالتالي يصبح كائنا أخلاقيا<sup>1</sup>. وفي اعتقاد فيري كذلك إذا لم يتم تقبل هذه الحجة وإذا تم رفض فكرة الإرادة الحرة والتفوق على الطبيعة فيجب علينا التحدث عن السلوكيات الحيوانية بدلا من الأخلاق.

إن الفكرة التي تقول بأن الإنسان ليس بحاجة لمكافحة طبيعته من أجل مصلحة الآخرين يصفها فيري بالسخيفة والطريفة، بالنظر إلى الحقائق التي تملأ تاريخ البشرية، فالحقيقة هي أن الإنسان ليس برمجة كاملة من طبيعته، بل لديه حرية الاختيار التي تمكنه من اختيار الأحسن والأسوأ باستمرار، الأمر الذي يجعله يظهر في بعض الأحيان كأكثر الكائنات سخاء، ولكن في بعض الأحيان الأخرى يكون أسوء بكثير من أشرس الحيوانات، إنه قادر على التضحية من أجل الآخرين، ولكنه يظهر أيضا قدرته على القتل والتعذيب بوحشية طالما استمرت البشرية في الوجود، هنا يبدو أن الإنسان محكوم بأن يكون كائنا قابلا للتحول، وليس حيوانا مبرمجا ليكون طيبا بواسطة أسس الطبيعة الغامضة، بل إنه كائن يتجاوز الحدود، نصف ملاك ونصف وحش<sup>2</sup>.

ما يتعارض مع الفكرة السائدة هو أن فوكوياما لا يذكر بأي حال جزءنا البيولوجي والحيواني، بل يجب أن يقودنا إلى إقامة تمييز واضح بين "الوضع" و"التحديد"، فنحن دائما في "وضع"، وبالطبع هناك "الشرط البشري" بيولوجيا وتاريخيا: ولدنا كرجل أو كامرأة مع تلك الوراثة، عامل أو برجوازي في هذه البيئة الاجتماعية، في هذه الأمة، في هذه الثقافة، في هذه اللغة، في هذه العائلة، وفي هذا القرن وما إلى ذلك، إذن فأنا مسجل في سياق معين والذي قد يتحول في بعض الأحيان إلى تحديد، وهذا ما يسميه سارتر بالصدفة السيئة، ومع ذلك لا يتحول هذا الوضع بالضرورة إلى تحديد، ولا يعني أنه يتم حرمان الحرية تماما، فمثلا: ليس من الضروري أن أعيش كربة منزل وأقتصر على المطبخ وتربية الأطفال بسبب كوني امرأة، وليس من الضروري أن أصبح ثوريا بسبب وجودي كعامل، يمكنني أيضا الانضمام إلى حزب ليبرالي أو اجتماعي أو ديمقراطي، فنحن نملك الخيار، وبالمثل فإن مناقشة الرأسمالية لا يعني أننا ضدها، والدليل أن فريدريك

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 66, 67.

<sup>2</sup>Ibid, p 70.

انجلز Friedrich Engels (1820-1895) وماركس كانا رجلي أعمال ومع ذلك كانا ثوريين. وفي كل هذه الحالات نتعامل مع "وضعيات" وليس "تحددات" تستبيح الحرية، فعلى عكس النمر فنحن غير قادرين على القفز لمسافة ثلاثة أمتار، فهل هذا يجعلنا أقل حرية؟<sup>1</sup> وبناء على رده هذا على حجج فوكوياما يعترف فيري بأن العودة إلى الطبيعة التي يروج لها فوكوياما كأساس للأخلاق غير مقنعة تماماً، ذلك أن الأخلاق ليست شيئاً طبيعياً، بالإضافة إلى ذلك يكفي أن نرى كيفية تربية الأطفال المتغيرة والمتعددة لتؤكد من ذلك.

يعارض فيري الاعتقاد الشائع بأن الطبيعة البشرية تشير إلى حد أخلاقي لا ينبغي تجاوزه، إذ من الواضح أن الطبيعة ليست هي التي تحدد القانون، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطب، وهو فن اصطناعي تقريباً في جميع النواحي، ومخصص لتصحيح أخطاء هذه الطبيعة نفسها، مثلاً لا شيء أكثر طبيعية من فيروس الإنفلونزا أو فيروس نقص المناعة البشرية، ومع ذلك من غير المعقول إعلان أنه يشير إلى الطريق الذي يجب اتباعه أي المحافظة عليه، وعليه يمكننا اعتبار الطبيعة معياراً لكن هذا الخيار أيديولوجي من بين خيارات أخرى لا يمكن إعفاؤه من واجب التبرير للآخرين قبل أن يصبح قانوناً.<sup>2</sup>

يؤكد فيري من جهة أخرى أنه بالرغم من الاعتراضات الموجهة لمشروع الإنسانية المتحولة إلا أنها تبقى محل إغراء للأغلبية من البشر خاصة من ناحية الوعد بالقضاء على الآفات الثلاثة التي تفسد حياة البشر منذ بداية الزمان، مثل: المرض والشيخوخة والموت، وعليه فهو يبدي رأيه حول هذا الموضوع أنه يتخذ موقفاً وسطاً بين "منع كل شيء" (الاتجاه البيومحافظ) و"السماح بكل شيء" (الاتجاه البيوتقدي)، من خلال ابتكار طرق لتنظيم هذه الممارسات.

على الرغم من أن العلم والتكنولوجيا يشكلان أساساً كبيراً لرؤية العالم المتعلق بالتكنولوجيا البشرية، يعترف المؤيدون أن قوتها لها عيوب ونقائص، وبالتالي فإن وجود تفكير أخلاقي نقدي أمر ضروري لتوجيه سلوكهم والإجابة عن سؤال ما إذا كانت تقود إلى تمديد قيمنا أو نحو الإعلان عن اختفائها. مع ظهور الإنسان المتحول وبدء مرحلة ما بعد الإنسانية، يجب أن نعترف بأن الأخلاق قد تضطر إلى تجاوز الفضاء البشري لتشمل التعايش بين إنسانية موسعة. فالتكنولوجيا تفرض تحدياً على الأحكام المسبقة للإنسانية، وهو أنه يجب عدم حصر القيم الأخلاقية في البشر فقط. ليس الأمر مجرد زيادة في القدرات البشرية في الوقت الحالي، لكن من المتوقع أن تتفوق الآلات في معظم الأنشطة البشرية، مما يمنح بعض الأفراد حججاً

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 70, 71.

<sup>2</sup> Ibid, p 161.

لإنهاء التصور الضيق عن الإنسان، وهو تصور كان يجب الالتزام به لتلبية "الأخلاق"، تلك التي وضعها أقراننا<sup>1</sup>.

يقع "الجيل الجديد من الأكاديميين في البيوإتيقا"، حسب تعبير **لوك فيري** بين المتبنين للتكنولوجيا البشرية المتطرفة وبين المدافعين عن البيولوجيا التحفظية، إذ يفرض كل من النهج المتساهل الذي يدعو إليه الأولون والإدانة الجذرية التي يرغب بها الآخرون. ويؤكد أن المعارضة لزيادة الأداء البشري غير ممكنة وغير مبررة لأنها تشير إلى حقائق راسخة منذ زمن طويل (مثل تناول القهوة أو النيكوتين)، ولأن هذه الأداءات تشير إلى مجموعة من الممارسات الموجودة بالفعل (مثل المشروبات المنشطة، والمكملات الغذائية، واستخدام المنشطات المنتشرة في الرياضة المحترفة وفي الجامعات، وتناول "حاصرات البيتا" لدى الموسيقيين والمتحدثين قبل عروضهم، وما إلى ذلك). ومع ذلك، إذا كانت تقنيات الزيادة تتبع نفس منطق استخدام الأدوات، فإن دمجها في الجسم البشري يثير العديد من القضايا الأخلاقية<sup>2</sup>.

انطلاقاً من مبدأ أن هذه التحسينات مرغوبة ومفيدة، يجب الالتزام بعدة قواعد أساسية، فإذا كنا نريد أن نواصل وجودنا كإنسان، لا بد أولاً من احترام حرية واستقلالية كل فرد؛ وثانياً من تعظيم الفوائد وتقليل المخاطر في مجال الصحة والأمان؛ وثالثاً من احترام العدالة وتعزيز الإنصاف. ومع ذلك، فإن تقنيات التحسين ليست محايدة، بل إنها تتواجد في سياق ثقافي واجتماعي متطور. فالإنسان المحسن يثير تساؤلات حول نموذج المجتمع الذي نعيش فيه، وخاصة حول ذلك الذي نرغب في العيش فيه، لأنه إذا اعتمدنا على المثالية المتعلقة بالتحسين البشري الموروثة من إنسانية عصر الأنوار، فإن تحرير الإنسان يعتمد في المقام الأول على تحسين ظروف حياته الاجتماعية والسياسية.

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p 150.

<sup>2</sup>Ibid, pp 147, 148.

### ثانيا: معضلة الحقوق الإنسانية

تشكل الحقوق الأرضية الصلبة التي تقوم عليها المجتمعات الحضارية، على الرغم من أن الفلاسفة والمفكرين على مختلف طبقاتهم لم يختلفوا حول أهميتها بالنسبة للإنسان، إلا أن آراءهم تضاربت وتباينت حول طبيعتها، بالنسبة للاتجاه البيومحافظ فإن أتباعه دافعوا عن حقوق طبيعية ثابتة على أساس أنها مرتبطة بطبيعتنا البشرية الثابتة، بينما الاتجاه البيوتقديمي فقد جنح أتباعه إلى اعتبار أن الطبيعة المتغيرة للكائن البشري هي ما يمنحه حقوق خصبة ومتجددة.

#### 1- البيومحافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية:

يعترف الجميع الآن -بما في ذلك فوكوياما- بأن التقدم الموعود ليس سوى مسألة وقت، وأن التقدم المعلن سيحدث خاصة فيما ذلك ما يتعلق بطول العمر البشري. هذا يلزمنا التفكير فيه من الآن قبل أن يكون قد فات الأوان لتغيير مسار التاريخ. هذه الحجة التي تفترض أن مبادئنا الأخلاقية متجذرة في طبيعتنا البشرية، وهي غير قابلة للتغيير، ومنها تنبع الحقوق، حيث ترتبط حقوق الإنسان الطبيعية بشكل مباشر بهذه البنية البيولوجية<sup>1</sup>.

ينتقد هابرماس مشروع الإنسانية المتحولة في كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية"، بطريقة مبتكرة من زاوية محددة جداً، وتتمثل في: الكرامة والحقوق الإنسانية. حيث يناقش هابرماس في كتابه هذا القضايا والتحديات التي يفرزها التدخل البيوتكنولوجي في الجينوم البشري على مفهومي الحرية والمسؤولية لدينا، خاصة وأنه أضحى من الممكن التحكم في الكائنات البشرية وتعديلها كتعديل الأجنة جينياً بما يتماشى ورغبات والديهم، ما يجعلهم يمتلكون الحق في صناعة أبنائهم<sup>2</sup>. وحسبه هذا مرفوض لأنه يسهم بتفويض أساس الحياة الاجتماعية التي تتشكل من ذوات حرة ومتساوية في الكرامة. وعليه، فإن من خلال هذه الممارسات يتم تجريد مفهومي المسؤولية والحرية للأطفال المعدلين وراثياً من قبل والديهم، مما ينزع عنهم صفة الذات الحرة. يتخوف هابرماس في سياق البرمجة الجينية من غياب وجود علاقة تناظرية بين المبرمج والمنتج، بحيث يتم إنشاء تبعية لا رجعة فيها تُلغي وجود ذاتين حرتين.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 65.

<sup>2</sup>يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 95.

يحذر هابرماس كذلك من تحول تقنيات وممارسات التعديل الجيني، خاصة لأغراض تحسينية إعلانية، إلى سوق تجاري ربحي محض، مما يُغَيِّب مبدأ المساواة الذي لطالما كرسه القوانين والتشريعات العالمية، وفي المقابل تكريس التفاوت والتمييز بين ذوي القدرات المعدلة وغير المعدلة، وبين المولود طبيعياً والمولود اصطناعياً<sup>1</sup>. وقد تناولها من خلال مثال طفل قيامالوالدين بتعديل جينوم طفلهم بهدف زيادة وتحسين المواد الوراثية الأصلية (أي صفاته الجسدية والفكرية) وبالتالي تَغْيُر في اتجاه التحول البشري، مما يطرح مشكلة "حرية الطفل"، أو كما يصف ذلك هابرماس بلغته المعتادة علاقته التأميلية بذاته وباستقلاليته، أي ببساطة كيف سيفهم ذاته في المستقبل ككائن حر. هذا التصور الذي سيتأثر بشكل خطير، وفقاً لهابرماس، حيث سيفرض الآباء اختياراتهم مثل: زيادة قدرات معينة بدلاً من أخرى كالقدرات الرياضية بدلاً من الفنون والآداب. هذه هي الفرضية التي يطورها بالتفصيل في كتابه هذا. فحسب هابرماس، لطالما كانت طبيعتنا شيئاً معطى ولا يمكن تحويله، إلا أنها الآن قابلة للتلاعب والبرمجة بواسطة شخص يتدخل بنية متعمدة وفقاً لتخطيطاته الشخصية بشأن التكوين الوراثي وصفات الطبيعة للآخرين<sup>2</sup>. في هذه النقطة، يتساءل هابرماس: كيف ستؤثر زيادة حرية اختيار الآباء لمصير أبنائهم على حساب حرية الأطفال؟ يمكن توضيح ذلك من خلال مثال أن هناك شاباً أو فتاة تكتشف في يوم ما أن تكوينها الوراثي تم تعديله قبل ولادتها، وذلك دون أي سبب طبي ملزم. فبمجرد قيام الوالدين بإجراء هذا التدخل التحسيني لنسالة طفلهم، يصبح نوعاً من التوجيه القسري؛ إذ لم يتركوا المجال لأطفالهم للاختيار، بحيث يمكن ألا يتقبلوا مثل هذه التعديلات ويبدأوا في التساؤل: لماذا قام والديه بمنحه موهبة مثلاً في الرياضيات بدلاً من القدرات الرياضية أو الموسيقية، التي كانت ستكون أكثر فائدة لمهنة رياضية عالية المستوى أو عزف البيانو على مستوى عالمي؟

يذهب فيري إلى أن الحالة المتصورة هنا مع هابرماس في مثال "الموهبة في الرياضيات بدلاً من الموسيقى" غير معقولة علمياً؛ إذ لا يوجد أي بيولوجي يدعي أن المواهب من هذا النوع تعتمد على التلاعب الجيني، ولكن ليس هذا هو الأمر الأساسي، كما يقول هابرماس. فالأمر يتعلق بالتوقع والتخيل "ماذا سيحدث إذا؟" أي إذا واجهنا هذا النوع من الفرضيات في يوم من الأيام. ومع ذلك، وبدون العودة إلى مثال الرياضيات والبيانو، فمن المرجح جداً أنه في المستقبل القريب سيكون بإمكاننا اختيار عدد من السمات الجسدية لأطفالنا. وبالتالي، تبقى الأسئلة التي طرحها هابرماس على الأقل من حيث المبدأ.

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص ص 95، 96.

<sup>2</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 77.

وبالتحديد في قضية الصراع المحتمل الذي قد ينشأ بين حرية الآباء وحرية الأطفال، والتي يظهر فيها تحفظاً معارضاً. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: أليس نفس الأمر بالنسبة للتعليم؟ حيث في هذا المجال، كما يذهب فيري، يقرر الآباء آلاف الأمور نيابة عن أطفالهم، يختارون مؤسسة تعليمية معينة بدلاً من أخرى، واللغات التي سيتعلمونها، والمجالات التي يرغبون في الانخراط فيها. هذا وينقلون جميع أنواع القيم المعنوية والسياسية والروحية... وما إلى ذلك من القيم التي سترافقهم طوال حياتهم سواء قبلوها أم رفضوها. فما الذي يجعل ذلك مختلفاً جداً عن الاختيارات التي قد تتعلق بالطبيعة والبنية الوراثية؟ يجب هابرماس بأن هذه الأمور تدخل في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي غير ثابتة بالنسبة للطفل وقابلة للتغيير، كذلك على عكس تلك التي تقرر مصيره الوراثي. فهناك فرق كبير فيما إذا كان الأطفال قادرين على مناقشة والديهم عندما يكبرون بين ما هو قابل للتغيير (التربية الاجتماعية) وما هو غير قابل للتعديل أو التغيير (البرنامج الوراثي). فهذا الأخير، إن تم تعديله قبل الولادة، لن يصبح هذا الأمر ممكناً فيما بعد<sup>1</sup>. بالنسبة لفيري وخلافاً لهابرماس، يمكن للأطفال مناقشة الاختيارات التربوية مع والديهم بنفس قدرتهم على مناقشة الاختيارات الوراثية المحتملة. يسلم هابرماس بأن التعديل الجيني ينتهك حرية الطفل الناتج بطريقة لا تؤذيها الأبوة العادلة؛ إذ يمارس الآباء حالياً السيطرة على أطفالهم من خلال التواصل، أما في حالة التحديد الجيني الذي يتم وفقاً للتفضيلات الخاصة بالوالدين، لا توجد مثل هذه الفرصة. حيث إنه مع التحرير الجيني لا يوجد مجال تواصل للطفل المتوقع لكي يتم التعامل معه كشخص ثانٍ ولا إشراكه في عملية الاتصال<sup>2</sup>. لهذا السبب، يُحرم الطفل الذي تم اختيار سماته الوراثية من قبل والديه من فرصة أن يحيا حياته الخاصة. وعليه، تؤدي هذه الاختيارات الإنسانية إلى تثبيت سيطرة الأبوين على مصير الطفل القادم، ومن ثم افتقاده للاستقلالية والتميز الطبيعي الذي كان من الواجب أن يختص بهما. فكان هذا الطفل تابعاً كلياً للقيم التي يؤمن بها الوالدان دون أن يُترك له مساحة من الحرية الطبيعية من أجل الاختيارات المستقبلية كحق إنساني تؤمن به الحداثة.

إن فكرة إنجاب أطفال معدلين جينياً مسبقاً تنافي القيم الطبيعية الأسرية المتعارف عليها التي تُبنى على القبول الطبيعي والحرية، والحوار القائم على احترام الواجبات والحقوق المتبادلة. خاصة وأن الانتقاد المسبق للأبناء، كما هو مشهود اليوم، أصبح خاضعاً لأهداف تجارية اقتصادية حولت الطفل إلى سلعة منتقاة، مما يجردّه من خصائص الشخصية والهوية الإنسانية التي تمكنه من تقدير ذاته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 78.

<sup>2</sup>نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والدكاء الاصطناعي، ص 226، 227.

<sup>3</sup>نورة بوحناش، البيوانيقا والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، ص 270.

يواجه القانون، مثل العديد من التخصصات الأخرى، صعوبة في تقييم وعود الإنسانية المتحولة، لأن المجال القانوني تقليدياً هو مجال الإنسان العادي. بالتحديد، يتعامل القانون مع العلاقات بين البشر لتقييمها وفقاً للعدالة، أي المساواة. في الواقع، وفقاً لمبدأ القانون الأساسي، جميع البشر متساوون. لا شك أن البعض أكثر ذكاءً وجمالاً وقوةً من البعض الآخر، ولكن الشكل البشري بحد ذاته يلزمهم بمعاملة بعضهم البعض دون تمييز، فكلهم يتمتعون بنفس الكرامة والحقوق.

ينجز القانون حتى الآن مهمته في المساواة بمعنى تعويض النقص وفقاً للنهج الكلاسيكي المزدوج للعدالة التصحيحية والعدالة التوزيعية. العدالة التصحيحية: عندما يتسبب شخص، بسبب خطئه في إلحاق الضرر بشخص آخر لدرجة إعاقته، يتعين على مرتكب الضرر تحمل تكاليف الترميم والعلاج، مثل الأطراف الاصطناعية، لكي تعود الضحية قدر الإمكان إلى شكلها البشري السابق. العدالة التوزيعية: عندما تنشأ الإعاقة. ليس من خطأ بشري يلزم مسؤولية مرتكبه، بل من خطأ في الطبيعة، يرى المجتمع أنه من العدل تعويض هذه الإعاقة من خلال منح بدائل متنوعة تهدف إلى سد الفجوة قدر الإمكان، على الرغم من أن الفجوة التي تفصل شخصاً ذو الإعاقة عن غيره من الأشخاص الخاضعين للقانون ضعيفة. في كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بالعودة إلى شكل بشري يعتبره المواطنون "طبيعياً"<sup>1</sup>.

هل يمكننا أن نتخيل يوماً ما أن القانون سيبعد جميع التقنيات الجينية، المعلوماتية.. إلخ، والتي تسعى إلى "تعزيز" الإنسان كما يفعل حالياً مع تناول المنشطات في مختلف الرياضات؟ من المحتمل أن يصرخ الجمهور حينئذٍ بانتهاك الحريات، لأن الحرية مع المساواة هي الركيزة الثانية للقانون في مجتمعاتنا. وهذا ما نراه بشكل خاص في التطورات الحالية في مجال أخلاقيات الطب الحيوي. إذا كان مسموحاً اليوم بالتخلص من الأجنة (البحث العلمي) والأمشاج (بنك الحيوانات المنوية) ورحم المرأة (الإنجاب بالاستئجار) واختلاف الجنس (إعادة التعيين الجنسي) والحياة نفسها (الموت الرحيم) فليس من الواضح ما هي القوى الاجتماعية التي ستمنع الفرد من تعزيز قدراته الفردانية من خلال التقنيات المناسبة. ولكن، هل سيكون الموضوع "المعزز" أكثر سعادة لكونه انفصل عن إنسانيتنا المشتركة بهذه الطريقة؟<sup>2</sup>

تميل العلوم الطبيعية إلى إظهار أن معظم الفروقات الظاهرة بين البشر هي مسألة تقليد أكثر من كونها طبيعة. يعتمد جزء كبير من عالمنا السياسي على وجود جوهر إنساني نمتلكه بطبيعتنا، أو بالأحرى، على

<sup>1</sup>Xavier Dijon, **La perplexité du droit**, pastoralia, N°5, Dossier : transhumanisme, Archidiocèse de Malines, Bruxelles, mai 2015, p 15.

<sup>2</sup>Ibid, pp 15, 16.

حقيقة أننا نؤمن بوجود مثل هذا الجوهر. فالفرد وفقاً لتيارات الفكر المختلفة يتمتع بحرية أولية، سواء كانت إلهية أو طبيعية، تبرر حقه في المعارضة ضد الاضطهاد وتنظم علاقاته مع الآخرين. ولكن، مع وجود مستقبل ما بعد إنساني يسعى إلى تحويل هذا الجوهر مع مرور الوقت، وقد يتغير معنى هذه الكلمة تماماً. حتى الآن، كان ذلك يعني متابعة الأهداف التي حددتها طبيعتنا لنا. الآن، قد يكون من الممكن أن تكون المرحلة التالية من التطور هي تلك التي سنتولى فيها مسؤولية تكويننا البيولوجي الخاص بدلاً من تركه للقوى العمياء للاختيار الطبيعي، وعندها لن يكون الجوهر هو الذي يمنح حريتنا، بل ستكون الحرية هي التي تسمح لنا بالبحث عن الجوهر. ومع ذلك، يجب أن نكون حذرين: هل لا تزال التقنيات الجديدة لا تحرف حرياتنا لصالح السلطة؟

وماذا عن حريتنا في التفكير؟ هل ستظل موجودة عندما نعلم أن أمازون مثلاً تتوقع بالفعل وبشكل أفضل من أنفسنا اختيار قراءاتنا القادمة وأن هناك شركات ناشئة مثل Hunch.com تخطط لإنتاج برامج "قرارات" لتجنب أن يفكر المستخدمون؟ قد تتفاقم هذه الظاهرة وتؤثر على حياتنا الخاصة مع التطور المكثف لنماذج التفاعل بين الإنسان والروبوت من خلال التعبير عن المشاعر، فقد ننسى أن الروبوتات ليست سوى آلات لمحاكاة، وسنعتبرها أصدقاء ونثق بها فيما يخص أسرارنا، التي ستسرع بتسجيلها وإرسالها إلى الذكاء الاصطناعي الذي خلقها<sup>1</sup>.

يعبر جاك إيلول عن شكوكه حول علاقتنا الحقيقية بالحرية، والتي قد تفسر خضوعنا للأحداث المقبلة. حيث يعتبر أن هذا الرجل العصري لا يفعل شيئاً سوى أسطورة العلم، وتقديس التقنية والدولة، ورفع السياسة إلى مرتبة "دين علماني". ويربط ذلك بحقيقة أن الإنسان ليس على الإطلاق متحمساً للحرية كما يزعم، فالحرية ليست حاجة متأصلة لديه، فاحتياجاته من الأمن، والتوافق، والتكيف، والسعادة، وتوفير الجهد هي أكثر ثباتاً وعمقاً، وهو مستعد للتضحية بحريته من أجل إشباع هذه الاحتياجات. بالتأكيد، لا يمكنه تحمل الاضطهادات مباشرة، ولكن ماذا يعني ذلك؟ فإن يُحكم بطريقة سلطوية هو أمر لا يحتمل بالنسبة له ليس لأنه إنسان حر، ولكن لأنه يرغب في السيطرة وممارسة سلطته على الآخرين<sup>2</sup>. إذ أن الإنسان يخاف من الحرية الحقيقية أكثر مما يرغب فيها. نحن نشهد حالياً هيمنة الدولة على تنظيمنا الاجتماعي، وبالتالي على حرياتنا، فنحن نتنقل في متاهة من المساعدات والالتزامات حيث تفرض الدولة نفسها كوسيط في كل علاقة.

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-couturier, *Le transhumanisme*, p 139.

<sup>2</sup>جاك إيلول، خدعة التكنولوجيا، ترجمة: فاطمة نصر، دار سطور، مصر، ط1، 2004، ص 38، 39.



## 2- حقوق الإنسان الفائق من منظور بيوتقديمي:

تعتبر الحريات هي المكونات اللازمة لمشروع الإنسانية المتحولة، فالحرية تشكل المبدأ المؤسس لحقوق الإنسان الذي ينص على أن "يولد الناس أحرارًا ومتساوين في الحقوق"، وفقًا للمادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان والمواطن. فإذا كان الناس متساوين فيما بينهم، فهم كذلك، قبل كل شيء أحرار<sup>1</sup>.

إن الفلسفة التي تستند إليها حقوق الإنسان هي في الأساس فردانية، بمعنى لكي تظهر فكرة حقوق الإنسان، يجب أن يكون الفرد قادرًا على التفكير بطريقة مستقلة وليس حصريًا كعضو في المجموعة أو ككل يتجاوزه، فالإنسان في حقوق الإنسان يُعرّف مفهومياً ككيان مستقل ينتمي لنفسه<sup>2</sup>. وحقوق الإنسان، المتأثرة بالفلسفة الليبرالية والفردانية التي أدت إلى تشكيلها، تقدم إجابات للتساؤلات التي تثيرها التطورات العلمية والتكنولوجية.

إن النظرة الخاطفة على هذه الحقوق تؤكد طابعها الليبرالي، فالحق في الخصوصية بشكل خاص والمنصوص عليه في المادة 17 من الميثاق الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وفي المادة 8 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان يجب فهمه كـ "حق في أن تُترك وشأنك"، ويشمل هذا الحق حق كل فرد في "هويته الجسدية والاجتماعية" وكذلك "الحق في التنمية الشخصية". كما يسمح باتخاذ قرارات بشأن جسده؛ ويؤسس، على وجه الخصوص، حقًا في الوصول إلى علاج التحويل الجنسي.

ثم إنه يمكن وضع حق التصرف في الجسد من منظور الحرية الجسدية أو حرية المظهر التي يطالب بها ممثلي الإنسانية المتحولة، وهذا في إعلانهم لعام 2012، إذ يوضحون بأنهم يروجون للحرية الجسدية أبحق تعديل وتحسين الجسد والإدراك والعواطف. وتشمل هذه الحرية الحق في استخدام أو عدم استخدام التقنيات والتكنولوجيات لإطالة الحياة، الحفاظ على النفس من خلال التجميد، التحميل والوسائل الأخرى، والقدرة على اختيار التعديلات والتحسينات المستقبلية<sup>3</sup>. فممثلي الإنسانية المتحولة يطالبون بحق التفتح من خلال

<sup>1</sup>B. Edelman, *La dignité de la personne humaine, un concept nouveau*, recueil dalloz, chronique, 1997, p 185.

<sup>2</sup>L. Hennebel et H. Tigroudja, *Traité de droit international des droits de l'homme*, pedone, paris, 2016, p29.

<sup>3</sup>Voir la déclaration transhumaniste 2012, disponible en ligne :

<https://iatranshumanisme.com/transhumanisme/la-déclaration-transhumaniste/>

تجاوز الحدود البيولوجية الحالية. ومع ذلك، فإن الحرية التي يطالبون بها لا تقتصر على شخصهم فقط، بل تمتد أيضاً إلى ذريتهم. وفي هذا السياق، قد يسعون إلى استدعاء الحق في الحياة الخاصة والعائلية.

يمكن أيضاً استدعاء حقوق الإنسان الأخرى من قبل ممثلي الإنسانية المتحولة بشكل مفيد. على سبيل المثال، نظراً لأن أحد الأهداف المعلنة لهذه الحركات هو القضاء على المرض، والإعاقة، والشيخوخة، بل وحتى الموت، يمكن لأنصارها العثور في الحق في الصحة أساساً لمطالبتهم لأنفسهم ولذريتهم. في الواقع، الحق في الصحة يشمل أيضاً الصحة الإنجابية.

تشكل حرية البحث أساساً آخر للإنسانية المتحولة حيث إنها شرط لتحقيق مشاريعهم. هذا الحق، المحمي بموجب المادة 15 من الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذي يتطلب من الدول احترام الحرية الضرورية للبحث العلمي، ويمكن أيضاً استدعاء حرية الضمير نفسها، لأن الإنسانية المتحولة تعتبر نزعة شبه دينية وفقاً للبرلمان الأوروبي<sup>1</sup>. بالتأكيد، يمكن القول إنه بينما تستدعي الإنسانية المتحولة الحرية، فإن الخيارات التي يتخذونها مشروطة بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية وأن استخدام تقنيات معينة قد يؤدي في النهاية إلى استعباد الشخص البشري. وإذا كانت مثل هذه الحجج يمكن أخذها في الاعتبار من منظور أخلاقي، فمن منظور قانوني بحت تعتبر الحرية الفردية - إلا في حالة فرد غير قادر - كاملة من منطلق أن الدوافع العميقة التي تحفز اختيارات الشخص ليست مأخوذة في الاعتبار من قبل القانون الذي يبقى على سطح الأشياء.

يمكن القول بأن مطالب الإنسانية المتحولة تجد صدًى إيجابياً لدى قاضي حقوق الإنسان، لكن هذا لا يعني أن هذا القاضي له غاية في قبول كل طلب بشكل إيجابي، حيث تعتمد الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان على توازن بين حريات الفرد وحماية مصالح المجتمع الذي يتواجد فيه هذا الفرد. في هذا السياق، يمكن للدولة، باسم النظام العام، تقييد ممارسة الحقوق المضمونة. علاوة على ذلك، يوجد ضمن القانون الدولي لحقوق الإنسان توازن، حيث يمكن لحق أن يعادل حقاً آخر. وبالتالي، سيكون تدبير يتوافق، على سبيل المثال، مع الحق في الخصوصية والحياة العائلية أو الحق في الصحة، ولكنه تمييزي، مخالفاً للاتفاقيات الدولية

<sup>1</sup>Parlement européen, Human enhancement study, disponible en ligne : <http://www.itas.kit.edu/downloads/etag-coua09a.pdf>

لحقوق الإنسان. وبالمثل، قد يتعارض الحق في الخصوصية والحياة العائلية للوالدين مع الحق في السلامة الجسدية لطفلهما. لهذا يعود للقاضي تقدير المصالح المعنية.

ومع ذلك، في حالة الإنسانية المتحولة، إذا كانت مسألة التوازن بين الحرية الفردية وحماية الجسد تطرح بهذا القدر من الحدة، فذلك لأن الشخص المعني كثيراً ما يكون قد وافق على التعدي. ومن ثم، يجب معرفة ما إذا كان من الممكن تطبيق حق، مثل الحق في الحماية الجسدية، على فرد ضد إرادته: هل يمكن للفرد أن يتنازل عن حق من حقوق الإنسان الذي تمنحه إياه المعاهدات الدولية؟ وبالمثل، هل يمنح استحساناً بالضرورة صفة غير مشروعة لتدخل الدولة في الحياة الخاصة؟ قد طرحت هذه الأسئلة بالفعل على القاضي الأوروبي عدة مرات، خصوصاً فيما يتعلق بالقتل الرحيم، وقد تطرح أيضاً فيما يتعلق بالإنسانية المتحولة. على سبيل المثال، يمكن تصور حالة شخص يرغب في خضوع لعملية بتر عضو سليم ليتم تركيب "عضو بيونيك" بدلاً منه، ولكنه يُرفض طلبه. أما فيما يتعلق بهذه المسائل المتعلقة بحرية التصرف في الجسد، يبدو أن القاضي الأوروبي يتردد بين نهجين: أحدهما ليبرالي، يفضل تقرير المصير الذاتي للفرد؛ والآخر أكثر احترازاً يقوم على حماية الشخص وجسمه ضد نفسه. من هذه السوابق القضائية الأوروبية المترددة، يتبين أن الرضا أو القبول لا ينبغي أن يكون الحد الأقصى لحقوق الإنسان، فالتخلي عن حق محمي بموجب الاتفاقيات الدولية هو إمكانية وليس حقاً<sup>1</sup>. ومع ذلك، لا يوجد معيار عام يسمح بتحديد متى وتحت أي شروط يمكن استخدام هذه الإمكانية.

هذا ما يحيلنا إلى التساؤل: هل سيصبح الإنسان الفائق أو الكائن ما بعد الإنساني هو موضوع حقوق الإنسان؟

في أكتوبر 2016، وفي إطار تجربة سريرية على الإنسان، استخدم باحثون من مستشفى تشنغدو في الصين لأول مرة أداة جينية تُعرف بـ CRISPR-Cas9 لمحاولة القضاء على سرطان الرئة<sup>2</sup>. تسمح هذه الأداة - التي تُسمى "المقصات الجينية" - بقطع واستبدال وتعديل أو تعطيل الجين. وفي إطار تجربة أجريت على الفئران، استُخدمت لإزالة فيروس الإيدز من هذه الكائنات. إحدى التطبيقات المحتملة الأخرى لـ CRISPR-Cas9 هي إنتاج أعضاء بشرية، وهي فرضية تُنظر الآن في ضوء نقص التبرعات بالأعضاء.

<sup>1</sup> O. De Schutter et J. Ringelheim, **LA Renonciation aux droits fondamentaux : la libre disposition de soi et le règne de l'échange**, in : la responsabilité, face cachée des droits de l'homme, Bruyant, Bruxelles, 2005, p 460.

<sup>2</sup> Frédéric lewino, **les prodiges de la génétique**, n° 2374, le point, 1 mars 2018, p 61.

في "جامعة كاليفورنيا ديفيس"، يدرس بابلو ج. روس إمكانية جعل الحيوانات مضيفات لـ "زراعة" أعضاء مخصصة للبشر<sup>1</sup>. حيث كشف مع فريقه أنهم، باستخدام المقصات الجينية، أدخلوا خلايا جذعية بشرية في أجنة خنازير بعمر يوم واحد بهدف الحصول على بنكرياس بشري. بعد 28 يومًا من الحمل، كانت الأجنة الخنزيرية تحتوي بالفعل على خلايا بشرية، بعضها كان مبرمجًا ليصبح بنكرياسًا.

الآن، مع تحقق أعمق التخيلات المظلمة للأساطير، لا يبدو من المبكر طرح السؤال: هل الكائن ما بعد الإنسان هو موضوع حقوق الإنسان؟

حقوق الإنسان تستند إلى بناء مستوحى من القانون الطبيعي: فالبشرية في كل إنسان هي مصدر الحقوق وأساس طابعها العالمي. بالتأكيد، تُمارس هذه الحقوق في إطار المجتمع السياسي، ولكنها تُمنح لكل شخص بسبب بنيته البشرية نفسها، فالطبيعة البشرية تُعتبر معيارًا لمنح الحقوق. والقانون، مع ذلك، لا يُعرّف الطبيعة البشرية؛ ولا يوضح ما يجعل كل إنسان إنسانًا، ففي القانون، الإنسانية ليست سوى فكرة تنظيمية؛ إنها تظهر كحد لا يمكن تجاوزه<sup>2</sup>، وفي هذه الحالة أي عدم القدرة على تحديد ماهية الطبيعة البشرية في القانون، يمكن القول ما ليست عليه. فمن منظور قانوني، الطبيعة البشرية ليست ذات طابع بيولوجي بحت، فهي تتجاوز ذلك بكثير.

يردد مفهوم الإنسانية القانوني صدى "مفهوم الإنسان البيولوجي والفيزيائي"؛ إنه يشمل جميع أفراد الهومو سايننس أي الكائن العاقل. وفقًا لنصوص الإعلان العالمي حول الجينوم البشري وحقوق الإنسان، فإن الجينوم البشري الذي يدعم وحدة الأسرة البشرية والانتماء إلى النوع البشري هو شرط ليكون الشخص موضوعًا للحقوق، وعادةً ما تكون الولادة في النصوص الدولية لحقوق الإنسان هي اللحظة الحاسمة للتمتع الكامل بهذه الحقوق.

وعلى الرغم من ذلك يتجاوز مفهوم الإنسانية القانوني الجانب البيولوجي. إذ يستخلص منه بعدًا رمزيًا ليحمي الإنسان بشكل أفضل، ففي النصوص الدولية لحقوق الإنسان، تشكل الإنسانية مطلبًا يتجاوز أو يتعدى أو حتى يتناقض مع البيانات الطبيعية، بمعنى الخصائص البيولوجية للنوع. وبين القيمة الروحية

<sup>1</sup>Marcela Vilarino, Shikh Tamir Rashid et al, **Crispr-cas9 microinjection in oocytes disables pancreas development in sheep**, scientific reports-nature, 2017, Disponible en ligne : <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5727233>

<sup>2</sup>J. Allard, **L'humanité : un concept juridique sans précédent ?** Bruyant, Bruxelles, 2004, p 194.

والبيانات الطبيعية تمتلك الإنسانية القانونية هوية مزدوجة. ويحمي القانون كلاً من الأنسنة، أي العملية الثقافية التي تشكل من خلالها البناء الرمزي للإنسانية، والتطور البيولوجي الذي أدى إلى الإنسان.

إذا طبقنا الآن هذا المعيار لمنح حقوق الإنسان، وهو الطبيعة الإنسانية، على حالة ما بعد الإنسان والإنسان المتحول، ما هي الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها؟ هل ما بعد الإنسان هو موضوع حقوق الإنسان؟ إن الإجابة على هذا السؤال تمثل تحديين مزدوجين. يتعلق الأمر بمنح ما بعد الإنسان والإنسان المتحول الحقوق المرتبطة بحقوق الإنسان: إذا اعتُبر كموضوع، يمكنه المطالبة بحمايتها. هذه النتيجة هي الأكثر وضوحاً. ومع ذلك، توجد أيضاً نتيجة أقل وضوحاً: وهي حماية البشر "الطبيعيين" أنفسهم. في الواقع إن المساواة التي تقوم عليها حقوق الإنسان تنطبق على جميع أعضاء الإنسانية، ولكن فقط عليهم وبينهم، أي لا تنطبق هذه المساواة، على سبيل المثال، بين الإنسان والحيوان أو أي نوع حي آخر. وبالتالي، لا يمكن لفرد أن يدعي أمام القاضي وجود تمييز مقارنة بقرد كبير<sup>1</sup>. وعليه إذا تم وضع ما بعد الإنسان والإنسان المتحول خارج نطاق حقوق الإنسان، لا يمكن للإنسان "الطبيعي" أن يدعي تصحيح التفاوت الذي يعاني منه مقارنة بما بعد الإنسان؛ لم يعد من الممكن تسوية الظروف. هنا يمكن أن نفترض فرضيتين: إما أن يعتبر ما بعد الإنسان والإنسان المتحول كافيان لتلبية معيار الطبيعة الإنسانية على حساب تخفيف هذا المعيار، أو يتم تعديل معيار منح حقوق الإنسان، وهو الخيار الذي يفضلته ممثلي الإنسانية المتحولة.

لفهم تبعات مثل هذا التحدي لمعيار الطبيعة الإنسانية، من المهم تحديد الحقائق المختلفة التي تغطيها مفاهيم الإنسان المعزز، ما بعد الإنسان أو الإنسان المتحول. تشير هذه المصطلحات إلى حقائق غير متجانسة ومُعَرَّفة بشكل مختلف. فالإنسان المعزز هو ممثل فردي لنوع الإنسان العاقل (الهومو سايننس) الذي تم تعزيزه بيولوجياً أو بيوتقنياً بواسطة تدخل صيدلاني أو جراحي أو بيولوجي، بشكل قد يكون مؤقتاً. أما الإنسان المتحول الذي لا يعتبر كمناصر لتيار الإنسانية المتحولة بل كنتاج نهائي له، سيكون ممثلاً فردياً لمجموعة متميزة عن الهومو سايننس؛ سيكون قد تم تعزيزه أو تعديله بواسطة تدخل صيدلاني أو جراحي أو بيولوجي بشكل دائم؛ على سبيل المثال، سيكون تراثه الجيني قد تم تعديله. ومع ذلك، سيحتفظ بالخصائص الرئيسية التي تعرّف الإنسانية؛ هذا الإنسان -بينما يبقى إنساناً- سيتجاوز الإنسانية أي سيكون "هومو سايننس ألتريوس". وأخيراً، قد يكون ما بعد الإنسان شخصاً أو كياناً غير بشري يتمتع بقدرات جسدية أو

<sup>1</sup>M.A. Hermitte, *Les droits de l'homme pour les humains : les droits du singe pour les grands singes !*, Le débat historique, politique et société, n° 108, janvier, février 2000, p 173.

فكرية أو نفسية غير مسبقة، هذا الكائن قد يكون خالداً بدون حدود وقادراً على برجة نفسه، سيكون خارج الإنسانية أو متميزاً عنها بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي، سينضم كنوع جديد إلى الهومو ساينس وسيكون "هومو ألتريروس"<sup>1</sup>، أي ما بعد الإنسان.

يمكن تمييز فرضيتين على وجه الخصوص في ضوء هذه التعريفات ومع مراعاة معيار الطبيعة البشرية، الأولى هي تلك المتعلقة بالكائن أو الشخص المعدل وراثياً أو المعزز. والثانية هي تلك المتعلقة بالكائن أو الشخص المعزز أو المعدل بواسطة الذكاء الاصطناعي.

فيما يتعلق بالفرضية الأولى، فإن التقنيات الدولية الموجودة بشأن هذه المسألة تتعلق بالاستنساخ، أي إنشاء كائن مطابق وراثياً مع آخر؛ وهي لا تتعلق مباشرة بالكائنات المعدلة وراثياً. علاوة على ذلك، فإن هدف هذه النصوص هو حظر الاستنساخ، لذا فإن فرضية تطبيق حقوق الإنسان على استنساخ بشري، نتيجة لتجاوز المحذور، لا يتم تناولها، حرصاً على الاتساق. ومع ذلك، من المسلم به أن المستنسخ هو كائن بشري، وأنه ذو طبيعة بشرية، وبالتالي من المحتمل أن يكون موضوعاً لحقوق الإنسان. على سبيل المثال، في البروتوكول الملحق "باتفاقية أوفيدو"، يتم الحديث عن استخدام الإنسان بإنشاء متعمد لكائنات بشرية متطابقة وراثياً، لكن تبقى مسألة الكائن المعدل وراثياً معلقة ولقد كانت بالفعل محل نقاش لعدة سنوات. في عام 2016، كانت بريطانيا العظمى أول دولة تسمح رسمياً بتصميم الأطفال بثلاثة أنواع من الحمض النووي، وبدأ التطبيق العملي في فبراير 2018. هذه التقنية، التي تتمثل في استخراج نواة خلية البويضة من الأم ووضعها في بويضة المتبرعة، بهدف تجنب نقل مرض وراثي إلى النسل؛ وبالتالي، فإنها تعدل الأنساب الجينية. هذا الإجراء يستخدم بالفعل في دول أخرى، ولا سيما في المكسيك: على سبيل المثال، وُلد الطفل إبراهيم حسن في سبتمبر 2016 بهذه الطريقة. هذا ويوجد اليوم حوالي خمسون طفلاً ولدوا باستخدام هذه التقنية في العالم. هؤلاء الأطفال، الذين هم نتاج لثلاثة كائنات بشرية، هم بلا شك بشر بيولوجياً. وكبقية البشر، يولدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، بالتأكيد، يمكن للقانون دائماً - كما فعل في الماضي - أن ينأى بنفسه عن البيولوجيا لاستبعاد بعض فئات البشر من مجال الإنسانية ومع ذلك، فإن ذلك سيخلق فئة جديدة من العبيد وسيكون ذلك نهاية عالمية لحقوق الإنسان<sup>2</sup>. سواء كان ذلك استنساخاً أو طفلاً نتاج

<sup>1</sup>G.B. Robinson, *Space law for human kind, transhumans, and posthumans : is there a need for a unique theory of natural law principles ?* , Annals of air and space law, n° xxxiii, 2008, pp 289, 290.

<sup>2</sup>M.A. Hermitte, *Les droits de l'homme pour les humains, les droits du singe pour les grands singes !* , p 174.

ثلاثة أنواع من الحمض النووي، فإن الكائن البشري، رغم تفرّده وأصوله الفريدة، يظل إنساناً. ومع ذلك، فإن المقصات الجينية تفتح آفاقاً تتجاوز ذلك بكثير، خاصة إذا فكرنا في "زراعة" أعضاء بشرية داخل الحيوانات. فالهجنة هنا تجعل الفئات القانونية التقليدية، وخاصة التمييز بين الإنسان والحيوان تتزعزع. أما الإنسانية المتحولة في الواقع فهي تروج لإلغاء التمييز بين الحي وغير الحي، الإنسان والحيوان أو النبات، وإلغاء التمييز بين الأجناس وهذا من الناحية القانونية. ثم إن إلغاء التمييز بهذا الشكل يهدد حقوق الإنسان، لأنه إذا كانت هذه الحقوق تعلن أن جميع البشر متساوون، فإن الجانب الآخر من هذا الشمول هو استبعاد كل ما ليس إنساناً، مهما كان بعض الحيوانات قريبين منها. هذا الاستبعاد ينطبق أيضاً على الأشياء. ومع ذلك، مع الذكاء الاصطناعي، يتشابه الإنسان وغير الحي بطريقة تجعل من المستحيل التفكير في أحدهما دون الآخر. هذه هي الفرضية الثانية التي يجب النظر فيها.

سعى الإنسان منذ الأزل إلى تحسين نفسه، فاللقاح هو تكنولوجيا بيولوجية غاية في التطفل أين يتم تغيير نظامنا المناعي مدى الحياة، وجهاز تنظيم ضربات القلب يتواصل مع الطبيب الذي يمكنه جمع المعلومات من الجهاز بسرعة كبيرة، دون عملية جراحية<sup>1</sup>. ومع ذلك، حتى الآن، كان الإنسان يُصلح لا يُحسن. وإذا بدت التفرقة بين هاتين الفرضيتين واضحة، فإن الأخذ في الاعتبار الهدف الطبي كميّار فاصل يجعل في الممارسة العملية الجدار الفاصل بينهما غير محكم. وبالتالي، يمكن مقارنة الدوافع النفسية البحتة التي تدفع الفرد إلى الجراحة التجميلية مع الدوافع الحميمة جداً التي قد تدفع الشخص إلى تحسين نفسه.

إن مبدأ عدم التمييز في حقوق الإنسان -مع ذلك- يحظر الفروقات التعسفية، إذا دفعنا هذا المنطق إلى أقصى حد، فإن الإنسان المعزز للغاية والذي يُسمح له بذلك باسم مبدأ عدم التمييز، سيتقارب في النهاية مع "الأندرويد"، وستُطرح عندها مسألة السماح لهذه الكيانات أيضاً بالاستفادة من حقوق الإنسان<sup>2</sup>، خاصة وأننا نعلم أن البرلمان الأوروبي اقترح اعتبار الروبوتات أشخاصاً مسؤولين؛ إذا كان يمكن للكائنات الشبيهة بالإنسان أن تكون مسؤولة عن الالتزامات، فإنه ليس من المستبعد أن نفكر في منحها حقوقاً فيما بعد. ومع ذلك، إذا تم طمس التفرقة بين الإنسان/الحيوان/الشيء، فإن المعيار الذي بنيت عليه حقوق الإنسان سيتعرض للتحدي. سيكون ذلك أيضاً نهاية العالمية، أو بداية عالمية أخرى إذا سرنا في

<sup>1</sup>Marc Roux, L'homme augmenté, mythe ou réalité, disponible en ligne :

<http://www.mondedesgrandesecoles.fr/l.homme.augmenté.mythe.réalité/>

<sup>2</sup>يمكن توضيح هذه الفكرة بمثال المرأة الآلية صوفيا التي تحصلت في أكتوبر 2017 على الجنسية السعودية.



سياق الإنسانية المتحولة، فمن وجهة نظر ممثليها يجب استبعاد الطبيعة البشرية كمعيار لمنح حقوق الإنسان واستبدالها بالوعي. وبالتالي، في مشروع "إعلان عالمي لحقوق المتحولين، أي الأفراد الواعين"، يقترحون تعديل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. سيكون نص المادة الأولى يشير إلى أن جميع الكائنات الواعية تولد أو تُخلق حرة ومتساوية في الكرامة والحقوق، أنهم يتمتعون بالعقل ويجب أن يتصرفوا تجاه بعضهم البعض بروح الأخوة. أما فيما يتعلق ببند عدم التمييز سيؤكد على أن لكل شخص الحق في التمتع بجميع الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان، دون تمييز من أي نوع، مثل العرق أو اللون أو الجنس أو المواد المكونة أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر. كما ستُكرّس حريات وحقوق جديدة، مثل الحق في مغادرة "أي حامل للوعي" الذي سيكمل "الحق في مغادرة أي بلد" المحمي بموجب المادة 13 من الإعلان<sup>1</sup>. ومع ذلك، من المؤكد أنه إذا تم المساس بالأساس الذي بنيت عليه حقوق الإنسان أي الطبيعة البشرية فإن الهيكل بأكمله لن يتأخر في التشقق ومن ثم ينهار تمامًا. هذا ما يطرح تساؤلاً ثان: هل الاعتراف بحقوق جديدة ضروري؟

تُعدّ البيانات الجينية خاصة بكل فرد ومع ذلك مشتركة مع البشرية جمعاء. ومن ثم، تتجاوز التدخلات في الجينوم عندما تُمارس على الجنين الخيارات الفردية وتكتسب بُعداً جماعياً. في الواقع، في حالة العلاج الجيني الخلوي، الذي تدعمه بشكل خاص تيارات ما بعد الإنسانية، يتم توريث التعديل الجيني إلى جميع الأجيال القادمة، مما يشمل الأجيال المستقبلية. ومع ذلك، فإن هذا البُعد الجماعي لا يستطيع استيعاب حقوق الإنسان التي تركز على الفرد، كما أن حقوق الإنسان غير قادرة على التنبؤ بالمستقبل، فهي متركزة في الحاضر ولا يمكنها - في هذه الظروف - ادعاء حماية الإنسانية المستقبلية. إذًا، يمكن تصور مسارين. الأول يتمثل في توسيع فئة حقوق الإنسان لتشمل حقوق الأجيال القادمة. ومع ذلك، فإن هذا التوسيع قد يؤدي إلى تمييز هذه الفئة من الحقوق. في الواقع، ستتعايش الحقوق الفردية مع الحقوق الجماعية، مما يجعل من الصعب تحديد صاحب الحق بدقة. ولن يكون موضوع الحق نفسه محددًا بوضوح مما قد يؤدي إلى سلسلة من التناقضات الداخلية في الفئة. أما المسار الآخر لحماية "العائلة البشرية" يتمثل في الاعتماد على فئة قانونية جديدة مُصممة لذلك أي فئة حقوق الإنسانية. تُعتبر هذه الحقوق في طور التشكيل في المؤسسات الدولية المتعلقة بالبيوإتيقا. وهكذا، يجب أن يتجه التقدم العلمي والتكنولوجي نحو "مصلحة

<sup>1</sup>Marc Roux, pour une déclaration universelle des droits du transhumanism, disponible en ligne : <https://transhumanistes.com/declaration-universelle-droits-transhumain/>



الإنسانية" وفقاً للإعلان العالمي بشأن البيوإتيقا وحقوق الإنسان. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجينوم البشري، الذي يؤسس الوحدة الأساسية لجميع أفراد العائلة البشرية، هو بالمعنى الرمزي تراث الإنسانية وفقاً لما جاء في إعلان الجينوم البشري. ثم إن الإنسانية وفقاً لتعريف عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857)، هي "وحدة اجتماعية ضخمة وأبدية" تتكون من الأحياء وكذلك "الأشخاص الذين سيولدون"، فهي وحدة بين الأجيال - تشمل جميع الأفراد والمجموعات البشرية - وبين الأزمنة - تشمل جميع الأجيال. في حين أن الأمة، وفقاً لتحليلات أرنست رينان Ernest Renan (1823-1892)، تستند إلى حد كبير على الإرث الماضي، فإن الإنسانية القانونية تتميز بطابع مستقبلي أكثر من كونها رجعية أي هي الغد أكثر من اليوم. ستكون ذات قيمة أبدية إذا لم يكن التاريخ سينتهي<sup>1</sup>. وبالتالي، فإن الإنسانية القانونية تتجاوز بكثير البعد البيولوجي للنوع البشري، وهي عبارة عن مزيج لا يمكن فصله من الأفراد والمجموعات والأجيال. حقوق الإنسانية تشبه صاحبها، ولذلك فهي تتمتع بخصائص رئيسية: هي حقوق جماعية وبين الأجيال. ثم إن القول بأن حقوق الإنسانية جماعية يعني أنها لا تحتزل إلى مجرد جمع الحقوق الفردية؛ بل هي تتعلق بجميع البشر ولا تنتمي إلى أي منهم على وجه الخصوص. وبالمثل، نظراً لأن الأجيال تتشابك وأن الجيل لا يصعد كفرد واحد إلى مسرح التاريخ، فإن ما يسمى حقوق الأجيال القادمة ليس سوى جانب من حقوق الإنسانية وليس لها استقلالية خاصة بها.

تهدف حقوق الإنسان إلى حماية الحريات الفردية، في الوقت الذي تهدف فيه حقوق الإنسانية إلى الحفاظ على المصالح الأساسية للجنس البشري (الحق في التنمية، الحق في التراث المشترك، الحق في السلام، الحق في البيئة، إلخ). لكل منهما توقيته الخاص، حيث تتحقق حقوق الإنسان في الوقت الحاضر، بينما حقوق الإنسانية موجهة نحو المستقبل. ومع ذلك، تُبنى حقوق الإنسانية وحقوق الإنسان على إيمان واحد في عالمية الطبيعة البشرية. لهذا السبب، كلاهما غير قابل للتصرف ولهما طابع موضوعي، أي أنهما يفلتان من التبادلية، "القانون الذهبي للعلاقات بين الدول"<sup>2</sup>. على الرغم من اختلافها، فإن هاتين الفئتين من الحقوق مكملتان ومترابطتان: بمجرد أن نصل إلى الإنسانية، يجب أن تتمتع الإنسانية نفسها بالحقوق وإلا سيفقد البشر حقوقهم.

<sup>1</sup>R.J. Dupuy, *Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité*, Droits, n°1, 1985, p 69.

<sup>2</sup>Ibid, p 70.

تدعو الإنسانية المتحولة منذ عدة سنوات إلى أخذ مصالح الإنسانية في مجال الأخلاقيات البيولوجية بعين الاعتبار بشكل أكبر. ومع ذلك، هناك بعض الالتباس في المصطلحات المستخدمة: هل من المرغوب تكريس حقوق الإنسانية؟ أو واجبات الإنسانية؟ أو حتى واجبات تجاه الإنسانية؟

تعتمد الواجبات التي يتم فرضها على الجيل الحالي، أي على الأفراد والدول التي تتألف منه، ولكن ليس على الإنسانية نفسها. في الواقع، الأجيال الحالية وحدها، دون الأجيال المستقبلية، فإن بعديها الأفقي (بين الأماكن) والعمودي (بين الأزمان) لا ينفصلان. لهذا السبب، فإن الإنسانية القانونية تتمتع بالحقوق، ولكن ليس بالواجبات، بمعنى لا توجد واجبات للإنسانية. في الواقع، ما يشار إليه أحياناً بشكل مختصر بـ "واجبات الإنسانية" هو واجبات المجتمع الدولي تجاه الإنسانية. مثل هذه الواجبات معترف بها في النصوص الدولية، فوفقاً للمادة 32 من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، لكل شخص واجبات تجاه العائلة والمجتمع والإنسانية. وإذا كانت مثل هذه الواجبات موجودة، فهل من المفيد حقاً الاعتراف بحقوق الإنسانية؟ الجواب إيجابي لسببين على الأقل. في الواقع، الحقوق لديها قوة أخلاقية أكبر من الواجبات وتشجع الأطراف المتضررة على الاحتجاج بشكل أفضل عندما تُنتهك مصالحهم. علاوة على ذلك، لا تؤدي الواجبات بالضرورة إلى وجود حق مقابل<sup>1</sup>، بينما عندما يُكرس حق موضوعي، تنشأ سلسلة كاملة من الواجبات. بعبارة أخرى، لم تعد هذه الواجبات تعتمد على تضمينها في نص محدد، بل تكون غير محدودة نوعاً ما أو على الأقل بقدر ما هي ضرورية لتحقيق الحق. يؤدي الاعتراف بحقوق الإنسانية بالتالي إلى توسيع مجال الواجبات.

في هذه الحالة يجدر بنا التساؤل: ما الحقوق التي تضعها الإنسانية المتحولة موضع تساؤل؟ هل يتعلق الأمر بحق الإنسانية في تكاملها؟ في وحدتها؟ أو في عدم تحديدها؟

أثارت الطبيعة القانونية للكرامة نقاشات فكرية هامة فيما يخص الصلة بين الكرامة وحقوق الإنسان، فالكرامة ستكون "المبدأ الأم"، هذا المنظور يعتمد على نهج محدد للكرامة، يمكن وصفه بـ "كرامة الحرية"<sup>2</sup>. ومع ذلك، فإن هذا النهج للكرامة لا يسمح بفهم أصالة هذا المفهوم في القانون. في الواقع، بالإضافة إلى الكرامة الفردية، تهدف القاعدة القانونية إلى حماية كرامة الإنسانية نفسها. هذا ما يمكن استنتاجه من

<sup>1</sup>E. Brown-Weis, **Justice pour les générations futures : droits international, patrimoine commun et équité intergénérationnelle**, Editions sang de la terre, paris, UNESCO, paris, 1994, pp 93, 94.

<sup>2</sup>E. Decaux, **Dignité et universalité**, université catholique de louvain, centre des droits de l'homme, louvain-la-neuve, Accademia, 1999, p 167.

الخصائص القانونية للكرامة. نلاحظ أن الاعتداء على كرامة شخص واحد يضع كرامة الآخرين في خطر. في قضية "بينيتون" <sup>1</sup> Benetton على سبيل المثال، اعتبرت المحاكم الفرنسية أن التمثيل المهين للمرض يشكل اعتداءً على كرامة كل مريض؛ ومع ذلك، إذا كانت الكرامة الإنسانية حقاً فردياً، فسيكون هناك حاجة إلى اعتداء شخصي. علاوة على ذلك، -تجليات أخرى للروابط التي توحد الكرامة والإنسانية - فإن شروط التخلي عن الكرامة الشخصية صارمة بشكل خاص. في قضية "إلقاء الأقرام" <sup>2</sup> على وجه الخصوص، أعطت لجنة حقوق الإنسان الحق للمحاكم الفرنسية <sup>3</sup> التي اعتبرت أن العرض -بالرغم من موافقة المعني- اعتداءً على الكرامة الإنسانية. على العكس، عندما يتعلق الأمر بحق فردي بحت، فإن القضاة يراعون شروط التخلي بطريقة أكثر مرونة؛ حيث قضت لجنة حقوق الإنسان مراراً وتكراراً بأن قبول عقد العمل يعد تنازلاً عن ممارسة الحرية الدينية.

لفهم خصوصية الكرامة، من الضروري فهمها، ليس على مستوى فردي، ولكن على المستوى الجماعي للإنسانية. يمكن بالتالي اعتبار الكرامة حقاً من حقوق الإنسانية. كل فرد من أفراد الإنسانية، كل شخص يجسد هذه الإنسانية، يمكنه بالتالي المطالبة باحترام الكرامة.

بالإضافة إلى ذلك يمكن أيضاً استدعاء حق الإنسانية في البيئة في مواجهة الإنسانية المتحولة. على سبيل المثال، يمكن استخدام تقنية CRISPR-Cas9 لإزالة "جين" لدى بعض البعوض لجعلها مقاومة للملاريا؛ وبفضل ما يسمى بـ "التعديل الجيني القسري"، سيكون من الممكن تسريع انتشار هذا التحور بين البعوض الحامل للملاريا بحيث يمكن لهذه الحشرات المعدلة وراثياً أن تستعمر الكوكب بسرعة. كما يتم اقتراح، كبديل، خلق بعوض يحمل جيناً متحياً للعقم وإطلاقها في الطبيعة للقضاء على هذا النوع خلال بضعة أجيال. ومع ذلك، فإن القضاء على نوع حي يمكن أن يؤدي إلى عواقب غير متوقعة على البيئة. كما يوضح هذا المثال، يجب بالضرورة موازنة حقوق الإنسان (هنا الحق في الصحة) مع حقوق الإنسانية (هنا حق الإنسانية في البيئة). في الواقع، إذا كانت هذه الأنواع من الحقوق مكاملة لبعضها البعض، فإنها قد تتناقض أيضاً، فكلما زادت الحقوق، زادت مخاطر حدوث صراعات بين هذه الحقوق. وفي مواجهة هذا الخطر من الصراعات، من المهم تجنب محاولة إنشاء تسلسل هرمي مسبق بين حقوق الإنسان وحقوق

<sup>1</sup> شركة إيطالية اشتهرت بطريقتها الخاصة في عرض أزيائها التي تحاكي من خلالها أوضاع اجتماعية معينة مثل الأمراض والهجرة غير الشرعية بطريقة ساخرة.

<sup>2</sup> رياضة تمارس في بعض الدول يتم فيها رمي الأقرام في أماكن مخصصة للعبة، بحيث الفائز هو من تكون رميته أبعد.

<sup>3</sup> Comité des droits de l'homme, 26 juillet 2002, Wackenhein, France, com, n° 854/1999.

الإنسانية، حيث أن كل حق لا يمكن أن يكون إلا بداية لحق وقد يتعين أن ينحني أمام حق آخر في حالة النزاع. يمكن أن تؤدي الهيمنة المؤكدة للحرية وحقوق الإنسان إلى إضعاف حقوق الإنسانية وتقليل الكرامة إلى الصفر. على العكس من ذلك، قد تؤدي المقاربة المطلقة والهيمنة لحقوق الإنسانية إلى آثار تقيد الحرية، مع العلم أن التذرع بالاعتداء على الكرامة الإنسانية يمكن أن يشكل سلاحاً قوياً ضد الحرية. لحل هذه النزاعات، يجب إذن الأخذ في الاعتبار أنه إذا كانت الإنسانية القانونية تتجاوز، فهي أيضاً منبثقة أي فهي ليست فوق أعضائها، بل هم الذين يتواجدون فيها<sup>1</sup>.

فيما يتعلق بالتعزيز الجيني، يدعو ألين بوكانان (Allen Buchanan) (1948-) إلى الثقة في الحرية الفردية والأبوية المستنيرة، ولكن مع يقظة أخلاقية وسياسية كبيرة. فهو معاد لأي نوع من أنواع التهجين الذي تتبناه الدولة، ويعتقد أن الحظر غير المبرر سيؤدي إلى تطوير سوق سوداء للتعزيز الجيني. لكن هذا لا يعني أنه يجب الاستسلام للسوق، على العكس، يتم الاعتقاد أن الوزن المضاد المطلوب للسوق هو الدولة، التي تعمل على تنظيم السوق، ومن خلال الضرائب، لتقديم الخدمات. يجب على الدولة احترام وحماية الحريات وتنظيم الممارسات من وجهة نظر الأمان وضمان أن الخيارات الشخصية لا تضر الآخرين مباشرة خصوصاً الأطفال<sup>2</sup>.

يجب بوكانان عن الأسئلة التي تثير المخاوف الجادة جداً، خاصة فيما يتعلق بإدخال تفاوتات جديدة في مجتمع غير متساوي أصلاً، يجب بوكانان:

-أولاً، المشكلة ليست جديدة تماماً، إذ أن الوضع الحالي يتسم بالفعل بعدم المساواة، حيث يتمتع الأفراد الميسورون بالوصول إلى الرعاية والتعزيزات (مثل علم النفس الدوائي ووسائل الراحة) ولديهم القدرة على توفير تعليم أفضل لأطفالهم، مع كل الفوائد المترتبة على هذه الامتيازات. ومن ثم، فإن هذه الفجوة الهيكلية في المجتمع تستند إلى الطبيعة غير المتساوية وغير العادلة للعبة الطبيعة التي توزع القوى والمواهب بشكل عشوائي.

<sup>1</sup>R.J. Dupuy, *Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité*, p 41.

<sup>2</sup>Gilbert Hottois, *Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme*, p 158.

-ثانيًا، لطالما كانت الابتكارات والتقدمات في البداية متاحة فقط لقلّة من المحظوظين، ولكن تدريجيًا، في مجتمع ديمقراطي يهتم بالمساواة في الفرص، أصبحت هذه الابتكارات والتقدمات تُشارك بشكل أوسع. فلماذا لا يكون الأمر نفسه مع علم الوراثة، من العلاج إلى التعزيز؟

يمكن للمجتمع الديمقراطي أن يلتزم بالتعزيز التدريجي بشرط ألا ننسى متطلبات الأمان (المخاطر البيوفيزيائية) والعدالة (المساواة). ولا تحتاج هذه السياسة إلى أن تكون قسرية، لأن الناس المطلعين والمستقلين يدركون ما هو الأفضل لهم ولأطفالهم. هذه الترقية تحدث جزئيًا من خلال السوق نفسه؛ ويجب تشجيعها وتنظيمها وتسهيلها من قبل الدولة. لا يمكن تخيل الفائدة التي ستقدمها للأفراد أولاً وللمجتمع بشكل عام، وجود "جين" يمنح مقاومة للأمراض، "جين" يعزز الجهاز المناعي<sup>1</sup>. ستحسن هذه العملية المجتمع بشكل عام، لمصلحة الجميع، بشرط ألا ننسى ونستبعد أولئك الذين قد لا يتمكنون من الاستفادة منها. وعليه يطالب بوكانان بسياسة اجتماعية تهتم بالعدالة ويعتقد أن النضال ضد لعبة الطبيعة غير العادلة وغير المتساوية يجب أن يكون جزءًا من ذلك.

يصف جون هاريس John Harris (1950-) في كتابه "تعزيز التطور: القضية الأخلاقية لجعل الناس أفضل" كل التاريخ البشري كقصة لتحسين البيئة والإنسان بفضل تقنيات اخترعها البشر: الحجر المصقول، اللغة، الذاكرة الاصطناعية، تقنيات التعليم، الكتابة، الطباعة... إلى غاية الإنترنت. في كل مرة، كان من الممكن الاعتراض بالقول إنه كان خطأ، أو محفوفًا بالمخاطر، أو غير طبيعي، أو نخبويًا، أو غطرسية، وما إلى ذلك. التحسين الذي يتم الحديث عنه اليوم يتجاوز تحسين البيئة المادية والاجتماعية البسيطة، إنه يتعلق بالإنسان نفسه الذي يُفترض تحسينه. إذا كان من المفترض أن تقود هذه التحسينات تدريجيًا إلى تغيير النوع البشري، فهذا ليس كارثة أنثروبولوجية أساسية، ميتافيزيقية، أو لاهوتية، بل هو ظهور مرحلة جديدة من التطور، وهذه الأخيرة أصبحت مسؤولية البشر بشكل متزايد.

في سياق الواجب الأخلاقي للتحسين، لا يوجد أي قانون اجتماعي، سياسي، أو عالمي يحدد شرعية التحسين. إن التحسين في الأساس مسألة فردية، فالفرد هو الأجدد في اختيار ما يعتبره الأفضل له ولأطفاله، بشرط ألا تضر هذه المشاريع مباشرة الآخرين. إذا كان هذا يؤدي إلى تحسين المجتمع بشكل عام، فذلك مكسب إضافي، ولكن هذه الآثار الإيجابية لا تؤسس لا الحق ولا الواجب الأخلاقي للتحسين الفردي.

<sup>1</sup>Gilbert Hottois, *Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme*, p 159.

يعتقد هاريس -ردًا على نهج بوكانان المتمثل في "من الصدفة إلى الخيار" الذي يبرر التدخلات الوراثية لأنها تهدف إلى تحقيق المساواة في الفرص- أن الاهتمام بالعدالة ليس ما يشرع أساسيًا التحسين وتنظيمه الاجتماعي. التبرير الرئيسي هو أن التحسين مرغوب فيه من قبل الفرد لنفسه ولأطفاله، فالتحسين جيد بحد ذاته. وإذا كان يسمح بتحقيق المساواة في الفرص وتحسين مصير الجميع، فهو نتيجة مرغوبة، لكنها ليست الشرط الأولي والضروري<sup>1</sup>. إن مسألة العدالة ليست خاصة بالتحسين فقط؛ إنها تطرح في مجتمعاتنا محليًا وعالميًا لجميع أنواع المنافع، وخاصةً للابتكارات وللمنافع النادرة. لذا، ليس لأن هناك نقصًا في الأعضاء، ينبغي حظر زراعة الأعضاء بسبب عدم قدرة الجميع على الاستفادة منها.

يستعيد هاريس أيضًا الحجة التي تشير إلى أن معظم الاختراعات أو الابتكارات بدأت في البداية كأمر نخبوية، ثم، على الأقل في مجتمعاتنا الديمقراطية، تنتشر وتصبح متاحة لعدد متزايد من الأشخاص: النظارات، الساعات، الراديو، التلفاز، الهاتف، الكمبيوتر، نظام تحديد المواقع، الإنترنت، وما إلى ذلك... أصبحت منتشرة بهذا الشكل. لا يوجد سبب يجعل الأمر مختلفًا بالنسبة للتحسينات أيضًا.

هناك قلق فيما يتعلق بتحسين العمر الطويل من حدوث انقسام جديد في المجتمعات يؤدي إلى التمييز بين "الخالدين" و"الفانين". هذه الاحتمالية، التي لا تبرر حظر الأبحاث التي تهدف إلى تحقيق طول عمر غير محدد أو التفكير في حظر الوصول إليها. إن رغبة الفرد في العيش لفترة أطول وبصحة جيدة هي رغبة مشروعة، والمشاكل الاجتماعية التي تثيرها متابعة هذه الرغبة لا تقلل من جودتها أو من شرعية الرغبة في الاستفادة منها. إن الفجوة الكبيرة في أمل الحياة هي واقع حالي، والشعوب التي تتمتع بعمر أطول بكثير من غيرها لا تعتقد بالتأكيد أنه يجب عليها التخلي عن ذلك.

علاوة على ذلك، العمل على توسيع هذا الخير ليشمل عددًا متزايدًا من الناس هو واجب من العدالة. إذ لا ينكر هاريس أن التحسين وخصوصًا الخلود سيترتب عليهما عواقب اجتماعية عميقة جدًا وسيطلبان إعادة هيكلة جذرية للمجتمعات، بل وقد يؤديان إلى تقسيم النوع البشري، الإنسانية المتحولة لا تثير قلقه أو على الأقل لا يرى فيها اعتراضًا حاسمًا.

إن الإطار الفلسفي السياسي الذي يفرضه هاريس ليس له شيء أصلي؛ يسميه "الافتراض الديمقراطي" الخاص به. إنه الدولة الليبرالية التي تحمي الحقوق والحريات والمسؤوليات الفردية، وهي دولة

<sup>1</sup>Gilbert Hottois, *Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme*, p159.

تعددية تحترم الأفراد والأقليات، مع اقتصاد سوق منظم بشكل أكثر أو أقل. يدعم هاريس التحسين لأنه يعتبره خيرًا في حد ذاته -مع الأخذ في الاعتبار المخاطر والآثار الجانبية السلبية-، حيث يتعلق الأمر بتحسين وزيادة الصفات والمهارات والقدرات التي تُقدّر لذاتها، سواء كانت مقاومة جسدية أو قدرات معرفية أو طول العمر. لكن الأمر يعود لكل فرد لتقييم ما يراه الأفضل لنفسه ولأطفاله، طالما أن هذه الخيارات لا تضر الآخرين مباشرة<sup>1</sup>.

يعتقد هاريس أن التحسين ليس فقط مشروعًا، بل هو واجب أخلاقي على الأقل، ويجب على الدولة تشجيعه، وليس معارضته أو فرضه. مسؤوليتنا هي جعل العالم أفضل، وهذا التقدم دائمًا ما مر عبر تحسين الحالة الإنسانية. لذلك، يجب تغيير العالم والإنسان، وليس فقط وصفه أو فهمه أو تفسيره، ويمكن للفيلسوف أن يساعد في ذلك من خلال توضيح الحجج والاعتراضات، والمساهمة في توضيح المشكلات والأسئلة.

يذهب هاريس في اتجاه تقليل الدراما، وتبسيط المشكلات التي تثيرها رؤية التحسين، حيث أن مسألة المخاطر أساسية ولكنها لا تطرح مشكلة محددة، فالحرية الفردية في اختيار التحسينات هي حرية مثل غيرها. والوسائل التي تشكل التحسينات الميكانيكية، الكيميائية، البيولوجية، الجينية... خارج الجسم، داخل الجسم... هي وسائل مثل غيرها. التفريق بين العلاج والتحسين ليس حاسمًا لتبرير أو حظر الممارسات بشكل مطلق، إذ أنه بين التحسين والعلاج، هناك استمرارية مليئة بالاختلافات الدقيقة وليست تباينًا أو تمييزًا واضحًا، مثل: الذاكرة والعمر، مثال إدخال جينات مقاومة مقارنة بالتطعيم.

### 3- حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري:

يتبنى أنصار الإنسانية المتحولة الأيديولوجيا الليبرالية التحررية، حيث يعلن أبرز مؤسسيها ماكس مور على سبيل المثال، في ميثاقه بعنوان "مبادئ الإكسترويا الإصدار 3.0" بأن الاستقلالية الفردية والمسؤولية تترافقان مع التجربة الذاتية، إذ يتحمل ممثلي الإنسانية المتحولة مسؤولياتهم تجاه تبعات قراراتهم الحرة. فالتجربة الذاتية والتحول الذاتي لا يأتيان بدون تحمل المخاطر، لكن ما دامت هناك رغبة في التحرر، فيمكن تقييم هذه المخاطرة ومزاياها بالنسبة للراغبين في ذلك.

<sup>1</sup>Gilbert Hottois, *Humanisme, Transhumanisme, Posthumanisme*, p 160.

يوافق فيري على أن تيار الإنسانية المتحولة مرتبط بشكل عميق بالليبرالية الفردية وحتى النيو ليبرالية، اللتان تدعمان الحرية كحق إنساني، كما تهتم بالمشاكل الاجتماعية مثل الفقر والظلم وعدم المساواة. إذ أنها تهتم بحقوق الإنسان وتعمل على ترفيتها<sup>1</sup>.

يعتقد فيري، أن أول حق تدافع عنه الإنسانية المتحولة هو الحرية، بل يعتبرها هدفها النهائي، لأن من خلالها يتم محاربة جميع أشكال المعاناة وتوفير أقصى قدر من السعادة البشرية. وهذا ما يفسر نجاح هذه الحركة المتزايد بشكل كبير، خاصة بعد تبنيها كذلك النزعة النفعية، لهذا فهي تسعى إلى تحقيق السعادة والتوجه نحو المتعة والرفاهية وتجنب الألم والمعاناة، هذا المنطق النفعي طبيعي في الإنسان ويتحكم في أفعالنا، لكن هذا لا يعني أنها مذهب يكرس المصالح الشخصية فقط، بل هي تهتم بتحقيق السعادة لأكبر عدد من الكائنات القادرة على الشعور بالألم والسعادة. فهي تهتم بالكل وتأخذ في الاعتبار الصالح العام. ومن هنا يأتي الواقع، كما نراه في الإعلان الترانس هيوماني الإكستروي: أن جميع الكائنات التي قد تشعر بالألم أو السعادة، بما في ذلك الحيوانات وربما في يوم من الأيام الآلات الذكية، يجب أن تأخذها في الحسبان أخلاق نزعة الإنسانية المتحولة التي تسعى إلى المساواة العميقة<sup>2</sup>.

يجزم فيري - في موضوع الحقوق - بأن هذا المشروع يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو الحديث عن حقوق بقية الكائنات والموجودات: الحيوان والبيئة، إذ أن المجتمعات القديمة قد تجاهلت فئة كاملة من الكائنات بسبب تحيزات العنصرية والإنسانية ومعاداتها للحيوانات، حيث يعتبر البشر الوحيدون حاملين للحقوق<sup>3</sup>. فعلى مدى القرنين الماضيين على الأقل، تتمثل حركة الديمقراطية في عكس هذا المنطق الضار. بعد الاعتراف المتأخر بحقوق السود والعبيد، جاء دور حقوق المرأة والأطفال والمجانين، والآن حان دور الحيوانات لدخول مجال الحماية القانونية. إذن تسعى حركة الإنسانية المتحولة إلى الاحتفاظ بموروث الإنسانية التقليدية الإيجابي فقط، والمتمثل تحديداً في العقلانية والتفكير النقدي والمساواة والحرية وحقوق الإنسان خاصة.

تنبع الحقوق الطبيعية والمكتسبة وفقاً للبيولوجيون المحافظون من الأخلاق، والتي بدورها تكون متجذرة في الطبيعة البشرية. ومنه، فأى محاولة لتعديل أو تغيير هذه الطبيعة فهو ينذر بتهديم الأخلاق والقضاء على الحقوق الإنسانية. لكن فيري ينتقد هذه الرؤية الساذجة على الصعيد الفلسفي، حتى أن الحقائق المرئية

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 56.

<sup>2</sup>Ibid, pp 56, 57.

<sup>3</sup>ibid, pp 57, 58.



البسيطة تدحضها وتبين تحافتها. فعند النظر إلى تاريخ الإنسانية تجعلنا نشك في فكرة أن الحقوق متجذرة ومرتهنة بالطبيعة الإنسانية الأصيلة. فهذا القرن العشرين مثلاً، شهد إبادة الأرمن على يد الأتراك، والحرب العالمية الثانية، والستين مليون قتيل، والهولوكوست، والشيوعية التي أودت بحياة 120 مليون شخص، ومؤخراً المجازر في أمريكا اللاتينية في ستينيات القرن الماضي، وفي الهند وكمبوديا والجزائر ويوغوسلافيا وسوريا وجمهورية إفريقيا الوسطى والعراق. عموماً، في جميع أنحاء العالم، وحديثاً جداً مع أتباع داعش -ومع ما يحدث في غزة حالياً-. وعليه، فهل نحن متأكدون تماماً أن الاهتمام الرئيسي للإنسانية هو التعاون والتضامن والسلام والأخوة والحقوق؟ هل نحن متأكدون حقاً أن الطبيعة جيدة لدرجة أنه يجب علينا ألا نحسنها، ولكن نحفظ بها على ما هي عليه بامتنان؟ من الواضح عند فيري أن هذا لا يبرر رفض مشروع تحسين وتعديل الإنسانية، لأن الحقوق والواجبات والقيم الأخلاقية يعتمدان على حريتنا، التي لا يمكن لأي شيء أن يجعلها أفضل مسبقاً<sup>1</sup>. وعليه، فإذا كانت هناك حقوق إنسانية، فإنها على عكس ما يدعيه البيولوجيون المحافظون، من العودة إلى الطبيعة البشرية الأصيلة، بل هي على الأقل نتيجة لانتزاع مؤلم من الطبيعة وتأثر بثقافة ديمقراطية متطورة للغاية، والتي لا تزال في كثير من الأحيان محصورة في أوروبا وأتباعها الغربيين.

يمكن أن نفترض -فيما يخص الحق في الحرية- وكما يقترح هابرماس أن نوعاً من "سوبر ماركت الصفات" لأطفالنا يتم فتحه. ستبقى، حسب فيري، أربع اعتراضات ممكنة على حجج هابرماس. أولاً: إن التمييز بين الطبيعة والمطبع ليس مقنعاً أخلاقياً، إذ لا يوجد شيء يسمح علمياً بالتأكيد على أنه يمكننا يوماً ما برجمة القدرات بسهولة كما يفترض هابرماس وبطريقة أحادية المعنى لهذا أو ذلك للفنون مثلاً، بدلاً من العلوم أو العكس. فبين 8000 و 11,000 "جين" يشاركون في أدنى أنشطتنا الإدراكية، وأن نتصور أن التعديل الأحادي المعنى يمكن أن يغير هذا النشاط بطريقة مبرجمة ليس له معنى. ولهذا السبب، فإن الصفات التي يستهدفها التحسين البشري هي عامة، مزيد من الذكاء، ومزيد من القوة، ومزيد من الحساسية بشكل عام، وليست خصائص خاصة، ولا ترتبط بتخصص مدرسي معين. حتى لو افترضنا ذلك من باب المناقشة، فمن الصعب أن نرى كيف يكون التراث الاجتماعي واللغوي والأخلاقي والثقافي، الذي يتم نقله عن طريق التعليم، أكثر تأثيراً أو أسهل للأطفال في المناقشة من تلك التي تأتي من الطبيعة، سواء على الصعيد الاجتماعي أو الطبيعي، فإنه يتم ممارسة الحرية فيما يتعلق بما يتم تقديمه من تاريخ، وليس فقط من الطبيعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 69, 70.

<sup>2</sup>Ibid, p 80.

بالإضافة إلى أن أهلنا يختارون مدارسنا وتوجيهاتنا الدراسية، كما يفرضون علينا بشكل كبير عناصر ثقافية لا رجعة فيها، مثل اللغة الأم ورؤيتهم للعالم ومبادئهم الأخلاقية. فما الاختلاف الكبير بين ذلك وبين المواهب الطبيعية التي يمكن أن يقرروا تعزيزها؟ الطبيعة صامتة، كما يقول **هابرماس**، ولكن هذا لا يفهم أن كل حالة، سواء أكانت طبيعية أو تاريخية، هي بيان أساسي يشكل سياقاً لممارسة الحرية بدلاً من عرقلتها. فحتى لو افترضنا أنه من المنطقي أن الطبيعة تكون أكثر صلابة وأكثر صمتاً من التاريخ والبيئة الاجتماعية والتعليم، وعلى أية حال، عدم فعل أي شيء يكون مؤثراً بنفس القدر مثل الصمت<sup>1</sup>.

يدعي **هابرماس** حسب ما يراه **فيري** أن الأطفال يمكنهم أن يلوموا آباءهم على اختيارهم لبعض الصفات الطبيعية الوراثية، وأن هذا الاختيار سيكون مختلفاً عن الاختيارات الأخرى التي قاموا بها فقط من خلال التربية. لكن كيف لنا ألا ننتهبأن عدم الاختيار هو أيضاً خيار؟ وعدم فعل أي شيء هو أيضاً قرار بمجرد أن الفعل ممكن؟ ف**هابرماس** في هذه الفكرة يستشهد بكتاب **بوكانان** "من الصدفة إلى الاختيار". لكن هنا، **بوكانان** بلا شك يمكن أن يسأله: بماذا تكون الصدفة أفضل من الاختيار، علماً أن أطفالنا يمكنهم أن يلومونا على عدم فعل شيء بدلاً من اختيار تحسين معين لهم؟ ولنفترض مرة أخرى أنه يمكن قبول اعتراضات **هابرماس**، ستظل المشكلة هنا أننا لا نرى أي فرق أخلاقي يمكن أن يكون موجوداً بين البشر المرضى والبشر غير المرضى. فالتعديل البشري لا يدعو فقط إلى تحسين الجانب الفكري والأخلاقي للإنسان، بل يدعو أولاً وقبل كل شيء إلى التخلص من المعاناة المرتبطة بالشيخوخة والمرض والعجز والموت. حتى وإن افترضنا أننا لا نرغب في أن نصبح أقوى أو أكثر ذكاءً، وهو أمر مقبول في كثير من الأحيان، فمن يرغب منا في الشيخوخة والموت؟، صحيح قد يتقبل البعض هذا الأمر، وربما يكون هناك بعض اليائسين من الحياة يشعرون برغبة في إنهاؤها -وهنا يبقى احتمال الانتحار مفتوحاً- لكن في العموم، الجميع سيرغب في هذه التعديلات اللازمة من أجل إطالة العمر والصحة الجيدة<sup>2</sup>. وفي هذه الظروف، لا يوجد أي معنى أخلاقي للتمييز الذي يقوم به **هابرماس** بين الموافقة على تجنب الأذى المرضي، حيث يمكن أن تظل التعديلات الجينية مشروعة لأنها علاجية، وتجنب الأذى المرضي مثل الشيخوخة، وربما في يوم من الأيام الموت.

يكمُن الأساس الذي يقيم عليه **هابرماس** حججه ضد التلاعب الجيني الهادف لتحسين الطفل هو فكرة أن علاقته بالحرية قد تتعرض للاختلال في وقت لاحق، مما يؤدي إلى تدهور صورته لنفسه ككيان حر

<sup>1</sup>Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 81.

<sup>2</sup>Ibid, pp 81, 82.

بشكل لا رجعة فيه. لكن هناك خلط كذلك بين الموقف أو الوضع وبين التحديد، وهذه نقطة مهمة جداً في نظر فيري - كما ذكرنا سابقاً - فنحن دائماً محاصرون في سياق ما، مسجلون في حالات تاريخية وطبيعية محددة تماماً. ولكن الوضع أو الموقف أو الحالة - بغض النظر عنهما - وإن كان السجن نفسه - سيظل دائماً مكاناً لممارسة الحرية البشرية، أياً كان ما اختارته أو لم تختاره من قبل الآخرين، بالتحديد من قبل الوالدين. فإن ذلك لا يغير شيئاً على الإطلاق، لأن عدم الاختيار هو اختيار آخر.

يندفع مثلي الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني إلى التحرر ودفع حدود التقاليد الكلاسيكية التي هي بمثابة قيود قدر الإمكان من أجل أن يكونوا أحراراً في جميع مجالات الحياة. أحراراً في الكلام، حيث يجب أن تسود أخلاقيات المناقشة في جميع الظروف على حجج السلطة. أحراراً من أي عبء مالي، سواء في الوصول إلى البيانات أو الصحة أو البرامج مفتوحة المصدر أو البرامج على الويب، حيث يجب أن يصبح المجاني القاعدة العالمية. أحراراً لأنهم تحرروا من الوسطاء، سواء داخل شبكات المرضى أو بين الأفراد الذين يتبادلون السلع والخدمات. أحرار في التعلم عبر الإنترنت في أي ساعة من النهار أو الليل بفضل MOOC أو الدورات المجانية. أحراراً لأنهم تحرروا من مهنيي المعلومات، الصحفيين، الناشرين، وحتى الطابعين، لأننا يمكننا الحصول على المعلومات مباشرة على الشبكة الاجتماعية، ولكن أيضاً لأننا نمتلك الآن جميع الوسائل لننشر بأنفسنا ونضع كتبنا على الإنترنت بتكلفة هامشية صفرية<sup>1</sup>. باختصار، إنها يوتوبيا الحكم الذاتي في جميع المجالات التي تشكل البنية التحتية الميمنة فيزيقية، والمثال الأخلاقي، والهدف النهائي للتكنولوجيات الجديدة وتأثيراتها المتعددة في الحياة اليومية. ومع ذلك، هناك من يدافعون عن الأطروحة المقابلة تماماً، حيث يكتشفون في هيمنة التكنولوجيا العالمية ظل "الأخ الأكبر" أو شمولية من نوع جديد يمكن أن تبيد قبل كل شيء حرياتنا.

إذا كانت قيمنا الجديدة تتمثل في أن نصبح خالدين، وأن نتجاوز حدود فرديتنا "الكي نكون كما نشاء"، وأن نغير قواعد مجتمعتنا، هل ستمكن القوانين الأخلاقية من إدارة مواجهتنا مع "الآخر"، سواء كان إنساناً محسناً، آلة، روبوت، أندرويد، أو سايبورغ؟ هل سننجح في الجمع بين الأخلاق والتكنولوجيا؟ في حضارتنا الحالية، يتحمل كل إنسان مسؤولية أفعاله، ويجب أن يأخذ بعين الاعتبار عواقب أفعاله تجاه نفسه أو تجاه الآخرين، سواء كان ذلك بشكل واعٍ، أو بدافع العادة، أو غير مقصود. فإن قراراتنا تستند إلى نوع معين من الأخلاق أو المبادئ التي تدفعنا إلى اتخاذ "الاختيار الجيد". ثم إن قيمنا التي تحدد سلوكنا،

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, p 158.

هي من نوع الوجود والخير، وتشير إلى مُثُلٍ يجب السعي لتحقيقها (مثل الاستقلالية، الحياة، الصحة، العدالة)، ومبادئ (توجهات عامة للعمل تحدد سلوكيات مثل تقرير المصير، واحترام الحياة، وإعطاء كل ذي حق حقه)، ومعايير وقواعد لتحديد أفعالنا أو توجيه قراراتنا. اليوم، تُفضل الأخلاق التي تؤسس الحياة الجيدة للناس على علاقة سلمية مع أنفسهم ومع غير البشر، سواء كانوا حيوانات أو آلات، حتى وإن كنا لا نزال خائفين من دمج ما أنشأناه في عالمنا الفكري والأخلاقي: المختلف، التقنية، قوة الآلات. في المستقبل، ستمر "الحياة الجيدة" للناس من خلال تحقيق السلام مع غير البشر. سيكون من الضروري التفكير في هذا بجدية وطرح سؤال عن مدى استعدادنا لمشاركة قيمنا مع "الآخرين"، وفي أي مرحلة يجب أن نعتبر هؤلاء الآخرين "كائنات" كاملة. بمعنى آخر، يجب أن نعرف متى يتوقف هؤلاء "الآخرون" عن كونهم وسائل ويصبحون كائنات حية مستقلة يجب علينا احترام استقلاليتها، والعيش "بشكل جيد" معهم<sup>1</sup>. لكن الخطر في هذه المرحلة هي العلاقات المعوجة التي ستنشأ بين البشر أنفسهم، لأنه إذا كان الاستخدام المتكرر للتكنولوجيا الجديدة قد قلل بشكل كبير من مستوى صبرنا، فكيف سيكون الحال مع درجة التسامح تجاه إنسان يعارضنا، بينما سيكون روبوتنا العزيز متعاطفًا؟

<sup>1</sup>Béatrice Jousset-Couturier, *Le transhumanisme*, p 148, 151.

### ثالثاً: قضية الكرامة الإنسانية

يُستخدم مفهوم الكرامة الإنسانية حاليًا في الأخلاقيات الحيوية لتوضيح مجموعة متنوعة من المخاوف. تشمل أمثلة هذه المجالات: الممارسات المتعلقة بحالات بداية ونهاية الحياة؛ الرعاية المناسبة للمرضى، علاقات الطبيب/المريض، ومشروعية أبحاث الخلايا الجذعية. بالإضافة إلى ذلك، يُستخدم مفهوم الكرامة الإنسانية بشكل متزايد لمعالجة المخاوف المتعلقة بتقنيات الاستنساخ البشري، والتعزيز الجيني، وعلى وجه الخصوص، كوسيلة لمعارضة الإنسانية المتحولة أو التعزيز الجذري. في هذا السياق، غالبًا ما يتم وصف ما بعد الإنسانية والإنسانية المتحولة على أنها إهانة للكرامة الإنسانية بطريقة تبدو أنها تهدف إلى إيقاف إمكانية المزيد من النقاش.

#### 1- البيومحافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية:

تبدأ الروايات حول الأصول التاريخية لمصطلح الكرامة عمومًا بوصف استخدامه في العالم القديم؛ كما يتضح من أول إشارة مسجلة إلى المفهوم من قبل شيشرون Cicéron (106 ق.م-43 ق.م)، وكذلك استخدامه من قبل الرواقيين. ومع ذلك، يطرح فوستر Foster أن ملامح الاحترام للكرامة تسبق الإشارات المكتوبة وتظهر في التمثيلات التصويرية المحفورة على جدران الكهوف خلال العصر الحجري القديم الأعلى أو أواخر العصر الحجري. هذه التمثيلات، التي تصور تحولات في دفن الموتى من الدفن في حفر مغطاة بالأوكر الأحمر إلى التلال والأضرحة الفخمة، تشير إلى الالتزام بتصرفات معينة أو احترام للموتى<sup>1</sup>. هذا الاحترام الممنوح للموتى في مثل هذه الحالات، يشير إلى تبجيل للبشر بسبب امتلاكهم لجودة مميزة معينة، أو ببساطة لأنهم بشرًا وليسوا حيوانات. يتماشى هذا الرأي مع مفاهيم الكرامة المعاصرة التي تدعي أن الأفراد يستحقون معاملة كريمة أو احترامًا بسبب كرامتهم الذاتية، التي تُنسب إليهم بسبب إنسانيتهم.

تعتبر الكرامة الإنسانية عن الحالة التي يبحث عنها الإنسان ليعيش عظمته، وهي مرتبطة بطبيعته الروحية الجسدية، هنا يحيل مفهوم الكرامة الإنسانية إلى خاصية لا تنفصل عن وجود الإنسان في حد ذاته،

<sup>1</sup>C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, Oxford and portland : Hart publishing, Oregon, 2011, p 27.

وهذا ما يفسر ثباتها وأنها مشتركة بين جميع الأفراد دون تمييز من حيث السن أو المكانة الاجتماعية أو الخصائص الجسمية والعقلية أو الخلقية... إلخ.<sup>1</sup> كما أن مصطلح الكرامة مشتق لغوياً من الكلمة اللاتينية dignitas، والتي لها عدة معانٍ. يرتبط التفسير الهوميروسي للكرامة بصفات التميز أو السلوك الاستثنائي الذي يظهره الأفراد، فالصفات النموذجية التي تُعتبر كريمة في هذا السياق، هي تلك المرتبطة عمومًا بأبطال هوميروس، وهي الشجاعة، مهارة الحرب، الكرم... إلخ. ومع ذلك، فإن وجود وإظهار مثل هذه الصفات يُنظر إليه على أنه يحدث بناءً على كرامة أعمق يمتلكها البطل. بمعنى آخر: يتصرف المرء بطريقة تستحق الإعجاب ويظهر مثل هذه الصفات المرغوبة، لأن لديه كرامة متأصلة، وليس لكونه كريماً كنتيجة لإظهار صفات تستحق الإعجاب مثل الشجاعة.<sup>2</sup> هنا، يمكننا أن نلاحظ مفهوماً أرستقراطياً للكرامة كشيء يمتلكه فقط أقلية نخبوية، وهم أبطال العالم القديم. بالإضافة إلى ذلك، تُمنح صفة الكرامة هنا للفرد بناءً على ملاحظات الآخرين لها، وليس على إعلان ذاتي. الكرامة هنا، إذن، هي "علاقة"، بمعنى أنها قيمة مُنشأة تتطلب إظهاراً مستمراً لوجودها المستمر، من أجل إثارة تقدير الآخرين.

يؤثر هذا التفسير الأرستقراطي للكرامة أيضاً على الاستخدام الآخر للمصطلح في اليونان الكلاسيكية، كونه يشير إلى: مكانة اجتماعية عالية والتكريم والمعاملة المحترمة التي تُستحق لمن يشغل موقعاً معيناً.<sup>3</sup> امتلاك الكرامة هنا قد تحول قليلاً من الارتباط بالسلوك أو الصفات الجديرة بالإعجاب، إلى الارتباط بمنصب أو دور في المجتمع. يمكن أن تتفاوت كرامة هوميروس وكرامة المكانة بدرجة أكبر أو أقل، نظراً لأن سلوكيات معينة وأدوار اجتماعية قد ترتبط بدرجات أعلى من الكرامة مقارنة بغيرها.

بالإضافة إلى ذلك، تكشف كتابات شيشرون عن تفسير بديل أو غير عادي لمفهوم الكرامة، والذي يظهر مجدداً خلال عصر النهضة وتم تطويره في فترة التنوير. في كتابه De Officiis (حول الواجبات)، يستخدم شيشرون المصطلح للإشارة إلى المكانة أو السلوك أو الهيئة المشرفة، ومع ذلك، فإنه يلمح أيضاً إلى الكرامة التي يمتلكها البشر لمجرد أنهم بشر، وليسوا حيوانات؛ بعبارة أخرى، الكرامة الإنسانية.<sup>4</sup> يعزو شيشرون هذه الكرامة إلى العقلانية المتأصلة في البشر، ويجادل بأنها نتيجة لعقلانيتهم، لا ينبغي للأفراد أن

<sup>1</sup> محمد جديدي، الأفق البيوإتيقي، ج2، ص 259.

<sup>2</sup> C. Foster, *Human dignity in bioethics and law*, p 27.

<sup>3</sup> M. Rosen, *Dignity : its history and meaning*, Massachusetts, harvard university press, Cambridge, 2012, p 11.

<sup>4</sup> C. Foster, *Human dignity in bioethics and law*, p 28.

يحطوا من قدرهم، ومن كرامتهم، بملاحقة حياة تستند إلى المتع الحسية التي يراها متعارضة مع مكانتهم ككائنات عقلانية.

يبدو أن هذا المفهوم للكرامة الإنسانية المتأصلة، الذي أشار إليه شيشرون بحذر، قد طغى عليه التركيز على الصفات الزهدية أو الرواقية للكرامة، التي سادت خلال العصور الوسطى اللاحقة. وهكذا، ارتبط تفسير العصور الوسطى للكرامة الإنسانية بالتخلي عن الجسد البشري لصالح نقاء الروح المسيحية<sup>1</sup>. ما هو مهم ملاحظته هنا، هو أننا لدينا أصول لمفهومين متميزين للكرامة، واللذين كانا موضوع نقاش واسع في العقود الأخيرة. من ناحية، يمكننا تحديد الكرامة كصفة أو خاصية للأفراد التي قد ترتبط بموقع معين أو دور يشغلونه، أو تظهر من خلال أفعالهم، تملك هذه الكرامة بدرجات متفاوتة ويمكن أن تُفقد أو تُكتسب. من ناحية أخرى، لدينا ظهور لما يُفترض أنه فكرة حديثة ومعاصرة بوضوح، وهي الكرامة كحالة متأصلة أو الكرامة الإنسانية، هذه الكرامة تمتلكها الكائنات البشرية بسبب صفة معينة لديهم، التي تُعتبر بشكل خاص إنسانية. وقد تطور كلا المفهومين للكرامة على مسارات مختلفة نتيجة لظهور الديانات اليهودية-المسيحية خلال العصور الوسطى.

إن مناقشة الاستخدام اليهودي-المسيحي لمفهوم الكرامة له أهمية خاصة<sup>2</sup>، بسبب وجود الكثير من الأدلة التي تشير إلى أن استخدامه المعاصر يبدو مشبعًا بروابط دينية، والتي تُفترض ضمناً كأساس لاحترام الكرامة الإنسانية في المقام الأول. في الواقع، يرى بعض المفكرين الذين ينظرون إلى هذا المفهوم بشك عميق، أن الكرامة هي مفهوم ديني في جوهره، يتخفى في صورة علمانية. يرجع التفسير اليهودي-المسيحي للكرامة الإنسانية إلى العصور الوسطى، ويستند إلى مفهوم Imago Dei، الذي يشير إلى الروايات الدينية التي تصف الإنسان بأنه مخلوق على صورة الله. هذا التفسير للكرامة يُعطي قيمة جوهرية للبشرية، مستندة إلى علاقتها بالله كخالق؛ الذي في جودته المطلقة، وقدرته الكلية، وعلمه الكامل، اختار أن يخلق البشر، مما يستلزم معاملتهم بطريقة معينة. يُستخدم Imago Dei أيضاً لتبرير رفع مكانة الإنسانية إلى موقع هرمي في النظام الطبيعي للأشياء، مما يمكنها من السيطرة على العالم الطبيعي وسكانه غير البشريين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Ibid, p 28.

<sup>2</sup> تم تناول المنظور المسيحي واليهودي للكرامة مع عدم التطرق إلى الإسلام تماشياً مع آراء لوك فيري الذي يرى أن مفهوم الكرامة مهما اختلفت دلالاته مع ظهور العلمانية إلا أن جذوره تبقى دينية ترجع إلى التصور الذي قدمته المسيحية واليهودية.

<sup>3</sup>R.P. Kraynak, **Human dignity and the mystery of the human soul**, University of Notredame press, New York, 2001, p 75.

يمكن اعتبار النظرة إلى الكرامة الإنسانية التي تطورت خلال عصر النهضة كأساس للتفسير الحديث والعلماني للكرامة؛ أو كجسر بين المفهوم الديني للكرامة الذي يميز العصور الوسطى والكرامة الكانطية، التي سيتم مناقشتها أدناه. ومع ذلك، كانت هذه النظرة في عصر النهضة لا تزال مشبعة بالدين، نظرًا لأن الأسس الدينية للكرامة كانت تُفترض كأمر مسلم به. ومع ذلك، تم إيلاء المزيد من الاهتمام لشرح طبيعة هذه الكرامة، ولا سيما آثارها على قضايا المساواة والاستقلالية. كما تم خلال عصر النهضة تحويل الارتباط الرواقي للكرامة بالعقلانية البشرية، إذ أصبحت العقلانية تُعتبر الجوهر المميز للإنسان وأساس الكرامة الإنسانية. ولقد أدى التحول نحو النزعة الإنسانية خلال هذه الفترة إلى دمج العقل مع الاستقلالية، وبالتالي الكرامة مع الاستقلالية هذا التحول الهام، الذي ارتبطت فيه الاستقلالية بالكرامة، وصل إلى ذروته خلال عصر التنوير.

إذا كانت بذور علاقة الكرامة بالعقلانية قد زُرعت من قبل الرواقيين وسُقيت بأفكار عصر النهضة التي ربطت العقلانية بالاستقلالية، فإن عصر التنوير يمكن اعتباره التربة التي نمت فيها العلاقة بين الاستقلالية والكرامة، حيث تشكل أسس التنوير للكرامة، وتحديدًا أسسها الكانطية، نقطة تحول في تاريخ وتطور الكرامة الإنسانية كأساس لحقوق الإنسان بشكل عام.

يُعتبر كانط بشكل عام المفكر الأكثر تأثيرًا في توضيح مفهوم الكرامة الإنسانية، وهذا يُستدل عليه من خلال حقيقة أن كل دراسة تقريبًا حول طبيعة هذا المفهوم تتضمن إشارةً ومناقشةً لأصوله الكانطية، ويمكن اعتبار التصور الكانطي للكرامة كمركز لانفصال المفهوم عن جذوره الدينية. وقد مكن هذا الانفصال من إعادة تفسير الكرامة الإنسانية بشكل علماني كأساس لحقوق الإنسان، وهو ما يظهر الآن في العديد من أدوات حقوق الإنسان المعاصرة، ومواثيق أخلاقيات علم الأحياء، ودراسات دول مختلفة.

يمكن العثور على المصدر الرئيسي لأفكار كانط حول الكرامة في كتابه "أسس ميتافيزيقا الأخلاق" (1785)، بالنسبة لكانط، تشير الكرامة إلى القيمة الأخلاقية المطلقة، المتأصلة وغير القابلة للتصرف، التي تميز الإنسان. وتعتمد هذه القيمة على حقيقة أن كانط يرى أن البشر يتميزون بعقلانية جوهرية. وبفضل هذه العقلانية، يستطيع البشر ممارسة الاستقلالية، مما يمكنهم من خلق القوانين الأخلاقية والحكم عليها. ومن ثم، يكونون قادرين على تعميم هذه القوانين الأخلاقية كمسلمات، يمكن اتباعها من خلال الاختيار واحترامها في الآخرين. ويعتمد الأساس النظري الأخلاقي لكانط على الواجب المطلق، الذي يمكن فهمه بطرق متعددة تبعًا للاستخدامات المختلفة التي يوضع لها في أعماله. ومع ذلك، فإن التفسيرات الأكثر



انتشاراً للواجب المطلق تُعرض عادةً ك صيغة القانون العالمي وصيغة النهاية في ذاتها. تنص الصيغة الأول على أنه يجب على المرء أن: يعمل فقط وفقاً للمبدأ الذي يمكنه في الوقت نفسه أن يريد أن يصبح قانوناً عالمياً<sup>1</sup>. بمعنى آخر، يجب أن تُوجه أفعال المرء وسلوكه بواسطة قاعدة تتطلب من الشخص أن يتأمل فيما سيحدث إذا تصرف أو سلك الجميع بطريقة مشابهة. أما الصيغة الثانية فتتضمن على أن: يعمل بحيث يستخدم الإنسانية، سواء في شخصك أو في شخص كل آخر، دائماً في نفس الوقت كغاية وليس مجرد وسيلة<sup>2</sup>.

ما هي أهمية هذه القوانين إذن، بالنسبة للطريقة التي يستخدم بها **كانط** مفهوم الكرامة؟ يجادل **كانط** بأنه في مملكة الغايات، كل شيء له إما سعر أو كرامة. ما له سعر هو شيء يمكن أن يُوضع في مكانه شيء آخر كمكافئ له؛ بينما ما يرتفع فوق كل سعر، ولا يقبل أي مكافئ، فله كرامة، والأخلاق هي الشرط الوحيد الذي يمكن من خلاله للكائن العاقل أن يكون غاية في ذاته، لأنه فقط من خلال الأخلاق يمكن أن يكون عضواً تشريعياً في مملكة الغايات. لذا فإن الأخلاق والإنسانية، بقدر ما هي قادرة على الأخلاق، هي وحدها التي لها كرامة<sup>3</sup>.

لقد أثرت العديد من أفكار **كانط** ليس فقط على المفاهيم المعاصرة للأخلاق، ولكن أيضاً على وجودها في العديد من الحجج في مجال الأخلاقيات البيولوجية. ومع ذلك، من الواضح أيضاً أن هناك توتراً في مفهومه للكرامة، وذلك بسبب أن مفهوم الكرامة الكانطي قد استمر، مما يجعله يستمر في إثارة مشكلات في استخدامه الأخلاقيات البيولوجية الحديثة. وكما يشير **بيليفيلد** **Beyleveld** و **براونسورد** **Brownsword**، فإن الكرامة الكانطية، من ناحية، تدعو إلى التمكين، وهو ما يتعلق، في سياق الأخلاقيات البيولوجية، بمسألة الموافقة المستنيرة أو استقلالية المريض. ومن ناحية أخرى، تشير إلى القيود؛ وهو ما يتعلق، في سياق استخدامها في الأخلاقيات البيولوجية، بالحجج التي تسعى إلى تقييد الممارسات البيوتكنولوجية التي تعتبر إشكالية، بما في ذلك الإجهاض، وأي ممارسة تستفيد من الأجنة وتدمرها، مثل أبحاث الخلايا الجذعية، وبالطبع التعزيز الجيني، وخاصة مشروع الإنسانية المتحولة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2002، ص ص 26، 27.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 45، 46.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ص 49، 53.

<sup>4</sup> P. Beyleveld and R. Brownsword, **Human dignity in bioethics and biolaw**, Oxford university press, New York, 2001, pp 52, 53.

يعود مصدر الكرامة كتمكين واستقلالية إلى وجهة نظر كانط حول كرامة الإنسان كمصدر لقيمة البشر. وهذه القيمة مشتركة بين جميع البشر بالتساوي، وترتبط جوهرياً باستقلالهم وقدرتهم على التفكير العقلاني، مما يشكل بدوره أساس الدعوة لاحترام المساواة في حقوق الإنسان. وبهذه الطريقة "فكرة كانط عن كرامة الإنسان تتضمن وتتألف من مجموعة معينة من الصفات المترابطة، التي تمنح الأشخاص معاً وضعاً معيناً"<sup>1</sup>. هذا الوضع يعطي الفرد الحق في أن يُعامل بطريقة معينة. ويظهر مصدر الكرامة كقيّد في فلسفة كانط في صيغته لنهاية الذات، التي تنظم ضد معاملة الآخرين فقط كوسيلة لتحقيق أهداف معينة، ولكنها أيضاً تحذر ضد الأفعال التي يمكن الحكم عليها بأنها تقوض كرامة الفرد، باستخدام الذات كوسيلة، وبالتالي تحويل الذات إلى موضوع. بالنسبة لكانط إنأجسادنا ليست أشياء نمتلكها أو عناصر لا تختلف في المبدأ عن أي نوع آخر من الممتلكات القابلة للتحويل<sup>2</sup>. وعليه يعد عمل كانط استمراراً للسعي الفلسفي الدائم، الذي يسعى إلى تحديد الجودة الفريدة التي يمتلكها البشر والتي تميز الوجود البشري عن الوجود الحيواني. وفي حالة كانط، فإن هذه الجودة هي امتلاك الاستقلالية العقلانية التي تظهر كقدرة على صياغة والالتزام بقوانين أخلاقية.

يقودنا هذا الربط بين القيمة أو الكرامة والقدرات الأخلاقية إلى المشكلة الحاسمة التي تطرحها فلسفة كانط الأخلاقية، وهي أنه إذا كانت القيمة، وبالتالي الكرامة، مرتبطة بالقدرة على التفكير الأخلاقي والفعل الأخلاقي، فما هو وضع البشر الذين لا يمتلكون هذه القدرات؟ أمثلة على هذه الحالات تشمل الأجنة والرضع الذين لم يكتسبوا بعد هذه القدرات، والمرضى في حالة الغيبوبة الدائمة والمعاقين عقلياً الذين فقدوا هذه القدرات إما بسبب مرض أو حادث، أو الذين لم يملكوها أبداً. هنا نلتقي مع قيود استخدام النظرية الأخلاقية الكانطية، أو نظرية أخلاقية ديونتولوجية بحتة، دون تكييف بعض الجوانب التي قد تؤدي إلى نتائج إشكالية. ومع ذلك، فقد أثرت فكرة الكرامة الإنسانية عند كانط تأثيراً كبيراً على تطبيقات الكرامة المعاصرة التي تبنتها فلسفة حقوق الإنسان وأفكار ما بعد الحداثة والبيومحافظون.

يعتبر المفكر الأمريكي ليون كاس الأكثر ارتباطاً باستخدام حجج الكرامة في الأخلاقيات البيولوجية وبين الفلاسفة البيومحافظون، لذلك سيكون من غير الكامل لأي بحث حول كيفية استخدام حجج الكرامة في نقد أهداف الإنسانية المتحولة دون دراسة آرائه في هذا الصدد. إذ هناك مجموعة متنوعة من الطرق التي

<sup>1</sup>Ibid, p 53.

<sup>2</sup>S. M. Shell, *Kant's concept of human dignity as a resource for bioethics*, University of notredame press, notredame, indiana, 2009, p 339.

يمكن من خلالها بناء الحجج لمعارضة أهداف الإنسانية المتحولة. فإذا استعرضنا الأدبيات، نجد أن الحجج تركز عمومًا إما على الادعاء بـ "خطأ" جوهري في أهداف هذه الحركة، أو تتناول مجموعة متنوعة من النتائج السلبية المحتملة التي قد تحدث إذا تم تحقيق أهدافها. المجال الأول هو المجال الذي تقع فيه حجج الكرامة مثل حجج ليون كاس مع المخاوف المعتادة التي تشمل الآثار المترتبة على الكرامة الإنسانية نتيجة التغيير الجذري في الطبيعة البشرية أو "جوهرنا" البشري، وكذلك الموقف من السيطرة المتعجرفة والسعي نحو كمال غير قابل للتحقيق الذي يمثله هذا المسعى. من ناحية أخرى، تركز الحجج التي تتناول عواقب تحقيق أهداف ما بعد الإنسانية، وبالتالي إنشاء عالم ما بعد الإنسان، على مجموعة واسعة من القضايا تتراوح بين عوامل الخطر المعنية، إلى القلق بشأن العدالة التوزيعية وكذلك مسألة الاستقلالية. إن معارضة كاس لأهداف الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية مستوحاة من القلق من أن تحقيقها سيؤدي إلى "عالم جديد شجاع"، في إشارة إلى الرواية الديستوبية لهكسلي. بالنسبة لـ كاس، فإن عالمًا كهذا، حيث أعاد البشر تصميم أنفسهم وفقًا لمواصفاتهم، سيؤدي إلى تجريد تام من الإنسانية وانحطاطها<sup>1</sup>.

يعد فهم كاس لمفهوم الكرامة ليس موضوعًا بشكل صريح، بل يجب استنباطه من الطريقة التي يستخدم بها هذا المفهوم في حججه ضد مساعي التعزيز البشري. في هذا السياق، يمكننا العثور على دلائل تتعلق بفهمه للكرامة من خلال التحقيق في كيفية اعتقاد كاس بأن الكرامة الإنسانية قد تُنتهك أو تُفقد. كما تم الإشارة إليه أعلاه، يبدو أنه يربط فقدان الكرامة في المقام الأول بالتغيرات السلبية الواسعة التي ستحدثها الإنسانية المتحولة. ويجادل بأن التغيرات في ممارساتنا، ومؤسساتنا، ومعاييرنا، ومعتقداتنا وتصوراتنا الذاتية التيستنشأ عن التعزيز الجذري كلها تحديات لكرامتنا وإنسانيتنا<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن كاس يرى أن مجموع التغيرات والمخاوف المختلفة، وليس حدثًا واحدًا محددًا، هو الذي سيؤدي إلى تآكل كرامتنا. بهذا المعنى، يجادل كاس بأن احتمالية ظهور نوع جديد من الكائنات بعد البشر مضمونة بسبب أن التغيرات التي سيحدثها التعزيز الجذري ستحدث تدريجيًا دون أن نكون بالضرورة على دراية بها، وبالتالي لن تكون هناك فرصة حاسمة أو لحظة يمكن فيها إيقاف العملية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>Leon Kass, *Life, Liberty and the defense of dignity : The challenge for bioethics*, Encounter books, New York, 2002, p 15.

<sup>2</sup>Leon Kass, *Ageless bodies, happy souls : Biotechnology and the pursuit of perfection*, The Newatlantis, N° 30-12, p 129.

<sup>3</sup>Ibid, p 141.

يرتبط هذا السعي للتحسين بتغيير إضافي، في حين أن النية الأصلية لمشروع التحسين قد تكون مبنية على رغبة إثارية، أي الرغبة في تخفيف أو القضاء على معاناة البشر؛ فإنه لن يكون قادراً على تحقيق ذلك بسبب أن أي تحسينات ستؤدي ببساطة إلى نقل المعاناة بما يتماشى مع التوقعات المتزايدة. سترتفع التوقعات بنفس الطريقة التي ارتفعت بها في العقود الأخيرة، على الرغم من التحسينات في الصحة وبالتالي متوسط العمر المتوقع الآن المتاحة بفضل التقدم في العلوم الطبية مقارنة بما كان عليه قبل قرن. مثال على هذه الظاهرة هو إمكانية تمديد الحياة؛ حيث أن أي زيادة في متوسط العمر المتوقع ستؤدي فوراً إلى رغبة في زيادات إضافية. بهذه الطريقة، لن يفشل مشروع التحسين الجذري في القضاء على الضيق البشري فحسب، بل سيؤدي إلى التدهور البشري بدلاً من الإشباع البشري. كما يعترف كاس بأن وجهة نظره، بالطبع، هي توقع متشائم للمستقبل، ومع ذلك يزعم أن هذه الحالة هي النتيجة الحتمية لرؤية الإنسان ككيان بيولوجي قابل للتشكيل يجب إنقاذه من الحوادث العشوائية لعملية التطور. بعبارة أخرى، إذا تم اعتبار البشر ببساطة "ككائنات بيولوجية بدلاً من كائنات ثقافية وأخلاقية"، فإن الخيرات التي ستكون في نهاية المطاف الأكثر عرضة للخطر هي تلك المرتبطة بما يميزنا عن الحيوانات، بما يراه كاس كجوهرنا البشري، وهي مفاهيم مثل "الحرية وكرامة الإنسان"<sup>1</sup>.

يتجه الجدل هنا على الأرجح إلى أن الحرية ستضيع لأن السعي إلى السيطرة الذاتية سيصبح استهلاكاً تاماً، بينما ستضيع الكرامة لأن البشر سيفقدون الصفات التي يُعتقد أنها ذات قيمة. بالطبع، يمكن الادعاء بأن تكهنات كاس المتمثلة في أن السيطرة على البيولوجيا البشرية ستؤدي تلقائياً إلى الانحطاط وفقدان كرامة الإنسان هي دليل على أنه هو نفسه مذنب بالحتمية الجينية والبيولوجية، وبالتالي، يعتبر البشر في المقام الأول من حيث بيولوجيتهم بدلاً من كائنات ثقافية أو أخلاقية. يفترض كاس أن هذه السيطرة البيولوجية ستؤدي إلى نفي واضح لتأثيرات البيئة، والعلاقات الشخصية، والثقافة، والمعتقدات الأخلاقية؛ وبالتالي، هو نفسه يتجاهل الأهمية التي تلعبها هذه العوامل في تشكيل الطبيعة الخاصة للهوية الإنسانية.

يعتبر عمل كاس مليء بالادعاءات التشاؤمية خاصة بأن التعزيز الإنساني يجرد من الإنسانية لأنه سيغيّر أو يضرّ أو يدمر الصفات التي تمنح الوجود الإنساني قيمته أو معناه، مما ينتج عنه كائنات بشرية سطحية، تفتقر إلى الحساسيات العاطفية والأخلاقية الحقيقية. إن تدمير الصفات أو القدرات البشرية القيمة،

<sup>1</sup>Ibid, pp 133, 136.

التي قد يصفها كاس بأنها جوهرنا البشري، هو بالنسبة له انتهاك لكرامة الإنسان. هذا لأنه في اعتقاده، فإن احترام كرامة الإنسان يعني، بطريقة ما، احترام جوهرنا البشري أو تلك العوامل التي تعتبر ذات قيمة في الوجود البشري. وبالرجوع إلى موقف هابرماس نجده قد جمع بين الكرامة والمساواة في مسألة الحقوق والواجبات، وعليه فقد أضفى عليها صبغة قانونية أخلاقية، لأنها تنشأ من خلال العلاقات الاجتماعية<sup>1</sup>.

يؤكد فوكوياما من جهته كذلك على أن مفهوم الكرامة الإنسانية يُستخدم عمومًا من قبل الأفراد أو الجماعات لاستحضار نوع من الاعتراف أو الاحترام الأساسي الذي يُدين لهم بسبب إنسانيتهم. الاحترام الذي يستحقه جميع البشر بالتساوي لا يعتمد على خصائص عرضية مثل: لون البشرة، المظهر، الطبقة الاجتماعية والثروة، النوع الاجتماعي، الخلفية الثقافية أو حتى المواهب الطبيعية -على الرغم من أنها تلعب بينما تلعب دورًا في تنظيم معظم جوانب حياتنا اليومية-، بل يقوم على جوهر إنساني أساسي يستحق مستوى معينًا من الاحترام الأدنى أطلق عليه تسمية عامل  $X^2$  الذي اعتبره يمثل جوهر الإنسانية، وهو المعنى الأساسي لما يعنيه أن تكون إنسانًا. إذا كان جميع البشر متساوين بالفعل في الكرامة، فإن  $X$  يجب أن يكون خاصية يمتلكها جميعهم<sup>3</sup>.

يواجه ادعاء فوكوياما عددًا من المشاكل؛ أولها يتعلق بمصدر عامل  $X$  وأخرى متعلقة بحقيقة أن مفهوم الجوهر الإنساني، حتى أكثر من مفهوم الطبيعة البشرية، فقد مصداقيته منذ اكتشافات داروين التي أدت إلى إدراك أن التطور، بدلًا من أن يكون مدفوعًا بهدف نهائي، هو عملية عشوائية وأحيانًا عمياء. بعبارة أخرى، الطريقة التي يُبنى بها البشر، جوهرهم المفترض، هي عرضة للتغيير، مما يعني أنها كان يمكن أن تكون مختلفة وبالتالي لا تتوافق مع أي نظام أخلاقي معين. في حين أن مفاهيم الجوهر الإنساني والطبيعة البشرية غالبًا ما تُستخدم بالتبادل من قبل المفكرين، فمن الواضح أن فوكوياما يحدد الأخيرة بالإشارة إلى التعرف على خصائص ملموسة، مثل سلوك الأنواع النمطي، في حين أن الجوهر الإنساني أو عامل  $X$  أقل قابلية للتفسير، وبالتالي فهو إلى حد ما غامض.

<sup>1</sup>يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 44.

<sup>2</sup>يشير عامل  $X$  إلى تطور البشر إلى كائنات معقدة، حيث تتجاوز قدراتهم وطاقاتهم التفسيرات المرتبطة بأجزائهم البيولوجية المكونة وعملياتهم. وهذا يعني أن الأجزاء البيولوجية المكونة والوظائف النفسية والشعورية والانفعالية والقدرات العقلية التي تنتج عامل  $X$  مترابطة. (ينظر: فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، ص 188-190).

<sup>3</sup>فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، ط 1، 2006، ص 188، 189.

يستكشف فوكوياما بعد ذلك عددًا من التفسيرات لاستمرار الإيمان بمفهوم الكرامة الإنسانية. أولاً: يمكن أن يكون الوجود المستمر للرجوع إلى الكرامة الإنسانية مرتبطاً بمفهوم شبح المعتقدات الدينية الميتة التي لا تزال تطاردنا أو ببساطة كعادة مستمرة من التقاليد. ثانيًا: النازية، التي تأسست على إنكار صريح للرأي بأن الكرامة الإنسانية تتساوى بين جميع البشر، تقدم مثالاً مرعباً على ما يمكن أن يحدث عندما تُنكر الكرامة الإنسانية. الاحتمال الثالث يشكل جوهر حجة فوكوياما، وهو أن الإيمان الراسخ بوجود كرامة إنسانية عالمية يمكن أن يُعزى إلى "طبيعة الطبيعة نفسها" وأن النظام الأخلاقي ينبع من داخل الطبيعة البشرية نفسها وليس شيئاً يجب أن يُفرض على الطبيعة البشرية من قبل الثقافة<sup>1</sup>. بعبارة أخرى، يستمر الميل للاعتراف بأن جميع البشر يستحقون احتراماً متساوياً، وبالتالي إقرار بكرامتهم الجوهرية، لأنه جزء من الطبيعة البشرية. هذه الجودة التي تتمتع بها الطبيعة البشرية هي ما يخشى فوكوياما أن يُهدد من خلال التقدم المستقبلي في التكنولوجيا الحيوية، وخاصة من خلال أهداف حركة الإنسانية المتحولة، وتستند مخاوفه إلى الادعاء بأن التحسين الجذري سيقلل من التنوع الجيني بين الأفراد من ناحية، بينما سيكشف الفوارق بين المجموعات الاجتماعية من ناحية أخرى، بسبب الوصول غير المتكافئ إلى مثل هذه التقنيات.

يشير فوكوياما إلى أنه إذا كانت الكرامة والمكانة الأخلاقية المتميزة فوق جميع الأنواع الأخرى تُعزى إلى البشرية بسبب تفرداها بالعقلانية والوعي والتفكير والمنطق والاستقلالية، فإنه من الواضح أن عامل X لا يمكن تحديده بأي قدرة أو صفة بشرية محددة أو فردية، بل هو الكل الذي يمتلك شيئاً يتجاوز مجرد مجموع أجزائه المكونة، وهي القدرات والصفات الفردية التي تؤسس للكرامة الإنسانية<sup>2</sup>. وهنا يؤكد بأن البنية الجينية البشرية هي الخطة الأساسية التي تُمكن كل فرد من تجسيد عامل X، وبالتالي، فإن المخاطر التي ينطوي عليها العبث بهذه البنية قد تؤدي، نتيجة لآليات الملاحظة، إلى عواقب مدمرة للكرامة الإنسانية.

## 2-المقاربة البيوتقديمة والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان:

يرى مناصري الإنسانية المتحولة أن كرامة الإنسان وكرامة الإنسان المعزز متوافقتين ومتكاملتين. إنهم يؤكدون أن الكرامة، بمعناها الحديث، تتجسد فيما نحن عليه وما لدينا من القدرة على أن نصبح عليه، وليس في نسبنا أو أصلنا السببي. ما نحن عليه ليس وظيفةً تتحدد فقط عن طريق الحمض النووي (DNA) الخاص

<sup>1</sup>فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري، ص ص191، 195.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص ص213، 214.

بنا، بل يشمل أيضًا سياقنا التكنولوجي والاجتماعي. والطبيعة البشرية بهذا المعنى الأوسع ديناميكية، وجزئيًا من صنع الإنسان، ويمكن تحسينها.

يقدم **بوستروم** ردًا مختصرًا على الادعاء البيومحافظ (Bioconservative) بأن السعي لتغيير النوع البشري بشكل جذري يؤدي إلى تعارض أهداف الإنسانية المتحولة مع كرامة الإنسانية. لتحقيق ذلك، يتفاعل بشكل خاص مع حجج **كاس وفوكوياما**، وأيضًا بشكل موجز مع حجج **هانز يونس وبورغن هابرماس**. يجادل **بوستروم** بأن هدف هذا المشروع ليس فقط التحسين الجذري ولكن أيضًا التحسين بشكل عام يحمل مخاطر محتملة، لكن الفوائد المحتملة التي قد تتحقق تجعل تطوير واستخدام التكنولوجيات الفائقة مبررًا. بدلاً من حظر تطوير هذه التكنولوجيات، وبالتالي التحسين بشكل كامل، كما يجادل **بوستروم** بأن المشاكل والاهتمامات المحتملة يجب معالجتها بشكل فردي مع ردود مناسبة. فعندما تكون هناك مخاوف اجتماعية وسياسية تتعلق بالنتائج المحتملة للتحسين، مثل قضايا العدالة التوزيعية أو الانقسام المحتمل بين مجموعات الأفراد المحسنين وغير المحسنين، يشير **بوستروم** إلى أن هذه التحديات موجودة بالفعل في المجتمع المعاصر ويعتبرها مجرد مشاكل اجتماعية تحتاج إلى حلول اجتماعية. هذا ويعترف كذلك بأن هناك احتمالية كبيرة أن تؤدي أهداف وتكنولوجيات الإنسانية المتحولة إلى مستقبل لحالة ما بعد الإنسان، لكنه لا يرى أن مثل هذا الاحتمال يمثل مشكلة، أو سببًا لوقف تطويرها<sup>1</sup>. حيث فرضيته الأساسية في هذا الصدد في أن المخاوف بشأن انتهاك كرامة الإنسان لا أساس لها لأنها تفترض تلقائيًا أن ما بعد البشر لن يتمتعوا بالكرامة.

يبحث **بوستروم** في الاستشهادات المتكررة برواية "عالم جديد شجاع" لـ **الدوس هكسلي** الموجودة في أعمال المفكرين البيومحافظين. حيث يتم تقديم فرضية "عالم جديد شجاع" بشكل شائع كتحذير لما قد ينتظر البشرية إذا سُمح لمشروع الإنسانية المتحولة بمتابعة مساعيها في التحسين. قوة هذه الفرضية تكمن في تصوير سكان "عالم جديد شجاع" على أنهم متواطئون في نزع إنسانيتهم، فلا توجد سيطرة سلطوية لفرض الوضع الراهن لأن الوضع الراهن ليس مقبولاً فقط، بل يتم تبنيه من قبل الجميع. ردًا على ذلك، يسلم **بوستروم** بأن الفرضية هي انعكاس غير دقيق تمامًا لأهداف الإنسانية المتحولة. لا شك أن "عالم جديد شجاع" هو عالم تفتقر فيه الكرامة، لكن هذا ليس بسبب استخدام تكنولوجيات التحسين من قبل سكانه أو بسبب وصولهم

<sup>1</sup>Nick Bostrom, *In defense of posthuman dignity*, Bioethics, N° 19/3, 2005, pp 203, 207. on : <https://doi.org/10.1111/j.1467-8519.2005.00437.x>



إلى حالة ما بعد الإنسان كما يفترض مفكرون مثل كاس وفوكوياما<sup>1</sup>. بل، كما يوضح بوستروم، يكمن نزاع الإنسانية لديهم في حقيقة أن مجتمعهم: جامد، استبدادي، مقسم طبقيًا، ثقافتهم قاحلة، قدراتهم الفكرية، والعاطفية، والأخلاقية، والروحية متقزمة، والجميع باستثناء أولئك الذين في السلطة ممنوعون أو مثبطون عن تطوير الشخصية الفردية، والتفكير المستقل والمبادرة، ويتم تكيفهم لعدم الرغبة في هذه السمات من الأساس. "عالم جديد شجاع" ليست قصة عن تجاوز التحسين البشري للحدود بل هي مأساة للتكنولوجيا والهندسة الاجتماعية التي تُستخدم عمدًا لإضعاف القدرات الأخلاقية والفكرية، وهو العكس تمامًا لما تقترحه الإنسانية المتحولة<sup>2</sup>، حيث يؤكد بوستروم أن إمكانية وجود مثل هذا العالم سيتم تجنبها طالما أن احترام استقلالية جميع الأفراد في تقرير ما إذا كانوا يريدون استخدام تكنولوجيات التحسين أم لا يتم ترسيخها.

يشير بوستروم إلى أن مفهوم الكرامة يحتاج إلى توضيح إذا كان سيتم استخدامه بشكل متسق، ولذا يقدم تفسيرين يتوافقان مع التمييز بين الكرامة كحالة والكرامة كجودة. وفقًا للتفسير الأول: تُستخدم الكرامة كمعيار أخلاقية، حيث تبرر الحق غير القابل للتصرف في أن يُعامل الفرد بمستوى أساسي من الاحترام، أما التفسير الثاني: يرى أن الكرامة كجودة تعني أن يكون الفرد جديرًا أو مشرفًا. التفسير الأول للكرامة لدى بوستروم يتوافق تقريبًا مع الفهم العام لها، وبالتالي، مع الطريقة التي يستخدم بها كاس وفوكوياما مفهوم الكرامة. حيث يفسر جميع المفكرين الثلاثة الكرامة الإنسانية على أنها تُمنح للبشر عبر خصائص معينة متأصلة في الإنسانية. بعبارة أخرى، بالنسبة لـ كاس وفوكوياما، ترتبط الكرامة الإنسانية ارتباطًا وثيقًا وتكون مشروطة بوجود طبيعة أو جوهر إنساني<sup>3</sup>. وبالتالي، إذا أراد بوستروم دحض أو على الأقل التشكيك في حججهم، يجب عليه أن يتعامل تحديدًا مع ادعاءاتهم، ويظهر السبب في أنهم مخطئون. وفي هذا الصدد، وبدلاً من رفض مفاهيم الطبيعة البشرية أو الجوهر الإنساني على أنها غير ذات صلة، يقدم وصفًا موجزًا للطريقة التي يمكن أن يتمتع البشر المعززون بالكرامة كحالة والكرامة كجودة.

يمكن التعبير عن تآكل الكرامة الإنسانية على أنه قد يحدث في مراحل مختلفة. أولاً، قد تتعرض الكرامة للخطر خلال المرحلة الانتقالية أو مرحلة ما قبل الإنسان، حيث يوجد أفراد في نقاط مختلفة من عملية التحسين بجانب أولئك الذين اختاروا البقاء دون تحسين. في مثل هذه الحالات، يكمن الخوف في أن

<sup>1</sup> نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والدكاء الاصطناعي، ص 235.

<sup>2</sup> Nick Bostrom, *In defense of posthuman dignity*, p 205.

<sup>3</sup> Nick Bostrom, *Transhumanist values*, *Jornal of philosophical research annual*, N°, 30/12, 2005, pp 54, 57.



يُنظر إلى الأفراد غير المحسنين على أنهم يمتلكون مكانة أدنى من الأفراد المحسنين، مشابهة للمكانة الأدنى الممنوحة حاليًا للحيوانات. بسبب أن طبيعة المحسنين ستكون قد تغيرت إلى حد كبير، فإن القيم التي تدعم الاعتقاد في المساواة بين الجميع ستتغير، مما يعرض الأفراد غير المحسنين لخطر شديد. هذه، بالطبع، إحدى مخاوف فوكوياما. يبدو، مع ذلك، أن مثل هذا التفسير يعتمد على الرأي القائل بأن التحسين سيخلق تلقائيًا كائنات ما بعد الإنسان الذين يمتلكون نطاقًا من القيم أقل وشعورًا بالأخلاقية أدنى. مع ذلك، فإن الإنسانية المتحولة تهتم بتحسين وتطوير البشر في جميع قدراتهم، بما في ذلك مجالات الأداء العاطفي والمعرفي، وكلاهما يؤثر على هذه المجالات من القلق<sup>1</sup>. لذلك يجادل بوستروم، أنه بنفس الطريقة التي كان بها التقدم البشري يتسم بتمديد تدريجي لنطاق أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم يمتلكون الكرامة كحالة تمنحهم الاحترام المتساوي، سيشمل هذا المجال ليس فقط ما بعد البشر بل سيحتوي أيضًا على البشر غير المحسنين.

قد يتم تعريف كرامة الجنس البشري ككل للخطر أو القضاء عليها نتيجة تحول البشرية كنوع إلى نوع ما بعد الإنسان. هذا القلق يرتبط عمومًا بالمفكرين البيومحافظين، وخاصةً هو القلق الذي يحفز حجة كاس. لا يعالج بوستروم هذا القلق بشكل عميق، حيث يبدو أنه يرى أن تفسيره لفرضية "عالم جديد شجاع" باعتبارها غير متوافقة مع أهداف الإنسانية المتحولة، يقدم استجابة كافية لهذا الخط من الحجج. بعبارة أخرى، فإن انتهاك كرامة البشرية ككل سيحدث فقط إذا أدى التحسين الجذري إلى انخراط كل فرد من البشر، وبالتالي انخراط الجنس البشري بشكل عام، أي إذا كان ما بعد البشر "أقل من" أسلافهم، وبوستروم لا يوافق على أن مثل هذا الحدث سيحدث.

علاوة على ذلك، يختلف بوستروم ليس فقط مع الادعاء بأن الحفاظ على الطبيعة البشرية في شكلها الحالي يعني احترام كرامة الإنسان، بل أيضًا مع الرأي القائل بأن الطبيعة البشرية يمكن اعتبارها مصدرًا للكرامة الإنسانية. ويعتقد بأن تقدير الطبيعة البشرية، التي هي نتاج للتطور وبالتالي للعمليات الطبيعية، يتجاهل حقيقة أنه لو كانت الطبيعة الأم والدًا حقيقيًا، لكانت في السجن بتهمة إساءة معاملة الأطفال والقتل<sup>2</sup>. يتضح هنا أن غياب التوافق بشأن مصدر الكرامة الإنسانية يجعل من الصعب استخدام المفهوم كأساس لحجة متماسكة. بعبارة أخرى، هناك تفسيرات مختلفة حول ما يمنح البشر كرامتهم. لذلك، لا يوجد نقطة واضحة للانخراط مع حجة مثل حجة فوكوياما التي تقدم تفسيرًا معقدًا للطريقة التي سيؤدي بها التغيير

<sup>1</sup>Nick Bostrom, *In defense of posthuman dignity*, p 206.

<sup>2</sup>Ibid, p 209.

المحدد في الطبيعة البشرية إلى تقويض الكرامة، إذا كان هناك خلاف حول أن الطبيعة البشرية هي مصدر الكرامة.

فيما يتعلق بالتفسير الثاني لبوستروم للكرامة، يجادل بأنه لن يكون فقط بإمكان ما بعد البشر إظهار "التميز الخاص أو الجدارة الأخلاقية" التي تميز بعض السلوكيات البشرية؛ بل إن ما بعد البشر قد يظهرون درجة أكبر من تلك الكرامة. هذا التفسير للكرامة، بالطبع، يشبه الكرامة كجودة. كما يعتقد بأن نفس الطريقة التي يمكن أن يُنظر بها إلى سلوكيات البشر على أنها أكثر أو أقل أخلاقية، ستكون أيضًا سلوكيات ما بعد البشر مميزة بهذه الفروق. ومع ذلك، فإن حقيقة أن بعض الأفراد في الوقت الحالي يعيشون حياة أقل من "جديرة" عمومًا لا تُعتبر أساسًا لإزالة حقهم في الاستقلالية ما لم يتعرض الآخرون للأذى<sup>1</sup>. يذهب بوستروم إلى أن السلوك البشري غير المرغوب فيه يتم تشكيله عمومًا عن طريق التدابير المضادة مثل التعليم، التشجيع، الإقناع، الإصلاحات الاجتماعية والثقافية، وليس حظرًا شاملًا لجميع طرق الوجود البشري المعزز.

يمكن أن نتفق مع بوستروم في أنه لا يوجد سبب يمنع سلوك ما بعد البشر من أن يتميز بـ "التميز أو الجدارة الأخلاقية"، بعبارة أخرى، بالكرامة كجودة. ومع ذلك، يجب ملاحظة أنه في حين أن استخدام الكرامة كجودة يمثل طريقة أخرى يمكن أن تتقدم بها حجج الكرامة؛ فإن فعاليتها كدحض للحجج البيومحافظة ليست واضحة وتؤثر على موقف بوستروم. وبينما أن حجج مثل حجة كاس قد لا تُفصح عن ذلك بوضوح كافٍ، فإن الكرامة كجودة ليست هي التركيز الأساسي، وبالتالي ليست هي التي تعتبر موضع الخطر، بل الكرامة الإنسانية أو الكرامة كمكانة. في هذا الصدد، فإن حجة بوستروم المضادة سطحية إلى حد ما في تعاملها مع حجج الكرامة الإنسانية المذكورة أعلاه، وهي أيضًا إشكالية بسبب تفسيرها غير الكافي لمفهوم الكرامة الإنسانية ذاته.

### 3-مسألة الكرامة عند لوك فيري:

يرد فيري على المخاوف التي يثيرها التعزيز البيوتكنولوجي للإنسان بشأن كرامته، ففي وجود سمات معينة كالعقلانية والقيمية التي غالبا ما يحكم عليها بأنها مكون أساسي لما يجب أن يكون عليه الإنسان، فإن حالتنا الأخلاقية وكرامتنا لا تتغير بشكل عام بتغير قدراتنا خلافا لما يعتقد بعض البيومحافظين، إذ يمكن

<sup>1</sup>Nick Bostrom, *In defense of posthuman dignity*, pp 208, 209.

للأفراد المختلفين امتلاك قدرات مختلفة جدا، ومع ذلك يكونون متساوين في الكرامة، مثلا إننا نجد فائقي التعلم والذكاء والرياضيين والموهوبين مسبقا يتمتعون بقدرات فردية أعلى من غيرهم العاديين، لكن هذا لا يخول لنا أن نجعل الكرامة في المجموعة الأولى من الناس إما أعلى أو أدنى من المجموعة الأخيرة، ثم إن فكرة تمتع البشر بالكرامة المتساوية لها جذورها في منع فائقي القدرات من السيطرة على الأشخاص الأكثر ضعفا واستغلالهم،<sup>1</sup> لذلك إذا سلمنا بأن جميع الأفراد غير المستفيدين من التعديلات والتعزيزات يملكون نفس المكانة الأخلاقية والكرامة على الرغم من قدراتهم المتفاوتة، فإنه من الصعب وجود مبرر لإعطاء كرامة مختلفة للأشخاص المحسنين والمعززين أو للاعتقاد بأن المعدلين يمكن أن يؤثروا على كرامة غير المعدلين.

<sup>1</sup> Luc Ferry, *La révolution transhumaniste*, pp 27, 28.

#### رابعاً: الإنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوك فيري

منذ صدور كتاب فيري "الفكر 68"، الذي كتبه مع ألان رينو والذي هاجم فيه بقوة أنصار معاداة الإنسانية في الستينات — من فلسفة مارتن هايدغر إلى اقتراح فوكو بمحو شامل للذات — قد كرس نفسه لإعادة بناء عالم من المعاني. في حين أن المعنى كان متاحاً حتى وقت قريب في الأديان، فإنه اليوم يحتاج إلى أن يتم اختراعه. كما هو الحال عند الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه (Marcel Gauchet 1946- )، نحن "بيننا"، بدون أي تجاوز إلا ذلك الذي يبدأ من الإنسان.

قام لوك فيري في تحليله للتحويلات والمتناقضات الموجودة في حدثتنا بتحليل غموض شكل من أشكال التقديس العلماني. كتابه عن "الإنسان-الإله" هو في الأساس تشخيص للتغيرات التي حدثت في وضع الدين، ومحو الدين، وكان هذا الرفض حتمياً، ويُحتمل أنه لا رجعة فيه. لكن الكتاب هو في نفس الوقت تنبؤ بمصير التجاوز الديني في عالم تخلّى عن الله. بل وأكثر من ذلك، فإن لوك فيري هنا يقوم بفك شفرة التجاوز داخل الحضور، لم يعد رأسياً، بل أفقياً، وما زالت معالمه غير محددة بشكل كبير.

#### 1- أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته:

حاول فيري من خلال أطروحته تقديم تشخيص لمسألة المعنى في العصر الحديث، التي أضحت غامضة، وفي بعض الأحيان لم تعد تُطرح على معاصرنا. ومع ذلك، فهي حتمية. "نحن نواجه مسألة المعنى بشكل مفاجئ أو بالأحرى، اختفائها في العالم العلماني"<sup>1</sup>. يمكننا أن نُعرض عنها، نبقيها على مسافة، نُخفيها، لكنها في النهاية تفرض نفسها عاجلاً أم آجلاً، على الأقل لمن يرفض هذا الوجود "الكسول" الذي تحدث عنه فريدريك هيجل (Friedrich Hegel 1831-1770). ولكن كيف نواجه تحدي المعنى، في حين أننا قد استبعدنا الأديان؟ هناك استراتيجيات حسبه لتجنب ذلك يجب ذكرها، وهناك علامات على انشغال يجب تفسيرها.

<sup>1</sup> Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, Grasset, Paris, 1996, p12.

تطرق فيري إلى سؤال المعنى في إطار معالجته لأزمة الذات المعاصرة وتيهها الوجودي الذي ينبع حسبه من عدة أسباب، لعل أهمها حتمية الموت وفقدان الألفة والقلق والألم والروتين والافتقار إلى هدف والشعور بالفراغ والملل والكوارث الطبيعية وغيرها من الحالات التي يعايشها كل كائن بشري. إن هذه التجارب لا يمكن تغافلها، بل لابد من منحها دلالة ومعنى وبالتالي وضعها في سياقها العام، وبهذا كان سؤال المعنى مطروحا بإلحاح منذ القدم، والإجابة عنه لا تخرج عن الوعي والتصور الديني والثقافي والاجتماعي الذي يكون فيه.

وما يميز الفكر المعاصر الأوروبي أن "سؤال المعنى" أصبح سمة أساسية لدى مفكره بل ومعظم الناس الذين يبحثون عن إجابات شافية وواقعية مما يجعل الحياة الإنسانية جديدة بالعيش أو ما يضفي المعنى على حياة الفرد. ووفقا لفيري يصور لنا تاريخ الفلسفة الأوروبية أربع أطروحات تتناول سؤال المعنى:

**الأطروحة الكوسمولوجية:** التي ترجع تاريخيا إلى العصور اليونانية القديمة، وتتمثل فكرتها الجوهرية في أن العالم يتسم بالانتظام لا الفوضى، وهذا ما يسمى عندهم بـ "الكوسموس" أو النظام الكوني أو الإلهي وبمجرد فهم الإنسان وإدراكه لماهية هذا التناسق والانسجام في الكون يعيش حياة طيبة<sup>1</sup>.

**الأطروحة اللاهوتية:** وتعبر عن الأفكار التي أنت بها الديانة المسيحية، والتي تنادي بالخلاص من خلال التقيد بتعاليم المسيح والحب المطلق للإله مع الإيمان اليقيني به وبالبعث والحساب... هذه الأطروحة لم تكن معروفة في فرنسا إلا بعد الستينيات من القرن الماضي<sup>2</sup>.

**الأطروحة الإنسانية:** وهي التي تقوم على مركزية الإنسان بالنسبة إلى باقي الكائنات والموجودات عموما، وقد ترسخت أكثر مع ديكرت الذي أعلن سيادة الإنسان على نفسه وعلى الطبيعة ويده زمام الأمور وتجاوزته لأي سلطة خارجية متعالية لاهوتية كانت أو طبيعية أو أي نزعة دوغمائية وثوقية، ولهذا فهي ترفض العقائد الدينية مطلقا ما جعل الكثير من المفكرين يعتبرونها مهد العلمانية<sup>3</sup>. خاصة وأنها تزامنت مع نشوء الحداثة التي بنت أسسها من خلال القطيعة مع روحانية العصور الوسطى وتعاليمها وقديسيها وطابعها السلطوي على كل أشكال حياة الإنسان، إذن فهي ترفض كل سلطة ماعدا سلطة النقد الذي يمارس من

<sup>1</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كييلياي، أعمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 23، 24.

<sup>2</sup> لوك فيري، تعلم الحياة، ص 93.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 207.

قبل الإنسان الواعي باعتباره معياراً للقيمة والمعنى وراعياً للوجود والكينونة، وهنا أضحي العقل مرجعية الحقيقة المطلقة.

يتجلى معنى الحياة بالنسبة للفكر الإنساني يتجلى في تحقيق الحياة الطيبة من خلال الاحتفاء بالمعارف والثقافة والتربية، وقد قدمت بديلاً عن الخلاص الديني ما يسمى بأديان الخلاص الأرضي كالعلموية والقومية والشيوعية والوطنية، حيث أخذ الإنسان نصيب الإله من الحب والولاء والتضحية والخضوع وأصبحت الشهادة في سبيل الوطن لا في سبيل الله، وأبناء الوطن الواحد بدل الأخوة في الدين... وغيرها من المفاهيم<sup>1</sup>.

**الأنطروحة التفكيكية التقويمية:** التي جاءت كرد فعل على النزعة الإنسانية والعقلانية الديكارتية، واعتبرتها أنها مكتملة للأسس الدينية دون دراية منها<sup>2</sup>. ولهذا كانت هذه الأنطروحة مشبعة بالنزعات العدمية والتقويمية فلم تقدم أي إجابة عن سؤال المعنى، وهنا نشهد غياب تام لسؤال المعنى في المشهد الفلسفي.

تميز العصر الحديث، حتى وقت قريب، بالإيمان بالتقدم، لكن هذا التفاؤل في تراجع، فما ميز الإنسان عن الحيوان في نظر روسو هو "قدرة الإنسان على التحسن"، لكن هذا التفاؤل اصطدم، منذ البداية، بمساوية الوجود وسقوطه النهائي، يقول: "ماذا نفعل بالتراجع إذا كانت دعوة الإنسان هي التقدم؟"<sup>3</sup>. للتعامل مع هذا التحدي المأساوي، اخترعت البشرية، على مدى القرنين الماضيين، سلسلة من استراتيجيات التمويه، مثل نقل المعنى إلى النوع أو إلى العمل ماركس. هذه بدائل علمانية بائسة للرغبة التي لا تقاوم في الخلود. إذا كنا لا نستطيع أن نكتفي بها، فهي على الأقل دليل على أن الإنسان لا يتخلى بسهولة عن إعطاء معنى لحياته.

تتمثل الاستراتيجية الأخرى الأكثر شيوعاً في اللجوء إلى نسيان المعنى النهائي، من خلال إدخال معانٍ وسيطة. ما زلنا نحدد مواقعنا بناءً على أهداف متنوعة: مهنية، سياسية، أخلاقية، تعليمية، ترفيهية، عاطفية، سياحية... "وعندما لا يفرض أي منها نفسه بوضوح، يمكننا دائماً الدخول في دورة الاستهلاك، ونتجه للتسوق ونتخلى قليلاً لهذا التسوق، الذي يوفر بسهولة هدفاً لكل واحدة من نزواتنا"<sup>4</sup>. لذلك يمكننا

<sup>1</sup>لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص ص 105، 109.

<sup>2</sup>لوك فيري، تعلم الحياة، ص ص 218، 219.

<sup>3</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p 14.

<sup>4</sup>Ibid, p 18.

أن نعيش في هذا العالم العلماني دون أن نطرح مسألة المعنى. ولكن إلى متى؟ بعد انخيار الأيديولوجيات البديلة (مثل الشيوعية...)، يصبح من الواضح أن الإنسان يجد نفسه أمام فراغ يمكنه أن يخفيه لفترة معينة، لكنه يجبره، عاجلاً أم آجلاً، على اختراع حكمة جديدة.

يميل البعض اليوم إلى البحث عن هذه الحكمة في التقاليد الشرقية، فإذا كانت البوذية تجذب البعض بشدة، فذلك لأنها تدعي تقديم إجابة على السؤال المزعج حول المعنى، الذي لم تتمكن الحداثة من الإجابة عليه. لمواجهة اللا معنى، تنخرط حكم الشرق في استراتيجية نفية. بما أن كل شيء يعتمد على وهم أولي، وهو "الذات"، فإن "الدلاي لاما" يصرح بأن الترياق الذي سيقضي على الأوهام هو الحكمة التي تدرك غياب "الذات"<sup>1</sup>. وبالتالي، يتم قطع السؤال من مصدره. ينصح أندريه كومت سبونفيل باستراتيجية مشابهة: "ليس الموضوع هو ما يجب إنقاذه، بل يجب الهروب منه"<sup>2</sup>. لكن يرد **لوك فيري** بأن هناك تناقض في البوذية عندما تعين كهدف للذات أن تتخلص من الذات.

الاستنتاج الذي يصل إليه **لوك فيري** بالنظر إلى هذه الإخفاقات هو أن مسألة المعنى لا يمكن استبعادها. هناك "إرادة" للمعنى في كل شخص لا يمكن لأي حيلة أن تقضي عليها، حتى لو لم يكن لها كملاذ أخير تجاوز خارج عنها، أي موضوع مطلق يحتفظ بإجابة تكفي لتلقيها. لذلك، فإن مسألة المعنى حتمية ولا تتوفر لها إجابة فورية (الموضوع المطلق اختفى من أفقنا).

إذا لم يعد التجاوز ينبع من ما وراء غير موجود في الحداثة، فإنه يظل مرئياً في عالمنا على الأقل بعلامتين: أولاً، من خلال إحالة الإنسان إلى ما هو أبعد من الذات، سواء سمي هذا الآخر "الاهتمام بالآخر" أو "التضحية بالذات". وثانياً، من خلال "الإحساس بأن الأخلاق، حتى الأكثر كمالاً، في الحقيقة لا تكفي"<sup>3</sup>. على الرغم من الإشارة إلى التجاوز، حتى لو كان "غير قابل للتعريف"، فإن الإنسانية الحديثة ترفض مع ذلك الخروج من مجال الحضور. البقن الوحيد الذي يمنحه الإنسان الحديث هو البقن الذي يمكن لكل شخص أن يستخلصه من ذاته، لكن الحضور لا يعني الانكفاء على الذات، حيث يصرح فيري: "لا تخط بين المثالية الذاتية مع التأكيد الميتافيزيقي العبثي على الاكتفاء الذاتي للذات المطلقة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 28.

<sup>2</sup>Ibid, p 30.

<sup>3</sup>Ibid, p 41.

<sup>4</sup>Ibid, p 48.

منذ ديكارت مضت الفلسفة في اتجاه علمنة مزدوجة: على الجانب الأخلاقي من جهة، والميتافيزيقي من جهة أخرى، أما الأول فكانت الغاية هي إعادة صياغة المثل المسيحية لتوائم العلمانية وحتى الإلحادية واللاأدرية، أما الثاني، فكان الهدف هو إعادة فتح نقاش منفتح حول قضايا الإيمان في نطاق العلاقة بين الإنسان والله أو بين الذوات، وحسبه أكثر من يمثل حركة العلمنة هذه **كانط** و**فريدريك هيغل**، ويعتبر **فيري** أن حقوق الإنسان أكبر معبر عن علمنة القيم المسيحية، حيث أن كلمتي الحقوق والفرد غطت على تعبيرات مثل المقدس والروح. لكن عملية العلمنة الأولى التي مثلتها العقلانية الكانطية والهيغلية كانت غير كافية بالنسبة إلى **نيتشه** لأنها بقيت بطريقة ما وفية للدين المسيحي، ومن هنا أتى **نيتشه** و**هيدغر** بفكرة أقول الفلسفة كنسق ديني جديد مؤيد لمقولة موت الإله<sup>1</sup>.

لذلك يتعين على **لوك فيري** أن يفكر في التجاوز "ضمن حدود الإنسانية". إن احتمال التجاوز كهذا، المحصور في الفضاء البشري، الذي يقترح **لوك فيري** استكشافه من خلال تحليل عملية مزدوجة: "أنسنة الإله"، "تأليه الإنسان". الأول من هذه الحركات داخلي في الدين: الميل إلى الأنسنة واضح فيه، حتى في الأماكن التي تظل فيها الإشارة إلى الوحي القادم من الخارج سائدة. الثاني من هذه الحركات خاص بالإنسانية الحديثة<sup>2</sup>، ويمكن رصده سواء عند الفرد أو على المستوى الاجتماعي. في تقاطع هاتين الحركتين يظهر لنا الإنسان الحديث، دون أي واثق من المعنى سوى نفسه.

يبدأ **لوك فيري** بدراسة الحركة الأولى، أنسنة الإله، مشيراً إلى أنها تتجلى داخل الأديان نفسها، لا سيما في المسيحية. يشهد على ذلك نقاشان حديثان، أحدهما أثارته رسالة البابا **يوحنا بولس الثاني** "روعة الحقيقة" (Veritatis Splendor)، والآخر بمواقف **يوجين دروفرمان**. جوهر النقاش في الحالتين هو نفسه: إلى أي مدى يمكن السير على طريق العلمنة؟ قد يتم إخفاء هذا الميل نحو العلمنة بواسطة الأصوليات ("انتقام الله") أو التراجع عن المسيحية<sup>3</sup>. دون إنكار الحقيقة التي تتضمنها هذه الظواهر، يوضح **لوك فيري** أن العلمنة أو الأنسنة - وهي مصطلحات متكافئة - تعد جزءاً من عملية داخلية في المسيحية، كما يتضح من النقاشين ومن "تحولات الشيطان".

<sup>1</sup>لوك فيري، ما جدوى الفلسفة المعاصرة، ترجمة: إسماعيل مجيعط وآخرون، مجلة مدارات فلسفية، عدد 16، المغرب، 2008، ص-ص 191،

197.

<sup>2</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p 57.

<sup>3</sup>Ibid, p 65.



أ- يوحنا بولس الثاني: الضمير تحت سلطة الوحي

يدور النقاش الأول حول رسالة "روعة الحقيقة"، فبينما يركز يوحنا بولس الثاني على الأخلاق باعتبارها حقيقة موحى بها، يرى **لوك فيري** أنه يقدم تنازلاً كبيراً بالاعتراف بالدور الشرعي للضمير: "لقد أراد الله أن يترك الإنسان لتقديره الخاص. لم يسلبه الحرية، بل على العكس"<sup>1</sup>. لكن "أنسنة الإله" ستظل غير مكتملة لأن البابا في النهاية ينكر على الضمير استقلاله الكامل من خلال تبعيته للوحي. وهكذا، نجد أنفسنا أمام معضلة حرية الضمير أو الحقيقة الموحى بها. إن النقاش في هذا السياق محوري، لكن يعترف **لوك فيري** أنه لم يكن من الممكن أن نتوقع إجابة مختلفة من **يوحنا بولس الثاني**: "إذا كان البابا سيجعل من الضمير الحر المعيار الوحيد للحقيقة، وإذا كان يجب أن تكون درجة القناعة هي دليل لاهوت أخلاقي جديد، ألن يعني ذلك بالفعل "إنكار وجود محتوى أخلاقي محدد وواضح في الوحي الإلهي، ذو صلاحية عالمية ودائمة؟"<sup>2</sup>.

بين الحقيقة الموحى بها والحرية، هناك توتر، لكن في نظر البابا، لا يوجد تعارض؛ يتم حل هذا التوتر في إطار "ثيوقراطية مشتركة": المتطلبات التي يفرضها الوحي الإلهي (المتعالي، الخارجي) من الخارج عبر الكنيسة، يحملها الضمير في داخله (الداخلي، الباطني). لكن يتساءل **فيري**: هل يمكن الحفاظ على هذا التوازن لفترة طويلة؟ حيث يجب أن يهيضه عندما نأتي إلى القضايا الملموسة، مثل عقوبة الإعدام. ففي الوقت الذي ترفض فيه الأخلاق العلمانية عقوبة الإعدام، تقبلها الكنيسة وتبررها، مما يظهر أن الأخلاق الموحى بها تتفوق على حرية الضمير في عقل **يوحنا بولس الثاني**، وأن العلمنة لا تزال غير مكتملة. ومن المنطقي أن تصل هذه العلمنة إلى أقصى درجاتها كما يمثلها **دروفرمان**.

ب- يوجين دروفرمان Eugen Drewermann: الوحي تحت سلطة الضمير:

إذا كانت أنسنة الإله مع **يوحنا بولس الثاني** تبدو محاولة فاشلة، فإنها مع **يوجين دروفرمان** تصل ظاهرياً إلى اكتمالها، رغم أنها تظل غامضة. إن العنوان الذي يستخدمه **لوك فيري** لتقديم موقف **دروفرمان** يتحدث عن نفسه: "رمز خالد أم حقيقة تاريخية: هل يجب أنسنة رسالة المسيح؟" السؤال هو ما إذا كانت أحداث حياة المسيح - الميلاد، الشفاءات، المعجزات - هي "وقائع تاريخية" أم "رموز نابغة من أعماق

<sup>1</sup>Ibid, p 71.

<sup>2</sup>Marcel Neusch, *Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu*, Nouvelle Revue Théologique, N°119, juillet-septembre 1997, p 339.

الإنسان وتحمل دلالة أبدية"<sup>1</sup>. بالنسبة لـ **دروفرمان**، الإجابة واضحة بلا شك -على عكس **يوحنا بولس الثاني**- يعطي الأولوية للاستقلال البشري على الهيمنة الخارجية، متخليًا عن الجانب التاريخي الخارجي لصالح الباطنية الوجودية.

يمكن قراءة عمله كله كمحاولة لتقليل الجانب الخارجي في الرسالة المسيحية إلى أقصى حد. يتعلق الأمر بتحرير الدين على جميع المستويات، فالأمر يتعلق بحرية الضمير الباطنية البشرية، وبعملية إضفاء الباطنية على الديني المرتبطة بتراجع الشخصيات الكلاسيكية للثيولوجيا والأخلاق.

اختار **دروفرمان** استقلالية الضمير، لكنه لم يوضح خياره بشكل كامل: إذ يتأرجح إلهه بين إله منتشر كلي وبين فرضية إله شخصي يحتاجه الإنسان كدواء لوحده، وبالتالي يتم بناؤه -كما لاحظ **لودفيغ فيورباخ** (1804-1872) Ludwig Feurbach -، انطلاقًا من الرغبات البشرية. ومن جهته لا يقلل **لوك فيري** من أهمية هذا المشروع بالنسبة للحدث، حيث ورد في قوله: "من خلال هذه الأنسنة للإله، التي يسعى إليها **دروفرمان** باستمرار، يتم تلبية - إن لم يكن تمامًا - على الأقل أخذ واحدة من أكثر المتطلبات الأساسية للعالم العلماني في الاعتبار: وهي الحاجة إلى روحانية تتوافق مع حرية الضمير والاستقلالية التي يدعوننا رفض حجج السلطة إلى التفكير بها..."<sup>2</sup>.

### ج- نهاية الشيطان والشر في الإنسان

يمكن ملاحظة عملية العلمانية نفسها فيما يتعلق بالشيطان، وهو ما يتضح بشكل صارخ من النسخة الجديدة من "أبانا". فالكنيسة لم تعد تقول، كما فعلت لفترة طويلة: "نجنا من الشرير، حيث كان الشر مجسدًا، بل تقول الآن: "نجنا من الشر"! يعلق **لوك فيري** قائلاً: "موازياً لعلمنة الإله، كان علمنة الشيطان أيضًا في طريقها... التحول الأول للشيطان: تجسده تلاشى بمرور الوقت"<sup>3</sup>. العلمانية هنا أيضًا في تقدم، وعندما تستمر الكنيسة في الإيمان بوجود حقيقي للشيطان، فإنها تقنع بشكل أقل. لكن إذا مات الشيطان، فإننا لم ننته من الشيطانية: الإبادات الجماعية، الاغتصابات، الاغتيالات، التعذيب، وغيرها. وغالبًا ما تكون ردود الإنسانية على هذا السيل من الشر قصيرة جدًا. يعترف **لوك فيري** بأن هناك "تجاوزًا" للشر، وهو سر الشر الذي يفلت من قبضتنا، لكنه لا يعذر الاستسلام، لأن الإنسان "يمكنه دائمًا أن يختار أن يكون

<sup>1</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p76.

<sup>2</sup>Ibid, pp 88, 89.

<sup>3</sup>Ibid, p 90.

حرام من أجل الخير أو حرام من أجل الشر"<sup>1</sup>. والسؤال هو ما إذا كان الإنسان يمتلك الموارد الكافية لمكافحة هذا الشر: فهل ما زالت الأخلاق العلمانية قادرة على استنباط القوى اللازمة لمعركة ناجحة؟

يشير **لوك فيري** إلى أطروحتين أساسيتين توضح فكرة أنسنة الإلهي، الأولى أسمها "نهاية افتتان العالم" إشارة منه إلى كتاب **مارسيل غوشيه** الذي يوضح فيه كيف تخلصت المجتمعات الديمقراطية من الدين خاصة المسيحية في القرنين الأخيرين، أما الثانية فأسمها "إعادة افتتان العالم" التي وضح فيها ملامسة الروحانيات للمجتمعات اللائكية وفي هذه النقطة بالذات يتجلى مفهومه لما اصطلح عليه بـ "أنسنة الإلهي"، حيث أعادت المجتمعات المعاصرة منذ القرنين الأخيرين من الناحية الثقافية والفلسفية والفكرية ترجمة المفاهيم الكبرى للدين المسيحي وفق منظور علماني لائكي بعيدا عن تدخل الكنيسة، وتم بذلك إقرار مقولات: التفكير بالنفس، أخلاق المناقشة، الاستقلالية والفردية، والتفرد في اتخاذ القرار، والأهم من ذلك وضع أي فكرة دينية في ميزان النقد. هذا ما يدفع بنا إلى التساؤل: إن كان المقدس في مجتمعاتنا موجودا؟ يجب **فيري** بأنه ظهر نوع جديد من المقدس يتمظهر في تعالي الإنسان على ذاته، ثم إنه يقر أيضا بوجود تناقض بين مبدأي الدين الذي يقتضي الطاعة من جهة والاستقلالية الذي يضع كل محتوى في غربال النقد والتمحيص من جهة أخرى، هذا المبدأ الأخير الذي طال كذلك الكنيسة مؤخرا، فهذا عالم اللاهوت **يوجين دروفيرمان** عمل كثيرا على إعادة تفسير الإنجيل وفق مقولات العلمانية، وكذا **الأب فالادي** في كتابه "تقريب الوعي" دعا إلى إلزامية إدماج إتيقا المناقشة والحوار داخل أسوار الكنيسة.

في نهاية القسم الأول من هذا المشروع، يجب التذكير بالهدف منه، فالحركة التي يصفها هي حركة أنسنة الإله، وهذه الحركة ستكون حتمية، على الرغم من مقاومة **يوحنا بولس الثاني**، الذي يتأخر هنا عن الحداثته، قد يكون **دروفيرمان** أكثر منطقية، لكنه يظل غامضاً، حيث أنه لا ينجح في الحسم بوضوح بين الإله في داخلنا والإله خارجنا. علمانية الإله، وبالموازاة علمانية الشيطان، تترك مع ذلك لغز الشر قائماً. والنتيجة هي أنه إذا لم يعد الإله قابلاً للتصور، فإنه لم يختف. لقد تم نقله من الخارج إلى الداخل: الإنسان وحده هو المقدس. ولكي يكتشف الإله في الإنسان، سوف يتبع **لوك فيري** الحركة المعاكسة لأنسنة الإله، أي تأليه الإنسان.

<sup>1</sup>Ibid, p 106.

## 2- تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث:

صاحب تراجع السلطة الدينية اللاهوتية، بحيث أصبح الاعتقاد بالإله مسألة شخصية، صاحبه خروج العلمانية في أوروبا كبديل له، هذه العلمانية التي ألغت قدسية القيم الأخلاقية والجمالية والحقوقية، مما أدى إلى حالة من فقدان المعنى، ما دفع بالغرب إلى البحث عن أشكال جديدة من الروحانية، وقد توجهوا للبحث عنها في الحكمة الشرقية، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف نفسر العودة إلى الروحانية في عالم العلمانية؟

يرجع بنا فيري لتوضيح هذه الفكرة إلى أصول الثورة العلمانية، وعلى وجه الخصوص إلى اللحظة الديكارتية التي رسخت الذات الشككية والتي توجهت بالنقد لكل العقائد الوثوقية وكل سلطة مقدسة. وهنا تمت التسوية بين الإيمان والإلحاد، وهكذا أصبحت العلمانية المسيحية تدعو إلى أخلاقية الحوار في نوع جديد من التعالي الذي أصبح مرتكزاً بالحايثة الملازمة للذات، هذا ما يعطي المعنى للروحانية الحديثة.

يدعو فيري إلى نوع جديد من التعالي يختلف عن الوحي التقليدي ويتمثل في التعالي الإنساني القائم على محايثة الإنسان لذاته، كواقع معاش وليس بوصفه معيشاً كشيء مفروض من سلطة خارجية، ومرتبطة بوعي الإنسان ومشاعره وتفكيره الخاص، وهذا ناتج عن غياب المقدس الإلهي من المجتمعات العلمانية، بحيث أصبح ينظر إليه على أنه مجرد وهم، وقد حل محله المقدس الإنساني بأخلاق التضحية والمحبة القائمين على أساسي الحرية والإرادة.

وفي الوقت الذي نشهد فيه حركة علمنة الإله، نرى في الحداثة حركة تأليه الإنسان. هذا ما يصفه الجزء الثاني من مشروع لوك فيري الذي يلاحظ وجود ظاهرتين كدليل على هذا التحول: أولاً، عودة الأخلاق، ولكن ليست أخلاقاً متعالية بل أخلاقاً مبنية على الأصالة، وثانياً، الوجوه الجديدة للحب، مع إبراز مبدأ التبادل والطفل. يمكن أن نتبعه في تحليله لهذه الأخلاق الجديدة، من خلال الطريقة التي تقدم بها نفسها في التضحية والحب بعد أن فقد الإنسان في الحداثة التقنية كماله وأصالته وغاية وجوده، حيث تغطي الأدوات وذهنية الاستهلاك والاستلاب، هذه الحالة التي وصفها هيدغر بالمجتمع الذي يستدعي فيه الفعل فعلاً آخر بلا غاية.

أ- التضحية ليست مفروضة من الخارج، بل يتم القبول بها بحرية

يجب أن نلاحظ أولاً أن قدرة الإنسان على التضحية بقيت سليمة في الحداثة. في حين أن الأخلاق العلمانية الأولى، "التي بدت خالية من الإشارة اللاهوتية"، كانت لا تزال تحتفظ بفكرة الواجب المطلق<sup>1</sup>، فإننا قد دخلنا منذ خمسينيات القرن الماضي في "عصر ما بعد الواجب" بتعبير جيل ليوفيتسكي Gilles Lipovetsky (1944-). في الواقع، مثل هذا التحليل سطحي. فإذا كان الشعور بالواجب قد اختفى، فإن القيم لم تتلاش معه. لقد حلت الأصالة محل الواجب. كل فرد يريد "أن يكون نفسه". يمكن تفسير مثل هذه الأخلاق كرد فعل ضد الجدارة البرجوازية، وبالتالي تظهر كرفض للواجب، ولكنها تحمل قيمة خاصة بها: إنها تدعو كل شخص للانتقال من "أنا" غير أصيل إلى "أنا" أصيل فالقيم أصبحت داخلية. ما نلاحظه إذاً هو تحول بدلاً من استئصال أو اختفاء للأخلاق. وفقاً لـ **لوك فيري**، فإن اختفاء التسامي، سواء كان دينياً أو علمانياً، ليس إلا الجانب الآخر من "تقديس الإنسان". لقد دخلنا في مرحلة داخلية من التسامي، كما يظهر تماماً في التضحية، التي لا يزال معاصرونا قادرين على تقديمها لأنها تستمر في تمثيل قيمة بالنسبة لهم. فقط، لم يعودوا يبررونها بنفس الطريقة. "التضحية بالنفس، والأهم هنا، لم تعد اليوم مفروضة من الخارج، بل يتم القبول بها بحرية وتُشعر كضرورة داخلية"<sup>2</sup>.

يجب التركيز على هذا المثال للتضحية، الذي يشهد بالضبط، في نظر **لوك فيري**، على استمرار القيم. بالطبع، الدافع الذي يلهمها لم يعد مجد الله، أو الوطن، أو الثورة، بل ببساطة القلق على الآخر، لأنه إنسان، فالإنسان كإنسان يشكل دعوة فورية للمسؤولية. والتضحية هي إحدى علامات تأليه الإنسان، لكن كوننا نستطيع أن نضحى بأنفسنا بهذه الطريقة يشكل لغزاً، إن التضحية بالنفس، حتى لو كانت محصورة بأطفالنا، تظل في أعلى درجات الغموض، بغض النظر عن معنى هذه التضحية، "نحن نعيش أقل في نهاية القيم التضحية وأكثر في إنسانيتها"<sup>3</sup>. الأمر ليس اختفاءً للمقدس بقدر ما هو تحوله.

يعرض **فيري** أطروحته للإجابة عن سؤال المعنى والتي يتحقق للكائن البشري من خلالها الحياة الطيبة، من خلال تأكيده على مشروع الإنسانية العلمانية التي تقوم على تقديس الإنسان، وليوضح فكرته هذه يقدم مثالا بالتضحية التي تكشف عن قدسية الإنسان من خلال نبذ الأنانية وقيمة الحياة أيضاً لتحقيقها

<sup>1</sup>Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p115.

<sup>2</sup>Ibid, pp 120, 122.

<sup>3</sup>Ibid, p126, 127.

السعادة للجميع، ويشير إلى أن التاريخ الأوروبي عرف ثلاث تجسيدات للتضحية بالذات، الأول شعاره الموت من أجل الله ونتج عنه الحروب الدينية، والثاني شعاره الموت من أجل الوطن ونتج عنه الحربين العالميتين، والثالث شعاره من أجل الثورة والذي برز مع الشيوعية، لكن هذه الشعارات تراجعت مع ظهور العلمانية الإنسانية في أوروبا، أين أصبح الإنسان هو المقدس وهو الجدير بالتضحية<sup>1</sup>، التي هي اختيار وليست تحت إكراه خارجي وهذا ما أطلق عليه فيري أنسنة التضحية. وهنا تنشأ عاطفة المحبة التي وصفها بأنها ثورة الإنسانوية الجديدة.

يعتبر فيري أن التضحية من أجل المقدس تعد فضيلة إنسانية عليا، وهذا المقدس أضحي هو الإنسان، وهو يضحي للآخر من أجل الحب، فقيمة الحياة الإنسانية تقوم على الحب، وهذا هو المبدأ الميتافيزيقي الجديد، وهو مبدأ إنساني بطبعه مغاير لنظيره الكلاسيكي الذي ساد في عصر الأنوار وانحصر في العقل والتقدم والتأريخ والحقوق، أما الإنسانوية الثانية التي يؤمن بها فيري لم تعد تضحي بالإنسان لأجل مبدأ مثالي متعال وسام، حيث يجزم قائلا: "بأننا لا نعيش نهاية قيم التضحية، بل نعيش أنسنتها، بالانتقال من التضحية لفكرة دينية إلى التضحية للإنسان وأجله"<sup>2</sup>.

### ب- الزواج القائم على الحب وظهور العاطفة الوالدية

لم تعد القيم الأخلاقية والدينية والثورية والوطنية الكلاسيكية تستهوي الإنسان الذي أحجم عنها جميعا ماعدا الحب كقيمة عليا وفضيلة تبنى على أساس الاختيارات الفردية. وينوه فيري إلى الوجه المتعالي للحب حيث عندما يتحدث عن الحب يشير إليه على أنه شكل جديد للتعالي "إذ يفتح لنا الحب على كل حال تجربة ما نسميه مع هوسرل التعالي في محادثة الحياة أي أنه يعطي بعدا مقدسا للمعيش ذاته"<sup>3</sup>. فالحب هو نوع من تجاوز الذات نحو الغيرية ومن أجل الآخر، وهو سبيل للخلاص من المخاوف التي تفرق الإنسان خاصة حتمية الفناء والموت وصولا إلى السعادة والطمأنينة ولتحقيق ذلك يقول: "لكي ننجح في أن نكون سعداء بالرغم من الموت ليس موتنا فحسب لكن موت من نحب، لابد أن تجتمع أربعة شروط، وتحقق معا كما بين ذلك الفيلسوف المسيحي دوني مورو بامتياز، وهي: ألا يكون الموت هو النهاية، وأن تستمر الهوية

<sup>1</sup> لوك فيري، مفارقات السعادة: سبع طرائق تجعلك سعيدا، ترجمة: أيمن عبد الهادي، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، (دط)، 2018، ص112.

<sup>2</sup> لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص 107.

<sup>3</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كييلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص63.

الشخصية بعد الوفاة، وأن يكون ثمة اختلاف بين هيتنا التي نحن عليها الآن وبين الشكل الذي سنكون عليه بعد الموت، وأن يكون من المأمول أن تستمر حياتنا الأخرى بعد الموت طمعا في ظل ظروف سعيدة نسبيا بل سعيدة جدا"<sup>1</sup>.

يعتقد **لوك فيري** أنه يمكنه اكتشاف نفس حركة تأليه الإنسان في مجال آخر: الأسرة. بينما في القرون التي سبقت عصر التنوير، كان الحب يشغل مكانة محدودة كـ"مبدأ مؤسس للأسرة"، أصبح منذ القرن الثامن عشر العنصر الحاسم في اختيار الشريك. في الماضي، كان الزواج الجيد هو الزواج القائم على العقل، أما اليوم فأصبحت العلاقة العاطفية هي القاعدة. وتبدو الخصوصية أمراً مفروغاً منه. ومن هنا تأتي هذه الحقائق بالنسبة لنا، والتي لم تكن كذلك بالنسبة للأقدمين: "الحياة المشتركة مسألة شعور واختيار"، وهي جزء من المجال الخاص. هذا التطور في مفهوم الحب، الذي أدى إلى الزواج الحديث، المبني على الاختيار وليس الفرض، يرتبط بظهور العاطفة تجاه الأطفال<sup>2</sup>.

هناك سبب جوهري لهذا التطور في المشاعر: الفردية. في المجتمع المتساوي والفردية، الناشئ عن الرأسمالية، حيث يزيد وزن العواطف، يجب أن نبحث عن تفسير ذلك في حقيقة أن الأفراد مضطرون لتحديد مصيرهم بأنفسهم. فالفردية تجبر كل شخص على شق طريقه خارج حماية الجماعة، مما يؤدي حتماً إلى تسلل هذه المنطقية إلى العلاقات الإنسانية "وترفعها إلى مستوى الحب الحديث، الانتقائي والعاطفي"<sup>3</sup>. وبذلك، يصبح الحب الدنيوي هو الذي يعطي معنى لوجود الأفراد. كما ينتج عن ذلك أن الحياة أصبحت عالية المخاطر. هذه البنية الجديدة للمعنى تحمل في طياتها تهديداً بانحلالها الخاص، لأن الفرد، المطالب ببناء وجوده على الشعور، لم يعد لديه دعم من الإيمان الديني، ولا من مجتمع يسانده. يجد الزوجان أنفسهما في مواجهة -إذا جاز التعبير- وحيدة، مما يجعلهما في مواجهة شكل جديد من العلاقات الإنسانية.

يكشف هذا الجانب المأساوي للحب الحديث أنه بدون الوساطة من التسامي، أو من مصطلح ثالث يوحد، فإن الحب محكوم عليه بالفشل. إذ يقول **فيري**: "الشغف يحتاج للبقاء إلى مساواة تامة بين الحبيب والعاشق... أي خلل في توازن الحب يكون قاتلاً"<sup>4</sup>. وفي حال عدم القدرة على الحفاظ على التبادلية الكاملة، يمكن أن يلجأ الحب الشغوف إما إلى "إنكار الذات لصالح الآخر" (شخصية المعجب)، أو إلى

<sup>1</sup>لوك فيري، مفارقات السعادة، ص 13.

<sup>2</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p141.

<sup>3</sup>Ibid, p 146.

<sup>4</sup>Ibid, p152.

"إنكار الآخر لصالح الأنا" (أسطورة دون جوان)<sup>1</sup>. هنا نجد بعض الصفحات التي توضح بشكل جيد شروط الحب الناجح، والذي يفترض وفقًا لما يقوله **لوك فيري**، وجود تسامي يعبر عنه جيدًا مصطلح Agapè. يجب هنا إعادة قراءة التمييزات التي يقدمها بين Eros، Philia، وAgapè<sup>2</sup>، وهي ثلاث مصطلحات تشير إلى التحولات التي يجب أن يمر بها الحب إذا أراد مواجهة حقيقته. ونظرا لقيمة الحب في فكر **فيري** فهو يأخذ معانيه من اللغة اليونانية القديمة، ولذلك فهو يفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة لتحديد معنى الحب، وحسبه للفرقة في استعمالاتها يتطلب الأمر تدقيقا مفاهيميا كبيرا، فإن كان **إيروس** Eros فهو يدل على حب التملك المتميز بأنه غيور يأخذ ويستهلك، أما إذا كان **فيليا** philia فيشير إلى الابتهاج بوجود الآخر، أما عن **أغابي** Agapè فهو الحب المتعالي الذي يمنح للجميع بدون مقابل<sup>3</sup>.

أسس **فيري** أطروحته عن الحب برسم المعالم العامة للذهنية التاريخية والاجتماعية التي تمخض عنها مفهوم الحب وتحديدًا في القرنين الأخيرين، وهذا من خلال رصد تحولات الأسرة الأوروبية الحديثة، والتي طرأت عليها حسب التحولات التالية:

- تجاوز زواج المصلحة المبنى على غايات اجتماعية وإقتصادية تحت سلطة وتدبير الآباء إلى زواج الحب القائم على حرية القرار من طرف الزوجان، هذا النموذج الذي قلب النظام الاجتماعي الأوروبي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية<sup>4</sup>.

- نشأة الحياة الخاصة والاحتفاء بالعلاقة الحميمة.

- تحول الحب الأبوي للأبناء ليكون أولوية في أغلب العلاقات الأسرية، وهنا عرفت الأسرة مهام تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية وأخلاقية ونفسية وليس فقط تربية واقتصادية<sup>5</sup>.

ولقد ساهم في هذا الانقلاب المنظوري التحولات الاجتماعية والاقتصادية أين تم الانتقال من مجتمع مغلق ومتراتب إلى مجتمع فردي ومساوئي، وكذا التحول إلى النظام الرأسمالي الذي قدم الاستقلالية للرجال والنساء مما زاد من أهمية المحبة في العلاقات الشخصية في ظل تراجع الانتماء الديني واختيار السرديات الكبرى

<sup>1</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, pp 154, 156.

<sup>2</sup>Ibid, p 159.

<sup>3</sup>لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 63.

<sup>4</sup>لوك فيري، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ص 119، 120.

<sup>5</sup>لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 62.



التي كانت تدرج الفعل الفردي في أفق مشروع واسع وضبابية المستقبل ومزقت الأمل بالتغيير الجذري، والتصاعد الكبير للنزعة الفردانية أمسى يلقي حفاوة وقبول كبيرين لدى الإنسان المعاصر، الذي اهتم بالتعبير عن مشاعره بكل صدق وأهمها المحبة<sup>1</sup>. وما يستشف من هذه الأفكار أن هناك عاملين ساهما في نقل فكرة المقدس إلى موضوعات جديدة أكثر ذاتية ووجدانية، يتمثلان في تضخم العاطفة في تكوين العلاقات الأسرية، وتفلت الأفراد من سلطة التقاليد الجماعية والدينية القديمة، والحب وفقا لمنظور **لوك فيري** لا يختزل في مجرد الارتباط العاطفي، بل يجسد العلاقة الروحانية المتعالية والمقدسة ف "الحب يفرض نفسه بوصفه بعدا من أبعاد المطلق والمقدس في صميم وجودنا بالذات، والدليل على ذلك أننا مستعدون لكل شيء من أجل من نحب"<sup>2</sup>، بمعنى أن الحب أضحى مفهوما متعاليا ترانسندنتاليا، ولكن يبتعد عن العالم الأخروي ويتجذر في الأرض في قلوبنا بوصفنا بشر، وهو يضطرنا إلى تجاوز ذواتنا بحكم تعالي الآخر فقط، تعالي الشخص المحبوب الذي يتغلب على أنانيتنا الطبيعية، وهكذا فقط ينقلب المتعالي إلى المحايثة، وبهذا المتخيل الفكري يقدم **فيري** إجابته عن سؤال المعنى وتحقيق الحياة الطيبة للإنسان المعاصر.

يعود **لوك فيري** في الختام إلى فرضيته الأساسية، وهي أن "عملية نزع السحر عن العالم ببطء، والتي من خلالها تحدث أنسنة الإله، يقابلها تعويض بموازاة حركة موازية لتأليه الإنسان"<sup>3</sup>. هذا التأليه للإنسان، على الرغم من هشاشته، يحدث، كما رأينا للتو، أولاً في المجال الخاص للعلاقات الشخصية: الحب. وهكذا نرى إعادة تشكيل حالات جديدة من التسامي، حتى وإن كانت تعاش في الجوهر بين الأفراد، فإنها لا تقلل من تحديد مساحة جديدة للمقدس.

### ج- المقدس بوجه إنساني: نحو تقديس الجسد والقلب:

يمكن ملاحظة هذه التساميات، التي تمثل شكلاً من أشكال المقدس البشري، أيضاً على المستوى الجماعي. يوصف هذا التجاوز نحو الإنسانية ككل، من خلال التعاطف، ووفقاً لـ **لوك فيري** فإن علامات هذه الاهتمامات الجديدة، التي ليست نادرة، تتمحور جميعها حول الحفاظ على الإنسان ككيان. من بين

<sup>1</sup> جيل ليوفيتسكي، عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1، 2018، ص ص 68، 69.

<sup>2</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كييلي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص ص 64، 65.

<sup>3</sup> Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p 165.

هذه العلامات، يركز **لوك فيري** على ثلاثة: الجسد، العمل الإنساني، والفن. هنا أيضًا، يتعلق الأمر بتحول في المقدس بدلاً من اختفائه.

يشهد على هذا التحول أولاً تقديس الجسد البشري، والذي يظهر بوضوح من خلال تطور علم الأخلاقيات الحيوية: "الجسد البشري، على غرار جسد المسيح، أصبح هيكلًا. لكن الإلهية التي يحتضنها تبدو غير موجودة. إنها تشير إلى روح لا يمكننا تسميتها، حتى وإن استمرت الفكرة في داخلنا. الإلهية غادرت السماوات، وأصبحت وفقًا لنبوءة هيغل، متجسدة"<sup>1</sup>. هناك أيضًا تقديس للمشاعر، يتجلى في العمل الإنساني، فالدين الجديد أو دين الإنسانية قد ولد". مقارنة بأسلافه -الصدقة المسيحية على المستوى الديني وفلسفة حقوق الإنسان في عصر التنوير- يتميز العمل الإنساني بشمولية لم تتحقق من قبل. لا يغفل **لوك فيري** عن التناقضات التي يعاني منها العمل الإنساني: صدقة زائفة، وصدقة استعراضية، فلسفة زائفة تستبدل التفكير بالعاطفة، سياسة زائفة، "ذريعة للكسل والجبن"<sup>2</sup>. كل هذه الاعتراضات لا ينبغي أن تخفي ما يكشفه العمل الإنساني: استمرار الشر الجذري في العالم الحديث، ولكن أيضًا الاعتراف الضمني بأن كل إنسان مقدس وأن هذا الاعتراف يجب أن يشع في السياسة والثقافة.

يظهر المقدس أيضًا في الفن والسياسة، وإذا لم يكن ظهوره في الفن مفاجئًا بالنسبة لنا، فإن ظهوره في المجال السياسي أكثر دهشة. يوضح **لوك فيري** ذلك، فبعد الجانب التقني والتكنوقراطي للسياسة، يحلم بسياسة أخرى، حيث تلتقي البعد اليهودي (العدالة) والبعد المسيحي (الصدقة)، أي سياسة تستمد روحها من "الفيلية" (philia)، والتي في ذلك الوقت ستكون قادرة على إعادة إحياء حياتنا. فهو يتبنى هنا رؤية السياسي الأمريكي **جون رولز** John Rawls (1921-2002) الذي يعتبر أن: "المجتمع العادل هو المجتمع الذي، من جهة، يحترم الحريات الشكلية، ومن جهة أخرى، يكون أكثر ملائمة للفئات الأقل حظًا بين أعضائه. نهاية الكلام، أو تقريبًا"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 172.

<sup>2</sup> Ibid, pp 183, 199.

<sup>3</sup> Ibid, p 224.

### د- الإنسانية للإنسان-الإله

برفضه من جهة الإنسانية المسيحية، البعيدة جدًا عن المثالية الديمقراطية، ومن جهة أخرى الإنسانية الملحدة، لأنها "تقود إلى الإلحاد والمادية"، يصبح **لوك فيري** مدافعًا عن إنسانية تدعو في جوهرها إلى الحرية ضد كل الحتميات. ولصالح هذه الإنسانية الروحية والمقدس الذي تنطوي عليه، يقدم خمسة حجج:

1. نحن لا نتوقف، دون أن ندرك ذلك، عن وضع قيم أسمى من الوجود.
2. هذه القيم تحتفظ بجزء حتمي من الغموض: فهي تفلت من أي إثبات.
3. إنها تنسج رابطًا بين البشر، مما يملأ نفس الدور الذي كانت تلعبه الديانة في الماضي.
4. يمكن وصف هذه القيم بأنها مقدسة — "ما من أجله يمكن تقديم تضحية" — ولكن مقدسًا متجذرًا ليس في الوحي، بل في الإنسان.
5. أخيرًا، لها علاقة بالأبدية، حيث يشعر الإنسان الغارق في الزمن بأنه "مطلوب من الخارج، رغم أنه يجهل كل شيء عنه، سوى أنه بحاجة إليه"<sup>1</sup>.

يتميز **فيري** بين الفعل الأخلاقي كممارسة والقيم الروحية التي يبنى عليها أطروحته الفلسفية في الخلاص، وقد جعلها مرتكزة بالحب والمشاعر الإنسانية، وليعطينا صورة أكثر دقة ووضوح عن أهميتها قدم أمثلة عن تجسيدها كالمنظمات الحقوقية المناهضة للعنصرية والتعصب ولحماية البيئة والأقليات العرقية... الخ<sup>2</sup>.

نتج عن حركة التفكيك والعدمية ونسف المقولات المتعالية والمقدسات التي جاءت بها السرديات الفلسفية الكبرى ظهور إنسانية ثانية تختلف تمامًا عن إنسانية عصر النهضة والأنوار وإنسانية **ديكارت** و**كانط** و**فولتير**، وإنسانية العقلانية وحقوق الإنسان، فهي تتجاوز إنسانية القرن الثامن عشر التي بقدر ما حررت الإنسان أدت إلى الإمبريالية والاستعمار في المقابل، وبقدر ما حققت الرفاه والرخاء المادي للإنسان بقدر ما جعلته مسلعة ومستلبا ومستهلكا، لهذا فهي إنسانية ما بعد كولونيالية وما بعد ميتافيزيقية، يمكن وصفها بأنها إنسانية ارتقاء الآخر والحب. فكانت إثر ذلك ثورة الحب نتاج ثورة صناعية متوحشة، فالحبة في

<sup>1</sup>Ibid, pp 236, 241.

<sup>2</sup>إبتسام حاج شريف وعبد القادر شارفي، إتيقا السعادة وفلسفة الخلاص عند **لوك فيري**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد 15، عدد 2، الجزائر، 2023، ص 97.

أفق الإنسانية الجديدة هي بمثابة ثورة تسعى لترسيخ قيم جديدة للحياة البشرية، قوامها المحبة التي اعتبرها فيري مبدأ ميتافيزيقيا متخطيا للهوة الفاصلة بين الأنا والآخر، ومانحا المعنى الذي نبحت عنه في حياتنا سواء للفرد أو المجتمع، وهكذا يتحقق الخلاص، ومن أجل ذلك اعتبرها فيري دين جديد.

### 3- مشروع لوك فيري الإنساني: مقارنة نقدية:

إن تشخيص لوك فيري لصالح إنسانية الإنسان-الإله يتقاطع مع تشخيص مارسيل غوشييه، على الأقل في نقطتين: من جهة، نحن قد خرجنا من الدين، بمعنى أن الدين قد توقف عن تشكيل المجتمع، مما يجبر الأفراد والمجتمع على إيجاد الدوافع للتجاوز داخل أنفسهم. حيثما توقف الدين، لا سيما الدين المكشوف، عن تشكيل الحياة الفردية، تمكنت أشكال علمانية (الأيديولوجيات) من أن تأخذ مكانه. ومع ذلك، إذا كان الفرد قد عاش في نشوة معنى ديني كان قائماً على نحو ما، أو معنى علماني، الذي فشل، فهو الآن متروك لنفسه، مضطراً لتحمل وحده مسألة وجوده الخاص. يكتب لوك فيري: "إذا لم يكن البشر في بعض النواحي آلهة، فلن يكونوا أيضاً بشرًا. يجب أن نفترض فيهم شيئاً مقدساً أو أن نقبل بتقليصهم إلى الحيوانية"<sup>1</sup>. ومع ذلك، فإن هذا التشخيص يتطلب تقييماً نقدياً يمكن أن يركز على نقاط الآتي ذكرها، والتي تبرز المفارقات والتعثرات النظرية والعملية لأطروحة لوك فيري.

#### أ- تقمص الروحانيات:

تميز الفكر الغربي المعاصر باستعارته لفكرة الروحانيات والتعالي من الأديان، خاصة من قبل الفلاسفة اللادينيين والملاحدة، محاولة منهم لإضفاء معنى للحياة، ومن أبرز هذه الروحانيات موضوع الحب الذي خاض فيه كثيرون على غرار لوك فيري الذي حاول بدوره رسم ذهنية روحانية تتجاوز الإطار الديني القائم على ممارسة الطقوس والشعائر، وبالتالي فهو ينفصل عن مفهوم الروحانية المتعالية في المحايث الإنساني، لكن لو نظرنا إلى هذه الفكرة نظرة ثابتة محصنة نجد أن الشعائر الدينية والطقوس التبعدية هي من تؤسس وتعزز الروحانيات، ذلك أن هذه الأخيرة يستحيل أن تنشأ من فراغ أو عدم<sup>2</sup>.

#### ب- أطروحة لوك فيري: إنسانية بدون إله

<sup>1</sup> Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p241.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمان، يؤس الدهرانية: النقد الإيماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014، ص 140، 146.

إذا كان السؤال يعتبر لا مفر منه، فإن **لوك فيري** يرى في الوقت نفسه أنه لا يوجد مكان خارج الإنسان للعثور على إجابة له. يبدو له أنه من المستحيل العودة إلى الوراء، من خلال استعادة هيبة التجاوز سواء كان دينيًا أو علمانيًا (أيدولوجيات). نحن في لحظة تاريخية حيث جميع التجاوزات في تراجع، بحيث أن الفرد، في نهاية القرن العشرين، يواجه مهمة غير مسبقة: حل مسألة المعنى بنفسه. لا أحد يمكنه الوصول بالإرادة إلى نهايتها بدلاً عنا. في هذا السياق، لم يعد الله سوى استعارة للمعنى النهائي الذي يقدمه كل شخص أمام نفسه. إنه رمز لامتلاء المعنى، معنى المعنى. إذا لم يكن موجودًا في المصدر لتأسيس المعنى (الفعل لا يحتاج إلى أساس سلطوي)، فهو يوجد في النهاية، كأفق للمعنى الذي يعود لكل شخص أن يمنحه لنفسه. إنسانية الإنسان-الإله هي أولاً إنسانية بدون إله، التي تلقي على عاتق الإنسان مسؤولية اختراع مستقبله، دون سيد.

كيف يمكن الحفاظ على قوة نظام قيم خالٍ من أي أساس؟ هذه مسألة طرحت منذ ظهور المجتمعات الديمقراطية. القيم التي يرى **لوك فيري** أنها تزدهر هناك تبدو وكأنها زهور مقطوعة من جذورها المسيحية. في غياب سلطة خارجية، قد يكون مركز الالتزام قد انتقل إلى داخل الوعي، لكنه وعي لم يعد مدعومًا إلا بنفسه. لقد تلاشى المطلق في زوال وجود الأفراد. تظل مسألة: لماذا يجب علينا أن نكون أخلاقيين؟ دون إجابة في النهاية. لمعالجة هشاشة الالتزام هذه، كان **برنار هنري ليفي** (Bernard Henri Lévi) (1948-) قد اخترع في زمنه "الخيال التوحيدي" لليهودية: خارج هذا الموقع التوحيدي وما يترتب عليه، لا توجد حقوق إنسان لا تكون دائمًا حقوق جثة الإنسان. ولكن ما هو وزن خيال عندما يتعلق الأمر بتأسيس معنى العمل، يجب هنا التذكير بعبارة **ماكس هوركهايمر** (Max Horkheimer) (1895-1973)، مهما كانت إعادة صياغته، فالحفاظ على معنى غير مشروط دون الإله هو وهم.

يفضل **لوك فيري** في النهاية الاعتراف بالجهل على الدوغمائية الدينية، التي تربط القيم بمصدر متعال، وهو ما يشعره بخيبة الأمل من كل الماديين والمسيحيين. ويقر بأن هذه اللامعينة تثير الانزعاج. لدى الماديين، لأنها تعترف بتجاوزات تهرب من منطق العلم والأنساب -لدى المسيحيين- لأنها تجبرهم على إعادة صياغة معتقداتهم بعبارات قد تكون أخيرًا متوافقة مع مبدأ رفض حجج السلطة. ثم إن إعادة صياغة المعتقدات لا تعني بالضرورة تغييرها -يشعر **لوك فيري** بالقرب من المسيحيين، ولا سيما من مثالية حبهم- ولكن يعني

وضع مصدرها ليس خارج الإنسان، بل في قلوب البشر، مع الاعتراف بالجهل فيما يتعلق بكيفية نشوء هذه القيم. يعترف **لوك فيري** بأنه يواجه لغزاً، وهو ما يعد على الأقل علامة على التواضع.

### ج- التباس مفهوم التعالي:

أخذ **فيري** مفهوم "التعالي في المحايث" أو "التعالي المقارن" من فيلسوف الفينومينولوجيا **إدموند هوسرل** الذي تناولها في صدد معالجته لموضوع القصدية التي يتمتع بها الشعور الإنساني حيث تدفعه نحو موضوعات العالم الخارجي، هذا ما يمكنه من التعايش معها بواسطة شعوره وخبراته، مما يعني أن الصفة الخارجية للعالم تتكون داخل الشعور نفسه، ولكن هذا المفهوم التباس على **فيري** وذلك كونه "أنزل الشعور بسمو القيمة نفس الرتبة التي ينزلها الشعور بثبوت العالم في الخارج، فانتقل من الدلالة النفسية إلى دلالاته الأخلاقية، أي استبدل بوجود الوعي وجود الضمير، بحيث لم يعد لفظ التعالي يفيد أن الذي يوجد خارج الشعور هو العالم المادي وإنما هو العالم الروحي"<sup>1</sup>.

يبدو أن **فيري** لا يستطيع الانتقال بسلاسة من فكرة التجاوز في السياق الاستيمولوجي الكانطي إلى فهم متعمق للتجاوز الأنطولوجي الذي يركز على الفرد نفسه، بحيث لا يمكن للمفهوم الكانطي للتجاوز كمشروع عالمي للفرد البشري أن ينزل بسهولة إلى مفهوم التجاوز الأنطولوجي المرتكز على هذا الفرد عن طريق استخدام الصفات الغامضة أو المقدسة. وإذا كان الإنسان هو الله، فيجب أن يكون هو الخالق لكل شيء، ومع ذلك يعترف **فيري** بأن ليس هذا هو الوضع، في هذه الحالة، لا يكون الإنسان هو الله، ومن الأفضل الامتناع عن اللعب بكلمات التجاوز أو الله. يبدو أنه في هذه الحالة يفضل الانضمام إلى البراديجم الذي اقترحه **هيغل**، إذ يتعين على الإنسان أن يدرك حالته المؤقتة والمميتة وغير المثالية، سواء فردياً أو جماعياً، وأن التجاوز داخل هذا الانحدار ليس له تفسير آخر سوى مشاركة الإنسان في التجاوز الإلهي. ولا يفسر هذا التجاوز لله بفقدان التقدير الحر للإنسان ولا أيضاً محدودية الإله للخلق بأسره. ثم إن مفهوم "الإنسان المؤله" يثير مفارقة واضحة، إذ يجمع بين صفتين متناقضتين: التعالي المقارن أو في المحايث والمميز للإنسان، والتعالي المفارق المميز للإله، ومهما بلغ الإنسان في شعوره بالقيم المتعالية فلن يبلغ مرتبة الألوهية، إذ يستحيل له أن يتجاوز حالته النسبية المتناهية إلى حالة مطلقة لامتناهية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، يؤس الدهرانية، ص ص 67، 68.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 68.

### د- أطروحة مشكوك فيها فيما يتعلق باللاهوت

تبقى الأطروحة التي يقدمها **لوك فيري** غير مقبولة من وجهة نظر اللاهوت المسيحي، وكذا بقية الأديان. وذلك أولاً بسبب الاستخدام المفرط لمفهوم الإنسان-الإله، الذي يعاني من غموض كبير. يدعي **فيري** أن هذا اللقب المطبق على الإنسان مبرر من الإنجيل: «قال لهم يسوع (لليهود): 'أليس مكتوباً في قانونكم: أنا قلت: أنتم آلهة؟'» (يوحنا 10، 32-34)<sup>1</sup>. لكن تفسيره لهذا النص يبقى محل نقاش. بالنسبة للمسيحي، فإن «الإنسان-الإله» له معنى دقيق: يشير إلى المسيح وبالتمثيل، إلى كل إنسان باعتباره مخلوقاً على صورة الله ومدعواً لمشاركة حياته. أما عند **لوك فيري**، فإن الإنسان-الله هو مفهوم علماني تماماً: الإنسان الذي يصبح إلهاً، أو يكتشف بعداً مقدساً فيه.

على الرغم من أنه على صواب عندما يبرز أن الإنسان هو «أكثر» من إنسان كحامل للقيم، في مواجهة تقليص مادي للإنسان، إلا أن هذا التفسير، الذي يتجنب نعمة الإله، هو رومانيا أكثر من كونه مسيحياً. علاوة على ذلك، لا يمكن إلا أن نعارض الفكرة التي يحملها **لوك فيري** عن الوحي: عمل «خارجي»، سلطوي ويفرض نفسه كمرسوم اعتباطي على الإنسان. لا يمكن إنكار أن للوحي جانباً خارجياً، بقدر ما يعيدنا في النهاية إلى حدث تاريخي، وهو المسيح. لكن هذا الحدث، مهما كان غير متوقع، ليس خارجياً عن الإنسان، وإلا لكان سيبقى غير قابل للتفسير. كان القديس **أوغسطين** Augustin (354-430) حساساً بالفعل لهذه المسألة. كان يعتقد أنه من المستحيل فهم الكلمة المتجسدة خارج ارتباطها بالكلمة الداخلية، لأن الداخلي هو الذي يصدق الخارجي: الله هو **لبولتمان**، الإنسان يمكنه أن يوافق على الوحي التاريخي بفضل فهمه المسبق، دون أن يستعبد. ولتجاوز البساطة الخارجية، يميز **راهنر** في التواصل الذاتي للإله بين جانب تصنيفي (وجودي، تاريخي) وجانب ما ورائي (وجودي، داخلي). الجانبان لا ينفصلان. **فيري** لديه فكرة عن الوحي تبدو، على أقل تقدير، قديمة<sup>2</sup>.

يظهر **لوك فيري** في هذا السياق كمنتج متأخر لعصر التنوير في القرن الثامن عشر، الذي لا يقبل سوى العقل كسلطة معترف بها. كان **كانط** قد لخص روح هذا العصر بشكل مثالي عندما دعا إلى أعمال العقل والتحرر من أي سلطة. في هذا السياق العقلاني، يُخفض الوحي إلى حالة مؤقتة، تصبح منتهية عندما

<sup>1</sup>Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p242.

<sup>2</sup>Miruna Craciunescu, *La pensée 68 : un pamphlet sur l'anti-humanisme ?* Université McGill, Montréal, 2012, pp 14, 18.

يظهر العقل. لقد كان الوحي للإنسانية عكازاً يمكن للعقل الناضج أن يستغني عنه. وفقاً لوك فيري، يُحتزل الوحي، كما هو الحال مع مفكري التنوير، إلى نواة أخلاقية، إلى مجموعة من القيم، لكن هذه القيم في النهاية تعتمد على تحديد العقل الداخلي فقط. كان هذا بالفعل موقف كانط، وليسينغ (Lessing 1729-1781)، وآخرون. يتجاهل لوك فيري مثلهم ماهية الوحي، ليس كإضافة للحكمة، ولكن كحدث مدرج في التاريخ، صليب المسيح، الذي لا يحاول في أي لحظة استيعاب معناه للوجود. يبقى غير متأثر بالمنطق المسيحي. وهذا يطرح سؤالاً أكثر أساسية من الناحية التفسيرية.

#### هـ- مفارقة الحب المندس:

لم يفصل فيري في عرض تصوره عن الحب ومحاولته تبيان مكانته المقدسة بالنسبة للإنسان المعاصر بين نوعيه: "حب الشهوة" و "حب الشوق"، مع ترجيحه لكفة الأول على الثاني كونه يحقق للإنسان تجربة المعيشة المتعالية، وقد أطلق على هذا النوع من الحب اسم "حب الهوى"، وقد جعله في موقع مضاد لكل من الكره والموت والفقد، ويعتبر أن ملازمة آثار الكره والموت للإنسان الحديث دالة على تجذر العد المأسوي للوضع البشري عموماً، كما يوضح أن الكره يتضمن ألماً فيزيقياً، والموت يمنع اللذة الحسية، وبالرغم من ذلك فإنه يجعل من حب الهوى في مرتبة راقية تضاهي حب الشوق ولا يخفى أن هذا النوع الأخير هو الذي يدفع القلب إلى طلب كمال الخلق وتمام اللذة الروحية، ولا يسكن إلا في الخلود إلى جوار المحبوب<sup>1</sup>.

#### و- معضلة الأسئلة المعلقة:

يمكن أن نلمس غياب الانسجام في المنطوق الداخلي المؤسس للفلسفة الإنسانية الجديدة كما تبناها وعرف بها فيري، لهذا يكتنفها قصور نظري في تقديم إجابات مضبوطة حول عدة مشكلات جوهرية، مما يضع أطروحته موضع ضعف المعقولة والارتباك المعرفي خاصة وأن الإنسان عملياً فضولي بطبعه يبحث دائماً عن إجابات لأسئلته وتفسيراً للغموض الذي يحيط به، وهذا ما نلمسه في القضايا التالية:

- إن الطرح الفيري يفتقد للحجاج والتأسيس العقلاني فيما يخص قيمة الإنسانية المتعالية، إذ يعول على مخاطر نفى التعالي الذي يؤدي إلى زوال إنسانية الإنسان نفسه، هذا الأمر ليس غريباً عن فلاسفة الحداثة وما بعدها، ابتداءً من ديكارت إلى هوسرل تضمنت أفكارهم الفلسفية قيماً ودلالات فوقية متعالية

<sup>1</sup> طه عبد الرحمان، يؤس الدهرانية، ص 69.



(خارج العالم)، وذلك تحت عناوين من قبيل: الحقائق الأبدية، الأفكار الفطرية، الموجودات العليا، المقولات القبلية...

- إن الإقرار بأن الإنسان المعاصر لا بد له أن يبني حياته على العواطف والمشاعر خاصة الحب والغرام حتى يصبح لها معنى ويعيش حياة طيبة كما دعا إلى ذلك فيري، وفي المقابل التخلي عن السند الإيماني العظيم وعن التقاليد الاجتماعية الكلاسيكية أو كما أطلق عليه القروية والعشائرية، مما ينذر بتعرية الكائن الإنساني من كل الدعامات الروحية والنفسية مع تعريض روحه العارية لمعاناة ألم الفقد والخيانة والموت والكوارث والفشل العاطفي فيسقط الحب المثالي والمتعالي من برجه العاجي<sup>1</sup>.

- إن ربط الحياة الطيبة بالحب في الوقت الراهن في بناء علاقتنا مع الآخر خاصة بين الزوجين كما أقر بذلك فيري، أفضى إلى شيوع الفشل في العلاقات وحدوث الانفصال، وقد تجلّى ذلك في تقنين الطلاق. ويمكن تفسير ذلك أن تراجع العوامل التقليدية العائلية والاقتصادية في اختيار شريك الحياة، وفي المقابل جعل قرار الزواج قضية شخصية قائمة على حرية اختيار الطرفين والتي غالبا ما يكون أساسها الحب والعشق والغرام، مما يؤدي إلى بناء أسرة على أسس عاطفية، لكن هذه المشاعر الفياضة في البداية ومع تقادم الوقت ينطفئ لهيبها، إذ أن الشريكان يصعب عليهما الحفاظ على قوة عشق البدايات وتحويلها إلى علاقة مستمرة وصداقة حميمة دائمة<sup>2</sup>. ويعزى ذلك إلى كون المجتمعات المعاصرة قد قدست الحب بحيث أصبح الفرد يكرس كل طاقاته الفكرية والنفسية وكل ممارساته له، بل ويبنى عليه آمال وتوقعات كبيرة، أي أن الحب صار "تجسيدا علمانيا للخلاص" وهذا ما يساهم في حدوث التباعد والطلاق من أول خيبة أمل أو هفوة<sup>3</sup>، فقد وُكِّل للزوجة مهام أن تكون العشيقة الجذابة والصديقة المؤنسة والزوجة المتفهمة والأم المعطاءة المضحية، بل و أن تحافظ على هذه الأدوار مع تقدم العمر وكثرة المشاغل، هذا إضافة إلى النجاح الوظيفي والاجتماعي، ومن ناحية أخرى مطلوب من الزوج أيضا أن يكون عشيقا بارعا وزوجا داعما ورجلا ناجحا وأبا متميزا، إن هذه النظرة المضخمة للطرف الآخر هي ما يؤدي بالعلاقة إلى التلاشي والزوال من أول نكبة أو مشكلة.

يمكن القول في نفس السياق أن للحب كعلاقة مقدسة روحية وجه آخر سلمي ووحشي في بعض الأحيان يتمثل في ألم الفناء أي الفقد والخسارة والموت كأمر حتمي لا مفر منه، مما يفقد الطرح الفيري

<sup>1</sup> أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة: جورج كتورة وإلهام الشعراي، مكتبة الشرقية، ط1، 2009، ص 299، 298.

<sup>2</sup> لوك فيري بالتعاون مع كلود كبليلي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص 327، 328.

<sup>3</sup> أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ص 297.

عقلانيته حول فكرة ترسيخ المعنى وتوفير الحياة الطيبة حد الذي يجعلنا نصفها بالمجازفة المخيفة بالكينونة الروحية، ويعتبر تبرير فيري لهذه المشكلة مثير للحيرة، فهو يقترح أن على الكائن الإنساني أن يسلح نفسه بمنطق "حكمة الحب" من خلال ربط المحبة بالموت، أي توقع نهاية العلاقة بالموت من أجل البحث عما ينبغي القيام به وبكل فرح مع أولئك الذين نحبهم والذين سنفقدهم، إلا إذا فقدونا هم قبل ذلك، لكنه يعترف بعد ذلك بلسانه: "أنني بعيد كل البعد عن امتلاك هذه الحكمة، ومع ذلك فأنا متأكد من وجودها، ومن أنها تشكل تنويجا لإنسانية متخلصة من أوهام علم ما وراء الطبيعة ومن الدين"<sup>1</sup>. وبلوغ الطمأنينة أمام هذا التهديد بالفقدان النهائي لا يتحقق حسبه إلا ببلوغ الشروط الأربعة الأنفة الذكر، لكن بالتأمل جيدا في هذه الشروط نجد أنها تتوافق مع ما نادى به المسيحية والإسلام كذلك.

يمكن أن نلاحظ بجلاء مما تم عرضه من أفكار فيري الثغرات النظرية والعملية التي يعاني منها مشروعه الفكري خاصة في محاولة الإجابة عن سؤال المعنى والرؤية إلى الوجود، كما نلمس بشكل عام هشاشة الأطروحات المعلمنة البديلة في تخطيطها لمركزية سؤال أصل الإنسان والكون ومصيرها بدعوى تقويض الميتافيزيقا، ومنه رفض إنتاج السرديات الكبرى التي قدمت إجابات للإشكاليات الكبرى المتعلقة بالإنسان<sup>2</sup>. هذا ما يصوغ الفشل الذريع الذي مس الإنسان المعاصر في محاولاته لتأسيس المعنى بمعزل عن بناء سردية مكتملة ومعقولة ومتسقة، فغياب السرديات الكبرى يأتي من المبالغة في التمرکز حول الإنسان والانقطاع الروحي ورفض التقاليد والعقائد مما يحصر فكر الإنسان في زاوية مكانية لا زمانية، وتنحصر حياته الباطنية بالوجود العيني مما يفقد العلاقة الوجودية الأصيلة بالنفس وبالغير.

#### ي- الحاجة الملحة إلى تفسير آخر

ما هو مطروح فعلياً في هذا النقاش هو مسألة التأويل. كيف نقرأ؟ يقرمارتن لوثر Martin Luther (1483-1546) بأن الكتاب المقدس هو أنف من الشمع؛ يمكن استخراج أي شيء منه ويمكن استخدامه لتبرير كل شيء. فالعقل كما يفهمه لوك فيري في سياق التنوير يستمع بالمعنى الحرفي وبتصميم إلى كل ما قد يأتي من الخارج، أو بشكل أدق، إذا لم يمنع نفسه من استشارة النصوص المؤسسة للمسيحية، فإنه يخضعها لألوية عقلانية ليستخرج منها فقط ما يعرفه بالفعل. قراءته تتماشى مع فكرة سبينوزا الذي استخلص من

<sup>1</sup> لوك فيري، تعلم الحياة، ص 384، 385.

<sup>2</sup> ستيف بروس، روحانية العصر الجديد بديلا عن العلمنة: بطلان الديانة الفردية، ترجمة: رامي طوقان، مجلة الاستغراب، عدد 2، ديسمبر 2016، ص 191، 205.

الكتاب المقدس قانوناً أخلاقياً، لكنه يتجاهل المعطى التاريخي، أي ما يميز الجدة في الإنجيل. ولكن للوصول إلى هذه الجدة، يجب على العقل ألا يتخلى عن نفسه ولكن أن يبدأ بأن يصبح متقبلاً. يجب أن يتعلم من التقليد الكنسي، الذي هو مفتاحه النهائي المسيح. كما يعتقد القديس أوغسطين بأن أي نقطة يتردد فيها عقل الإنسان عند سماع الكتاب المقدس، لا يتعد عن المسيح. عندما يُكشف له المسيح في هذه الكلمات، فليعلم أنه قد فهمه، لأن المسيح هو نهاية الناموس لتبرير كل من يؤمن به.

يتم قياس كل شيء بالنسبة إلى **لوك فيري** بمقياس إنسانية ضمنية، وقد كان هذا بالفعل شعار **فيورباخ**. ففي الوقت الذي لاحظ فيه آخرون مثل **توماس هوبز** أن الإنسان ذئب للإنسان، كان لودفيغ **فيورباخ** يحلم بمستقبل يكون فيه الإنسان إلهًا للإنسان. هل يقدم **لوك فيري** شيئاً مختلفاً؟ لكن، إذا كان يلاحظ أن الإنسان، من خلال القيم التي يروج لها، يتسم بدعوة إلى الألوهية، فيجب أن يعترف أن دعوته تؤدي في النهاية إلى الفراغ. من هذه الزاوية، قد يكون مرة أخرى قريباً من **مارسيل غوشيه**، على الرغم من المظاهر، عندما يشير إلى أن الرجال أصبحوا الآن بين بعضهم البعض، ويكشفون لهم الوهم فموت الله ليس الإنسان الذي يصبح إلهًا، مستعيداً الوضع المطلق الواعي لنفسه الذي كان قد أعارته له، إنه الإنسان الملزم صراحةً، على العكس، بالتخلي عن حلم ألوهيته الخاصة. عندما تختفي الآلهة، يتضح فعلياً أن البشر ليسوا آلهة. في هذا السياق، بدلاً من إنسانية جديدة، من المشروع رؤية في مثالية الإنسان-الإله سراباً جديداً.

وعند إغلاق مشروع "الإنسان المؤله" لـ **لوك فيري**، نجد أنفسنا أمام لغزين تم مواجهتهما ولكن لم يتم حلهما من قبله: للكائنات الموجودة، حيث يعترف بأن الإنسان ليس صانعاً لها ولكنه مجرد محرف للمعنى الذاتي السائد والزائف والقابل للاستخدام للفهم التفسيري البشري. وللشر وحتى للشيطاني، حيث لا يستطيع أن يقول شيئاً آخر سوى الإشارة إلى كلمة "غموض" إذ يصرح: "إن الشر ليس له سبب، هذا الجواب سيخيب آمال العلماء. ومع ذلك، فإنه أقل تفتناً مما يبدو، إنه يشير إلى أن الغموض يكمن وفقاً لتعبير **كانط** في أعماق الروح البشرية. ولكن المهم أن يكون هناك غموض في الشر، كما في الخير بالتأكيد، حتى يمكن لـ **الجانين** المكونين لفكرة الأخلاق أن يحصلوا على معنى ببساطة"<sup>1</sup>.

إن توصيف الشر كـ "غموض" -الذي لا يرضي من الناحية المعرفية- هو أكثر إحباطاً حتى من الناحية العملية والتجريبية. إنه المشكلة المركزية التي يطرحها العمل الإنساني اليوم أمام الرأي العام: مشكلة

<sup>1</sup>Luc Ferry, L'homme-Dieu ou le sens de la vie, p79.

استمرار الشر الجذري في عالم يسعى ليكون حديثاً، في عالم حيث قامت الغالبية العظمى من الدول بتوقيع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وذلك تحديداً للغموض المحيط بالشر، كان على مجتمعاتنا العلمانية، الحالية من الكلمات والمفاهيم المناسبة الرد. ومع ذلك يمكن القول أن اقتراحات **لوك فيري** حول الإنسانية الروحانية أو المتعالية بدون إله آخر سوى الإنسان نفسه، بكل حدوده وحاجياته لا تؤدي إلى أكثر من تضامن يسعى لامتناس الدم ولكنه لا يتوقف ينبوعه.

من ناحية إيجابية، يجب الاعتراف بأن **لوك فيري** حافظ على إحساس حاد بالغموض — أو على الأقل لحدود العقل، بالمعنى الكانطي، فليس من الشائع أن نجد ذلك عند معاصرنا. من ناحية، يرفض ملء هوة الشر: فهذا لا يُفسر لا بالعلم الاجتماعي (السياق) ولا بالنفسية فقط (الماضي الثقيل)<sup>1</sup>. من ناحية أخرى، رغم أنه يلاحظ ظهور القيم في الوجود، يعترف بصدق أيضاً أن مصدرها يبقى لغزاً. ما الذي يمكن أن يفسر هذا التعالي للقيم التي تفرض عليّ الخروج من ذاتي لدرجة أن أضحي من أجلها، دون حتى أن تبرر سلطتها؟ هذه هي المتطلبات النهائية لهذا الإنسان: فهو «يقبل أخيراً أن يعتبر التعالي الآخر متوافق مع الإيمان بالذات، كما لو أنها من داخل الذات ومشاعرها، تُمزق الأطر الضيقة للإنسان المنادي»<sup>2</sup>. هذه الحركة نحو الآخر التي تخرج كل فرد من نفسه ليس لها تفسير سوى الجاذبية الجذابة للقيم. في هذه النقطة، يتقاطع **لوك فيري** مع أخلاقيات **إيمانويل ليفيناس** (Emmanuel Lévinas) (1906-1995)، حيث يوليان الأولوية للآخر على الذات. الأولوية التي تشكل بداية مطلقة، دون مبرر، وتترك كل فرد في مواجهة لغز وجوده الخاص.

وكقراءة نقدية لهذا الفصل يمكن القول بأن التطورات التي حققتها العلوم والتقنيات للإنسان قد منحتة مجالاً للفعل يتسع يوماً بعد يوم، ولكن بقدر ما يفتح هذا التطور والانفتاح اللامشروط على التقنيات الفائقة آفاقاً لتحسين البشرية، وبناء فاعل جديد فائق، بقدر ما تثير مخرجاته الكثير من المخاوف، فإن كان الهدف هو السيطرة على الكيان البيولوجي الإنساني، فإن هذا يعتبر تمهيداً لفصل الإنسان عن ماهيته على نحو يقود إلى اغترابه عن ذاته الإنسانية، كنتيجة أولى للتحكم التقني.

<sup>1</sup>Luc Ferry, *L'homme-Dieu ou le sens de la vie*, p 97.

<sup>2</sup>Ibid, p 158.

خلاصة:

من خلال ما ورد ذكره في ثنايا هذا الفصل نصل إلى النتائج التالية:

- يتخذ فيري موقفاً توفيقياً بين الاتجاه البيومحافظ والاتجاه البيوتقديمي، ولا يخفي إعجابه بهذا المشروع الذي يعتبره أمر حتمي.
- إن مشروع الإنسانية المتحولة لا يقضي على الحقوق التي نالها الإنسان، بل يسعى إلى تعزيزها وتوسيع دائرة المستفيدين منها، لهذا ينبغي تعديل معيار منح الحقوق من الطبيعة البشرية الثابتة إلى الوعي.
- تتجسد الكرامة بمعناها المعاصر فيما نحن عليه، وما لدينا من القدرة على أن نصبح عليه ضمن سياقنا التكنولوجي والاجتماعي أي الكرامة كجودة، ومن هذا المنطلق فإن كرامة الإنسان وكرامة الإنسان المعزز متوافقتين.
- أعطت الإنسانية المتحولة حلاً ناجعاً للتفوق الإنساني بيولوجياً، لكنها غابت الجانب الروحي له، لهذا اقترح فيري مشروعه التكميلي المتمثل في إنسانية المحبة، فهي بمثابة ثورة تسعى لترسيخ قيم جديدة للحياة البشرية.



## خاتمة



## خاتمة:

من الصعوبة بمكان أن نجد إجابة مضبوطة لموضوع كهذا يخص مستقبل الإنسان وعلاقته بالمجال البيوطي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي، فهو شديد الإرباك فيما يطرحه من مواضيع، وتزداد الصعوبة أكثر عند محاولة الإحاطة بحركة أشد انجذابا للمستقبل، ولكن بناء على كل ما ورد في فصول ومباحث هذه الأطروحة يمكن القول بأن مشروع الإنسانية المتحولة يقود نحو تحول حتمي وإيجابي لحياة الإنسان، خاصة بعد أزمة غياب معنى الحياة التي أفرزتها النزعات العدمية، ولهذا اعتبر فيري بأنها أفضل من قدم بديل فكري لجعل حياة الإنسان جديرة بالعيش، الأمر الذي جعل منها ليس مجرد فلسفة للحياة البيولوجية، بل هي فلسفة للإنسان بكل أبعاده، ولإضفاء طابع أكثر إنسانية عليها دعمها فيري بمشروعه المتمثل في إنسانية المحبة.

ويمكن حصر النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

- تعد الإنسانية المتحولة من المفاهيم المعروفة والهامة في الوقت الحاضر، فقد أثرت على العديد من المجالات المعاصرة مثل الفلسفة والأدب والاقتصاد والسياسة والدين على مدى العقود القليلة الماضية، حيث تركز أهدافها حول التطور التكنولوجي في الوقت الحاضر بسبب التقدم الصناعي في المجتمع، والاستخدام اليومي المتزايد للتكنولوجيا، كما أشارت إلى تفكيك مفهومنا عن الإنسان، وتعمل على تحويل نظام قيمنا المجتمعية إلى بعد جديد يحمل معه مفهوما مختلفا للكائن الحي البشري من خلال تقدم التقنيات الحيوية.
- يعد تحقيق الخلود وتمديد الحياة المسعى الأساسي لهذه الحركة، ولبلوغ ذلك تنتهج نهجين أساسيين، الأول بيولوجي، يتمثل في إعلاء القدرات الجسدية والعقلية والنفسية للإنسان، وذلك من خلال الاستعانة بالتقنيات الفائقة، وهذا ما يشجع عليه **لوك فيري**، أما الثاني يعتمد على الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية للوصول إلى مرحلة التفرد، أين يتخلص الإنسان من جسده نهائيا، ويحافظ على وعيه الذي يبقى خالدا وقائما في كل زمان ومكان، وهذا ما دعت إليه ما بعد الإنسانية التقنية، لكن فيري يتحفظ على هذا الرأي ويعتبره أقرب للخيال منه للواقع أو مجرد يوتوبيا مقارنة بالنهج الأول.

- يربط فيري بين مجالين أساسيين في عرض أفكاره عن الإنسانية المتحولة، وهما: المستقبل البيولوجي والروحي للهوية البشرية والنظام الاقتصادي الجديد أو التعاوني، ووفقا له، فإن الثورتين الجينية والاقتصادية

تعتمدان على نفس البنى التحتية التقنية، ونفس الأسس الفلسفية، ونفس الأيديولوجيات السياسية، ويتم تمويلها من قبل نفس الشركات متعددة الجنسيات، ناهيك عن أنهما يهدفان إلى منح الإنسان السيطرة على مصيره.

- يصل فيري إلى نتيجة مفادها أنه لم يعد الوقت مناسباً لتحديد ما إذا كنا قادرين على مواكبة هذا التحول والتكيف معه، إذ نحن بالفعل في خضم العاصفة. فالصحافة والمجلات العلمية والأدب الحديث والسينما والإذاعة، من خلال تقديم رواياتها الخاصة لما يمكن أن يكون عليه الإنسان الفائق في عالم ما بعد الإنساني، تقوم بإبلاغنا وتنبيهنا وتذكيرنا يومياً بانزلاق مجتمعتنا ووجودنا وإنسانيتنا نحو عالم مختلف وغير معروف. وعليه أصبح من الضروري التفكير بشكل مختلف في الإنسانية ومستقبلها، وتحيل العقاب المحتملة لأوهامنا، وتحديد حدودها.

- لذلك ينبغي أن يتحمل أهل العلم وصانعي القرار مهمة صياغة عقد سياسي وقانوني وأخلاقي جديد يضبط ممارسات هذه الحركة، أو كما اطلق عليه فيري "التنظيم".

- وبهذا يتخذ فيري موقفاً وسطياً، حيث يدعو إلى تنظيم مشروع الإنسانية المتحولة بدلاً من رفضها كلياً أو تبنيها دون قيود.

- كما تضعنا محاولات التحكم التقني علمي في مستقبل الإنسان ومحاوله تغييره أمام وضعين من الوجود: وجود بشري كما هو، ووجود آخر لم تتحدد ماهيته بعد، أي أن تغيير معايير الطبيعة لم يصل إلى نهايته بعد ما فتح باب النقاش الأخلاقي حولها، إذ تترنح الرؤى في الاتجاهين التاليين:

**الأول:** ينادي بالحذر واليقظة والحرص على مستقبل البشرية، حيث أن الانجرار مع تيار الإنسانية المتحولة قد يفقدنا طواعية طبيعتنا البشرية، وما نعينه أن نكون بشراً، ونتحول بذلك إلى أنموذج لإنسانية تموت معها الإنسانية الحاضرة.

**الثاني:** يسلم بأن التجديد الذي أتى به مشروع الإنسانية المتحولة، هو لحظة لاحقة في مسيرة الإنسانية نحو التقدم، وبهذا يمكن عده مخرجاً للسعادة والرفاه، يقود إلى تفوق الإنسانية القادمة على الإنسانية الراهنة.



- يقارن **لوك فيري** بين الطموحات التي يروج لها أنصار التقدم البيولوجي والمخاوف التي يثيرها المحافظون البيولوجيون، بهدف وحيد يتمثل في حث الجميع على التعامل مع كلا الجانبين بقدر من التوازن والمسافة، حيث يمتلك الرأي العام الحرية في اتخاذ مواقف متطرفة أو معتدلة اتجاه قيم الإنسانية المتحولة أو البيوتخفضية.

- وبين المتشائمين والمتفائلين، لا بد من الخوض في نقاشات حرة واعية ومسؤولة حول مستقبل الطبيعة البشرية ومقولاتها في ضوء مشروع الإنسانية المتحولة، وفي ضوء الإنسانية البديلة التي رسم أفكارها بعمق **لوك فيري**.

**وكوجهة نظر خاصة يمكن الإقرار بأن الإنسانية تعمل جاهدة لتتجاوز ذاتها نحو أفق يفوق واقعها،** أملا في بلوغ الكمال، هذا ما يخلق تحديا للإنسان في بي حد ذاته، إذ أن عصر الإنسانية المتحولة يتجه بنا نحو أزمت جديدة أخلاقية ودينية وقانونية وسياسية، ما يجعل الإنسان يعيش صراعا داخليا مع ذاته. فضلا عن أن فكرة تحول الإنسان إلى كائن ما بعد بشري قد تكون في حد ذاتها مهينة، ناهيك عن أن ما بعد الإنسان قد يشكل تهديدا للبشر العاديين، خاصة إذا أصبحت مثل هذه التقنيات في يد هيئات غير حكومية أو متطرفة. . وإن كان هذا المشروع يحرر الإنسان جزئيا لكنه يخلق من جهة أخرى عالما سلطويا دكتاتوريا جديدا نتيجة أن التقنيات الفائقة تكون محصورة على الأقلية التي تمتلك الثروة لاقتنائها وتملكها، وبالتالي تفرض تبعا لذلك قانونها وسلطانها على باقي أفراد المجتمع.

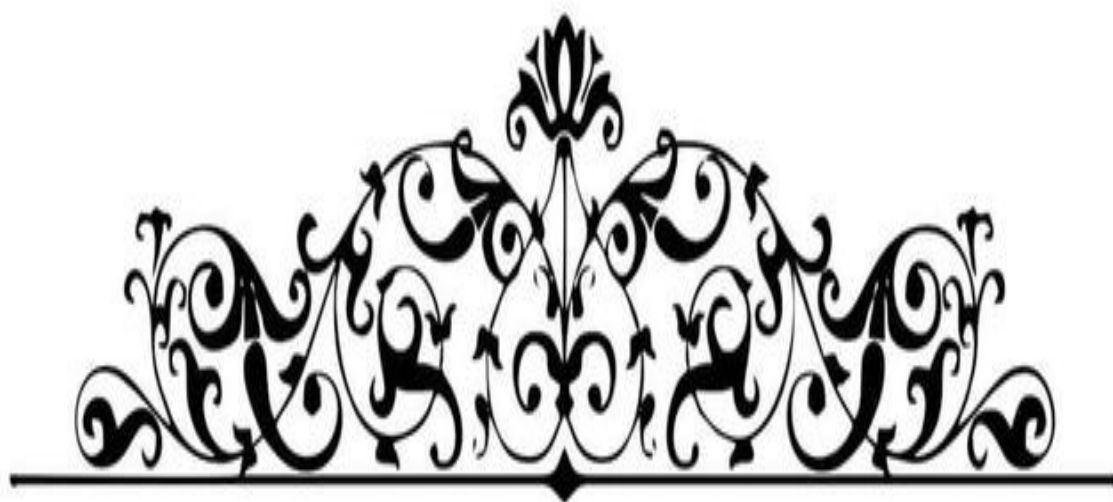
ثم إن ما يدعيه أنصار هذه الحركة من حرية الإنسان وزيادة شعوره وإدراكه لذاته، يبدو أنه بعيد عن التحقق، فكيف يتحقق ذلك وهم من البداية حددوا ما يجب أن تكون أو ستكون عليه البشرية، مما يمثل القضاء الكامل على جوهر حرية المجتمعات البشرية تحت نداءات التطور العلمي والتكنولوجي.

أما من الجانب الأخلاقي، فإن محاولتها تقديم معايير أخلاقية بديلة، لا يجعلها تضمن القيم الراسخة ككرامة الإنسان وحرية وهويته، فقد يسير به المطاف إلى فقدان إنسانيته ذاتها. هذا ما يبعث على الخوف والتوجس لأنه إلى غاية الآن لا شيء علمي أو طبي يضمن على نحو مطلق أن يتوجه تعزيز الإنسانية إلى الأحسن، فقد ينتهي إلى ما هو أسوء. فضلا عن أننا إذا نظرنا إلى المسألة من الناحية الدينية التقليدية نجد أن فكرة التحكم في الطبيعة البشرية هو تدنيس للجسد، لأن الله وحده الذي يحتكر هذا الفعل.

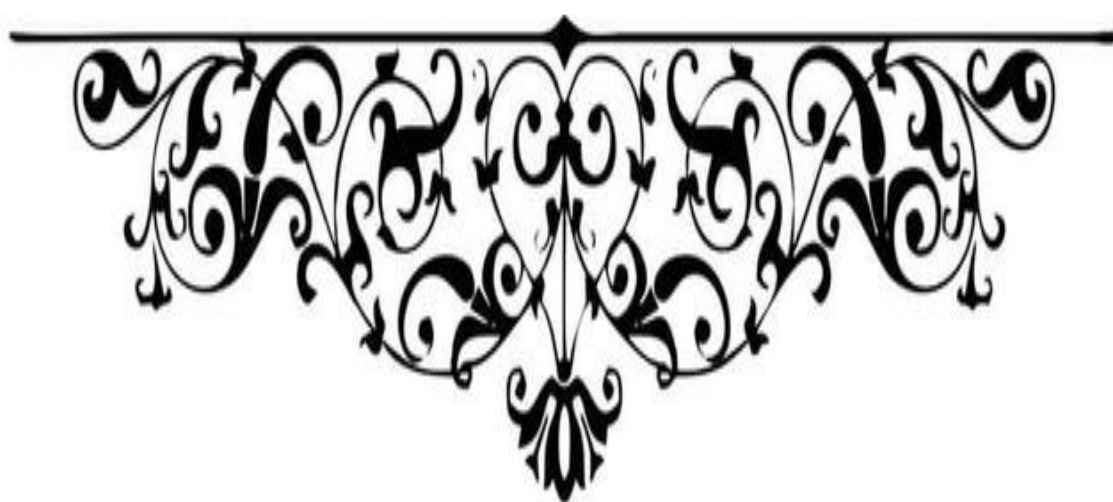
وبناء على ذلك ينبغي على العلماء أن يغربلوا بحوثهم في هذا المجال، مع الحرص على تكوين لجان أخلاقية وقانونية ليتم المحافظة على الجنس البشري الطبيعي وضمان الشروط الملائمة لاستمراره، فإنسان اليوم يعيش أزمة قيمية وفي حاجة إلى إتيقا جديدة ترسم حدود الفعل الإنساني وتمنعه من أن يهدم العالم ويهدم ذاته.

وكمحاولة لفتح آفاق جديدة لهذا النوع من الدراسات يمكن القول أنه على الرغم من أن بعض آفاق هذه الحركة تثير الرعب، كما يصفها أشد مؤيديها حماساً، إلا أنها تحمل قيماً للمستقبل، وأمثلاً في عالم مختلف عما نعرفه، ولكنه متناغم مع حقائقه. وعليه نختم هذا العمل بطرحنا لبعض الأسئلة كوجهة نظر خاصة، مع ترك الأخذ فيها للقارئ الكريم:

- فبغض النظر عن مدى ظلام المستقبل الذي رسمته الإنسانية المتحولة بالنسبة لبعض الناس، أليس هو الطريق الضروري والإلزامي والمنقذ الذي يجب أن تسلكه الإنسانية للخروج منه أقوى؟
- هل نحن مقتنعون جداً بأننا فريدون ولا يمكن الاستغناء عنا، في تصورنا الجسدي والروحي، بحيث لا يمكن لأي شكل آخر من الحياة أن يضاهينا، أو حتى يتفوق علينا؟
- هل يمكن رؤية مواجهة قادمة ستحصل بين الإنسان وإنسان ما بعد الإنسانية؟
- هل سيكون إنسان اليوم في مستوى هذا التحدي؟
- أين نحن كمجتمع عربي إسلامي وينتمي إلى دول العالم الثالث من مخرجات هذا المشروع؟
- كيف يمكن لمجتمعاتنا الإسلامية أن تتكيف مع هذه التحولات الثقافية والاجتماعية والأشكال الجديدة من الوجود؟



# الفهرس





# فهرس الأعلام



الصفحة	اسم العلم
—أ—	
	إدموند هوسرل: 310-308-300-247-18
	أدولف هيتلر: 127
	إراسموس: 16-14
	آرثر كابلان: 233
	أرسطو: 246-63-12
	إريك ديكسلر: 43
	إسحاق أسيموف: 148-106-103
	أفلاطون: 89-72
	ألبرتو ماسالا: 166
	الدوس هيكسلي: 285-133-99-98-41
	ألكسندر مواتي: 137
	ألين بوكانان: 272-268-266
	أندري بارتك: 111
	أندريه كومت سبونفيل: 293-159
	أوبري دي غراي: 112-81-71
	أوغسطين: 309
	إيان ويلموت: 130
	إيلون ماسك: 160-159-45
	إيمانويل شاربنتييه: 132
	إيمانويل كانط: 310-294-280-278-201-20-18-17-12
	إيمانويل ليفيناس: 314
	إيهاب حسن: 48

-ب-
<p>بول ريكور: 227</p> <p>بيار بورديو: 37</p> <p>بيتر سلوتردايك: 242-239-238-193-192-156-72-55-41</p> <p>بيل جيتس: 159</p> <p>بيير تيلار دي شاردن: 214-209-207-54-40</p> <p>بيير جوزيف برودون: 12</p> <p>برنارد هنري ليفي: 307</p>
-ت-
<p>تشارلز داروين: 156-88-86-85-61-42-23</p> <p>تشارلز ساندرس بيرس: 116</p> <p>توم مورو: 114</p> <p>توما الإكويني: 17</p> <p>توماس أسهوير: 238</p> <p>توماس هوبز: 313-83</p> <p>تيم بيرنز-لي: 167</p>
-ج-
<p>جاك إلول: 254-208-72</p> <p>جاك دريدا: 75-57-37-28-27</p> <p>جاك لاكان: 37-27</p> <p>جاك لوفيفر: 16</p> <p>جان بودريار: 129-75</p> <p>جان بوفريه: 24</p> <p>جان دوكير فاسدو: 191</p>

- جان فرانسوا ليوتار: 75-27
- جان لامارك: 85-61
- جان لويس ماندل: 150
- جان ميشيل بيسنييه: 242-52
- جان-ميشيل ترونغ: 216-150
- جورج أورويل: 163-99
- جورج فوليت: 13
- جوليان هيكسلي: 238-237-87-54-42-41-40
- جون أرشيبالدويلر: 153
- جون باسمور: 25
- جون برودون ساندرسون هالدين: 40
- جون جاك روسو: 292-245-83-82-50-28-18-17
- جون دانيال: 73
- جون دوناهو: 113-112
- جون ديوي: 116
- جون ستون: 159
- جون ستيوارت ميل: 184
- جون فون نيومين: 55
- جون كلير: 73
- جون ماكارثي: 96
- جون هاريس: 269-268-267
- جيرمي بينتام: 116
- جيرمي ريفكين: 320-180-179-178-174-167-164-163-162
- جيل دولوز: 22

<p>جیل لیوفیتسکی: 299</p> <p>جیلبرت هوتوا: 181-119-49-44-18</p> <p>جیمس لوفلوك: 147</p> <p>جیمس هیوز: 116-55-33</p> <p>جیمس واطسون: 130</p> <p>جینیفر دودنا: 132</p> <p>جیوفانی بیک دو لا میراندول: 245-236-146-55-47-36-19-17</p>
-خ-
خوان کارلوس بیلمونتي: 66
-د-
<p>دانیل دینیت: 86</p> <p>دو لا مارکیز کوندورسیه: 245-146-85-84-83-49-47-36-17</p> <p>دونا هارای: 155-150-139-72-54-53</p> <p>دیفید بیرس: 115</p> <p>دیمیتری ایتسیکوف: 152-117-71</p>
-ر-
<p>رایموند کیرزویل: 240-235-214-207-158-146-116-70-55-47</p> <p>روبرت کایو: 167</p> <p>روبرت ایتنجر: 42</p> <p>روزي بریدوني: 29-28</p> <p>رونیه دیکارت: 291-211-201-148-144-82-19</p> <p>ریتشارد فینمان: 91</p>
-ز-
زیغمونت باومان: 29



-س-
<p>ستيرلارك: 156-109</p> <p>ستيف هورفيت: 67</p> <p>ستيفان جوناري: 116</p> <p>ستيفان لودوك: 125</p> <p>ستيفن هوكنغ: 159</p> <p>سقراط: 15</p> <p>سيغموند فرويد: 28-25-21</p>
-ش-
<p>شيشرون: 277-276-275-13</p>
-ط-
<p>طوماس هيكسلي: 87-40</p>
-غ-
<p>غادامير: 28</p> <p>غاليلي: 242</p> <p>غيوم بوديه: 16</p>
-ف-
<p>فرانسيس كام: 233</p> <p>فرانسيسكو بيتراركا: 16</p> <p>فرانشيسكا فيراندو: 52-49-48</p> <p>فرنسيس بيكون: 36</p> <p>فرنسيس غالتون: 126</p> <p>فرنسيس فوكوياما: 283-248-246-228-227-226-223-222</p> <p>فريدريك بالمنت: 116</p>

<p>فريدريك جوزيف هربرت: 72</p> <p>فريدريك نيتشه: 21-22-23-24-26-27-75-88-89-192-242</p> <p>فريدريك هيغل: 295-308</p> <p>فريدون إم. إسفندياري: 42</p> <p>فولتير: 19-201-305</p> <p>فيرنور فينج: 146</p> <p>فيليب ك. ديك: 74-104-106-107</p>
-ك-
<p>كاثرين هايليز: 54</p> <p>كارل ماركس: 17-21-53-75-88-184</p> <p>كريج فنتر: 132</p> <p>كريستن بيترسون: 43</p> <p>كلود ليفي ستروس: 30</p> <p>كوبرنيك: 87</p> <p>كورت بينتوس: 21</p>
-ل-
<p>لودفيغ فيورباخ: 313</p> <p>لوسي إريغاري: 29</p> <p>لوك فيري: 15-17-18-25-45-46-62-162</p> <p>لوي ألتوسير: 27</p> <p>لويز ويسلنج: 76</p> <p>لويس باستور: 186</p> <p>ليسينغ: 310</p> <p>ليون كاس: 223-281-282-285</p>

-م-
<p>مات ناجل: 112</p> <p>مارتن لوثر: 312</p> <p>مارتن هيدغر: 290-88-72-27-26-25-24-22</p> <p>مارشيل غوشيه: 313-306-297-290</p> <p>مارفن مينسكي: 152</p> <p>مارك رو: 116</p> <p>مارك زوكربيرغ: 157</p> <p>مارك هونيادي: 61</p> <p>ماري شيلي: 98</p> <p>ماكس مور: 246-245-196-114-88-68-58-57-46-43-33</p> <p>ماكس هوركهامير: 307</p> <p>مانفرد كلاينز: 137</p> <p>مايكل ساندل: 234-233-232-231-230-229-223</p> <p>ميتسيو كاكو: 92-70-44</p> <p>ميشيل سير: 156</p> <p>ميشيل فوكو: 290-193-89-75-72-57-37-28-27-26-25</p>
-ن-
<p>ناتاشا فيتا مور: 115-114-57-42</p> <p>نathan كلاين: 137</p> <p>نعوم تشومسكي: 75</p> <p>نوربرت وينر: 157-153-151-140-61</p> <p>نوريو تانيجوشي: 91</p> <p>نيك بوستروم: 286-245-235-197-190-116-115-103-70-45-43-33</p>

<p>نيكولا ساركوزي: 87</p> <p>نيل هاريسون: 185-140-113-108</p>
- ه -
<p>هانز مورافيك: 235-155-151-146-65</p> <p>هانس بيرجر: 112</p> <p>هانس يوناس: 285-196-195-30</p> <p>هي جيانكوي: 134</p>
- و -
<p>ويليام جيبسون: 103-100-73</p>
- ي -
<p>يورغن هابرماس: 272-250-239-238-235-234-229-223-203-193</p> <p>يوفال نوح هراري: 44</p>



# فهرس المصطلحات



المصطلح باللغة العربية	المصطلح باللغة الفرنسية	المصطلح باللغة الإنجليزية
الأخلاق الحيوية	Bio Ethiques	Bio Ethics
أطفال الأنابيب	Enfants Eprouvettes	In-Nitro Fertilisation
الاقتصاد التعاوني	Economie Collaborative	Collaborative Economy
الاكتمال	Perfectibilité	Perfectibility
الإكستروپيا	Extropie	Extropy
الإنترويا	Entropie	Entropy
الانتقاء الطبيعي	Sélection Naturel	Natural Selection
الانجاب الاصطناعي	La procréation Artificielle	Artificial Reproduction
الإنسان العابر	Transistor Humain	Transitory Human
إنسان آلي	Robot	Robots
الإنسانية الأنثروبولوجية	Anthropotechnique	Anthropotechnics
الإنسانية المتحولة	Transhumanisme	Transhumanism
الإيكولوجيا العميقة	Ecologie Profonde	Deep Ecology
البوذية	Boudhisme	Buddhism
البيولوجيا التحفظية	Bioconservatisme	Bioconservatism
البيولوجيا التقدمية	Bioprogressime	Bioprogressim
البيولوجيون التقدميون	Progressive Biologistes	Biological Progressive
البيولوجيون المحافظون	Conservateurs Biologistes	Biological Conservatives
التحسين	Amélioration	Improvement
تحسين النسل	Eugénisme	Eugenetic

<b>Positive Eugenic</b>	<b>Eugénisme Positive</b>	تحسين النسل الإيجابي
<b>Evolution</b>	<b>Evolution</b>	التطور
<b>Biologic Evolution</b>	<b>Evolution Biologique</b>	التطور البيولوجي
<b>Technologic Evolution</b>	<b>Evolution Technologique</b>	التطور التكنولوجي
<b>Enhancement</b>	<b>Renforcement</b>	التعزيز
<b>Inequality</b>	<b>Inégalité</b>	التفاوت
<b>singularity</b>	<b>Singularité</b>	التفرد التكنولوجي
<b>Singularitarism</b>	<b>Singularitarisme</b>	التفردية
<b>Progress</b>	<b>Progress</b>	التقدم
<b>Gene Editing Techcnics</b>	<b>Technique d'édition génétique</b>	تقنية التحرير الجيني
<b>Biotechnology</b>	<b>Biotechnologie</b>	التكنولوجيا الحيوية
<b>Nanotechnology</b>	<b>Nanotechnologie</b>	تكنولوجيا النانو
<b>Enlightment</b>	<b>Lumière</b>	التنوير
<b>Genome</b>	<b>Génome</b>	الجينوم
<b>Modernity</b>	<b>Modernité</b>	الحداثة
<b>Femenist Mouvement</b>	<b>Mouvement Féministe</b>	الحركة النسوية
<b>DNA</b>	<b>ADN</b>	الحمض النووي
<b>Stem Sells</b>	<b>Cellules Souche</b>	الخلايا الجذعية
<b>Eternity</b>	<b>Eternité/ Immoralité</b>	الخلود
<b>Cell</b>	<b>Cellule</b>	الخلية
<b>Technophobia</b>	<b>Technophobe</b>	الخوف من التكنولوجيا
<b>Artificial Intelligence</b>	<b>Intelligence Artificielle</b>	الذكاء الاصطناعي

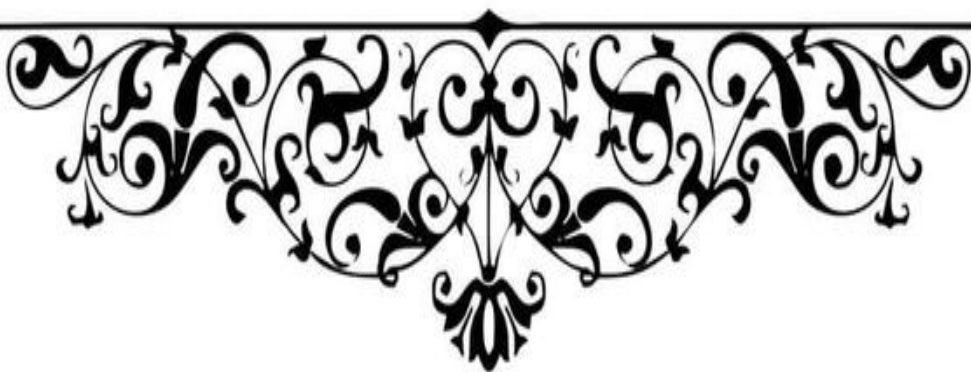
<b>Capitalism</b>	<b>Capitalisme</b>	الرأسمالية
<b>Nanorobotics</b>	<b>Nanorobotique</b>	الروبوتات النانوية
<b>Cyborg</b>	<b>Cyborg</b>	السايبورغ
<b>Biopolitics</b>	<b>Biopolitique</b>	السياسة الحيوية
<b>Cybernetic</b>	<b>Cybernétique</b>	السيبرانية
<b>Genetic Code</b>	<b>Code Génétique</b>	الشفرة الوراثية
<b>Antihumanity</b>	<b>Antihumanisme</b>	ضد الإنسانية
<b>Human Nature</b>	<b>Nature Humain</b>	الطبيعة البشرية
<b>Gene Therapy</b>	<b>Thérapie Génique</b>	العلاج الجيني
<b>Biology</b>	<b>Biologie</b>	علم الأحياء
<b>Genetic</b>	<b>Génétique</b>	علم الوراثة
<b>Cognitive</b>	<b>Science Cognitive</b>	العلوم الإدراكية
<b>Gnoticism</b>	<b>Gnosticisme</b>	الغنوصية
<b>Spiritual Philosophy</b>	<b>Philosophie Spirituelle</b>	الفلسفة الروحية
<b>Holiness</b>	<b>Sainteté</b>	القداسة
<b>Human dignity</b>	<b>Dignité humain</b>	الكرامة الإنسانية
<b>New Liberation</b>	<b>Libéralisme Nouvelle</b>	الليبرالية الجديدة
<b>Posthumanism</b>	<b>Posthumanisme</b>	ما بعد الإنسانية
<b>Materialism</b>	<b>Matérialisme</b>	المادية
<b>Anthropocentrism</b>	<b>Anthropocentrisme</b>	المركزية البشرية
<b>Equality</b>	<b>Egalité</b>	المساواة
<b>Informatics</b>	<b>Informatique</b>	المعلوماتية
<b>The new nti-tech advocates/ Neo- ladittes</b>	<b>Les nouveaux opposants a la technologie</b>	مناهضي التقنية الجدد



<b>Humanism</b>	<b>Humanisme</b>	النزعة الإنسانية
<b>The Theory of Evolution</b>	<b>La Théorie de l'évolution</b>	نظرية التطور
<b>Genetic Engineering</b>	<b>Ingénieur génétique</b>	الهندسة الوراثية
<b>Human Identity</b>	<b>Identité human</b>	الهوية الإنسانية
<b>Technophilia</b>	<b>Technophilics</b>	الولع بالتكنولوجيا
<b>Transcendance</b>	<b>Transcendance</b>	التعالي



## قائمة المصادر والمراجع



1- قائمة المصادر:

أ- المصادر باللغة العربية:

- 1- لوك فيري بالتعاون مع كلود كبللياي، **أجمل قصة في تاريخ الفلسفة**، ترجمة: محمود بن جماعة، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2015
- 2- لوك فيري، **ما جدوى الفلسفة المعاصرة**، ترجمة: إسماعيل مجيعط وآخرون، مجلة مدارات فلسفية، عدد 16، المغرب، 2008
- 3- لوك فيري، **الإنسان المؤله أو معنى الحياة**، ترجمة: محمد هشام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2022.
- 4- لوك فيري، **ألكسندر لورون، نقد الأنوار**، ترجمة: المصطفى باري، مجلة مدارات، عدد 16، المغرب، 2008.
- 5- لوك فيري، **تعلم الحياة: سأروي لك تاريخ الفلسفة**، ترجمة: سعيد الوالي، مراجعة: زهيدة درويش، أبو ظبي للثقافة والتراث، (دط).
- 6- لوك فيري، **مفارقات السعادة: سبع طرائق تجعلك سعيدا**، ترجمة: أيمن عبد الهادي، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، (دط)، 2018.

ب- المصادر باللغة الفرنسية:

- 1- luc Ferry, Alain renaut, **la pensée 68 :Essai sur l'anti-humanisme contemporain**, Gallimard, Paris, 1985
- 2- Luc Ferry, **Discartes : je pense donc je suis**, le Fiagro, paris, 2013
- 3- Luc Ferry, **Kant et les lumières : la science et la morale**, le Fiagro, paris, 2013
- 4- Luc Ferry, **L'homme-Dieu ou le sens de la vie**, Grasset, Paris, 1996
- 5- Luc Ferry, **L'innovation destructrice**, Flammarion, Paris, 2014
- 6- Luc Ferry, **La révolution transhumaniste : comment la technomédecine et l'uberisation du monde vont bouleverser nos vies**, plon, un département d'édit8, paris, 2016
- 7- Luc Ferry, **Le Nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal, l'homme**, édition Grasset, Paris, 1992
- 8- Luc Ferry, **Mythologie et philosophie : les sens des grands mythes grec**, Plon, le fiagro, 2016

- 9- Luc Ferry, **Nietzsche : la mort de dieu**, le Fiagro, paris, 2003
- 10- Luc Ferry, **Philosopher à dix-huit ans**, Grasset, 1999
- 11- Luc ferry, **Pic de la Mirandole : la naissance de l'humanisme**, le Fiagro, paris, 2013.

ج- المصادر باللغة الإنجليزية:

- 1- Luc Ferry, Alain Renaut, **French philosophy of the sixties :an essay on Antihumanism**, translated by : Mary H.S Cattani, British library cataloguing in publication data, london, 1990.

2- قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- إبراهيم بن عبد الله الرماح، الإنسانية المستحيلة: إشكالات تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر، مركز دلائل للنشر، الرياض -السعودية، ط2، 2019.
- 2- أبو حيان التوحيدي، مسكويه، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أدهم صقر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009.
- 3- إدوار كليتر وآخرون، الإنسان المزيد، ترجمة: شاكرا جميل، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، (دط)، 2019.
- 4- إشراف علي عبود المحمداوي، خطابات المابعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
- 5- إلزا غودار، أنا أسلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة وتقديم: سعيد بن كراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2019.
- 6- السيد محمد بدوي، مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندرسيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 1995.
- 7- إمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2002.
- 8- أوديل روبر، الاستنساخ والكائنات المعدلة وراثيا، ترجمة: زينة دهبي، مكتبة المجلة العربية، الرياض، ط1، 2015.

- 9- أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة: جورج كتورة وإلهام الشعراني، مكتبة الشرقية، ط1، 2009
- 10- أولغا تشيتفيريكوفا، ديكتاتورية المستنيرين: روح الإنسانية العابرة وأهدافها، ترجمة: باسم الزعبي، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2020.
- 11- تحرير أحمد عمرو، ما بعد الإنسانية: العوالم الافتراضية وأثرها على الإنسان، آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، (دط)، 2022
- 12- تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، (دط)، 2018.
- 13- جاك إلول، خدعة التكنولوجيا، ترجمة: فاطمة نصر، دار سطور، مصر، ط1، 2004.
- 14- جان غاتينيو، أدب الخيال العلمي، ترجمة: ميشيل خوري، طلاسدار، دمشق، ط1، 1990.
- 15- جان كير برج أولسن وآخرون، موجات جديدة في فلسفة التكنولوجيا، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2018.
- 16- جون جاك روسو، أصل التفاوت بين البشر، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (دط)، 2013.
- 17- جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل: أدب الخيال العلمي، ترجمة: رؤوف وصفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (دط)، 2005.
- 18- جون جلاد، التطور البشري المستقبلي: تحسين السلالات في القرن 21، ترجمة: محمود المليجي، المبدأ للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2013.
- 19- جيباني فاتيمو، نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، (دط) 1998
- 20- جيريمي ريفكين، الثورة الصناعية الثالثة: كيف تغير القوة الموازية الطاقة والاقتصاد والعالم، ترجمة: سعيد الحسينية، الدار العربية للعلوم ناشرون، (دط)، (دت)
- 21- جيريمي ريفكين، الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة، ترجمة: صباح صديق الدمولوجي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (دط)، 2009.

- 22- جيل ليوفيتسكي، عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط1، 2018.
- 23- حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، أطيايف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2014.
- 24- حميد زناز، من الإنسان المعالج إلى الإنسان المعدل: رؤى فلسفية، منشورات التوحيد، المغرب، ط1، 2023.
- 25- رالف بارتون بيرى، إنسانية الإنسان، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، منشورات مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، (دط)، 1961.
- 26- راي كيرزويل، عصر الآلات الروحية: عندما تتخطى الكمبيوترات الذكاء البشري، ترجمة: عزت عامر، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ط2، 2010.
- 27- روجيه غارودي، البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1979.
- 28- روزي بريدوتي، ما بعد الإنسان، ترجمة: حنان عبد المحسن مظهر، سلسلة عالم المعرفة، عدد 488، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2021.
- 29- سامي محمود، لا للشيخوخة المبكرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1993.
- 30- سوزان شنايدر، الخيال العلمي والفلسفة من السفر عبر الزمن إلى الذكاء الاصطناعي، ترجمة: عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011.
- 31- الشيخ مرتضى فرج، الداروينية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مصر، ط1، 2017.
- 32- صلاح عثمان، الداروينية والإنسان: نظرية التطور من العلم إلى العولمة، منشأة الإسكندرية، (دط)، 2001.
- 33- طه عبد الرحمان، بؤس الدهرانية: النقد الإيماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2014.
- 34- عاطف أحمد، النزعة الإنسانية: دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ط2، 1999.
- 35- عاطف وصفي: كوندورسييه، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت)

- 36- عبد الحسن الحسيني، مستقبل البشرية: هندسة العقل والبشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإمارات، ط1، 2023.
- 37- عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدغر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت-لبنان، (دط)، 2000.
- 38- عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة: قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 39- فتح الله شيخ، محمود موسى، قصة النانوتكنولوجيا حاضرها ومستقبلها، المكتبة الأكاديمية، مصر، (دط)، 2009.
- 40- فرانسوا جاكوب وآخرون، الإنسان في مهبط التقنية: من الإنسان إلى ما بعده، ترجمة: محمد أسليم، مطبعة بلال، المغرب، (دط)، (دت)
- 41- فرنسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، ط1، 2006.
- 42- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير واحد، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد، (دط)، 2007
- 43- \_\_\_\_\_، العلم المرح، ترجمة: حسان بورقة ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1993.
- 44- مارتن ريز، ساعتنا الأخيرة: إنذار من عالم، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2006.
- 45- محمد أندلسي، أفول المتعالي وأزمة الميتافيزيقا الغربية أو هيدغر من خلال نيتشه، دار التنوير للطباعة والنشر، بغداد-العراق، ط1، 2015
- 46- محمد جديدي، الأفق البيوإتيقي، الجزء 2، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021.
- 47- محمد جديدي وآخرون، البيوإتيقا وطبيعتنا الإنسانية المهشة في زمن الهيمنة الفيروسية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2022

- 48- محمد طاهر، البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان: الهندسة الوراثية نموذجاً، دار الموج الأخضر للنشر، الجزائر، ط1، 2023.
- 49- محمد غريب إبراهيم عميش، النانويولوجي عصر جديد من علوم الحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط)، 2012.
- 50- محمد هادي طلعتي، الهيومانية دراسة تحليلية نقدية للأسس والجذور، تعريب: حسن علي مطر، كتاب ضمن سلسلة مصطلحات معاصرة، عدد43، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2022.
- 51- مدحت محفوظ، حضارة ما بعد الإنسان: مصائر العرق البشري في عصر الآلات الحية الفائقة الذكاء، دار الكتب القومية، 2006.
- 52- مصطفى صمودي، من جلعامش إلى نيتشه: بحث في الثقافة العامة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2015.
- 53- ملحمة جلعامش، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرؤوف عوني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (ط1)، 2017.
- 54- منيرة علي الجنزوري، التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية، دار المعارف للطباعة والنشر، 2008.
- 55- ميتشيو كاكو، رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 2001.
- 56- \_\_\_\_\_، مستقبل العقل، ترجمة: سعد الدين خرفان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2017.
- 57- ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان، (دط)، 1990.
- 58- نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2017.
- 59- نيك بوستروم وستيفن بكو، التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي: العقول الرقمية والأخطار العالمية، ترجمة وتقديم: حسين عبد الغني، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2023.



60- يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006

61- يوفال نوح هراري، العاقل: تاريخ مختصر للنوع البشري، ترجمة: حسين العبري وصالح بن علي الفلاح، دار منجول للنشر، ط1، 2018.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Alexandre Moatti, **Aux racines du transhumanisme : France 1930-1980**, paris, Odile Jacob, coll, "Histoire", 2020.

2- Béatrice jousset-courturier, **Le transhumanisme : Faut-il avoir peur de l'avenir ?** , groupe Eyrolles, Paris, 2016.

3- Brice Laurent, **Les politiques des nanotechnologies : pour un traitement démocratique d'une science émergente**, édition Charles léopold Mayer, Paris, 2010.

4- David Le Breton, **L'adieu au corps**, Métailié, coll, 1999.

5- E. Brown-Weis, **Justice pour les générations futures : droits international, patrimoine commun et équité intergénération**, Editions sang de la terre, paris, UNESCO, paris, 1994.

6- Gelbert Hottois, **Demain les posthumains**, 2015.

7- Gelbert Hottois, **Transhumanisme : est-il un humanisme ?**, académie royale de Belgique, Belgique, 2014.

8- J. Allard, **L'humanité, un concept juridique sans précédent ?** , Bruyant, Bruxelles, 2004.

9- Jean Boudrillard, **La société de consommation**, Gallimard, paris, coll "folio", 1990.

10- L. Hennebl et H. Tigroudja, **Traité de droits de l'homme**, Pedone, Paris, 2016.

11- Marie-Hélène Parizou, **Biotechnologies, nanotechnologies, écologie, entre science et idéologie**, Versailles, Quae édition, 2010.

12- Marina Maestrutti, **imaginaire des nanotechnologies**, Vuibert, 2008.

13- Michel Serres, **Hominscence**, le livre de poche, paris, coll, "littérature et documents", 2003.

14- Miruna Craciunescu, **La pensée 68 un pamphlet sur l'antihumanisme ?** université Mc Gill, Montreal, 2012.

15- Norbert Wiener, **Cybernétique et société : l'usage humain des êtres humains**, coll, UGE, paris, 1954.

16- Peter Sloterdijk, **La domestication de l'être**, Mille et une nuits, paris, 2000.

17- Peter Sloterdijk, **Règles pour le parc humain : une lettre en réponse à la lettre sur l'humanisme de Heidegger**, trad : Olivier Mannoni, Mille et une nuits, paris, 2000.

ج- باللغة الإنجليزية:

1- C. Foster, **Human dignity in bioethics and law**, Oxford and portland : Hart publishing, Oregon, 2011.

2- Editor Mark Lilla, **New french thought : political philosophy**, princeton university press, United Kingdom, 1994.

3- Jerimi Rifkin, **The third industrial revolution : How lateral power is transforming energy, the economy and the world**, Plagrave macmillan, London, 2011.

4- Julian Huxley, **New bottles for new wine**, chatton and windus, Landon, 1957.

5- Katherine Hayles, **How We became posthuman : Virtual Bodies in cybernetics, literature and informatics**, Library of congress cataloging in publication Data, Chicago, 1999.

6- Leon Kass, **Life, Liberty and the defense of dignity : The challenge for bioethics**, Encounter books, New York, 2002.

7- M. Rosen, **Dignity : its history and meaning**, Massachusetts, harvard university press, Cambridge, 2012.

8- P. Beyleveld and R. Brownsword, **Human dignity in bioethics and biolaw**, Oxford university press, New York, 2001.

9- R.P. Kraynak, **Human dignity and the mystery of the human soul**, University of Notredame press, New York, 2001.

10- Ray Kurzweil, **The singularity is near : when humans transcend biology**, viking press, New York, 2005.

11- S. M. Shell, **Kant,s concept of human dignity as a resource for bioethics**, University of notredame press, notredame, indiana, 2009.

### 3- قائمة المعاجم والموسوعات:

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد2، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، (دط).

### 4- قائمة المجالات:

أ- باللغة العربية:

- 1- إبتسام حاج شريف وعبد القادر شاري، إتيقا السعادة وفلسفة الخلاص عند لوك فيري، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مجلد 15، عدد 2، الجزائر، 2023
- 2- إسرائ محمد كامل أحمد، سيناريوهات استشراف جماليات ما بعد الإنسان في الفنون المعاصرة، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد 23، العدد 3.
- 3- بشرى بلعلي، تطور الإنسان: التقدم المادي والتدهور الروحي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فبراير 2017.
- 4- بشرى زكاغ، عصر المعلومات وظاهرة الإنسوب أو الإنسان المعدل حاسوبيا، مجلة أفكار، عدد 7، المغرب، يونيو 2016.
- 5- حازم البيلاوي، الأوتوميشن والاقتصاد، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، عدد 4، الكويت، 1972
- 6- خالد العبادي، عندما يغير عالم المعلومات الجديد حياتنا، عدد 13، مجلة أفكار، المغرب، فبراير 2017
- 7- خيرة بورنان، ما بعد الإنسانية وأزمة القيم في العلوم الإنسانية، مجلة ألف: اللغة، الإعلام، والمجتمع، مجلد 10، عدد 1، يناير 2023.
- 8- ريهام حسني، ما بعد الإنسانية، الرقمية، بعد ما بعد الحداثة: الجنس الأدبي وتحولات العصر، مجلة روابط رقمية، عدد 1، 2018
- 9- ستيف بروس، روحانية العصر الجديد بديلا عن العلمنة: بطلان الديانة الفردية، ترجمة: رامي طوقان، مجلة الاستغراب، عدد 2، ديسمبر 2016
- 10- سعيد عبيدي، عصر ما بعد الإنسان أو زمن انتصار التكنولوجيا، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017.
- 11- سفيان عمران، البيواتيقا ومستقبل الإنسان عند فرنسيس فوكوياما: تحديات الثورة البيوتكنولوجية وسؤال الأخلاق، مجلة الباحث، مجلد 13، عدد 22، الجزائر، 2022.
- 12- شريف بن زينب، الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية، مجلة مقاربات فلسفية، مجلد 11، عدد 1، الجزائر، 2024

- 13- طارق قابيل، البحث عن إكسير الحياة: شباب دائم في القرن الحادي والعشرين، مجلة التقدم العلمي، العدد 98، الكويت، 2017
- 14- عادل خميس الزهراني، ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، مجلة التجديد، مجلد 25، عدد 49، ماليزيا، 2021.
- 15- علال أحمد وخن جمال، ما بعد الإنسانية: رؤية فلسفية لمستقبل الإنسانية، مجلة أبحاث، مجلد 6، عدد 1، 2021.
- 16- فضل عبد الكريم البشير، دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي، مجلة بيت المشورة، عدد 9، قطر، أكتوبر 2018.
- 17- قاسم الحبشي، فكرة التقدم وفلسفة المستقبل: ألفن توفلر نموذجاً، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، عدد 31، مصر، (دت).
- 18- لورانس ألكسندر، الإنسانية البعدية في مقابل البيولوجيين المحافظين، ترجمة: خديجة حلفاوي، مجلة أفكار، عدد 13، المغرب، فيفري 2017.
- 19- محمد الشيخ، النقاشات القارية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيوتقنية، مجلة التفاهم، مجلد 17، عدد 63، يناير 2019.
- 20- منوي غباش، تحولات الخطاب الإنساني: من الإنسانية إلى ما بعدها، مجلة تبين، عدد 44، مجلد 11، ربيع 2023.
- 21- نادية جاسم كاظم الشمري، التطورات الصناعية في أوروبا 1870-1914 وانعكاساتها على دول العالم، جامعة بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 10، عدد 1، 2020.
- 22- هشام معافة، الإنسانية الفائقة وما بعد الإنسانية، نحو فلسفة للإنسان الجديد، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلد 13، عدد 1، الجزائر، جانفي 2024

ب- باللغة الفرنسية:

- 1- B. Edelman, **La dignité de la personne humaine: un concept nouveau**, recueil dalloz, chronique, 1997.
- 2- Chritian Byk, **Le transhumanisme dans les écrits de Julian Huxley : une religion sans révélation**, Press universitaires du septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2023.
- 2- Dominique Lambert, **Enjeux scientifique du transhumanisme**, pastoralia, N°5, Dossier : Le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015

- 3- E. Decaux, **Dignité et universalité**, université catholique de louvain, centre des droits de l'homme, louvain-la-neuve, Accademia, 1999.
- 4- Emmanuel Tourpe, **Vérité du transhumanisme**, postaralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de malines, mai 2015.
- 5- Franck Damour, **Le transhumanisme n'est pas un humanisme**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, Archidiocèse de maline, Bruxelles, mai 2015.
- 6- Frédéric lewino, **les prodiges de la génétique**, le point, n° 2374, 1 mars 2018.
- 7- Gelbert Hottois, **Humanisme, transhumanisme, postumanisme**, Revista Colombiana de bioética, vol 8, N°2, université El Bosque, Colombia, 2013.
- 8- Gilles le Marois, **pour des nanotechnologies responsables**, Revue Industrie, n°101, Janvier 2005
- 9- Jean Guilhem Xerri, **Qu'est-ce que le transhumanisme ?** postaralia, N°5, dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015.
- 10- L. Hennebel et H. Tigroudja, **Traité de droit international des droits de l'homme**, pedone, paris, 2016.
- 11- M.A. Hermitte, **Les droits de l'homme pour les humains, les droits du singe pour les grands singes !** Le débat historique, politique et société, n° 108, janvier, février 2000.
- 12- Marcel Neusch, **Luc Ferry et l'émergence d'un nouvel humanisme sans Dieu**, Nouvelle revue théologique, 119 N°3, 2021.
- 13- O. De Schutter et J.Ringelhein, **LA Renonciation aux droits fondamentaux : la libre disposition de soi et le règne de l'échange**, in : la responsabilité, face cachée des droits de l'homme, Bruyant, Bruxelles, 2005.
- 14- P. Nathanael Garric, **La légitime parole : de l'Eglise sur le transhumanisme**, postaralia, N°5, Dossier : le transhumanisme, Achidiocèse de Malimes, Bruxells, mai 2015.
- 15- Philippe Rouvillois, Guy le Fur, **la France face au défi des biotechnologies : quels enjeux pour l'avenir ?** la documentation Française, juillet 1999.
- 16- Pierre Tambourin, **Les traditions française à l'épreuve des biotechnologies**, le journal de l'école de paris du management, n°47, mars 2004.
- 17- R.J. Dupuy, **Réflexions sur le patrimoine commun de l'humanité**, Droits, n°1, 1985.
- 19- Raphael Liogier, **La construction sociale de la morale bioéthique**, les cahiers du droit et de lasanté du sud-est, N°3, « La loi bioéthique », 2004.
- 20- Serge Trottein, **Le posthumanisme de Neitzche : réflexions sur un trait d'union, Nietzsche et l'humanisme**, revue Noesis, N°10, 2006.
- 21- Vévinique Bontemps, **pour l'équipe de rédaction**, pastoralia, N°5, dossier : le transhumanisme, archidiocèse de malines, Bruxelles, mai 2015.

22- Xavier Bioy, **Les crimes contre l'espèce humaine, ou la réintroduction en droit d'une espèce de référent naturel, bioéthique, biodroit, biopolitique, réflexions à l'occasion de voter de la loi du 4 aout 2004**, Droit et société, Vol 43, 2012.

23- Xavier Dijon, **La perplexité du droit**, pastoralia, N°5, Dossier : transhumanisme, Archidiocèse de Malines, Bruxelles, mai 2015.

ج- باللغة الإنجليزية:

1-Fernando H. Llalo, **Transhumanism, vulnerability and human dignity**, Deusto journal of human rights, n°4, 2019.

2- G.B. Robinson, **Space law for human kind, transhumans, and posthumans : is there a need for a unique theory of natural law principles ?**, Annals of air and space law, n° xxxiii, 2008.

3- John Sekar Jeyarj, **Is post humanism a therat to human existence**, Bodhi international journal of research in humanities, arts and science, Vol 8, October 2023.

4- Kristin Bremser and Maria de Mar Alonso-Almeide, **Sharing economy and tourism : lights and shadows**, mic 2017, venis, italy, mai 2017.

5- Leon Kass, **Ageless bodies, happy souls : Biotechnology and the pursuit of perfection**, The Newatlantis, N° 30-12.

6- Louis Westling, **Litérature, environment, and the posthuman**, Nature and literary & cultural studies, eds, catrin gersdorf & sylva mayer, Rodopi,B,V, Amesterdam & New york, 2006.

7- Michael Sandel, **The case against perfection**, The atlantic monthly, april 2004.

8- Nick Bostrom, **In defense of posthuman dignity**, Bioethics, N° 19/3, 2005, on : <https://doi.org/10.1111/j.1467-8519.2005.00437.x>

9- Nick Bostrom, **Transhumanist values**, Jornal of philosophical research annual, N°, 30/12, 2005.

10- Robert Ranish, Stefan Lorenz Sorgner, **Introducing post-transhumanism**, peterlang edition.

11- Roberto Paura, **Singularity belivers and the new utopia of transhumanism**, imago, N°7, june 2016.

12- Rosi Braidotti, **Posthuman critical theory**, Chpter 2, in: **critical posthumanism and planetary futures**, springer india: imprint, new delhi, 2016.

13- S. S. Merzlyabov, **Posthumanism vs transhumanism: from the end of exceptionalism to technological humanism**, herald of the Russian academy of sciences, vol92, suppl6, 2022.

5- الويوغرافيا:

أ- باللغة الفرنسية:

- 1- Entretien avec luc ferry, en ligne : <https://sfgg.org/media/2018/10/entretien-exclusif-avec-luc-ferry.pdf>
- 2- Entretien avec Max More, propose recueillis par laurent courau, Laspirale.org, aout 2010, en ligne : <http://www.laspirale.org/texte.php?id=305>
- 3- <http://www.lesmutants.com>
- 4- Littérature et transhumanisme : <http://unmondesanshuman.wordpress.com/litterature-et-transhumanisme/>
- 5- Marc Roux, « L'homme augmenté, mythe ou réalité », disponible en ligne : <http://www.mondedesgrandesecoles.fr/l/homme.augmenté.mythe.réalité/>
- 6- Marc Roux, « pour une déclaration universelle des droits du transhumanism », disponible en ligne : <https://transhumanistes.com/declaration-universelle-droits-transhumain/>
- 7- Marcela Vilarino, Shikh Tamir Rashid et al, **Crispr-cas9 microinjection in oocytes disables pancreas development in sheep**, scientific reports-nature, 2017, Disponible en ligne : <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5727233>
- 8- Parlement européen, Human enhancement study, disponible en ligne : <http://www.itas.kit.edu/downloads/etag-coua09a.pdf>
- 9- Sarah Dubernet, **les besoins des industries de santé**, Appel des appels, comité locale Marseille, janvier 2011, en ligne : <http://Marseille.appeldesappels.org/les-besoins-des-industries-de-sante-635.html#-ftm8>
- 10- Voir la déclaration transhumaniste 2012, disponible en ligne : <https://iatranshumanisme.com/transhumanisme/la-déclaration-transhumaniste/>

ب- باللغة الإنجليزية:

- 1- James Hughes, **The politics of transhumanism**, en ligne : <http://www.changesurfer.com/acard/transhumpolitics>.
- 2- Max More, **The Extropain principles : A Transhumanist Decharation**, Mrob, 1998, accessed on 6-2-2023, at : <http://bit.ly/40km4x>.
- 3- Max More, **Transhumanism toward a futurist philosophy**, en ligne : <http://www.priment.com>
- 4- Nick Bostrom, **A history of transhumanist thought**, en ligne : <http://nickbostrom.com/papers/history.phd>
- 5- Nick Bostrom, E. Yuadkowsky, **The ethics of artificial intelligence**, cambridge press, 2011, en ligne : <https://nickbostrom.com/ethics/artificial.intelligence.pdf>
- 6- Nick Bostrom, **Transhumanism values**, 2001, en ligne, <http://www.nickbostrom.com>

7- Ray Kurzweil, **Human Body Version 2.0**, in kurzweilai.net, Février 2003, en ligne, <http://www.kurzweilai.net/meme/frame.html?main=/articles/art0551.html>

8- **Transhumaniste FAQ**, en ligne : [humanity.plus.org/learn/transhumanist.faq](http://humanity.plus.org/learn/transhumanist.faq)





# فهرس الموضوعات



شكر وعرفان		
الإهداء		
مقدمة		
الفصل الأول: الإنسانية المتحولة من الأسس الفلسفية إلى المشاريع العلمية		
37-10	من الإنسانية إلى معاداة الإنسانية	أولاً:
11	النزعة الإنسانية: الدلالة والسياق	1-
20	فلسفة ما بعد الحداثة وتفكيك الإنسان	2-
31	الإنسانية والإنسانية المتحولة: أي علاقة؟	3-
77-38	الإنسانية المتحولة: البناء المفاهيمي	ثانياً:
38	مفهوم الإنسانية المتحولة	1-
48	الإنسانية المتحولة والمفاهيم المجاورة لها	2-
48	أ- بين الإنسانية المتحولة وما بعد الإنسانية: المفهوم والعلاقة	
56	ب- الإنسانية المتحولة والحركات المناهضة للإنسانية	
58	ج- ما بعد الإنسانية والاكسترويا	
60	مسلمات الإنسانية المتحولة	3-
60	أ- حتمية التقدم والتطور	
63	ب- موت الموت أو السعي نحو الخلود	
72	اتجاهات الإنسانية المتحولة	4-
72	أ- ما بعد الإنسانية الأخلاقية	
72	ب- ما بعد الإنسانية التكنولوجية	
73	ج- ما بعد الإنسانية الأدبية/الثقافية	
76	د- ما بعد الإنسانية النقدية	
76	هـ- ما بعد الإنسانية الكائنية الطبيعية	
97-78	الرصد التاريخي للتصور الفلسفي للإنسانية المتحولة	ثالثاً:
78	البحث عن الخلود في الإنسانية الفكر القديم	1-
82	السعي نحو تحقيق الاكتمال في الفكر الحداثي	2-
90	التكنولوجيات الفائقة ومآلات الإنسانية	3-

91	أ- النانوتكنولوجيا	
93	ب- البيوتكنولوجيا	
95	ج- المعلوماتية	
97	د- العلوم المعرفية والإدراكية	
121-98	الإنسانية المتحولة من الخيال إلى التجسيد	رابعاً:
98	الإنسانية المتحولة في أدبيات الخيال العلمي والفن	1-
111	الإنسانية المتحولة في المخابر	2-
115	أعضاء وجمعيات الإنسانية المتحولة	3-
115	أ- معهد الإكستروبيا	
115	ب- الجمعية العالمية للإنسانية المتحولة	
116	ج- منصة الأخلاق والتقنيات الناشئة	
117	د- جمعية تكنوبراغ	
117	هـ- جامعة التفرد التكنولوجي	
الفصل الثاني: التحولات المعرفية الكبرى لمشروع الإنسانية المتحولة وفق لوك فيري		
161-125	التصور الأنطولوجي الماهوي للذات البشرية	أولاً:
125	التصور البيولوجي والكيميائي	1-
138	التصور الآلي	2-
147	التصور الرقمي أو الافتراضي للإنسان	3-
190-162	الإنسانية المتحولة والاقتصاد	ثانياً:
162	من علم الأحياء التطوري إلى الاقتصاد التشاركي (التعاوني)	1-
177	نهاية الرأسمالية أو الليبرالية المتطرفة	2-
185	الإنسان الفائق هو الرأسمال	3-
206-191	الإنسانية المتحولة والسياسة	ثالثاً:
191	الإنسانية المتحولة والسياسة: أي علاقة؟	1-
192	السياسة الحيوية والسيطرة على مستقبل الإنسان	2-
196	التنظيم المثالي لمشروع الإنسانية المتحولة	3-
218-207	الإنسانية المتحولة والدين	رابعاً:
207	الجذور الدينية للإنسانية المتحولة	1-

214	التفردية أو البحث عن دين جديد	-2
217	الدين ومجتمع الإنسانية المتحولة	-3
الفصل الثالث: الإنسانية المتحولة في الخطأ البيواتيقي		
250-223	مسألة الطبيعة البشرية والهوية الإنسانية	أولاً:
223	الطبيعة الأصلية كمعيار أخلاقي لدى البيومحافظين	-1
236	البيوتقدميون ونفي وجود طبيعة بشرية ثابتة	-2
243	لوك فيري والتوفيق بين البيومحافظين والبيوتقدميين	-3
275-251	معضلة الحقوق الإنسانية	ثانياً:
251	البيومحافظون والحقوق الثابتة المتأصلة في الطبيعة البشرية	-1
256	حقوق الإنسان الفائق من منظور بيوتقدمي	-2
270	حقوق الإنسانية المتحولة من منظور لوك فيري	-3
290-276	قضية الكرامة الإنسانية	ثالثاً:
276	البيومحافظون والدفاع عن الكرامة المتأصلة في الطبيعة البشرية	-1
285	المقاربة البيوتقدمية والدفاع عن كرامة ما بعد الإنسان	-2
289	مسألة الكرامة عند لوك فيري	-3
315-291	الإنسانية الجديدة أو إنسانية الحب عند لوك فيري	رابعاً:
291	أنسنة الإله: الحاجة الملحة للمعنى أو من انسحاب السؤال إلى عودته	-1
296	أ-يوحنا بولس الثاني: الضمير تحت سلطة الوعي	
296	ب-يوجين دروفرمان: الوحي تحت سلطة الضمير	
297	ج-نهاية الشيطان والشر في الإنسان	
299	تأليه الإنسان: علمنة الأخلاق وظهور الحب الحديث	-2
300	أ-التضحية ليست مفروضة من الخارج بل يتم القبول بها بحرية	
301	ب-الزواج القائم على الحب وظهور العاطفة الوالدية	
304	ج-المقدس بوجه إنساني: نحو تقديس الجسد والقلب	
306	د-الإنسانية للإنسان الإله	
307	مشروع لوك فيري الإنساني: مقارنة نقدية	-3

307	أ-تقمص الروحانيات	
309	ب-أطروحة لوك فيري: إنسانية بدون إله	
310	ج-إلتباس مفهوم التعالي	
311	د-أطروحة مشكوك فيها فيما يتعلق باللاهوت	
311	هـ-مفارقة الحب المدينس	
313	و-معضلة الأسئلة المعلقة	
	ي-الحاجة الملحة إلى تفسير آخر	
321-318	خاتمة	
331-324	فهرس الأعلام	
336-333	فهرس المصطلحات	
351-338	قائمة المصادر والمراجع	
356-353	فهرس الموضوعات	
362-358	الملخص	



# ملخص



## ملخص:

إن حركة الإنسانية المتحولة هي أكثر من مجرد يوتوبيا بسيطة أو مدرسة فكرية جديدة أو أيديولوجية عصرية، فهي في واقع الأمر مشروع علمي وفلسفي قيد التنفيذ بالفعل، ويدافع عن استخدام أحدث التقنيات الناشئة - من علم الوراثة الحيوية إلى الحوسبة، ومن تكنولوجيا النانو إلى العلوم المعرفية، إلى الروبوتات والذكاء الاصطناعي - بهدف واضح يتمثل في زيادة القدرات الجسدية والمعرفية والحسية والأخلاقية والعاطفية للبشر بشكل كبير، خاصة وأن التطور البشري يستلزم تغيير نموذج التمركز البشري الذي تدافع عنه الإنسانية، ويهدف إلى اختراق حدود الطبيعة التي كنا نعتبرها حتى وقت قريب غير قابلة للتغلب عليها، من أجل خلق نوع جديد أكثر تطوراً من الإنسان العاقل: الإنسان المتميز والمتحول، وهو نوع ما بعد بشري متفوق على نوعنا، يتألف من كائنات موهوبة بشكل استثنائي تم اختيارها وراثياً وتصميمها وتحسينها، والتي -وفقاً لخيال الإنسانية المتحولة- سوف تهيمن على مستقبل ما بعد البشر وستكون أكثر سعادة، وأكثر فضيلة، وأطول عمراً وذكاءً منا. ثم إن الإنسانية المتحولة لا تسعى فقط إلى تحسين الإنسان، بل إلى تعزيز قدراته عبر التقنيات والتدخلات البيولوجية لجعل الحياة أفضل وربما أبدية، وعليه فالميزة الأساسية لها تكمن في تجاوز النموذج الطبي التقليدي العلاجي إلى نموذج يركز على تحسين أو تعزيز الإنسان. وعليه فإن حركة الإنسانية المتحولة تقترح وجهة نظر مفادها أن تطور البشرية لا بد وأن ينتزع من طرف الانتخاب الطبيعي الأعمى، وأن يوجهه البشر أنفسهم، مستخدمين في ذلك التكنولوجيات الفائقة، من أجل تعزيز القدرات البشرية الفردية، وبالتالي تحويلها إلى مستويات تتجاوز بكثير القدرات الحالية، ومع ذلك أثارت هذه الحركة انتقادات شديدة بسبب ادعائها بأن التحولات التي تقترحها سوف تؤدي إلى ظهور نوع جديد من البشر، وبالتالي فإن أهدافها تمثل انتهاكاً لمفهوم الإنسان، وبناء على ذلك نروم في هذه الدراسة إلى اقتراح أفكار **لوك فيري** كصيغة وسيطة في المنافسة العقائدية بين الفلاسفة البيوتقديمين والبيومحافظين، بحيث يصبح من الممكن تطوير البحث العلمي والتقدم في التقنيات الجديدة، وإن كان ذلك دون الحاجة إلى التضحية بالطبيعة البشرية والكرامة والحقوق، وهم صفات متأصلة في الإنسان. وعليه تعد القضايا الأخلاقية وتأثير التقدم العلمي والتكنولوجي على التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعاتنا محورياً رئيسياً للفلسفة منذ قرون، وفي هذا السياق الفلسفي، يضع **لوك فيري** نفسه ويجتهد في تقديم هذه الحركة التي يتزايد تأثيرها داخل الأوساط العلمية العالمية، وقام برسم موازنة بين الإنسانية المتحولة والاقتصاد التعاوني، حيث يرى أن كلا التياران يعتمدان على نفس البنية: الإنترنت، البيانات الضخمة، الذكاء الاصطناعي، والطباعة ثلاثية الأبعاد، ولتوضيح رؤيته

يعرض الفيلسوف الأطروحات الرئيسية التي طورت في كلا المجالين -مع إبراز المؤيدة منها والمعارضة- دون أن يتحيز لأي منهما، ليختتم أفكاره بتوصيات موجهة لرؤساء الدول والهيئات السياسية العالمية المختلفة، فالحصن الوحيد في منظوره ضد الانحرافات الناجمة عن هذين التيارين هو وجود دولة قوية تستطيع ضبط الظواهر الناتجة عن التغيرات التي أحدثتها الإنسانية المتحولة.

### الكلمات المفتاحية:

الإنسانية المتحولة، ما بعد الإنسانية، لوك فيري، الإنسان الفائق، العلوم المتقاربة.

### Résumé :

Le mouvement transhumaniste est bien plus qu'une simple utopie, une nouvelle école de pensée ou une idéologie moderne. Il s'agit en réalité d'un projet scientifique et philosophique déjà en cours. Il prône l'utilisation des technologies émergentes les plus avancées – de la biogénétique à l'informatique, de la nanotechnologie aux sciences cognitives, en passant par la robotique et l'intelligence artificielle – avec l'objectif clair d'accroître considérablement les capacités physiques, cognitives, sensorielles, morales et émotionnelles des êtres humains. Cela est particulièrement important, car l'évolution humaine nécessite de s'éloigner du modèle anthropocentrique défendu par l'humanisme, afin de franchir les limites naturelles que nous avons longtemps considérées comme insurmontables, pour créer une nouvelle espèce plus avancée d'Homo sapiens : l'humain supérieur et transformé. Cette espèce post-humaine surpasserait notre espèce, composée d'êtres génétiquement sélectionnés, conçus et améliorés. Selon –l'imaginaire transhumaniste–, ces êtres domineront l'avenir post-humain et seront plus heureux, plus vertueux, plus longs-vivants et plus intelligents que nous. Le transhumanisme ne cherche pas uniquement à améliorer l'humanité, mais aussi à renforcer les capacités humaines à travers des technologies et des interventions biologiques pour rendre la vie meilleure et potentiellement éternelle. Son avantage clé réside dans le dépassement du modèle médical thérapeutique traditionnel au profit d'un modèle axé sur l'amélioration ou l'augmentation de l'être humain. Le mouvement transhumaniste propose ainsi que l'évolution de l'humanité soit arrachée aux mains de la sélection naturelle aveugle et dirigée par les humains eux-mêmes, utilisant des technologies avancées pour améliorer les capacités humaines individuelles, et les élever ainsi à des niveaux bien au-delà des capacités actuelles.



Cependant, ce mouvement a suscité de vives critiques en raison de son affirmation selon laquelle les transformations proposées conduiront à l'émergence d'une nouvelle espèce humaine. Ses objectifs sont ainsi perçus comme une violation du concept d'humanité. Sur cette base, cette étude vise à proposer les idées de Luc Ferry comme une voie intermédiaire dans la compétition idéologique entre les philosophes bioprogressistes et bioconservateurs. Cela permettrait de développer la recherche scientifique et les avancées des nouvelles technologies, sans sacrifier la nature humaine, la dignité et les droits, qui sont des qualités inhérentes à l'homme. Ainsi, les enjeux éthiques et l'impact des progrès scientifiques et technologiques sur l'organisation socio-économique de nos sociétés constituent depuis des siècles un axe central de la philosophie. Dans ce contexte philosophique, Luc Ferry se positionne et s'efforce de présenter ce mouvement qui gagne en influence dans les cercles scientifiques mondiaux. Il établit un parallèle entre le transhumanisme et l'économie collaborative, en suggérant que ces deux courants reposent sur la même structure : l'internet, les mégadonnées, l'intelligence artificielle et l'impression 3D. Pour clarifier sa vision, le philosophe expose les principales thèses développées dans les deux domaines – en mettant en lumière les partisans comme les opposants – sans prendre parti. Il conclut ses réflexions par des recommandations adressées aux chefs d'État et aux différentes instances politiques mondiales. De son point de vue, le seul rempart contre les dérives engendrées par ces deux courants est l'existence d'un État fort, capable de réguler les phénomènes résultant des changements apportés par le transhumanisme.

### **Mots-clés :**

Transhumanisme, Post-Humanisme, Luc Ferry, Surhumain, Sciences convergentes.

### **Abstract :**

The movement of transhumanism is more than just a simple utopia, a new school of thought, or a modern ideology. It is, in fact, a scientific and philosophical project already underway. It advocates for the use of emerging cutting-edge technologies—from biogenetics to computing, nanotechnology to cognitive sciences, robotics, and artificial intelligence—with the clear

goal of significantly enhancing the physical, cognitive, sensory, moral, and emotional capacities of humans. This is especially important since human evolution necessitates a shift away from the anthropocentric model promoted by humanism. The aim is to transcend the natural limits we have long considered insurmountable to create a new, more advanced species of *Homo sapiens*: the superior and transformed human. This post-human species would surpass our kind, comprising genetically selected, designed, and enhanced beings. According to --the imagination of transhumanism--, these beings will dominate the post-human future, being happier, more virtuous, longer-lived, and more intelligent than us. Transhumanism does not merely seek to improve humanity but also aims to enhance human capacities through technologies and biological interventions to make life better and potentially eternal. Its key advantage lies in surpassing the traditional therapeutic medical model, focusing instead on human enhancement or augmentation. The transhumanist movement thus proposes that humanity's evolution must be wrested from the hands of blind natural selection and directed by humans themselves using advanced technologies to enhance individual human capacities, thereby elevating them far beyond current levels. However, this movement has sparked intense criticism due to its claim that the proposed transformations will lead to the emergence of a new species of humans. Its goals are therefore perceived as a violation of the concept of humanity. Based on this, this study aims to propose the ideas of Luc Ferry as a middle ground in the ideological competition between bioprogressive and bioconservative philosophers. This allows for the development of scientific research and advancements in new technologies without sacrificing human nature, dignity, and rights, which are inherent qualities of humanity. Thus, ethical issues and the impact of scientific and technological progress on the socio-economic organization of our societies have been central to philosophy for centuries. Within this philosophical context, Luc Ferry positions himself, striving to present this movement, which is gaining increasing influence within global scientific circles. He draws a parallel between transhumanism and the collaborative economy, suggesting that both currents rely on the same structure : the internet, big data, artificial intelligence, and 3D printing. To clarify his perspective, the philosopher outlines the main theses developed in both fields—highlighting both proponents and opponents—without bias. He concludes his thoughts with recommendations addressed to heads of state and various global

political bodies. From his perspective, the only safeguard against the deviations caused by these two currents is the presence of a strong state capable of regulating the phenomena resulting from the changes brought about by transhumanism.

**Keywords:**

Transhumanism, Post-Humanism, Luc Ferry, Superhuman, Converging Sciences.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾